

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية الدعوة والإعلام بالرياض
الدراسات العليا
قسم الدعوة والاحتساب

الترهيب في الدعوة في القرآن والسنة

انواعه ، مجالاته ، تأثيره

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الدعوة والاحتساب
من قسم الدعوة والاحتساب

إشراف
فضيلة الدكتور / أحمد بن محمد أبابطين
رئيس قسم الدعوة والاحتساب

إعداد
رقية بنت نصر الله بن محمد نياز

١٤١٥ هـ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَموتنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(١) ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(٢) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ، وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾^(٣) ^(٤) والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ الذي بلغ الرسالة وأدى الأمانة حتى فتح الله به قلوباً غلفاً وأعينا عمياً وآذاناً صماً ، وعلى آله وصحبه الذين تولوا أمانة البلاغ من بعده .

أما بعد : فهذه دراسة مقدمة إلى قسم الدعوة في (كلية الدعوة والاعلام لنيل درجة الماجستير) بعنوان :

”الترهيب في الدعوة في القرآن والسنة :

أنواعه ، مجالاته ، تأثيره ”

(١) سورة آل عمران : الآية ١٠٢

(٢) سورة النساء : الآية ١

(٣) سورة الأحزاب : الآية ٧٠-٧١

(٤) خطبة الحاجة كما سماها العلماء وأثبت الشيخ الألباني صحة بعض طرقها وله رسالة بعنوان (خطبة الحاجة (ص١٣-١٤) ط . ١٤٠٠هـ

المكتب الإسلامي .

المقدمة

التعريف بمصطلحات الدراسة

تعريف الترهيب:

لغة : بمعنى التخويف ، يقال رهبته واسترهبته ، أي خوفته^(١) .
اصطلاحاً : عملية دفع المدعو إلى رفض وترك وتقييح المنكر، وإن كان وفق هواه أحياناً^(٢) .
المعنى المراد هنا : التخويف في الدعوة إلى الله، وما يتعلق بهذا التخويف من حيث أنواعه ، ومجالاته، وتأثيره.

تعريف الدعوة :

لغة : الطلب ، يقال: دعا بالشيء طلب إحضاره، ودعا إلى الشيء حثه على قصده، يقال: دعا إلى القتال، ودعاه إلى الصلاة ، ودعاه إلى الدين، حثه على اعتقاده ، وساقه إليه^(٣) .
اصطلاحاً: تأتي كلمة الدعوة بمعنيين ، أحدهما: فعلي وهي عملية نشر الإسلام وتبليغه إلى الناس قال تعالى ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾^(٤) وتأتي بالمعنى الإسمي: ويراد بها الإسلام كدين^(٥) قال تعالى ﴿ له دعوة الحق ﴾^(٦) . والمراد بالدعوة في هذا البحث : عملية نشر الإسلام وتبليغه.

مدخل للدراسة وأهمية الموضوع

من حكمة الله تعالى في إستمالة عباده إلى الإسلام ما ذكره الله جل وعلا في كتابه من الترغيب والترهيب، اللذين يشبهان كفتي الميزان في لزوم توازنهما لتحقيق الغاية المقصودة من استمالة الناس إلى الدين ، فإذا لم يفد الترغيب بعض القلوب الغافلة، فإن الترهيب يأتي ليقرعهما لتنتبه من غفلتها، وهناك أحوال متى تعينت وجب على الداعية النزوع إلى الترهيب، ومن تلك الأحوال مايلي :

(١) القاموس المحيط للفيروز آبادي ، مادة (رهب) (ص ١١٨)

(٢) تعريف فضيلة الدكتور/ حسين خطاب موجودة في مذكرة لطلبة الدراسات العليا عام ١٤١١هـ في مادة الدعوة في الكتاب والسنة

(٣) المعجم الوسيط مادة (دعا) (٢٨٦/١)

(٤) سورة النحل : جزء من الآية (١٢٥)

(٥) مرجع سابق للدكتور/ حسين خطاب ، في هامش رقم ٢ من هذه الصفحة

(٦) سورة الرعد : الآية ١٤

١- عند انتهاك حرمت الله تعالى وإقامة الحدود.

٢- عند ظهور عناد أو استخفاف واستهزاء بالدعوة.

٣- عند بدور مخالفة الشرع لدى أناس لا يتوقع منهم ذلك.^(١)

وفي أحوال أخرى قد يضطر الداعية إلى سياسة الجمع بين الترغيب والترهيب، وذلك حين يجد نفسه أمام مدعويين مجهولي الصفة السلوكية^(٢).

وقد فطر الله الإنسان على الخير، ومكنه من استعداده للشر، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا. قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾^(٣) ورحمة من الله بهذا الإنسان فقد أعانه بالرسول قال تعالى: ﴿رَسُولًا مَبْشُرِينَ وَمُنذِرِينَ لئَلَّيْكَونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةً بَعْدَ الرُّسُلِ﴾^(٤)، وأنزل كتباً تحمل في طياتها الوعد والوعيد، وأوجب التناصح بين العباد أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر، كل ذلك من أجل أن يبصر هذا الإنسان الحق في صورته الصحيحة فيتبعه.

من هذا المنطلق تأتي أهمية الموضوع، ذلك لأن الداعية يوظف الترغيب والترهيب لإيقاظ هذه الفطرة السليمة، إما ترغيباً لمن رضي وأطاع واستسلم، وإما ترهيباً لمن خالف واستكبر. وتعود أهمية الترهب إلى كونه الأسلوب المناسب لإنقاذ المسلم العاصي المستمريء للمعصية، والذي يخشى عليه أن تنتهي به المعصية إلى فسوق ثم إلى فجور وكفر والعياذ بالله، فكان الترهب بمثابة لجام معنوي يأخذ بحجز الإنسان بعيداً عن النار، ولذا بدأ بالإنذار تنفيذاً لأمر ربه فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنْذِرْ﴾^(٥) وقال عليه السلام: (إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش يقعن فيها، فجعل الرجل ينتزعهن ويغلبنه فيقتحمن فيها، فأنا آخذ بحجزكم عن النار وهم يقتحمنون فيها)^(٦).

و أيضاً الترهب له موقع جد مفيد في نفوس الناس من وجهين:

^(١) من صفات الداعية الرفق واللين، لفضيلة الشيخ الدكتور فضل الهي (ص ٣٤)

^(٢) مرجع سابق للدكتور / حسين خطاب، (ص ٢) من هذه المقدمة هامش (رقم ٢)

^(٣) سورة الشمس: الآيات ٧-١٠

^(٤) سورة النساء: الآية ١٦٥

^(٥) سورة المدثر: جزء من الآية ١-٢

^(٦) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي (٧/ ١٨٦)، الناشر المكتب الإسلامي بإستانبول

الوجه الأول :

إنه يدخل إليهم من الأبواب الفطرية وهي كراهية البؤس والعقاب وفي هذا يقول الدكتور/ علي عبد الحلیم محمود : "وإذا كان توقع المكروه والشر في الحال أو في الاستقبال يصيب الناس بالضيق والقلب بالألم فيحدث الخوف، فإننا نحب أن نوضح أن الخوف مبعثه العلم بأسباب الخوف والعمل بما يؤدي إلى ذلك، ولذلك نقول: إن خوف الله يبنى على العلم بالله ومعرفته، وأخوف الناس لربهم أعرفهم بربهم وبأنفسهم ولذلك قال تعالى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(١) قال : (أما والله إنني لأخشاكم لله وأتقاكم له)^(٢) . وقال بعض السلف رحمهم الله: الخوف سوط الله يسوق به عباده إلى المواظبة على العلم والعمل لينال بها رتبة القرب من الله.. ولا يكون ذلك إلا بانقطاع الشهوات، ولاتقطع الشهوات بشيء كالخوف، فهو النار المحرقة للشهوات .

وقال إبراهيم بن سفيان رحمه الله: " إذا سكن الخوف القلوب أحرق مواضع الشهوات منها وطرد الدنيا عنها"^(٣) . والداعية إلى الله يحتاج من الناس عملاً وفكراً وذكراً وأمناً ومحبة لله ، فمن كان كذلك وهو على باب الرجاء-الترغيب- فيها ، ومن لم يكن على باب الرجاء كان على باب الخوف -الترهيب- وسبق بسوطه إلى القرب من الله ولا حرج فإن الله تعالى يقول: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾^(٤)، ويقول: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾^(٥) (١).

الوجه الثاني :

إن الترهيب له درجات تبدأ بالتهديد وتنتهي بالتنفيذ " فمن الناس من تكفيه الإشارة البعيدة فيرتجف قلبه ويهتز وجدانه ويعدل عما هو مقدم عليه من انحراف.. ومنهم من يكفيه التهديد بعذاب مؤجل التنفيذ، ومنهم من لابد من تقريب العصا منه حتى يراها على مقربة منه ومنهم بعد ذلك فريق لابد وأن يحس لذع العقوبة على جسمه لكي يستقيم"^(٧) .

(١) سورة فاطر : الآية ٢٨ .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب النكاح ، باب الترغيب في النكاح ، جزء من الحديث ٥٠٦٣ (١٠٤/٩) .

(٣) مدارج السالكين في منازل إياك نعبد لابن القيم (٥١٣/١) طبعة دار الكتاب العربي .

(٤) سورة الأعراف : الآية ١٥٤

(٥) سورة البينة : الآية ٨

(٦) انظر : فقه الدعوة إلى الله للدكتور علي عبد الحلیم (٢٣٢/١-٢٣٣) دار الوفاء، الطبعة الثانية

(٧) انظر: (مدخل علاجي جديد لانحراف الأحداث-العلاج الإسلامي)د/محمد سلامة غباري، ص٣٢٣، ط. الأولى ١٤٠٦هـ، المكتب الجامعي الحديث-الإسكندرية.

ولما كان الترهيب هو الأسلوب الأخير لإنقاذ معظم الناس من عقوبة الله في الدنيا والآخرة وجب التأكيد عليه والحرص على العمل به في مجال الدعوة، خاصة وأن سور القرآن الكريم مملوءة بهذا الأسلوب وكذلك السنة الصحيحة، ليكون ذلك بمشيئة الله قاطعاً للنفوس عن غيرها وفسادها وخيبتها، وباعتنائها على المسارعة إلى رشادها وسلامتها وفلاحها. وفساد النفوس وغيرها لايزيلها إلا أحد أمرين: إما خوف مزعج-ترهيب-، وإما شوق مبهج-ترغيب-، ولكن أيهما يغلب في الاستخدام؟ ومن له السبق في التقديم؟ قد أجاب على ذلك فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين فقال: "إن ذلك يختلف باختلاف الأحوال، وإنه إذا خاف إن غلب جانب الخوف أن يقنط من رحمة الله وجب عليه أن يرد ويقابل ذلك بجانب الرجاء، وإذا خاف إن غلب جانب الرجاء أن يأمن من مكر الله فليرد ويغلب جانب الخوف" (١).

كما لا يفوتني أن أذكر بعض النقاط إضافة إلى ما سبق ذكره من أهمية الموضوع لسبب

الاختيار وهي:

- ١- إن المنهج الإسلامي في جملته لا يخرج عن إطار الترغيب والترهيب، فعلم القرآن والسنة، وعلوم العقيدة والشريعة يوظفها الداعية في صورة ترهيب من أمر ما أو ترغيب في أمر ما على ما يقتضيه المنهج الإسلامي الحنيف (٢).
 - ٢- إن الترهيب هو الوجه الآخر للترغيب، ومن ثم يرتكز عليه عندما لا ينفع الترغيب.
 - ٣- للترهيب أهمية كبرى في زجر النفس البشرية عن معصية الله، وتقليل المعاصي والذنوب والآثام.
 - ٤- من باب الأخذ بالقاعدة الفقهية "درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة" رأيت أن أكتب في الترهيب، فمن اتقى المحارم فهو السعيد بإذن الله.
- لكل ما ذكر تكونت لدي قناعة تامة بأهمية الموضوع، فاستخرت الله تعالى ثم عرضت الأمر على بعض شيوخه فأيدوني مشكورين، فعقدت العزم متوكلة عليه سبحانه أن يوفقني بتقديم شيء

(١) انظر: فتاوى الشيخ محمد بن عثيمين (١/١٩١-١٩٢) دار عالم الكتب، ط. ٣، ١٤١٢هـ.

(٢) مرجع سابق لفضيلة الدكتور/ حسين خطاب (ص ٢) من هذه الرسالة

للعمل الدعوي أتقرب به إلى الله تعالى، وهو الإسهام بتوضيح الترهيب كونه أسلوباً لاغنى لكل داعية عنه.

الدراسات السابقة

لقد كتب في موضوع الترهيب كثيرون قبلي، وكانت هناك جهودات ضخمة قام بها مجموعة من الأئمة والدعاة والمفكرين، حيث تناول كل منهم هذا الموضوع من زاوية معينة تخدم غرضه. ولاشك أنني في إعداد هذا المخطط استعنت بهذه الجهود واستفدت كثيراً من هذه المؤلفات القيمة . غير أنني بذلت وسأبذل بإذن الله جهداً غير قليل لجمع شتات مادة هذا البحث من بين صفحات البحوث، والكتب، والمجلات، حتى يجتمع للداعية في بحث واحد كل ما يهمه في هذا الموضوع.

أما الدراسات السابقة المتعلقة بهذا الموضوع -والتي اطلعت عليها- فتنقسم إلى نوعين:

الأول: دراسات جامعية ومن نماذج هذا النوع:

١- الحكمة في الدعوة إلى الله : بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، والرسالة مكونة من مقدمة وأربعة فصول وخاتمة، وقد تعرض الباحث (للترهيب) في الفصل الثالث (حكمة القول مع المدعوين) وتكلم فيما لا يقل عن عشر صفحات عن (الترهيب بذكر الوعيد على جنس المعاصي والذنوب والترهيب بذكر الوعيد على أنواع الذنوب وآحادها) . ولم يتعرض لنقاط الموضوع كما سأعرض لها، والتي تظهر من خلال تقسيمي للدراسة المذكورة في نهاية المخطط^(١) .

٢- الدعوة في عهدها المكي: رسالة ماجستير وهي مقسمة إلى :

مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة، تحدث الباحث في الفصل الثاني من الباب الثاني عن أساليب الدعوة وتحت المبحث الثاني تعرض للموعظة الحسنة، وذكر فيما لا يقل عن أربع صفحات . أن من أشكال وصيغ الموعظة الحسنة "الترغيب والترهيب" وكان ذلك بشكل مدمج^(٢) .

^(١) الرسالة مقدمة إلى قسم الدعوة في كلية الدعوة والاعلام في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض. والباحث . سعيد بن علي القحطاني

انظر الموضوع (ص ٤٩٦-٥٠٦) توزيع مؤسسة الجريسي ، الطبعة الأولى عام ١٤١٢ هـ .

^(٢) الرسالة مقدمة للمعهد العالي للدعوة الإسلامية، والباحث (ممدوح الهياثي) انظر الرسالة (ص ١٧٣-١٧٧)

٣- أسس الدعوة في سورة إبراهيم عليه السلام ، بحث متمم لرسالة ماجستير، والبحث مقسم إلى مقدمة وتمهيد ثم فصلين وخاتمة . وقد تعرض الباحث في الفصل الثاني لأساليب الدعوة وجعل في مقدمة الأساليب المستخدمة أسلوبَي التزييب والتزييب وبين أهمية استخدامه مع الكفار ومع عصاة المسلمين وكان ذلك بصورة موجزة^(١) .

٤- مشكلات الشباب والمنهج الإسلامي في علاجها ، رسالة ماجستير. في الفصل الثالث من الباب الأول ذكر الباحث التزييب والتزييب مدججين وفيما لايزيد عن صفحة واحدة وسطرين وبين أنهما مما يعتمد عليهما في صياغة الشخصية الإسلامية بصورة سليمة^(٢) .

٥- الدعوة والداعية في ضوء سورة الفرقان، والبحث عبارة عن مقدمة وباين، الباب الأول (الدعوة في ضوء سورة الفرقان) والباب الثاني (الداعية) . وقد ذكر الباحث في المبحث الأول من الفصل الأول، الباب الثاني (البلاغ بأسلوب التبشير والإنذار) وتعرض للإنذار بصورة مدججة مع التبشير وأظهر أهميته في صفحتين وبشكل مختصر على غير الوجه الذي سأعرض له بإذن الله تعالى^(٣) .

الثاني : تراكمات علمية ومن أمثلة هذا النوع :

١- كتاب فقه الدعوة إلى الله ، تعرض الكتاب إلى التزييب في صفحة ونصف تحت عنوان: الأسلوب السابع في أساليب الدعوة إلى الله^(٤) .

٢- كتاب أصول الدعوة، تعرض المؤلف إلى التزييب والتزييب في المبحث الثالث من الفصل الثاني في الباب الأول بين معنى التزييب والتزييب وبما يكونان ولوازمهما وأساليب التزييب والتزييب وكان ذلك بصورة مدججة وموجزة لاتفي بكل نقاط الموضوع التي سأعرض لها بإذن الله تعالى^(٥) .

^(١) بحث مقدم إلى كلية الدعوة والإعلام بالرياض والباحث (مسفر بن عبد الله البواردي)

^(٢) الرسالة مقدمة إلى معهد الدراسات الإسلامية بالقاهرة عام ١٩٨٥م، الباحث (وليد شلاش نايف شبير) انظر ص١٣٨ الطبعة الأولى عام ١٤٠٩هـ . الناشر مؤسسة الرسالة.

^(٣) الباحث (محمد سعيد البارودي) انظر (ص٢٠٣) من الرسالة ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ، الناشر دار الوفاء بجدة .

^(٤) المؤلف د./علي عبد الحليم محمود ، انظر (ص ٢٣٢-٢٣٣) الطبعة الثانية ١٤١١هـ ، دار الوفاء.

^(٥) المؤلف الأستاذ عبد الكريم زيدان ، انظر (ص ٤٢١-٤٥٤) الطبعة الثالثة عام ١٤٠١هـ مكتبة المنار الإسلامي.

٣- مدخل علاجي جديد لانحراف الأحداث ، العلاج الإسلامي ودور الخدمة الإجتماعية فيه، قسم المؤلف الدراسة إلى باين وفي الفصل الثامن من الباب الثاني تكلم المؤلف عن (العلاج الإسلامي بالتنمية الخلقية) وتحت رقم ٣ تحدث عن التنمية الخلقية بالترغيب والترهيب^(١) . مع أهمية ماكتب في هذا الموضوع إلا أنني -مع الاعتراف بقلة اطلاعي- لم أجد من تعرض إلى الموضوع من جميع جوانبه. ومن ثم أرى -والله أعلم- أن الموضوع جدير بالبحث والدراسة وأسأل الله العظيم أن يوفقي لشرف خدمة هذا الموضوع حتى يخرج في صورة علمية دقيقة تبرز قيمة الترهيب كحاجة أساسية للدعاة إلى الله تعالى .

تحديد مشكلة البحث

المشكلة البحثية يقول الدكتور/ أحمد بدر: "هي: ماذا يأمل الباحث على وجه التحديد في حله"^(٢) ويقول آخر: "قبل أن يبدأ الباحث في عمله يجب أن يسأل نفسه ماهي بالضبط المشكلة التي أسعى لحلها؟ كما يمكن للباحث أن يضع المشكلة على هيئة سؤال يحتاج إلى إجابة، وهذه الإجابة هي التي ستكون محور دراسته وبجته"^(٣) .

والحق ، فأن موضوع بحثي هذا ما هو إلا إجابة لهذه الأسئلة - المشكلة البحثية:-

* مامدى فاعلية الترهيب في التأثير على المدعو بكل أصنافه ؟

* هل الترهيب يسير أو يأتي على وتيرة واحدة دائماً ؟

ولعلي بالاجابة على هذه المشكلة البحثية أكون قد وضعت النقاط على الحروف ويتضح ذلك بصورة أوضح في تساؤلات الباحثة وتقسيم البحث -إن شاء الله-.

(١) المؤلف د./ محمد سلامة غباري ، انظر (ص ٢٢١-٢٢٥) الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ، الناشر المكتب الجامعي الحديث - الاسكندرية.

(٢) أصول البحث العلمي ومناهجه للدكتور /أحمد بدر ، (ص ٨٧) الناشر وكالة المطبوعات بالكويت.

(٣) سين وجيم عن مناهج البحث العلمي للأستاذ طلعت همام (ص ٥٢) الطبعة الأولى الناشر مؤسسة الرسالة.

تساؤلات الدراسة

- في هذه الدراسة أسعى إلى الإجابة على مجموعة من التساؤلات، تمثل الإجابة عليها في النهاية أهداف الدراسة، وهذه التساؤلات:
- ١- ما التهيب وما ضوابطه؟
 - ٢- ما أهمية التهيب في الحقل الدعوي؟ وما مكانته بين الأساليب الأخرى؟
 - ٣- ماذا يترتب على ترك التهيب؟
 - ٤- ماذا يترتب على الغلو في التهيب؟
 - ٥- ما الحالات التي تحتم علينا أن نرهب فيها فقط؟
 - ٦- هناك حالات ينبغي فيها الجمع بين التهيب والترغيب فما هي؟
 - ٧- ما أنواع التهيب في القرآن والسنة؟
 - ٨- ما مجالات التهيب مع أصناف المدعوين؟
 - ٩- ما تأثير التهيب؟

نوع الدراسة ومنهجها

الدراسة بإذن الله ستكون دراسة نظرية، والمنهج المستخدمة هي: المنهج الاستقرائي: وهي جمع جزئيات الموضوع الواحد، ثم استخراج الحكم الكلي من جملة أجزائه، حيث أقوم باستقراء النصوص وجمعها واستخراج الأفكار منها. والمنهج الاستردادي: حيث نقوم باسترداد الماضي تبعاً لما تركه من آثار، أيا كان نوع هذه الآثار^(١) وذلك من خلال قراءة سيرة الرسول، وأيضاً أقوم بدراسة النصوص النبوية والوقائع للوصول إلى البغية.

^(١) قواعد المنهج العلمي، د. / فاروق يوسف، (ص ٤٣) مكتبة عين شمس القاهرة الطبعة الأولى ١٩٨٥م.

منهج الكتابة

١- اعتمدت في المقام الأول على المصدرين الأصليين للإسلام بجميع فروعه وهما : القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة الصحيحة، وفي مقدمتها صحيحا الإمامين البخاري ومسلم. ولا أعتمد إلا ما ثبت.

٢- بالنسبة لكتب السلف الصالح: فسوف أعتمد في الغالب الأعم على أقوال السلف، رحمهم الله وبالذات في القرون المفضلة، والمشهود لهم بالتقوى والصلاح، فما عثر عليه من كلام له علاقة بالموضوع دونته، والتزمت بضوابط الكتابة العلمية في هذا البند وفي الذي قبله وفي الذي بعده.

٣- أيضاً أستفيد من الكتابات المعاصرة ابتداء من التراكمات العلمية، ومروراً بالبحوث والمؤتمرات، وانتهاء بالمجلات والجرائد.

٤- النصوص القرآنية جعلتها بين قوسين مميزين ﴿﴾ والأحاديث النبوية جعلتها بين قوسين هلاليين () وأما حين أقوم بالنقل بدون تصرف وأحيل القاريء إلى مرجع أضع النقول بين قوسين مزدوجين صغيرين " " .

٥- عند ذكري لمرجع فيه أجزاء أذكر رقم الجزء أولاً، ثم أضع خطأ مائلاً وأذكر رقم الصحيفة بعد هذا الخط هكذا (٥٣/١) مثلاً بدون ذكر (ج/١/ص ٥٣) ، واعتمدت هذا في كل هوامش الرسالة .

تقسيمات الدراسة

جاءت هذه الرسالة في مقدمة وأربعة فصول وخاتمة وأخيراً الفهارس. أما المقدمة فقد جعلتها للتعريف بمصطلحات الدراسة، وبيان لأهمية الموضوع وسبب اختياره، والدراسات السابقة، وتحديد المشكلة البحثية، وبيان لتساؤلات الدراسة ، والتعريف بنوع الدراسة ومنهجها.

ثم وزعت الرسالة بعد ذلك على أربعة فصول:

أما الفصل الأول: فقد خصصته للحديث عن مفهوم التهيب لغةً واصطلاحاً والعلاقة بين هذين المفهومين في مبحث خاص. ثم شرحت أهم الضوابط التي تجب مراعاتها عند التهيب في مبحث ثاني، ثم وضحت مكانة أسلوب التهيب بين الأساليب الأخرى في مبحث ثالث.

أما الفصل الثاني: فقد جعلته في مبحثين، المبحث الأول قسمت فيه التهيب إلى نوعين : قولي وعملي، والمبحث الثاني وضحت فيه وسائل كل نوع من أنواع التهيب على حدة، وبينت فيه خصائص هذه الوسائل من الناحية الدعوية.

أما الفصل الثالث: فقد جعلته في بيان مجالات التهيب مع أصناف المدعوين، فكان المبحث الأول في تهيب الكفار، والمبحث الثاني في تهيب المنافقين، والمبحث الثالث في تهيب عصاة المؤمنين مع ملاحظة أن التهيب معهم يدور بين مجالي الدنيا والآخرة.

أما الفصل الرابع: في بيان تأثير التهيب، فجاء تأثير التهيب القولي والعملي في نشر الإسلام في مبحث أول، وتأثير التهيب أيضاً القولي والعملي في زيادة إيمان المؤمنين في مبحث ثاني، وتأثير التهيب في دفع خصوم الدعوة في مبحث ثالث.

أما الخاتمة : فقد تضمنت أهم النتائج والتوصيات ، أما الفهارس : فقد تضمنت فهارس للآيات وفهارس للأحاديث والآثار، وفهارس للأعلام ، وفهارس للمصادر والمراجع، وأخيراً فهرس المحتويات.

الصعوبات والمواجهات

إن هذا الموضوع جديد في بابه، ولم أجد أحداً من الباحثين من قبل تناوله بالدراسة الشاملة المباشرة ، ونتيجة لذلك كانت المراجع في الجملة قليلة، لذا كان لزاماً الرجوع إلى الاستنباط والتحليل، هذا بالإضافة إلى سلوكي أكثر من سبيل في تحصيل المادة العلمية، وتسجيلها ومن أبرزها الإفادة مباشرة من أساتذتي، وبعض أهل العلم ، فأسعفوني مشكورين بما يعطي هذا البحث شكلاً علمياً منهجياً، هذا بالإضافة إلى ما فتح الله عز وجل به عليّ وأقره استاذي المشرف أو صوبه. فكنت اشعر مع كل نقطة في هذا البحث بأني أقوم بيناتها لبنة ، لبنة.

والله أسأل أن يجعل عملي هذا في ميزان حسناتي إنه سميع مجيب الدعاء.

الشكر والتقدير

هذا والشكر والحمد لله الكريم على ما من به عليّ من الإعانة واليسير والتوفيق لإتمام هذه الرسالة، وإني أسأل الله جل وعلا بأسمائه الحسنی وصفاته العلا أن يجعله علماً نافعاً، وعملاً صالحاً، متقبلاً وأن يجعله خالصاً لوجهه تعالى ، ولا يجعل لأحد فيه شيئاً.

وفي هذا المقام الطيب الطاهر؛ أتوجه إلى الله تعالى بطلب الرحمة والمغفرة لوالدي-رحمها الله وأسكنها فسيح جناته- كما أتوجه إليه سبحانه وتعالى بحفظ والدي .. أول استاذ تلقيت منه العلم الديني، والذي حبيب إليّ منذ الصغر هذا العلم وما يزال هذا دأبه ، فله مني الدعاء بطول العمر في مرضاة الله تعالى والثبات على الإيمان - اللهم آمين - وهنا لايسعني إلا أن أذكر حقيقة لا بد منها، وهي أن ما حققته ما كان من الممكن أن يتم لولا فضل الله تعالى، ثم معونة أشخاص أسرتي في هذا المجال العلمي الشرعي وعلى رأسهم زوجي الدكتور/ توفيق احمد خوجه وأبنائي جميعاً فلقد وجهني زوجي التوجيه النافع ، وصبر عليّ صبراً عظيماً، منذ بداية المرحلة الثانوية، وحتى وصلت إلى هذه المرحلة من العلم، فجزاهم الله خيراً ووفقهم وهداهم لما يحبه ويرضاه، إنه سميع مجيب الدعاء .

وكما هو معروف أن من شكر الله إسداء الشكر إلى أهله، وكما قال رسول الله (لا يشكر الله من لا يشكر الناس)^(١) ، لذا أتقدم بالشكر والتقدير لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وأخص شكري لكلية الدعوة والإعلام ، وعلى رأسهم أستاذي عميد الكلية الدكتور / زيد بن عبد الكريم الزيد، الذي لا يألوا جهداً في تقديم النصح والمشورة الصادقة المخلصة لطلابه، حرصاً منه لرفع مستوى العلم وتقدمه، فأسأل الله تعالى أن يجزل له الثواب ويسدد خطاه فيما يهدف إليه من خير وصلاح .

على أنه قبل كل شيء يتوجه شكري الجزيل لأستاذي وشيخي الفاضل والمشرف على هذه الرسالة، فضيلة الدكتور: أحمد بن محمد أبابطين ، رئيس قسم الدعوة والإحتساب في كلية الدعوة والإعلام ، الذي كان لتوجيهات فضيلته، وإرشاداته القيمة، ودقته التي عُرف بها الأثر الطيب لرفع

^(١) صحيح سنن أبي داود، كتاب الأدب ، باب في شكر المعروف، حديث ٤٠٢٦ (٩١٣/٣) ومسنند الإمام أحمد(٥/٢١١-٢١٢) وقال الهيثمي في المجمع: رجاله ثقات (٨/١٨٠).

مستوى هذه الرسالة وخروجها بهذه الصورة ، على الرغم من ضيق وقته وانشغاله بأمر الدعوة، فجزاه الله خيراً، وضاعف له الثواب وأحسن إليه إنه سميع مجيب الدعاء.

وهنا أتقدم بشكر خاص ، لشيخيي الفاضلين الدكتور/ فضل إلهي ظهور، الأستاذ المشارك بقسم الدعوة والاحتساب في كلية الدعوة والإعلام ، والدكتور/ حسين مجد خطاب ، الأستاذ المشارك بقسم الدعوة والاحتساب في كلية الدعوة والإعلام، حيث كانا مرجعين لبعض ما أشكل عليّ ، وكانت لفضيلة الدكتور/ حسين أيضاً بصماته الواضحة في هذا البحث من أول خطواته، شكر الله لهما وبارك في علمهما ونفع بهما المسلمين . ثم أتوجه بالشكر الجزيل للأستاذ يوسف عبد الله برقو من مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، لإخلاقه في تقديم الخدمات والمساعدات أكثر الله من أمثاله وجعل ذلك في ميزان حسناته.

كما لا يفوتني أن أشكر سلفاً كلا من الاستاذين الفاضلين د. ود. علي تفضلهما بدراسة هذه الرسالة وقبولهما لمناقشتها معاهدةً إياهما على قبول ملاحظتهما ووضعها موضع التنفيذ خدمة للدعوة الإسلامية والدعاة بإذن الله .

كما أوجه شكري الخالص لكل من ساهم في هذه الرسالة من قريب أو بعيد، وأسأل الله لهم السداد والتوفيق وحسن الجزاء.

هذا وقد استغرقت الجهد بتوفيق الله وفضله، محاولة مني لإخراج هذا الموضوع بهذه الصورة ولأدعي الكمال والعصمة فيه، بل أقول ما قاله عبد الله بن مسعود رضي الله عنه "فإن يك صواباً فمن الله، وإن يك خطأ فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريتان"^(٢) وأرجو منه تعالى أن ينفعني به وجميع المسلمين، وأن يجعله باباً إلى تحصيل العلم النافع، إنه مجيب الدعاء، وصلى الله علي نبينا محمد وعلى آله وصحبه وأتباعه إلى يوم الدين .

(٢) مسند الإمام أحمد (٤٤٧/١)

الفصل الأول

الترهيب

مفهومه ، ضوابطه ، مكانته

المبحث الأول

مفهوم الترهيب

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول : تعريف الترهيب لغة

المطلب الثاني : تعريف الترهيب اصطلاحا

المطلب الثالث : خلاصة التعريف اللغوي والاصطلاحي

المبحث الأول

مفهوم الترهيب

المطلب الأول : تعريف الترهيب اللغوي

المراد بالترهيب في اللغة :

جاء الترهيب في اللغة مشتقاً من الفعل رهب ، وقد ذكر عدد من علماء اللغة لهذا الفعل ومشتقاته استعمالات عديدة ، وسوف نتعرض للمعاني التي تتعلق بموضوع البحث على النحو التالي :

- رَهَبَ - بالكسر - يَرْهَبُ ، رَهْبَةً ، وَرَهْباً بالضم ، وَرَهَباً بالتحريك : أي خاف^(١) وَرَهَبَ الشيء رَهْباً وَرَهَباً وَرَهْبَةً : خافه^(٢) .

قال تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً ﴾^(٣) ، وقال سبحانه ﴿ وَفِي نَسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾^(٤) .

وأضاف العلامة الزبيدي إلى هذا المعنى قوله : "خاف مع تحرز"^(٥) يفسر ذلك قوله تعالى ﴿ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنْ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾^(٦)

- الرَّهْبُ ، والرُّهْبِيُّ ، والرُّهْبِيُّ ، والرُّهْبِيُّ ، والرُّهْبِيُّ : جميعها أسماء من رَهَبَ^(٧) .
ورهبوت بزيادة الواو والتاء للمبالغة - كالمكوت - : الخوف العظيم .

(١) انظر : "الصاحح" للعلامة الجوهري (١٤٠/١) مادة (رهب)، ط.دار العلم للملايين بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ
"والقاموس المحيط" للفيروز أبادي (ص ١١٨) مادة (رهب)، ط. مؤسسة الرسالة: الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ
"وتاج العروس" للزبيدي (٢٨٠/١) مادة (رهب)، المطبعة الخيرية بمصر، الطبعة الأولى ١٣٠٦هـ ومعجم متن اللغة للشيخ أحمد رضا (٦٦٠/٢) مادة (رهب)، منشورات مكتبة الحياة بيروت ١٣٧٧هـ "ومحيط المحيط" للبستاني (ص ٣٥٤)، مكتبة لبنان ١٩٧٩م .

(٢) انظر : "لسان العرب" للعلامة ابن منظور الإفريقي (١٢٣٧/١) مادة (رهب) ، دار لسان العرب بيروت .

(٣) سورة الأنبياء : جزء من الآية ٩٠ .

(٤) سورة الأعراف : جزء من الآية ١٥٤ .

(٥) انظر : "تاج العروس" (٢٨٠/١) ، "ومعجم متن اللغة" (٦٦٠/٢) ، وانظر : "المفردات في غريب القرآن" للراغب

الأصفهاني ص (٢٠٤) مادة (رهب) الناشر : دار المعرفة بيروت - لبنان - تحقيق : محمد كيلاني .

(٦) سورة الحشر : آية ١٣ .

(٧) انظر "لسان العرب" (١٢٣٧/١) ، "وتاج العروس" (٢٨٠/١) ، "ومعجم متن اللغة" (٦٦٠/٢) .

ومنه قول: "رهبوت خير من رحموت"، أي لأن ترهبَ خير من أن تُرحم^(١)، لأن الذي يخافه الناس يقتضي أن يكون عزيزاً والذي يشفقون عليه يقتضي أن يكون ذليلاً^(٢).

- أرهبته ورهبته واسترهبته: أزجبت نفسه بالإخافه^(٣) وقال صاحب التاج "إن الإرهاب بالكسر: الإزعاج والإخافة تقول ويقشعر الإهاب إذا وقع منه الإرهاب"^(٤).

- ترهبته أو ترهب غيره أو ترهب فلاناً: توعده^(٥).

وأشدد الأزهري يصف عيراً:

تعطيه رهباها إذا ترهباً على اضطمار الكشح بولاً زغرباً^(٦).

- أرهب فلان، ورهبه واسترهبه: أخافه وفرزه وزاد ابن منظور والزيدي أن استرهبه: استدعى رهبه حتى رهبه الناس، وبذلك فسر قوله تعالى ﴿واسترهبواهم وجاءوا بسحر عظيم﴾^(٧) أي أرهبواهم^(٨).

وزيادة الألف والسين والتاء تزيد المعنى قوة مبالغة فيكون أقوى في التأثير والبيان، فكل زيادة في المبنى لها دلالة في المعنى^(٩).

وفي حديث بهز بن حكيم: (إني لأسمع الراهبة) قال ابن الأثير: هي الحالة التي ترهب، أي تفزع وتخوف وفي رواية: (أسمعك راهباً) أي خائفاً^(١٠).

(١) "الصحاح" للعلامة الجوهري (١٤٠/١)، مرجع سابق.

(٢) انظر: "محيط المحيط" لبيستاني (ص ٣٥٤)، مرجع سابق.

(٣) انظر: "أساس البلاغة": للعلامة الرمضاني (ص ٢٦١) ط. دار صادر، ودار بيروت ١٣٨٥هـ.

(٤) "تاج العروس" (٢٨١/١)، مرجع سابق.

(٥) انظر: "لسان العرب" (١٢٣٧/١)، والقاموس المحيط (ص ١١٨)، وتاج العروس (٢٨٠/١) "ومحيط المحيط" (ص ٣٥٤)، و"معجم متن اللغة" (ص ٦٦٠)، مراجع سابقة.

(٦) تهذيب اللغة، للأزهري (٢٠٩٢/٦) (٢٣٥/٨) (٩٢/١١) تحقيق: عبدالسلام هارون - الناشر: الدار المصرية، ١٩٦٤م "لسان العرب" (١٢٣٧/١).

(٧) سورة الأعراف: جزء من الآية ١١٦.

(٨) انظر: "لسان العرب" (١٢٣٧/١)، تاج العروس (٢٨٠/١)، معجم متن اللغة (ص ٦٦٠) مراجع سابقة، والمعجم الوسيط (٣٧٧-٣٧٨) مادة (رهب) ط. دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان، إشراف عبدالسلام هارون.

(٩) انظر: شرح شافية ابن الحاجب، لرضي الدين الاسترأبادي (١١١/١) بعناية مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت، ١٣٩٥هـ.

(١٠) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٢٨١/٢) مادة (رهب)، المكتبة الإسلامية.

التَّرَهَبُ^(١) : التعبد . وتَرَهَبَ الرجل : إذا صار راهباً يخشى الله .

والراهبُ : أحد رهبان النصارى ومصدره الرهبةُ والرهبانية، والجمع الرهبان.

وأُتشد ابن الأعرابي :

لوكلمت رهبان دير في القلل لانحدر الرهبان يسعى ، فنزل^(٢)

وعلى ضوء ما تقدم نستنتج أن مادة رهب ومشتقاتها ظهرت فيها معاني الخوف بجميع درجاته وهي : الإخافة . أو المخافه مع التحرز .. أو الإخافة والإزعاج .. أو الخوف العظيم كما ظهرت فيها معاني الفرع .. والتوعد .. والخشية .

والملاحظ أن هذه المعاني كلها متقاربة تصب في معنى واحد ، خاصة إذا علمنا أن "الفرع والخشية" تظهر فيهما معاني الخوف^(٣) ، بل "إن الخشية أخص من الخوف"^(٤) لأنها "خوف يشوبها تعظيم"^(٥) . والفرع وإن كان يحمل معنى الخوف إلا أنه في الحقيقة ثمرة من ثمار ذلك لأن الإنسان إذا خوّف فرع .

إذن الخوف أعم من الخشية والفرع .

ومن هنا نتوصل إلى نتيجة وهي: إن المفهوم اللغوي للترهيب ما جاء بمعنى التخويف

والتوعد.

(١) قال ابن الأثير : هي من رهبنة النصارى . قال : وأصلها من الرهبة وهي الخوف . كانوا يترهبون بالتخلي من أشغال الدنيا ، وترك ملاذها والزهد فيها .. حتى إن منهم من كان ينجسي نفسه ويضع السلسلة في عنقه .. فنفاها النبي صلى الله عليه وسلم عن الإسلام ونهى المسلمين عن الترهيب وفي الحديث (لارهبانية في الإسلام) انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/٢٨٠) مرجع سابق .

(٢) المرجع السابق .

(٣) انظر : "القاموس المحيط" (ص ٩٦٥ ، ١٦٥١) .

(٤) "سدرج السالكين" لابن قيم الجوزية (١/٥١٢) ، الناشر : دار الكتاب العربي بيروت - لبنان : ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .

(٥) "المفردات" للراغب (ص ١٤٩) ، مرجع سابق .

المطلب الثاني : تعريف الترهيب الاصطلاحي

- عرف العلماء الترهيب اصطلاحاً بتعريفات شتى نذكر منها الآتي :
- تعريف الإمام القرطبي : يرى الإمام القرطبي رحمه الله تعالى الرؤيا اللغوية في الترهيب ، وهي أنها ترادف الخوف^(١) .
 - تعريف الترهيب عند الإمام ابن الجوزي : كذلك يرى الإمام ابن الجوزي رحمه الله الرؤيا نفسها فيقول : "ترهبون أي تخيفون وترعبون به"^(٢) وقريب من هذا ما قاله الإمام ابن كثير في تفسيره^(٣) .
 - تعريف الشيخ عبدالكريم زيدان "الترهيب: كل ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله"^(٤) . صاحب هذا التعريف ضيق مجال الترهيب وحصرها فيمن دخل في الدين حيث قال: "بعد قبوله" ، فكان الترهيب خاص بالمسلمين دون غيرهم .
 - تعريف الشيخ البيانوني "قال الشيخ: الموعظة الحسنة في الاصطلاح الدعوى ترادف النصيحة ولها أشكال عديدة ومن أشكالها الترغيب والترهيب"^(٥) . فهنا جعل الترهيب وجهاً أو شكلاً من أشكال النصيحة ، وكان المرهب إنما ينصح المرهب .

(١) انظر : تفسير القرطبي (٣٣٦/١١) : الناشر : دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ١٩٦٥ م .
(٢) زاد المسير في علم التفسير (٣٧٥/٣) لابن الجوزي ، ط. المكتب الإسلامي ، الطبعة الثالثة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .
(٣) انظر : تفسير ابن كثير (٢٦/٤) ، الناشر دار الشعب بالقاهرة .
(٤) أصول الدعوة للأستاذ / عبدالكريم زيدان (٤٢١) ، الناشر مكتبة المنار الإسلامية ١٤٠١ هـ .
(٥) انظر : مدخل إلى علم الدعوة للأستاذ / البيانوني (٢٥٨ ، ٢٥٩) ، الناشر مؤسسة الرسالة - الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ .

- وكتب الدكتور علي جريشة عن الموعظة قائلاً: "إنها إلى التحذير أقرب منها إلى النصح". ثم قال: "أما الموعظ تخويفاً وتحذيراً فقد ساقها الأنبياء لأقوامهم يذرونهم ويحذرونهم"^(١)، وعلى هذا يرى الدكتور أن التحذير والتخويف هما الوجه الأمثل للموعظة. وهو يرى أن الموعظة لها وجهان التحذير والنصح .

- تعريف الدكتور علي عبدالحليم يقول : "الترهيب هو أسلوب قرآني يعالج النفس البشرية وحبها للأمن والسلامة وإيثارها البعد عن الخوف والخطر وذلك من خلال تخويفها وتهديدها. ويمكن عرض الدعوة إلى الله بهذا الأسلوب لجذب الناس حول الحق خوفاً من العقاب وخوفاً من فقدان السلامة والأمن"^(٢) .

وهذا التعريف اقتصر على القرآن الكريم وأهمل ما عدا ذلك ، كما وأنه اقتصر على وصف الترهيب ولم يبين منهجية الترهيب في التبليغ .

- تعريف الدكتور حسين خطاب قال : "الترهيب . هو عملية دفع المدعو إلى رفض وترك وتقييح المنكر وإن كان وفق هواه أحياناً"^(٣) . يلاحظ أن صاحب التعريف نظر إلى الترهيب من زاوية منهجية فعرفه على هذا الأساس كونه يدرس مناهج تبليغ الدين الإسلامي .

- تعريف الشيخ محمد الغزالي . جعل الترهيب مرادفاً للخوف وعرف الخوف بقوله: "إحساس فطري يؤدي نتائجه في سهولة .. وهذا الخوف كمال نفسي وليس مرضاً ولاشبه مرض"^(٤) لم يقيد التعريف بالشرع، ويبدو أنه نظر إلى الترهيب من وجهة نظر نفسية .

- تعريف الدكتور حسن الشرقاوي قال : "الترهيب نوع من التذكير بما آلت إليه النفس من ارتكاس ونكوص ووقوع في الرذائل والآثام"^(٥) هذا التعريف أيضاً يبدو عليه أنه من وجهة نظر نفسية دون النظر إلى الوجهة الشرعية .

(١) انظر : مناهج الدعوة وأساليبها للدكتور/ علي جريشة (ص ١٥٥) . باختصار ، الناشر دار الوفاء ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م .

(٢) فقه الدعوة إلى الله للدكتور/ علي عبدالحليم (١ / ٢٣٢)، مطابع دار الوفاء، الطبعة الثالثة ١٤١٢هـ - ١٩٩١م .

(٣) من مذكرة لطالبات الصف (الثالث / ثاني) في مادة (مناهج الدعوة) للدكتور/ حسين خطاب .

(٤) انظر : (مع الله) للشيخ محمد الغزالي (ص ٣١٦) ، ط. حسان ، الطبعة الخامسة ١٤٠١هـ .

- تعريف الدكتور عبدالرحمن النحلاوي قال : "الترهيب: وعيد وتهديد بعقوبة تترتب على اقتراف إثم أو ذنب مما نهى الله عنه أو التهاون في أداء فريضة مما أمر الله به ، أو هو تهديد من الله يقصد به تخويف عباده وإظهار صفة من صفات الجبروت والعظمة الإلهية ليكونوا دائماً على حذر من ارتكاب الهفوات والآثام"^(١) هذا التعريف أقرب إلى الشرح منه إلى التعريف وهو يتحدث عن المدعو المسلم وأهمل بقية المدعوين .

- تعريف الأخت فتحية الحلواني: "وعيد وتهديد بعقوبة إزاء ارتكاب المرء معصية أو اقترافه سيئة منهيّاً عنها أو التهاون في أمر من أمور الدين الذي أمر الله به أو أداء فريضة مكتوبة على كل مسلم ومسلمة"^(٢) . هذا التعريف أيضاً فيه تضيق لمجال الترهيب وحصره في نطاق المسلمين .

- تعريف الدكتور عبدالنعيم حسنين: إن الترهيب: "هو كل ما يخوف المدعو ويحذره من عواقب عدم الاستجابة إلى الداعي إلى الله أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله"^(٣) .

- تعريف الأستاذ/ عبدالله العوشن ، قال: "وأما الترهيب فقد يكون بالتخويف من النار ووصف عذابها وشدته، وإن ذلك من مساوئ الأخلاق التي لا تليق بمثله، وأنها لا تتفق مع كرامة الإنسان وشرفه ومكانته"^(٤) . هذا التعريف لم يتعرض للعقوبة الدنيوية وحصر الترهيب في العقوبة الأخروية . كما وأنه تحدث عن الترهيب من زاوية أخلاقية وأهمل الترهيب في موضوع العقيدة والعبادات والمعاملات .

- وبعد هذا العرض لتعريف الترهيب الاصطلاحي، وبعد تصور كامل للموضوع أخرج بتعريف للترهيب يقترب من هذه التعاريف، ولا يبتعد عن المعنى اللغوي ويحقق

(٥) نحو تربية إسلامية / للدكتور الشرقاوي (ص ٢٠٨) الناشر / مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٨٣ م .

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها (ص ٢٥٧) د. النحلاوي ، ط. دار الفكر ، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ .

(٢) دراسة ناقدة لأساليب التربية المعاصرة في ضوء الإسلام/ فتحية الحلواني (ص ١٣٩) دار تهامة، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ .

(٣) الدعوة إلى الله على بصيرة " د. عبدالنعيم حسنين (ص ٢٢٥) ، د. دار الكتب الإسلامية ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ .

(٤) "دراسات في وسائل الاتصال" عبداً لله بن محمد العوشن (ص ١١٦)، دار العاصمة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ .

هدف الدعوة ، ويشمل أصناف المدعوين ويبين صفة الترهيب ، وهذا التعريف هو : "تخويف المدعو بالله تعالى وتحذيره من نزول عذابه بغرض إبعاده عن المهالك المترتبة على كفره أو نفاقه أو شهواته المحرمة تحقيقاً للسعادة في الدنيا والفوز في الآخرة" (١) .

(١) لعل هذا التعريف بمثابة تعريف إجرائي ارتضته الباحثة لبحثها ، وقد استفادت من المعنى اللغوي للترهيب، هذا بالإضافة إلى شمول التعريف أصناف المدعوين واستغراقه للسعادة في الدنيا والآخرة .

المطلب الثالث : خلاصة المعنى اللغوي والاصطلاحي

من خلال المعطيات اللغوية وجدنا أن الترهيب جاء بمعنى التخويف والتوعد ، وهذا المعنى أيضاً ظهر في التعريفات الاصطلاحية . وهذا يعني وجود تقارب بين هذه الألفاظ (الترهيب ، التخويف^(١) ، والوعيد) .

بل ونذهب إلى أكثر من ذلك فنقول : قد يكون هناك علاقة عموم وخصوص بين هذه الألفاظ ، ذلك لأن كلا من المعاني اللغوية والتعريفات الاصطلاحية تجعل "الوعيد والتخويف" أصلاً في الترهيب ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى أن الوعيد تحذير لما يستقبل ، يقول ابن القيم رحمه الله في تعريف الوعيد . " تخويف بسوء المجازاة في المستقبل تحذيراً من الوقوع في المخالفات" (٢) . وأيضاً التخويف تحذير لما يستقبل . حيث يقول ابن الجوزي رحمه الله عن الخوف : "الخوف خاصة من خواص النفس تظهر عند المُخَوِّف، والخوف لما يستقبل" (٣) وقيل أيضاً عن الخوف : "عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الإستقبال"^(٤) . في حين أن الترهيب نصح وتخويف قد يكون في الحال وقد يكون في الاستقبال ، فإذا وجد فاعل المهالك متلبساً بالفعل حق الترهيب عليه ، فمن نظر إلى أجنبية مثلاً نظراً محرماً أو لمسها لمساً محرماً ، فإنه والحالة هذه يسوغ للقادر أن يرهبه ، بالضرب تأديباً أو بالزجر أو بالتأنيب والتوبيخ .

من هنا يبدو أن الترهيبمعناه أعم من الوعيد والتخويف .

(١) انظر : مدارج السالكين لابن القيم (١/٥١٢) . مرجع سابق

(٢) الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن وعلم البيان (ص ٢٠٢) مكتبة المتنبى، القاهرة، بدون طبعة وسنة الطبع .

(٣) قرة الأعين النواظر في الوجوه والنظائر للإمام ابن الجوزي (ص ١٠٥) ط. مطبعة الجيزة بالاسكندرية .

(٤) الإحياء للغزالي (٤/١٥٥)، ط. دار المعرفة للطباعة - بيروت - لبنان ، وانظر: موعظة المتقين

للشيخ القاسمي (٢/٣٤٠) ط. دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان ، ومختصر منهاج

القاصدين (ص ٣٠٢) الناشر : مكتبة دار البيان ، ط ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

إن معرفة وجود علاقة تقارب أو عموم وخصوص بين هذه المعاني يفيدنا في الوقوف على منهج القرآن الكريم والسنة المطهرة في استخدامهما لهذه الألفاظ والتي جاءت بمعاني متقاربة وهدف واحد ، فكانت نصوص التهيب والوعيد والتخويف تؤدي الغرض نفسه .

إذن فالقرآن الكريم والسنة المطهرة لما استعملا التخويف إنما كانا يريدان التهيب .. ولما استعملا الوعيد أيضاً كانا يقصدان من وراء ذلك التهيب .. وهذا كله يعطي للداعية مجالاً رحباً في استخدام التهيب عند جذب الناس إلى الخير خوفاً من العقاب .

المبحث الثاني

ضوابط الترهيب

المبحث الثاني ضوابط الترهيب

هناك ضوابط ينبغي مراعاتها عند الترهيب في الدعوة إلى الله تعالى ومن هذه الضوابط ما يلي :

أولاً : الإعتدال في الترهيب على ما جاء في الكتاب والسنة الصحيحة والإجماع .

ثانياً : ينبغي أن يكون الترهيب بالله تعالى أو بصفاته - وهذا هو الأصل - مع عدم الغفلة عن الترهيب من عذابه تعالى .

ثالثاً : ضرورة مراعاة القدر المناسب عند الترهيب، وهو على ثلاثة أنماط:

أ - الاعتدال في الترهيب .

ب- الزيادة في الترهيب .

ج - تقليل جانب الترهيب .

رابعاً : ضرورة مراعاة معتقدات المدعوين وأحوالهم .

خامساً : ضرورة التدرج وترتيب الأولويات عند الترهيب .

سادساً : مراعاة وجود بديل عن الأمر المرهب منه إذا كان أمراً غريزياً ويكون مقتبساً من المنهج الإسلامي .

سابعاً : مراعاة ما يترتب على استخدام الترهيب .

ولتفصيل هذه الضوابط أقول :

أولاً : الإعتدال في الترهيب على ما جاء في الكتاب والسنة الصحيحة والإجماع:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "دين المسلمين مبني على اتباع

كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وما اتفقت عليه الأمة ، فهذه

الثلاثة هي أصول معصومه" (١) ولما كان الترهيب أسلوباً من أساليب الدعوة إلى هذا الدين كان لابد أن يكون مبنياً على مصدره : كتاب الله تعالى ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم بالإضافة إلى ما أجمعت عليه الأمة .

والمتدبر للقرآن الكريم يجده زاخراً بآيات الترهيب من مخاوف ووعيد ، وكذلك السنة النبوية اشتملت على كثير من ذلك ، فعلى الداعية إذا أراد أن يرهب من معصية أن يلجأ إلى بحر الكتاب والسنة الصحيحة " فمددهما فياض بأوفى ما عرف العلم من ضروب الترهيب وفنون الوعيد وأساليب الإنذار على وجوه مختلفة واعتبارات متنوعة في العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق على سواء " (٢) .

ثم إن الاعتماد في الترهيب على الكتاب والسنة يستلزم الرجوع إلى كتب التفسير وشروحات الأحاديث الصحيحة دون غيرها . يقول ابن تيمية رحمه الله : " ومما ينبغي أن يعلم أن الألفاظ الموجودة في القرآن والحديث ، إذا عرف تفسيرها وما أريد بها من جهة النبي صلى الله عليه وسلم ، لم يحتج في ذلك إلى الاستدلال بأقوال أهل اللغة ولاغيرهم " (٣) ويقول الإمام الأوزاعي رحمه الله : " اصبر نفسك على السنة ، وقف حيث وقف القوم ، وكف عما كفوا ، واسلك سبيل سلفك الصالح ، فإنه يسعك ما وسعهم " (٤) .

إذاً فليس من الأمانة والصدق أن تؤثر في المدعو ترهيباً بما لم يصح نسبته إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، بل فيه من الخرافات والمبالغات ما يخرج هذا الأسلوب عن واقعيته وصلاحيته لكل زمان ومكان ، فعلى الداعية التثبت الشديد من المادة التي يرهب بها حتى لا تتقطع روابط الثقة بينه وبين المدعويين حين يظهر لهم ضعف ما يرهب به ، وحتى تكون لدعوته مصداقية وواقعية وبذلك يحقق هدفه الدعوي الترهيب في سهولة ويسر .

(١) مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية، (١٦٤/٢٠)، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن قاسم، ط. الأولى ١٣٩٨هـ .

(٢) "مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ الزرقاني ، (٣٠٨/١) ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه .

(٣) الإيمان لابن تيمية (ص ٢٤٤-٢٤٥) . دار الطباعة المحمدية بالقاهرة بدون رقم الطبعة وسنة الطبع.

(٤) شرح أصول أهل السنة والجماعة ، للإمام هبة الله اللاكثاني (١٥٤/١) الناشر دار طيبة للنشر والتوزيع .

ثانياً : أن يكون الترهيب بالله تعالى أو بصفاته وهذا هو الأصل في الترهيب مع عدم الغفلة عن الترهيب بعذاب الله :

وهذا هو نهج القرآن الكريم والسنة المطهرة وأفعال السلف . فقد أمر تعالى عباده بالرهبة والخوف منه وعدم الأمن من مكره ، فقال تعالى ﴿وإياي فارهبون﴾^(١) وقوله ﴿ويحذرکم الله نفسه﴾^(٢) وقوله ﴿فلا تخافوهم وخافون﴾^(٣) وقوله تعالى ﴿أفأمنوا مكر الله فلايؤمن مكر الله إلاالقوم الخاسرون﴾^(٤) . وما جاء في السنة المطهرة أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول (إني لأخشاكم لله)^(٥) .

ومع أن الأصل في الترهيب أن يكون بالله وبصفاته، فإنه يجوز أن يكون بما يصيب الناس من عذابه تعالى في الدنيا والآخرة في حالة الكفر بالله تعالى، وفي حالة ضعف الإيمان ومقارفة المعاصي والغفلة من العبد على أن لا يغفل الداعي أبداً عن الترهيب بالله سبحانه اقتداء بقوله تعالى ﴿ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد﴾^(٦) فقدم سبحانه مقام الخوف منه تعالى على الخوف من عذابه، والسر في ذلك -والله أعلم- أن من يخاف الله تعالى لصفته وجلاله يبقى خوفه وإن كان في طاعة الصديقين لأن هذا الخوف ثمرة الإيمان بالله وكل من آمن بالله وبصفاته علم من صفاته ما هو جدير بأن يخاف من غير جنابة .

وهذا الخوف هو خوف العلماء الذين امتدحهم الله بقوله ﴿إنما يخشى الله من

عباده العلماء﴾^(٧) .

(١) سورة البقرة جزء من الآية : ٤٠

(٢) سورة آل عمران جزء من الآية : ٢٨

(٣) سورة آل عمران جزء من الآية : ١٧٥

(٤) سورة الأعراف الآية : ٩٩

(٥) صحيح البخاري مع الفتح "كتاب النكاح" ، باب الترغيب في النكاح ، جزء من الحديث ٥٠٦٣ ، (١٠٤/٩) ورواه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب الصيام ، باب صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب ، جزء من حديث ١١١٠ (٧٨١/٢) واللفظ للبخاري ، والكتابان نشر وتوزيع : رئاسة إدارات البحوث العلمية والاقتناء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية .

(٦) سورة إبراهيم جزء من الآية : ١٤

(٧) سورة فاطر جزء من الآية : ٢٨

أما من يخاف معصيته وجنابته فقط ، فهو عرضة للغرور والأمن من مكر الله ، وإن واطب على الطاعات ؛ لأن خوفه حاصل بأصل الإيمان بالجنة والنار ، وكونهما جزاعين على الطاعة والمعصية وهذا الخوف قد يضعف بسبب الغفلة وسبب ضعف الإيمان (١) .

من هذا المنطلق قسم العلامة الألويسي الخوف إلى خوفين ، فقال: الخوف خوفان: خوف العقاب ، وهو نصيب أهل الظاهر الذين يعلمون ظاهراً من القول وهم عن الآخرة غافلون ، وخوف إجلال : وهو نصيب أهل القلوب (٢) الذين أخلصوا المحبة لله تعالى فرهبوا ذاته المقدسة وخافوا بُعدَه والحجاب عنه فبلغوا بذلك أسمى درجات الخوف .

وفي هذا الصدد يقول الإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله : "إن أكمل الخوف ما تعلق بذات الحق سبحانه دون ما تعلق بالمخلوقات في النار . فأعلى الخوف ، خوف البعد والسخط والحجاب عنه سبحانه ، كما قدم سبحانه ذكر هذا العقاب لأعدائه على صليهم النار في قوله ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ ، ثم إنهم لصالوا الجحيم﴾ (٣) (٤) .

وقد ضرب أحد السلف الصالح لذلك مثلاً - ولله المثل الأعلى - فقال : الخوف يحصل بطريقتين مختلفتين إحداهما أعلى من الأخرى ، ومثاله : أن الصبي إذا كان في بيت فدخلت عليه حية ربما كان لا يخاف ، وربما مد اليد إلى الحية ليأخذها ويلعب بها ، ولكن إذا كان معه أبوه وهو عاقل خاف من الحية وهرب منها ، فإذا نظر الصبي إلى أبيه وهو ترتعد فرائصه ويحتال في الهرب منها قام معه وغلب عليه الخوف وواقفه في الهرب ، إذا عرفت هذا المثال وتدبرته تبين لك أن خوف الأب عن بصيرة ومعرفة بصفة الحية وسمها وخاصيتها .

(١) انظر : "الإحياء" (١٥٩/٤ ، ١٦٨) مرجع سابق .

(٢) انظر "روح المعاني" للعلامة الألويسي ، (١/٢٤٣) دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

(٣) سورة المطففين آية : ١٥ ، ١٦

(٤) "التخويف من النار" لابن رجب الحنبلي ، (ص ١٨) ، ط. دار البيان ، الطبعة الأولى دمشق ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

وأما خوف الابن فايمانه بمجرد التقليد لأنه يحسن الظن بأبيه ويعلم أنه لا يخاف إلا من سبب مخوف في نفسه(١) .

وخلاصة القول فيما سبق أن الترهيب بالله وبصفاته والخوف منه تعالى أعلى رتبة من التخويف بعذابه وأليم عقابه ذلك لأن من خافه لذاته سبحانه لزمه بالضرورة الخوف من عذابه فلا يحتاج حينئذ إلى كثير علاج من جرعات الترهيب . في حين أن خائف العذاب يحتاج إلى جرعات كثيرة من الوعظ والتذكير وملازمة الفكر في أهوال يوم القيامة وأصناف العذاب في الدنيا والآخرة حتى تزول غفلته .

لذلك وجب على الداعية أن يركز على الترهيب بالله ويزرع ذلك في قلوب الناس ما أمكن ، مع عدم الغفلة عن الترهيب من جنس المعاصي وآحادها وأثرها في عقاب الله وعذابه في الدنيا والآخرة .

(١) انظر : كتاب الإحياء (٤/١٦٧ ، ١٦٨) ، "وكتاب مختصر منهاج القاصدين" (ص٣٠٧) . مرجعين سابقين .

ثالثاً : ضرورة مراعاة القدر المناسب عند الترهيب :

فالترهيب قد يتسم بالاعتدال وقد يشوبه قصور أو إفراط . والمحمود منه ما يؤدي إلى المقصود منه ويحقق الهدف . وفي هذا الصدد يقول أبو حامد الغزالي - رحمه الله -: اعلم أن الخوف محمود ، وربما يظن أن كل ما هو خوف محمود ، فكل ما كان أقوى وأكثر كان أحمد !! وهو غلط ، بل الخوف سوط الله يسوق به عباده إلى المواظبة على العلم والعمل لينالوا بهما رتبة القرب من الله تعالى . فمثلاً الأصلح للصبي أن لا يخلو عن سوط ، ولكن لا يدل ذلك على أن المبالغة في الضرب محمودة ، وكذلك الخوف له قصور وله إفراط وله اعتدال .

فأما القاصر : فهو الذي : يجري مجرى من يسمع آية من القرآن فيورث الخوف وتفيض الدموع وكذلك عند مشاهدة سبب هائل فإذا غاب ذلك السبب عن الحس رجع القلب إلى الغفلة ، فهذا خوف قاصر قليل الجدوى ضعيف النفع .

وأما المفرط : فإنه الذي يقوى ويجاوز حد الاعتدال حتى يخرج إلى اليأس والقنوط وهو مذموم أيضاً لأنه يمنع من العمل .

والمحمود منه : هو الاعتدال والوسط . وما يقصر عنه أو يجاوزه فهو مذموم وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " الخوف المحمود ما حجزك عن محارم الله " (١) ذلك لأن الهدف من الترهيب حصول الحذر والورع والتقوى والعبادة والذكر وسائر الأسباب الموصلة إلى الله تعالى (٢) .

فإذا علمنا أن الترهيب له قصور وله إفراط وله اعتدال - تقرر علينا أن نعرف متى نعتدل في الترهيب ؟ ومتى نزيد فيه ؟ ومتى نقلل منه ؟ وهذا ما سنحاول بعون الله - أن نعرضه من خلال النقاط التالية (٣) :

(١) مدارج السالكين ، (٥١٤/١) ، مرجع سابق .

(٢) انظر: الإحياء (٤/١٥٧)، ومختصر منهاج القاصدين ، (ص ٣٠٣ ، ٣٠٤) .

(٣) أخذت أصول هذه الإجابات من مذكرة في مادة منهاج الدعوه للدكتور/ حسين خطاب انظر: هامش

(ص ٨) من نفس الرسالة ويفيد الداعية أيضاً في هذا المقام رد الشيخ ابن عثيمين، انظر: فتاوى الشيخ ابن

عثيمين (١/١٩١-١٩٢) . مرجع سابق .

أ - الاعتدال في الترهيب :

ونعني بذلك الجمع بين الترغيب والترهيب ذلك لأن من طبيعة النفس الإنسانية أن تتحرك تحت عاملين متضادين عامل الرغبة ، وعامل الرهبة ، وكلاهما يؤثر على النفس تأثيراً تربوياً مباشراً ، "ومن رحمة الله تعالى بعباده أن رباهم بنوعي التربية كليهما، الترغيب والترهيب"^(١) تشهد بذلك آيات القرآن ونصوص السنة المطهرة ، يقول تعالى ﴿نبىء عبادى أنى أنا الغفور الرحيم . وأن عذابى هو العذاب الأليم﴾^(٢) ويقول سبحانه في حق من أتى عليه من عباده ﴿يدعون ربهم خوفاً وطمعاً﴾^(٣) ويقول تعالى ﴿ويرجون رحمته ويخافون عذابه﴾^(٤) ومما جاء في السنة في هذا الصدد الحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ، ولو يعلم المسلم بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار)^(٥) . ويؤكد الإمام الألويسي هذا المعنى بقوله : جرت عادته جل شأنه في كتابه أن يقرن الوعد بالوعيد أو الترغيب بالترهيب أو العكس . وذلك لأن من الناس من لا يجديه التخويف ولا يجديه وينفعه إلا اللطف ومنهم عكس ذلك ، ومراعاة لما تقتضيه الحكمة في إرشاد العباد من الترغيب تارة ومن الترهيب أخرى^(٦) .

واستواء الترغيب والترهيب ينبغي أن يكون في حق المدعو التقى الذي ترك ظاهر الإثم وباطنه وخفيه وجليه ؛ فالأصلح أن يعتدل في وعظه وتذكيره ترغيباً وترهيباً ، وذلك لأن المسلم التقى ينبغي أن يعيش دائماً بين الخوف من

(١) تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا ، (٥٦/١) ، ط. دار المعرفة بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية .

(٢) سورة الحجر : جزء من الآية ٤٩ ، ٥٠ .

(٣) سورة السجدة : جزء من الآية ١٦ .

(٤) سورة الإسراء : جزء من الآية ٥٧ .

(٥) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب الرقاق، باب الرجاء مع الخوف جزء من الحديث رقم ٦٤٦٩، (٣٠١/١١) .

(٦) انظر : روح المعاني للإمام الألويسي ، (٢٠٠/١ ، ٣٠٧) ، مرجع سابق .

عذاب الله والطمع في رحمته . وقد يقول قائل : إن التقي بحكم تقواه وورعه وقوة إيمانه لا ينبغي أن يتساوى في ترغيبه وترهيبه . بل يجب تغليب جانب الترغيب ، وذلك مثل الذي يزرع البذرة الصحيحة - الإيمان - في أرض صالحة - قلب المؤمن - ويواظب على تعهدها بالأعمال الصالحة فإنه والحالة هذه لا يتساوى خوفه ورجاؤه ، بل يغلب رجاءه ؛ لأنه يدرك تماماً نتيجة عمله ، ألا وهي الحصول على حصاد جيد ، وهكذا ينبغي أن تكون الحال مع المتقين ؟؟ .

وللإجابة على ذلك نقول : إن البذرة في هذه المسألة - الإيمان - وشروط صحته دقيقة ، والأرض - القلب - وخفايا خبثه وصفاته من الشرك الخفي والنفاق والرياء وخفايا الأخلاق غامضة ، وهناك الآفات التي تصيب الزرع والتي هي بمنزلة الشهوات وزخارف الدنيا . والقلب إن أمنها في الحال لا يأمن الالتفات إليها في مستقبل الزمان^(١) ، فكيف يؤمن على التقي ثباته على ما هو عليه والرسول عليه السلام يقول: (إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار ، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة)^(٢) ولما سألته عائشة رضي الله عنها عن قول الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾^(٣) أهو الذي يزني ويسرق ويشرب الخمر ؟ قال : (لا يا بنت الصديق ! ولكنه الرجل يصوم ويتصدق ويصلي وهو يخاف أن لا يتقبل منه)^(٤) فالرسول عليه السلام هنا يوجه مؤمناً تقياً يصوم ويصلي ويتصدق ومع ذلك لم يهمل جانب التخويف والترهيب بعدم قبول الصالح من العمل لأي سبب من الأسباب "ولقد كان عمر رضي الله عنه المؤمن التقي الورع يبالي في تفتيش قلبه من النفاق حتى كان يسأل حذيفة رضي الله عنه هل يعرف به من آثار النفاق شيئاً ؟؟ وكان رضي الله عنه يقول : لو نودي ليدخل النار كل الناس إلا رجلاً واحداً لرجوت أن أكون أنا ذلك الرجل ، ولو نودي ليدخل الجنة كل الناس إلا رجلاً واحداً لخشيت أن أكون أنا ذلك الرجل"^(٥) .

(١) انظر : الإحياء (١٦٥/٤) .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الجهاد، باب لا يقول فلان شهيد ، جزء من الحديث رقم ٢٨٩٨ ، (٩٠/٦) .

(٣) سورة المؤمنون : جزء من الآية ٦٠ .

(٤) صحيح سنن ابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب التوقي على العمل ، حديث ٣٣٨٤ ، (٤٠٩/٢) محمد الألباني الناشر: مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ط الثانية ١٤٠٨ هـ .

(٥) الإحياء ، للغزالي (١٦٥/٤) .

وكما يكون الترغيب والترهيب معاً في حق المؤمن التقى يكون أيضاً في حق المدعوين مجهولي الصفة السلوكية ، فمثلاً لو وقف الداعية أمام جمع من الناس فيهم الصالح والطالح وفيهم المسرف المغرور والقانط اليائس ، فلو رَهَبَ فقط ربما يصادف الترهيب قانطاً فيزيد من يأسه ويقطع رجاءه حتى ينقصم ظهره ، ولو رَغَبَ فقط ربما صادف ترغيبه مغروراً فيزيد من غروره واستهتاره وأمنه ، "والأمن واليأس ينقلان عن ملة الإسلام"^(١) وسبيل الحق ما كان عليه محمد صلى الله عليه وسلم وصحابته من بعده رضوان الله عليهم جميعاً . يحدثنا جرير بن عبدالله البجلي رضى الله عنه فيقول : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستفتح بقول الله سبحانه : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(٢) والآية التي في سورة الحشر ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾^(٣) .. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده ، من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده ، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء)^(٤) .

الملاحظ أن هذا الحديث الشريف اشتمل على الترغيب والترهيب ، فهذا هو دأبه عليه السلام عندما يكون في جمع من الناس يجهل هويتهم . فالرسول عليه السلام يخطب في جمع من المستمعين وما نسي أن هناك أنفساً بحاجة إلى ملاينة حتى لا يتسرب القنوط واليأس إلى أذهانها ، وأن هناك أنفساً بحاجة إلى الاستدراج بالتخويف حتى تتخلع مما تشبثت به من سوء ، وهذا ملاحظ من خطبته صلى الله عليه وسلم حيث اشتملت على الترغيب والترهيب المتضمنة للخوف والرجاء .

(١) العقيدة الطحاوية ، لابن أبي العز الحنفي (ص ٣٧١) ، تحقيق جماعة من العلماء ، الطبعة الرابعة ١٣٩١ هـ ، المكتب الإسلامي بيروت .

(٢) سورة النساء : الآية ١ .

(٣) سورة الحشر : جزء من الآية ١٨ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمره ، جزء من حديث ١٠١٧ (٧٠٥/٢) .

وقد تنبه لهذا أبو بكر الصديق رضى الله عنه فنراه خطيباً أمام جمع من المدعوين يقول : "أما بعد فإني أوصيكم بتقوى الله، وتثبوا عليه بما هو له أهل ، وتخلطوا الرغبة بالرهبة فإن الله عز وجل أثنى على زكريا وأهل بيته فقال تعالى ﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغياً ورهباً﴾ (١) " (٢) قال ابن زيد في قوله ﴿رغباً ورهباً﴾ "خوفاً وطمعاً، وليس لأحدهما أن يفارق الآخر" (٣)، ذلك لأن الترغيب والترهيب متلازمان يستحيل انفكاك أحدهما عن الآخر في الأحوال المذكورة، ولإمناح من تقديم الترغيب على الترهب عند هذا الجمع، وهناك شواهد في كتاب الله تؤيد ذلك ؛ فمن شواهد تقديم الترغيب على الترهب عند الجمع بينهما : قوله تعالى ﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم، والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم﴾ (٤) فقدم سبحانه الترغيب - خبر الغفران والرحمة - على الترهب - خبر العذاب والوعيد - جرياً على الأصل الذي ارتضته مشيئته تعالى ، فقد كتب على نفسه الرحمة ولم يكتب عليها الغضب وخلق الخلق ليرحمهم لا ليعاقبهم . يقول الإمام السيوطي في أسباب التقديم وأسرارها: "إن من ذلك تقديم الرحمة على العذاب حيث وقع في القرآن غالباً، ولهذا جاء قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه (إن رحمتي غلبت غضبي) (٥) " (٦) .

ومن شواهد تقديم الترهب على الترغيب عند إجتماعهما : قوله تعالى ﴿يعذب من يشاء ويرحم من يشاء﴾ (٧) وتقديم الترهب على الترغيب في هذه الآية لاينافي أن تكون رحمة الله سبقت غضبه، ذلك لأن السابق في الآيات التي قبلها ذكر الكفار،

(١) سورة الأنبياء : جزء من الآية ٩٠

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٦٥/٥) مرجع سابق .

(٣) تفسير الإمام الطبري (٦٧/٧) ، دار المعرفة بيروت ، الطبعة الرابعة ١٤٠٠هـ .

(٤) سورة المائدة : آية ١٠،٩ ، وايضاً هناك مزيد من الشواهد، انظر سورة الحج: آية ٤٩-٥١، البقرة: آية ٣٨ - ٣٩ .

(٥) صحيح البخاري ، مع الفتح ، كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في قوله تعالى (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده)، رقم الحديث ٣١٩٤ ، (٦/٢٨٧) .

(٦) الإتيان في علوم القرآن، للإمام السيوطي، (٢/١٥) ، ط . عالم الكتب/بيروت، بدون طبعة وسنة الطبع .

(٧) سورة العنكبوت: جزء من الآية ٢١ . ومن شواهد ذلك أيضاً انظر سورة البينة : آية ٥ ، ٦ ، وآل عمران : آية ٥٦ ، ٥٧ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، والأتعام : آية ١٦٥ ، وفاطر : آية ٧

فذكر العذاب لسبق ذكر مستحقه بحكم الإبعاد، وعقبه بالرحمة فكانت تبعاً ، لئلا يكون العذاب مذكوراً وحده . وهذا أيضاً يحقق قوله تعالى في الحديث القدسي (سبقت رحمتي غضبي) وذلك لأن المقصود ذكر العذاب ومع ذلك لم يخصه في الذكر ، بل ذكر الرحمة معه^(١) .

ب - التركيز على جانب الترهيب :-

وذلك عند وجود تفريط في حق الله تعالى وإفراط في المعاصي وغرور في الطاعات، فالمناسب هنا إبراز الترهيب ، والترهيب فقط . يقول صاحب "الإحياء" : فإن كان الغالب على القلب داء الأمن من مكر الله تعالى ، والاعتزاز به فالخوف أفضل ، خاصة إن كان الغالب على العبد المعصية ، ذلك لأن أدوية الترغيب في حق العاصي المعرض عن العبادة المقتحم للشهوات والمغرور المتمني على الله الذي أمن مكره تعالى تتقلب سموماً مهلكة ؛ لأنها تزيد في غروره حتى يصير جنب الله عنده هين . لذا لا يستعمل في حقه إلا أدوية الترهيب والأسباب المهيجة له^(٢) . ومن جملة ترهيب هذا المغرور الذي بات ضامناً للفوز بالجنة والنجاة من النار يكون بعدم تقبل الصالح من الأعمال وتذكيره برسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الأولين والآخرين ومع ذلك لم يغتر بتلك المنزلة ، بل كان أشد الناس خوفاً ، وكان عليه السلام يقول : (ليس أحد منكم ينجي عمله ؛ قالوا : ولا أنت ؟ يارسول الله ! قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه بمغفرة ورحمة)^(٣) فإن كان هذا حال نبينا عليه الصلاة والسلام مع ربه وقد غفر له تعالى ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فكيف يجب أن يكون حال غيره ؟؟ . وهناك أحوال^(٤) متى تعينت وجب على الداعية اللجوء إلى الترهيب والشدة ومن تلك الأحوال ما يلي :

(١) انظر : التفسير الكبير للإمام الرازي (٤٩/٢٥) ، دار إحياء التراث العربي بيروت ، الطبعة الثالثة .

(٢) انظر : الإحياء (٤/١٦٤، ١٤٦) ، ومختصر منهاج القاصدين ، لابن قدامة (٣٠٥، ٣٠٠) ، مرجع سابق

(٣) صحيح الإمام مسلم ، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى رقم الحديث ٢٨١٦ م ، (٤/٢١٧٠) نشر وتوزيع إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، ١٤٠٠ هـ .

(٤) هذه الأحوال أخذت باختصار - من كتاب (من صفات الداعية اللين والرفق) للشيخ الدكتور/فضل إلهي ، انظر : (ص ٣٤ - ٥٨) الناشر : إدارة ترجمان الإسلام بباكستان ، ط. الثانية ١٤١٢ هـ .

- (إذا انتهكت حرمت الله وأن وقت إقامة الحدود) :

ومما يدل على ضرورة الترهيب في إقامة الحدود رفضه صلى الله عليه وسلم التنازل عن إقامة الحد في المرأة المخزومية التي سرقت . فقد روى الإمام البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن قريشاً أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا : من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم !! ومن يجترئ عليه إلا أسامة حب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : (أتشفع في حد من حدود الله ؟ . ثم قام فخطب فقال: (ياأيها الناس إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد . وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها) (١) .

ومما يدل على ذلك أيضاً ما رواه الإمام ابن ماجه عن ثوبان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لأعلمن أقواماً من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاً، فيجعلها الله عز وجل هباء منثوراً) قال ثوبان : يارسول الله !! صفهم لنا ، حلهم لنا؟ أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم قال : (أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم ويأخذون من الليل كما تأخذون . ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها) (٢) .

ففي هذا الحديث الشريف لجأ عليه السلام إلى الترهيب فقط مع هؤلاء . والسبب انتهاكهم حرمت الله تعالى ، فرهبهم عليه السلام بضياح ثواب أعمالهم الصالحة وإن كانت جمة تزن الجبال .

- ومن الأحوال التي ينبغي فيها الترهيب أيضاً (عند ظهور عناد أو استخفاف بالدعوة):

ومما يوضح هذه الحالة موقفه صلى الله عليه وسلم الشديد من الرجل الذي تباطأ في تنفيذ أوامره عليه السلام ؛ فعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أصاب غنيمة أمر بلالاً فنادى في الناس فيجيبون بغنائمهم فيخمسه ويقسمه ، فجاء رجل بعد ذلك يزمام من شعر ،

(١) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب الحدود ، باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان ، رقم الحديث ٦٧٨٨ ، (٨٧/١٢) مرجع سابق .

(٢) صحيح سنن ابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب ذكر الذنوب ، حديث ٣٤٢٣ (٤١٧/٢) .

فقال: يا رسول الله هذا فيما كنا أصبنا من الغنيمة ، فقال: أسمعت بلالاً ينادي ؟ ثلاثاً ، قال : نعم . قال : فما منعك أن تجيء به ؟ فاعتذر . فقال : كن أنت تجيء به يوم القيامة فلن أقبله عنك(١) .

والشاهد من الحديث إن ظهور مبادئ العناد والإستخفاف بالأمر النبوي من قبل هذا الرجل جعل نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم يستعمل التهيب والشدة في حقه .

- أيضاً ومن الأحوال التي ينبغي فيها التهيب (عند حصول مخالفة الشرع لدى من لا يتوقع منه ذلك) :

ومما يدل على ذلك إنكاره صلى الله عليه وسلم على بلال رضي الله عنه إمساك يده عن الصدقة والمعروف ناسياً قوله تعالى ﴿وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين﴾(٢) فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (دخل النبي صلى الله عليه وسلم على بلال وعنده صبر من تمر، فقال: ما هذا يا بلال ؟ قال: أعد ذلك لأضيافك. قال: أما تخشى أن يكون لك دخان في نار جهنم ، أنفق يا بلال ولا تخش من ذي العرش إقللاً) (٣) .

والشاهد من الحديث : أن بدور هذا الفعل من بلال رضي الله عنه - وهو المعروف بالصلاح والورع والمعرفة بأمر الدين - غير متوقع، لذا شدد صلى الله عليه وسلم عليه بالتهيب، والتهيب فقط، وليكون وقع ذلك عليه أبلغ، فلا يعود إلى هذه الفعلة.

ج - تقليل التهيب أو إغلاق بابيه :

والمقام الذي يناسب هذا ، عند ما يجد الداعية إنساناً قد غلب عليه اليأس والقنوط من رحمة الله تعالى ، فهنا يجب علاجه بجميع أسباب الرجاء حتى

(١) صحيح سنن أبي داود ، كتاب الجهاد ، باب في الغلول إذا كان يسيراً ، حديث ٢٣٥٩ ، (٢/٥١٧،٥١٨) .
تصحيح الألباني ، الناشر : مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ط. الأولى ، ١٤٠٩هـ .

(٢) سورة سبأ : جزء من الآية ٣٩

(٣) رواه البزار في مسنده برقم ٣٦٥٤ انظر: كشف الأستار عن زوائد البزار (٢٥١/٤) تأليف علي بن أبي بكر الهيثمي ، نشر مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان ، ط. الأولى ، ١٤٠٥هـ وأورده المنذري في الترغيب والتهيب (٥١/٢) وقال : رواه البزار بإسناد حسن ، واللفظ للمنذري .

لايسلمه للشيطان عندما يظن أن باب الرجاء قد أغلق دونه ؛ يقول السلف الصالح: "إعلم أن هذا الدواء - الرجاء - يحتاج إليه أحد رجلين : إما رجل غلب عليه اليأس فترك العبادة ، وإما رجل غلب عليه الخوف فأسرف في المواظبة على العبادة حتى أضر بنفسه وأهله ، وهذان رجلان مائلان عن الاعتدال إلى طرفي الإفراط والتفريط ، فيحتاجان إلى علاج يردهما إلى الاعتدال" (١) .

وعلاج الداعية لهذه النوعية يكون بإغلاق باب الترهيب وفتح باب الرجاء ، وتجسيد معاني الترغيب في عظم فضل الله ورحمته واستقراء الآيات والأخبار الواردة في الرجاء حتى يردهم إلى الاعتدال . فما ورد من الآيات قوله تعالى ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم ﴾ (٢) "فهذا نهي منه تعالى لعباده أن ييأسوا من رحمته ، ووعد أكيد منه سبحانه بأنه يغفر الذنوب جميعاً" (٣) .

ومن الأخبار التي وردت في عظيم رحمته وعفوه الحديث المتفق عليه في الصحيحين ، فقد روى الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إن عبداً أصاب ذنباً فقال : رب أذنبت ذنباً فاغفر (٤) ، فقال ربه : أعلم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به ؟ غفرت لعبدي . ثم مكث ما شاء الله ، ثم أصاب ذنباً فقال : رب أذنبت آخر فاغفره ، فقال : أعلم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به ؟ غفرت لعبدي ، ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنباً . فقال : رب أذنبت آخر ، فاغفره لي فقال : أعلم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به ؟ غفرت لعبدي ثلاثاً فليعمل ما شاء) (٥) . يقول الإمام النووي تعليقاً على

(١) الإحياء (١٤٦/٤) مختصر منهاج القاصدين (ص ٣٠٠) .

(٢) سورة الزمر : آية ٥٣

(٣) فتاوي اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، في مجال العقيدة (٢٤٦/١) ، جمع وترتيب : الشيخ أحمد الدويش ، ط. الأولى ١٤١١هـ .

(٤) المقصود بالاستغفار هنا هو الاستغفار الصادق ، لأنه يذنب الذنب ثم يتوب بلسانه وقلبه مصر على تلك المعصية ، فإن هذه توبة الكذابين انظر : هامش الترغيب والترهيب للإمام المنذري ، تحقيق مصطفى عمارة (٩١/٤) ط. دار الريان للتراث ١٤٠٧هـ .

(٥) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى (يريدون أن يبطلوا كلام الله) ، رقم الحديث ٧٥٠٧ (٤٦٦/١٣) ، وصحيح مسلم ، كتاب التوبة ، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة ، رقم الحديث ٢٧٥٨ ، (٢١١٢/٤) ، واللفظ للبخاري .

هذا الحديث " لو تكرر الذنب مائة مرة أو ألف مرة أو أكثر وتاب في كل مرة ، قبلت توبته وسقطت ذنوبه ، ولو تاب عن الجميع توبة واحدة بعد جميعها صحت توبته . وقوله عز وجل للذي تكرر ذنبه (اعمل ما شئت فقد غفرت لك) (١) معناه ما دمت تذنب ثم تتوب غفرت لك ، وهذا جاء على القاعدة التي ذكرها عليه السلام (إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ، حتى تطلع الشمس من مغربها) (٢) " (٣) .

- ومن الأحوال التي ينبغي فيها قطع النظر عن الترهيب في حال المرض وعند الإشراف على الموت .

فينبغي هنا الإقتصار على الترغيب ، لما يتضمن من الافتقار إلى الله تعالى ، ولأن المحذور من ترك الخوف قد تعذر فيتعين حسن الظن بالله برجاء عفوهِ ومغفرته، ويؤيده حديث (لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن) (٤) (٥).
فالحديث اشتمل على التحذير من القنوط والحث على الرجاء عند الخاتمة ذلك لأن مقصود الترهيب الانكفاف عن المعاصي والقبايح والحرص على الإكثار من الطاعات، وقد تعذر ذلك معظمه في هذا الحال فاستحب إحسان الظن المتضمن للترغيب برحمة الله (٦) . وفي هذا الصدد يقول الفضيل بن عياض رحمه الله :
"الخوف أفضل من الرجاء ما كان الرجل صحيحاً، فإذا نزل الموت فالرجاء أفضل" (٧).
وعلاج هذه الحالة يحتاج إلى ذكر الأحاديث التي توضح سعة رحمة الله وفضله بعد الموت والمتضمنة للترغيب في الرجاء والتوبة . ومن تلك الأحاديث : ما أخرجه الإمام البخاري عن حذيفة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
(كان رجل ممن كان قبلكم يسيء الظن بعمله ، فقال لأهله: إذا أنا مت فخذوني فذروني

(١) صحيح الإمام مسلم ، كتاب التوبة ، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة ، رقم الحديث ٢٧٥٨ ، (٢١١٢/٤) .

(٢) المرجع السابق ، حديث ٢٧٥٩ (٢١١٣/٤) .

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، (٦/١٧/٦)، ج. دار الريان للتراث، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

(٤) صحيح الإمام مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها ، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت ، رقم الحديث ٢٨٧٧ ، (٢٢٠٥/٤) .

(٥) انظر : فتح الباري ، (٣٠١/١١) .

(٦) انظر : هامش صحيح الإمام مسلم (٢٢٠٥/٤) .

(٧) التخوف من النار ، لابن رجب الحنبلي ، (ص ٧) مرجع سابق .

فى البحر فى يوم صائف - وفى رواية أخرى - (فإذا مت فأحرقونى ، حتى إذا صرت فحماً فاسحقونى ، ثم إذا كان رىح عاصف فذرونى فىها) ففعلوا به ، فجمعه الله ثم قال: ما حملك على الذى صنعت ؟ قال: ما حملنى عليه إلا مخافتك ، فغفرله^(١) فهذا الرجل قد أساء الظن بعمله حتى غلبه اليأس فحمله ذلك على أن أوصى أولاده بما ذكر ، لكن رحمة الله كانت أوسع فغفرله .

قال شىخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بعد أن ذكر هذا الحديث: "فهذا الرجل كان قد وقع له الشك والجهل فى قدرة الله تعالى على إعاده ابن آدم بعدما أحرق وذري ومع هذا فلما كان مؤمناً بالله فى الجملة ، ومؤمناً باليوم الآخر فى الجملة وهو أن الله يثيب ويعاقب بعد الموت ، وقد عمل صالحاً وهو خوفه من الله أن يعاقبه على ذنوبه غفر الله له بما كان منه من الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح"^(٢) .

وللداعية أيضاً أن يذكر قصة الرجل الذى ذهب يطلب التوبة بعد أن قتل تسعة وتسعين نفساً ، فقد روى الإمام مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم (كان فىمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً ، فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب ، فأتاه فقال : إنه قتل تسعة وتسعين نفساً ، فهل له من توبة ؟ فقال: لا ، فقتله فكمل به مائة ، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم ، فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة ؟ فقال : نعم ، ومن يحول بينه وبين التوبة ؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا ، فإن بها أناساً يعبدون الله فاعبد الله معهم . ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء ، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة : جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله . وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قط . فأتاهم ملك فى صورة آدمى فجعلوه بينهم ، فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتها كان أدنى فهو له ، فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التى أراد فقبضته ملائكة الرحمة)^(٣) . ووجه الفائدة من هذا الحديث موقف الراهب الذى أغلق باب الرجاء فى وجه هذا الرجل القانط فزاد

(١) صحيح الإمام البخارى مع الفتح ، كتاب الرقاق ، باب الخوف من الله ، رقم الحديث ٦٤٨٠ ، وجزء من الحديث ٦٤٨١ ، (٣١٢/١١) ورواه الإمام مسلم : كتاب التوبة ، باب سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه ، رقم الحديث ٢٧٥٦ ، (٢١١٠/٤) واللفظ للبخارى .

(٢) مجموع فتاوى الشىخ ابن تيمية (٤٩١/١) .

(٣) صحيح الإمام مسلم ، كتاب التوبة ، باب قبول توبه القاتل وإن كثر قتله ، رقم الحديث ٢٧٦٦ ، (٢١١٨/٤) .

من قنوطه ويأسه ، وكانت النتيجة قتل الرجل لهذا الراهب بعد أن أكد له أنه هالك لا محالة ، وموقف العالم الذي أخذ بيد هذا الياثس فاتحاً له أبواب الرجاء مؤكداً له عدم وجود حائل بينه وبين العودة إلى الله . ويفضل الله ثم بفضل حكمة هذا العالم كان هذا الرجل الذي لم يعمل خيراً قط من الفائزين برحمة الله تعالى .

رابعاً : ضرورة مراعاة معتقدات المدعويين وأحوالهم :

فالداعية قد يجد بين يديه مدعويين مطيعين ينفذون ما يأمرهم به ، وقد يواجه أناساً جاهلين بربهم ، متمردين عليه ، نافرين من الحق ، مقبلين على الدنيا ، أو - على الأقل - لايهتمون بما يدعوهم إليه من الخير ، ولا يحسون بحاجة إليه ، أضف إلى ذلك أن أحوال الناس وأهواءهم مختلفة متضاربة وأمراضهم متنوعة^(١) ، فهو لا ولن يوفق في تربيته ولا ينجح في تخويفه حتى يحيط معرفة بمن يدعوهم ليعطي كل طائفة حقها ، وينزل كل فته منزلتها ، ويخاطب كل صنف حسب فهمه وإدراكه^(٢) . ولهذا قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (حدثوا الناس بها يعرفون ، أتحبون أن يكذب الله ورسوله)^(٣) .

وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : (ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة)^(٤) . وروي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننزل الناس منازلهم)^(٥) .

وطوائف الناس إتجاه الدعوة ثلاث ، فمنهم المؤمن ، ومنهم الكافر ، ومنهم المنافق وقد جاء هذا التقسيم في أوائل سورة البقرة^(٦) .

فالمؤمنون : يتفاوتون في قوة الإيمان ، فمنهم السابقون بالخيرات وهو النبي الصالح .. ومنهم الظالم لنفسه وهو الفاسق الفاجر المبتدع .. ومنهم المقتصد وهو الضعيف المتردد بين الصنفين السابقين .

(١) انظر : أصول الدعوة ، (ص ٤٠٢) مرجع سابق .

(٢) انظر: الحكمة في الدعوة إلى الله، لسعيد القحطاني (ص ٣٣٥)، ط . مطبعة السفير ، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .

(٣) صحيح الإمام البخاري مع الفتح ، كتاب العلم ، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم ، (٢٢٥/١) .

(٤) صحيح الإمام مسلم ، المقدمة ، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع ، رقم الحديث ٥٥ ، (١١/١) .

(٥) صحيح الإمام مسلم مع النووي ، المقدمة ، (٥٥/١) مرجع سابق .

(٦) انظر : سورة البقرة : الآيات من (١-٢٠) .

وبناء عليه يكون ترهيب السابق بالخيرات لزيادة تقواه .. وترهيب الظالم لنفسه ليرجع عن فسقه وفجوره وبدعته .. وترهيب المقتصد ليثبت على الطاعة ويتجنب المعصية ليرقى إلى حال المتقين السابقين بالخيرات .

والكافرون : أيضاً ليسوا على وتيرة واحدة ، فهم أصناف ودرجات ومذاهب متعددة ، منهم الجاحدون الملحدون ، وهم الذين ينكرون وجود الله تعالى ويجحدونه .. ومنهم المشركون والوثنيون وهم الذين أشركوا مع الله غيره في الاعتقاد أو العبادة .. ومنهم أهل كتاب وهم الذين لم يؤمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الديانات السابقة كاليهود والنصارى .

فهؤلاء يُرهبون لأجل الإيمان بالله وحده والرجوع عن كفرهم وشركهم ، والإيمان بأن الإسلام خاتم الأديان . قال تعالى ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً ، فلن يقبل منه ، وهو في الآخرة من الخاسرين﴾^(١) .

أما المنافقون : الذين يبطنون الكفر ويظهرون الإسلام ، هم أيضاً في منازل ودرجات ، منهم من ظهر نفاقه وعلم .. ومنهم من لا يعلم نفاقه بعينه .. وهناك نفاق الاعتقاد وهناك نفاق العمل .

وبناء على ذلك لا يكون ترهيب من ظهر نفاقه كترهيب من خفي نفاقه ولا يكون ترهيب النفاق الاعتقادي مساوياً للنفاق العملي^(٢) .

وهذا التقسيم هو ما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم ومما يدل على ذلك أن حذيفة رضى الله عنه قال: "القلوب أربعة : قلب مصفح ، فذلك قلب المنافق، وقلب أغلق ، فذاك قلب الكافر . وقلب أجرد كأن فيه سراج يزهر ، فذاك قلب المؤمن . وقلب فيه نفاق وإيمان ، فمثلته مثل قرحة يمدّها قيح ودم ، ومثلته مثل شجرة يسقيها ماء خبيث وطيب فأیما غلب عليها غلب"^(٣) .

(١) سورة آل عمران : الآية ٨٥

(٢) انظر : المدخل إلى علم الدعوة (ص ١٧٢ - ١٨١) مرجع سابق .

(٣) كتاب الإيمان : للحافظ أبي بكر عبدالله بن أبي شيبة (ص ١٧) ، تحقيق الألباني ، وقال عنه الألباني : حديث

موقوف صحيح (هامش ص ١٧) ط. دار الأرقم ، الكويت .

مما سبق توضيحه تبين أن مواجهة كل طائفة بالترهيب عند الدعوة إلى الإسلام تختلف باختلاف الطائفة ، وبذا يكون ترهيب كل فئة على حسب حالها، وسنوضح ذلك بإذن الله تعالى في الفصل الثالث . والله المستعان .

خامساً: ضرورة التدرج وترتيب الأولويات عند الترهيب :-

فالترهيب يضع لنفسه أولويات ويراعى عند التحذير من المعاصي أن يُقدم الأمر الأهم على المهم والأصل على الفرع ، فهو يقدم "أمور العقائد على غيرها من العبادات والأخلاق ، ويقدم الفروض على المندوبات والنوافل ، والمحرمات على المكروهات ، والمصالح العامة على المصالح الخاصة عند التعارض ، ويقدم المنكر الحاضر على المنكر الغائب ، ويقدم الضروريات على الحاجيات والتحسينات - ودرء المفساد على جلب المصالح وهكذا" (١) .

فمثلاً : الداعية إذا رأى تقصيراً في فريضة أو نافلة ، فإنه والحالة هذه يبدأ بالترهيب من التقصير في الفريضة ، وذلك لأنه معلوم بالضرورة من الدين أن ترك الفريضة والتهاون فيها أشد وزراً وأثراً من التقصير في النافلة . ثم إن الفرائض بحكم فرضيتها تساعد الداعية في أن يشدد النكير على المقصرين ويأتي بالسند لما يقول ، وهنا لا يستطيع المدعو أن يتهم الداعية بمزيد من المبالغة في الترهيب ؛ لأنه يعلم أن الفرائض لا خيار للمسلم في فعلها ، بل لا بد من فعلها . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى إنما جعلت الفرائض لتروض المدعو على طعم الطاعة فهو لن يتذوق الطاعة من النافلة وهو مقصر في الفريضة . يقول صلى الله عليه وسلم مخبراً عن ربه (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذ بي لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن: يكره الموت وأنا أكره مساعته) (٢) . والتركيز على الأهم لا يعني بحال من الأحوال ترك ما دونه ، بل على الداعية أن يستعمل الحكمة ، فيقدم الأهم ولا يغفل عن الذي دونه وينطلق في علاج المدعو المقصر .

(١) مدخل إلى علم الدعوة (ص ٢٤٧) مرجع سابق .

(٢) رواه الإمام البخاري ، كتاب الرقاق ، باب التواضع ، رقع الحديث ٦٥٠٢ ، (٣٤٠/١١-٣٤١) .

فمثلاً: إذا رأى الداعية تقصيراً في أداء صلاة الفجر وتقصيراً في قيام الليل ، فعليه أن يرهب من التقصير في أداء فريضة صلاة الفجر مستعملاً كل أنواع المخوفات والمرهبات الشرعية ، على من قصر في ذلك ، وفي نفس الوقت لا يمنع أن يرغب في قيام الليل (١) .

سادساً: مراعاة وجود بديل عن الأمر المرهب منه إذا كان أمراً غريزياً ويشترط أن يكون من المنهج الإسلامي الصحيح :-

وذلك حتى لا يتهم الداعية بالمثالية البعيدة عن الواقع ، وحتى يتأكد للعامة والخاصة أن المشرع والخالق واحد، فما أغفل المشرع حاجة من حاجيات البشر . مثال ذلك : إن رهب الداعية من كبيرة الزنا - والعياذ بالله - عليه في ذات الوقت أن يأتي بالبديل وهو النكاح للمستطيع، أو الصوم لمن لا يستطيع ؛ يدل على ذلك ما رواه الإمام البخاري في "صحيحه" عن عبد الرحمن بن يزيد قال: (دخلت مع علقمة والأسود على عبد الله فقال عبد الله: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم شباباً لا نجد شيئاً، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا معشر الشباب، من استطاع الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء) (٢) (٣) .

سابعاً: مراعاة ما يترتب على استخدام الترهيب :-

ينبغي للداعية عندما يلجأ إلى الترهيب في الدعوة إلى الله أن يوازن بين ما يحصل من مفسد ، وما يترتب على ترهيبه من مصالح ، إذ لا بد أن تكون المصلحة الترهيبية راجحة على المفسدة (٤) ، لأن هذا هو الذي يحبه الله ويرضاه ، وبهذا بعثت الرسل وأنزلت الكتب لذا إن تأكد للداعية حدوث مفسدة أعظم من التي أراد

(١) بتصريف من مرجع سابق للدكتور/ حسين خطاب / انظر : (ص ٨)

(٢) صحيح الإمام البخاري مع الفتح ، كتاب النكاح ، باب من لم يستطع الباء فليصم ، رقم الحديث ٥٠٦٦ ، (١١٢/٩) .

(٣) انظر المرجع السابق للدكتور حسين خطاب ، هامش رقم (١) في هذه الصفحة .

(٤) انظر : فتح الباري (١/٢٢٥) مرجع سابق .

إزالتها بسبب ترهيبه فليس له أن يرهب . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :
" فإن الأمر والنهي متضمناً لتحصيل مصلحة ودفع مفسدة فينظر في المعارض له ،
فإن كان الذي يفوق من المصالح أو يحصل من المفاصد أكثر ، لم يكن مأموراً به بل
يكون محرماً إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته . لكن اعتبار مقادير المصالح
والمفاصد هو بميزان الشريعة" (١) .

ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة ، فقد منع رسول الله صلى الله
عليه وسلم عمر رضي الله عنه عن إقامة الترهيب العملي في حق رأس المنافقين
عبد الله بن أبي ، رغم استحقاقه لذلك ، والسبب خوفه صلى الله عليه وسلم من
حصول مفسدة أعظم بسبب هذا الترهيب ، لذا سكت النبي صلى الله عليه وسلم عن
عبد الله بن أبي وأمثاله من أئمة النفاق لأن إزالة منكرهم بنوع من ترهيبهم وعقابهم
يستلزم حدوث منكر أعظم منه ، بغضب قومهم وحميتهم ، وبنفور الناس إذا سمعوا
أن محمداً - صلى الله عليه وسلم - يقتل أصحابه (٢) .

يدل على ذلك ما رواه الإمام البخاري في صحيحه لما قام عمر بن الخطاب
رضي الله عنه قائلاً (يارسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق ؟ فقال النبي
صلى الله عليه وسلم : دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه) (٣) .

(١) كتاب الحسبة في الإسلام / لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٧٦) ، تحقيق ابن أبي سعدة ، ط . دار الأرقم بالكويت
الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ .

(٢) انظر : المرجع السابق (ص ٧٨) .

(٣) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب التفسير ، باب قوله تعالى (سواء عليهم استغفرت لهم ..) جزء من حديث
٤٩٠٥ (٦٤٨/٨) وحديث ٤٩٠٧ ، ورواه مسلم في كتاب البر والصلة ، باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً جزء من
حديث ٢٥٨٤م (١٩٩٩/٤) واللفظ للبخاري .

المبحث الثالث

مكانة الترهيب بين الأساليب الأخرى

المبحث الثالث مكانة الترهيب بين الأساليب الأخرى

تمهيد :

تحتاج عملية تبليغ الدعوة الإسلامية وإيصالها للناس إلى طرق وكيفيات معينة يطلق عليها في اللغة "أسلوب" (١) .

يقول الدكتور/ محمد البيانوني عن أساليب الدعوة: "بأنها الطرق التي يسلكها الداعي في دعوته" (٢) ويقول الدكتور/ عبدالكريم زيدان عن هذه الأساليب: "إنها العلم الذي يتصل بكيفية مباشرة التبليغ وإزالة العوائق عنه" (٣) .

فبالأساليب - إذا - قاعدة مهمة من القواعد التي تُبنى عليها الدعوة أثناء مباشرة التبليغ ، ولا يتصور وجود دعوة بدونها ، لذا فقد قدم الإسلام العديد من الأساليب التي تساعد الدعوة على تبليغ الدين الإسلامي الحنيف ، ومن بين هذه الأساليب أسلوب الترهيب ، الذي لا يُنكر فضله ولا يُهمل دورهُ عند تحريك عامل الخوف في النفس الإنسانية ... إنه أسلوب فعال ومؤثر جداً عند الدعوة إلى الإسلام ، لذا سنبين مكانته ودوره المميز من الآتي :

(١) من خلال بيان مكانته بين الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة والتي هي أحسن :

إن أساليب الدعوة كثيرة ومتنوعة وفي هذا الصدد يقول الدكتور أحمد أبابطين : "ومن تأمل كتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه السلام باحثاً عن أساليب الدعوة إلى الله يجد نفسه أمام كم هائل من الأساليب المختلفة جاءت وافية لجميع أنواع المدعوين على اختلاف مشاربهم وعقائدهم وثقافتهم وأجناسهم وأعمارهم ووظائفهم" (٤) . ومع كثرة هذه الأساليب في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، فهي عند التطبيق الدعوي لا تستخدم على وتيرة ونمط واحد ، بل تعرض لتناسب فكر المخاطبين وأحوالهم ، ذلك لأن لكل حال ومقام أسلوباً خاصاً به يختلف باختلاف الأشخاص أو الموضوعات ، وهذه الأساليب الكثيرة - وإن تعددت أشكالها وتنوعت - فإنها في الحقيقة لا تخرج في توضيحها وبيانها

(١) انظر : "لسان العرب" للعلامة ابن منظور الإفريقي (٨٦/١)، و"القاموس المحيط" للفيروز آبادي (ص ١٢٥) مراجع سابقة .

(٢) "المدخل إلى علم الدعوة" (ص ٤٧) مرجع سابق

(٣) "أصول الدعوة" (ص ٣٩٥) مرجع سابق

(٤) "المرأة المسلمة المعاصرة إعدادها ومسئوليتها في الدعوة" للدكتور/ أحمد أبابطين (ص ٥٢١ ، ٥٢٣)، ط . دار عالم الكتب ، الطبعة الثانية ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م .

عن واحدة من الأساليب الثلاثة والتي أطلق عليها العلماء "أمهات الأساليب الرئيسية"^(١) ، حيث تدور جميع الأساليب حول هذه الأمهات وتدرج تحتها وتلتزم بالبيان منها ، ونظراً لأهمية هذه الأساليب -الأساليب الثلاثة- فقد جاءت مذكورة في كتاب الله تعالى في قوله ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾^(٢).

فأسلوب الحكمة : عبارة عن إطار عام للدعوة ، أو اللباس الدعوي ، وهو كاللباس الذي يرتديه الإنسان في كل بيئة وفي كل مناسبة ، ذلك لأن الحكمة تفرض نفسها على جميع الأساليب ، وتهيمن على جميع المواقف والأحوال ، فالداعية من خلال الحكمة يعظ .. ومن خلالها يرغب ويرهب .. ومن خلالها يجادل ويناقش .. ومن خلال الحكمة يلين ويقسو .. وما يقول الداعية في مواقف الأفراس يختلف عما يقوله في مواقف الأتراس ، وهذا كله يتطلب من الداعية حكمة، ليعطي كل موقف حقه ولكل حال مقامه .

أما أسلوب الموعظة الحسنة : فهو الوجه الحقيقي للدعوة الذي تُعرف من خلاله ، والداعية إنما يرغب ويرهب .. ينصح ويذكر .. يرقق وينذر من خلال هذا الأسلوب ، قاصداً بذلك كله نصح المدعو ليفوز بسعادة الدنيا ونعيم الآخرة ، وبذلك تظهر وظيفة الموعظة ألا وهي القيام بالدعوة بالصفة المناسبة للمدعو .

وأسلوب المجادلة: هو خط الدفاع القولي للدعوة، ذلك لأن الداعية من خلال هذا الأسلوب يناقش .. ويجادل .. ويناظر .. ويحاور، هادفاً من وراء ذلك إفحام خصوم الدعوة وإلزامهم، ودفع شبهاتهم الباطلة بإظهار الحق بأدلة كلامية حتى يقيم الحجة الواضحة عليهم .

وموضوع بحثنا في هذا المقام هو أسلوب الموعظة الحسنة في جانب الترهيب ، ذلك لأن هذا الأسلوب يحمل في طياته الزواجر والإرشادات والعبر المخوفة ، ويظهر ذلك من قوله تعالى وهو يخاطب نبيه صلى الله عليه وسلم ﴿فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً﴾^(٣) يقول الإمام النسفي في تفسير الآية : "فأعرض عن قبول الأعداء ، وعظ بالزجر والإنكار ، وبالغ في وعظهم بالتحذير والإنذار"^(٤) .

(١) انظر: المدخل إلى علم الدعوة (ص٢٤٢)، والمرأة المسلمة المعاصرة إعدادها ومسؤوليتها في الدعوة (ص ٥٢١)

(٢) سورة النحل : جزء من الآية ١٢٥

(٣) سورة النساء : جزء من الآية ٦٣

(٤) " تفسير النسفي (١/٢٣٣) ، ط . دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان .

كما ويظهر هذا المعنى من تعريفات الموعدة ومشتقاتها ، حيث يقول الراغب الأصفهاني: "إن الوعد زجر مقترن بتخويف"^(١) ولعلنا ندرك مما سبق؛ الموقع الحقيقي للترهيب بين أمهات الأساليب ، فإنه ينسب إلى الموعدة الحسنة ، وهو شكل من أشكالها، وصورة من صورها ، يؤيد هذا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، حيث يقول: "والموعدة الحسنة : تجمع التصديق بالخبر والطاعة للأمر، ولهذا يجيء الوعد في القرآن مراداً به الأمر والنهي بترغيب وترهيب كقوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾^(٢) وقوله تعالى ﴿يُعَظَّمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ﴾^(٣) وقوله سبحانه ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً﴾^(٤) أي يتعظون بها، فينتبهون وينزجرون"^(٥) .

ويؤكد الإمام ابن قيم الجوزية ذلك فيقول : " العظة : هي الأمر والنهي ، المعروف بالترغيب والترهيب "^(٦) .

(٢) تظهر مكانة الترهيب وأهميته من أمر الله تعالى الصريح بتطبيقه واستعماله في حقه جل ثناؤه . قال تعالى ﴿وَأَيُّ آيَاتِي فَارْهَبُونَ﴾^(٧) وقوله ﴿فَلَاتَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ﴾^(٨) وقوله تعالى ﴿فَلَاتَخْشُوا النَّاسَ وَخَشُوا﴾^(٩) .

(٣) من أنه ركيزة من ركائز الإيمان ، ولازمة من لوازمه : فالإيمان يقتضي الخوف ، لذا قيده الله تعالى بالإيمان في قوله ﴿فَلَاتَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(١٠) فجعل الخوف - الرهبة - شرطاً في تحقيق الإيمان ، فإذا تحقق الشرط - وهو الخوف - تحقق المشروط - وهو الإيمان - فالمقصود أن الخوف من لوازم الإيمان وموجباته

(١) "المفردات في غريب القرآن" (ص ٥٢٧) مرجع سابق

(٢) سورة النساء : جزء من الآية : ٦٦

(٣) سورة النور : جزء من الآية : ١٧

(٤) سورة البقرة : جزء من الآية : ٦٦

(٥) مجموع فتاوي شيخ الإسلام (٤٥/٢) .

(٦) "مدارج السالكين" (٤٤٤/١) مرجع سابق ، وانظر : إغاثة اللهفان من مصادب الشيطان (٤٥/١) ، ط. دار المعرفة بيروت ، توزيع دار الباز للنشر والتوزيع ، مكة المكرمة .

(٧) سورة البقرة : جزء من الآية : ٤٠

(٨) سورة آل عمران : جزء من الآية : ١٧٥

(٩) سورة المائدة : جزء من الآية : ٤٤

(١٠) سورة آل عمران : جزء من الآية : ١٧٥

فلايختلف عنه^(١). وفي هذا الصدد يقول ابن قيم الجوزية رحمه الله: " الخوف علامة صحة الإيمان، وترحل من القلب علامة ترحل الإيمان منه"^(٢).

(٤) من أنه سبب للوصول -بعد مشيئة الله- إلى أرقى درجات الإحسان: فمثلاً صاحب القلب الخائف ، هو الذي يقيم الصلاة على أكمل وجه ، وهو الذي يؤدي الزكاة بنفس طيبة وهو الذي يخشى الله في السر والعلن ، قال تعالى ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾^(٣) ولهذا كان جزاؤه الفوز والفلاح وميراث جنة الفردوس^(٤) بقوله تعالى ﴿وَمَنْ يَطْعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقَهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾^(٥) . وقوله تعالى ﴿وَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾^(٦) يقول ابن قيم الجوزية رحمه الله: الخوف ركن ركين من أركان الإحسان وهي: الخوف، والرجاء، والمحبة^(٧).

(٥) من المقام الرفيع والثناء الحسن عند الله تعالى لمن حصلت عنده مصداقية الخوف من الله تعالى نتيجة هذا الترهيب وقد بين تعالى اتصاف أنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم به بعد أن أتى عليهم ومدحهم فقال تعالى ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾^(٨) وقال تعالى عن ملائكته الكرام الذين أمنهم من عذابه ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(٩) وقال سبحانه عن عباده العلماء ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(١٠) ويكفي أن النبي صلى الله عليه وسلم تشرف بهذا الشرف الرفيع فكان يقول - صلى الله عليه وسلم - (والله إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله)^(١١).

(١) انظر " طريق الهجرتين " لابن القيم ، (ص ٣٩٩) " دار الطباعة المحمدية ، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ . ومعالم غائبة عن حياة المسلمين لربيع السعودي (ص ٩٩) دار معاذ ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ .

(٢) " مدارج السالكين " (٥١٥/١) ..

(٣) سورة التوبة : جزء من الآية ١٨

(٤) انظر معالم غائبة ص ١٠٣

(٥) سورة النور : آية ٥٢

(٦) سورة الرحمن : آية ٤٦

(٧) انظر : " طريق الهجرتين " (ص ٢٦٢) ، " معالم غائبة عن حياة المسلمين " (ص ٩٩) .

(٨) سورة الأنبياء : جزء من الآية ٩٠

(٩) سورة النحل : جزء من الآية ٥٠

(١٠) سورة فاطر : جزء من الآية ٢٨

(١١) سبق تخريجه (ص ٢٨) واللفظ هنا لمسلم .

(٦) من أنه سبب في الانتفاع بالعبر والمواظب القرآنية والنبوية : "لأن من طبع النفس النسيان والغفلة ، لذلك فإن الترهيب يصبح نوعاً من التذكير بما آلت إليه النفس من ارتكاس ونكوص ، ووقوع في الرذائل والآثام"^(١) هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن من رهب الله تعالى وخاف وعيده أوجب له ذلك الحذرَ ومن ثم الانتفاع بالعظات والآيات والعبر ، قال تعالى ﴿فذكر بالقرآن من يخاف وعيده﴾^(٢) وقال تعالى ﴿سيذكر من يخشى﴾^(٣) وقال سبحانه ﴿إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة﴾^(٤) وقال تعالى ﴿إنما أنت منذر من يخشاها﴾^(٥) وفي هذا المقام يقول "الشبلي رحمه الله": " ماخفت الله يوماً إلا رأيت له باباً من الحكمة والعبرة ما رأيت قط"^(٦) .

(٧) من افتتاح الله تعالى آيات الإرسال إلى الخلق بهذا الأسلوب : لذا بدأ عليه السلام دعوته بالإنذار تنفيذاً لأمر ربه ، قال تعالى ﴿ياأيها المدثر . قم فأنذر﴾^(٧) ومعلوم أن الإنذار "إخبار فيه تخويف"^(٨) .

(٨) من كثرة استخدام هذا الأسلوب في القرآن الكريم والسنة الصحيحة ، بالإضافة إلى تنوعه وتعدد درجاته ، مما يعطي الداعية فرصة لاختيار الدرجة المناسبة والنوع الأنسب لكل حال وموقف ليضمن حاجات الدعوة .

(٩) من أنه أبرز أساليب المنهج العاطفي : فهو يغوص في النفس الإنسانية ويخاطب فيها العاطفة والوجدان ، ويهيج فيها عنصر الخوف ، ومتى وجد الخوف في القلوب والنفوس قطع فيها دابر الشهوات واللذات حتى " تصير المعاصي والآثام المحبوبة عنده مكروهة كما يصير العسل مكروهاً عند من يشتبهه إذا عرف أن فيه سمّاً ، فتحترق الشهوات بالخوف وتتأدب الجوارح ، ويحصل في القلب الذبول والخشوع والذلة والاستكانة"^(٩) .

(١) " نحو تربية إسلامية " للدكتور / حسن الشرقاوي ، (ص ٢٠٨)

(٢) سورة ق : جزء من الآية ٤٥

(٣) سورة الأعلى : آية ١٠

(٤) سورة هود : جزء من الآية ١٠٣

(٥) سورة النازعات : آية ٤٥

(٦) " الإحياء " للغزالي ، ٤/١٦١

(٧) سورة المدثر : آية ١ ، ٢ .

(٨) " المفردات في غريب القرآن : (ص ٤٨٧) مرجع سابق .

(٩) "الإحياء " ٤/١٥٦ .

يقول الإمام الغزالي رحمه الله : "لا تتقمع الشهوة بشيء كما تقمع بنار الخوف، فالخوف هو النار المحرقة للشهوات"^(١) . وقال إبراهيم بن سفيان رحمه الله: " إذا سكن الخوفُ القلوبَ أحرق مواضع الشهوات فيها ، وطرد الدنيا عنها"^(٢) .

(١٠) من أنها خاتمة الأساليب لكثير من الأمراض والجرائم الاجتماعية : حيث يصح أن نطلق عليه "أسلوب آخر الدواء الكي" بمعنى أن من لم يرتدع بالترغيب والإرشاد والجدل واللين ، واستمر على ما هو عليه .. فلا بد له حينئذ من سياط التخويف وسطوات السيوف من خلال الترهيب العملي . فمثلاً المرتد المصّر على رده يقتل .. والزاني المحصن يرمم .. والسارق المستمر في فعله تقطع يده وهكذا .. فإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .

(١) الإحياء (١٦٠/٤)

(٢) " مدارج السالكين " (٥١٣/١)

الفصل الثاني

أنواع التهيب ووسائله

محتويات الفصل الثاني

مقدمة :

المبحث الأول : أنواع الترهيب

وفيه مطلبان

المطلب الأول : الترهيب القولي

المطلب الثاني : الترهيب العملي

المبحث الثاني : وسائل الترهيب

وفيه مطلبان

المطلب الأول : وسائل الترهيب القولي

المطلب الثاني : وسائل الترهيب العملي

الفصل الثاني أنواع الترهيب ووسائله

مقدمة:

الحاجة إلى الترهيب ضرورة لازمة للدعاة والمحتسبين عند الأخذ بأيدي الناس إلى الخير وإنقاذهم من التعرض للمعاصي المؤدية لسخط الله تعالى، هذه الضرورة تقتضي من الداعية والمحتسب أن يعرفا أن الترهيب ليس عملاً عشوائياً يقوم به المرهب كيفما شاء وحسبما شاء، وليس عملاً يسير على وتيرة واحدة. بل إن الترهيب عملية تضعف وتشتد حسب ضعف السبب وقوته، إنها مراتب تبدأ بالقول لمن سمع وعقل وتدبر، وتنتهي بالعقوبة لمن عاند وجحد واستكبر. من هذا المنطلق كان لزاماً على الداعية أن يفرق بين نوعين من أنواع الترهيب: ماهو عن طريق التحذير باللسان، ونطلق عليه الترهيب القولي، وماهو عن طريق التنفيذ باليد، ونطلق عليه الترهيب العملي، وهذا التقسيم قائم على أسس عظيمة من الكتاب والسنة ومراعاة أحوال ومصالح الأمة، وسنبين ذلك من خلال الآتي:-

أولاً : وجود شواهد في كتاب الله تدل على أن الترهيب قولي وعملي:-

ومن الأمثلة على تلك الشواهد قوله تعالى ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً كَبِيراً﴾ (١). في هذه الآية يبين سبحانه وتعالى الطريقة المثلى لمعالجة المرأة الناشز فأمر سبحانه الزوج أن يعظها بلسانه ويغلظ عليها القول فإن أعتبت فلا سبيل عليها ، وإن أبت يهجرها فإن أبت الإياب إلى مايلزمها فله أن يضربها الضرب غير المبرح (٢) ، فإنزال العقوبة يكون بالتدرج ، فإذا عصت أول مرة رهبها بالقول فإن استعبت بالتوبيخ اللساني فحسن، وإلا انتقل إلى الترهيب الفعلي وهو الحجر والضرب.

ثانياً : العلاقة بين الترهيب وإنكار المنكر تقتضي ذلك:-

هناك علاقة قوية بين الإنكار والترهيب، فالمنكر أمر مُرَهَّبٌ منه ، والناهي عن المنكر مُرَهَّبٌ وهو إنما أنكر المنكر لحرصه على القائم عليه ونحن إنما نُرَهَّبُ لحرصنا على القائم على

(١) سورة النساء : جزء من الآية ٣٤

(٢) انظر تفسير الطبري (٤٠/٥-٤٤)

الفعل المُرهَّب منه . وكما هو معلوم أن للإنكار مراتب^(١) يدل عليه الحديث الذي رواه الإمام مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)^(٢) .

فالحديث "اشتمل على وجود مراتب للإحتساب لا تفرض تدرجاً يبدأ من الإحتساب باليد ثم باللسان ثم بالقلب كما يتصور البعض"^(٣) بل إن الترتيب في الحديث لدرجات تغيير المنكر من حيث القوة لا من حيث الدعوة، فأقوى وسائل تغيير المنكر اليد ثم اللسان ثم القلب ولا يعني هنا مجال أن تبدأ التقويم بالقوة"^(٤) بل تبدأ من الأخر إلى الأشد بالأسلوب الذي يحقق المنع والزجر ويؤدي إلى الامتثال وطاعة الأمر.

فوجود هذه المراتب للإنكار، ثم وجود علاقة بين الترهيب والإنكار- كما ذكرنا سابقاً- كل ذلك يحتم أن يكون هناك مراتب للترهيب أيضاً .

ثالثاً : مراعاة أحوال الناس تنادي بذلك :-

خلق الله سبحانه وتعالى الناس درجات متفاوتة في جميع شؤون الحياة، ومن ذلك التفاوت في قبول الحق أو رفضه، فهناك نفوس قوية تمثل الطاعة وتخاف الانزلاق في المعصية وهناك نفوس ضعيفة لا يثنيها عن غيرها ولا يردعها عن طغيانها إلا توفر أسباب القوة ، وفي هذا يقول الأستاذ محمد قطب: " إن من الناس من تكفيه الإشارة البعيدة فيرتجف قلبه ويهتز وجدانه ويعدل عما هو مقدم عليه من انحراف، ومنهم من لا يردعه إلا الغضب الجاهر الصريح، ومنهم من يكفيه التهديد بعذاب مؤجل التنفيذ، ومنهم لا بد من تقرب العصا منه، حتى يراها على مقربة منه، ومنهم بعد ذلك فريق لا بد أن يحس لذع العقوبة على جسمه لكي يستقيم"^(٥) .

(١) انظر مراتب الإنكار : إحياء (٢/٣٢٩-٣٣٣) وكتاب مختصر منهاج القاصدين (٢٧-١٢٩) مراجع سابقة ، وكتاب التشريع الجنائي لعبد

القادر عودة (١/٥٠٥-٥٠٩) دار الكتاب العربي - بيروت

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، الحديث ٤٩ (١/٦٩)

(٣) أصول الحسينية في الإسلام، د. محمد كمال الدين إمام (ص١٠٥) دار الهداية ، ط. الأولى ١٤٠٦ هـ

(٤) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، محمد عبد القادر (ص٧٢) طبعة دار الفرقان، الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ

(٥) منهج التربية الإسلامية ، محمد قطب (١/٢٣٦) ، دار الشروق، الطبعة الثانية

رابعاً : مراعاة مصالح الناس توجب ذلك:

وأما فيما يتعلق بمصالح الناس، فالشريعة الإسلامية وهي خاتمة الشرائع إنما جاءت لتحقيق مصالح الناس، ومصالح الناس تتفاوت ، وقد قسمها الفقهاء إلى ثلاثة أقسام: "ضرورات وحاجيات، وتحسينات" .

فالمصالح الضرورية: ما لا يمكن الحياة بدونها وتقوم عليها مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فقدت أو فقد واحد منها اختل نظام الحياة وعمت الفوضى وكثر الفساد ، وهذه الضروريات ترجع إلى خمس كليات هي: الدين ، والنفس ، والنسل ، والمال ، والعقل.

أما المصالح الحاجية فهي: أدنى من المصالح الضرورية مرتبة لأنه لا يترتب على فقدانها فساد واختلال في نظام الحياة ، ولكن يترتب على فقدانها إلحاق الحرج والضيق والمشقة بالناس. أما **المصالح التحسينية:** وتقع في المرتبة الثالثة من حيث احتياج الناس لها، وهي مصالح لا يترتب على فقدانها أمر ضروري أو حاجي وإنما يفقدها المرء جزءاً من سعادته (١) .

ووجه إرتباط هذه المصالح بالترهيب يتجلى في أن المعاصي الخطيرة في نظر الإسلام هي تلك التي تتعلق بالضروريات ، لذلك واجهها الإسلام بعقوبات شديدة وقاسية تختلف كمّاً وكيفاً عن المعاصي التي تتعلق بالمصالح الحاجية أو التحسينية .

من هذا المنطلق كان للترهيب دور خاص يتناسب مع ترتيب المصلحة الإنسانية وتفاوتها، فالعقوبة بسبب الاعتداء على الضروري أقواها، ودونها عقوبة ما يكون اعتداء على الحاجي، ودونها ما يكون في التحسيني، بل إن الضرورات ذاتها متفاوتة عقوبة ، فمثلا الاعتداء على الدين والنفس أشد من الاعتداء على المال والعقل، وهكذا كلما كانت المصلحة ضرورية، كان الترهيب أشد ، وبالتالي كلما ضعفت المصلحة ضعفت القوة الترهيبية .

خامساً: وجود وسائل للنوعين كليهما مقتبسة من الكتاب والسنة يساعدنا على ذلك:-

وسوف نتعرض لهذه النقطة بشيء من التفصيل في المبحث الثاني من هذا الفصل إن شاء الله تعالى.

(١) للاستزادة انظر: الموافقات للامام الشاطبي (٢/٨-١٢) ضبطه محمد دراز، دار المعرفة بيروت، وانظر: فلسفة العقوبة في الشريعة الإسلامية د.فكري عكاز(ص٣٢،٣٣) . ط. شركة عكاظ، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ، ونظام التجريم والعقاب مقارنة بالقوانين الوضعية، للأستاذ علي منصور (١/٦٦،٦٧) الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ

المبحث الأول

أنواع الترهيب

وفيه مطلبان

المطلب الأول : الترهيب القوي

المطلب الثاني : الترهيب العملي

المطلب الأول الترهيب القولي

تمهيد:

يتجلى هذا النوع من الترهيب ويتضح من خلال بيان المقصود منه، ودرجاته، والهدف من استخدامه ، وسنوضح ذلك بإذن الله تعالى فيما يلي :

أولاً: ماهية الترهيب القولي.

ثانياً: درجات الترهيب القولي وأمثله.

ثالثاً: هدف الترهيب القولي.

أولاً: ماهية الترهيب القولي:

الترهيب القولي: نسبة إلى القول، وهو ما تُرهبُّ به الناس، خاصة العصاة لأمر الشارع من عقوبة ستلحق بهم في الدنيا والآخرة، لزرهم وحميتهم من الوقوع في المعاصي والمفاسد. وهذا النوع من الترهيب ليس له شروط خاصة ولا أوقات خاصة، ويثبت لكل مسلم من آحاد الرعية علمائها وخطبائها ومربيها وعامتها. بشرط علمهم بالجليات المعلومة والواجبات الظاهرة كالصلاة والصيام ، والمحرمات المشهورة كالزنا والخمر ونحوها ، فلهم أن يمارسوها بما يحقق المنع والزر(١) ، ذلك لأن الترهيب القولي نصيحة وهداية وتعليم ووعظ وإرشاد ، وكل ذلك جائز في كل وقت ومناسبة ومن كل مسلم بشرط مراعاة ضوابط الترهيب (٢) .

ثانياً : درجات الترهيب القولي وأمثله :

فالترهيب القولي له درجات مختلفة، منها التعريف والوعظ والتعنيف والتهديد والتشهير، ومما ينبغي أن يلاحظ أن هذه الدرجات لا تمارس بالتدرج، بل تتدخل فيها المصلحة والحاجة ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يمكن استخدام إحدى هذه الدرجات منفردة، كما ويمكن الجمع بينهما في موقف واحد، والداعية الناجح كالطبيب الناجح يعرف بحاسته الدعوية مقدار الدرجات الترهيبية التي يحتاجها المدعو، ويعرف أين تكمن مصلحته ، وكيف يبدأ الترهيب؟ ،

(١) هذا مختصر ما ذكره الإمام النووي و الإمام الغزالي حول شروط النهي عن المنكر، وهو يناسب ما نحن بصدده، انظر شرح النووي على

صحيح مسلم (٢٣/٢) والإحياء للغزالي (٣٢٠/٢) مرجعين سابقين

(٢) انظر هذه الضوابط في المبحث الثاني من الفصل الأول (ص ٢٥-٤٦) من هذه الرسالة

ومن أي درجة يبدأ ؟ . وحتى تكون الفائدة أعم سنتعرض بشيء من التفصيل والبيان لتلك الدرجات من خلال بعض الأمثلة والشواهد على النحو التالي :-

أ- درجة التعريف:

ويكون إذا أقدم الفاعل على أمر مرهَّب منه وهو يجهل أنه منكر، فيجب تعريفه وتبيين حكم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم فيه، ويُذكر له ماورد في ذمه من نصوص، كل ذلك بلطف ولين ومن غير عنف ، لئلا يغضب الفاعل من كلام القائم على التهيب فيصر عناداً ولجاجاً في المعصية^(١) .

ومن أمثلة ذلك ما رواه الإمام مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه قال: (قلت: يارسول، الله ألا تستعلمني ؟ قال: فضرب بيده على منكبي، ثم قال: ياأباذر! إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها)^(٢) الملاحظ في هذا الحديث الشريف، أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يحذر أباذر رضي الله عنه من الولاية، لضعفه رضي الله عنه عن القيام بوظائفها لجأ عليه السلام إلى درجة التعريف بخطورتها، فوضح بأنها خزي وندامة في حق من لم يكن أهلاً لها، أو كان أهلاً ولم يعدل فيها فيخزيه الله تعالى يوم القيامة، ويفضحه ويندم على ما فرط^(٣) . وكان استعماله صلى الله عليه وسلم لهذه الدرجة غاية في اللطف واللين، بدليل أنه عليه السلام ضرب بيده الكريمة على منكب أبي ذر رضي الله عنه ، كما جاء ذلك في الرواية.

ومن ذلك ما رواه الإمام البخاري عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال عليه السلام: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قالوا: بلى يارسول الله، قال: الإشراف بالله وعقوق الوالدين - وجلس وكان متكئاً فقال - ألا وقول الزور).^(٤)

(١) انظر : إحياء علوم الدين للغزالي (٣٢٩/٢) مرجع سابق ، و نظام الحسبة في الإسلام لعبد العزيز المرشد ، (ص١٠٨-١٠٩) ، ط. مطبعة المدينة بالرياض.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة، حديث ١٨٢٥ (٣/١٤٥٧)

(٣) انظر: شرح النووي مع صحيح مسلم (٤/١٢/٢١٠)

(٤) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور، الحديث ٢٦٥٤ ، (٥/٢٦١)

وفي هذا الموقف أيضا استعمل صلى الله عليه وسلم درجة التعريف عند الترهيب من تلك المعاصي ولم يتخلل ذلك التعريف أي قسوة أو عنف، بل كان اللطف سمة بارزة في حديثه وتعريفه عليه السلام مع أصحابه (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر) .

ب- درجة الوعظ:

ويكون ذلك بالنصح والتذكير، وذلك فيمن يقدم على الأمر المرهب منه وهو عالم به، أو فيمن أضر عليه بعد أن عرفه، فينبغي أن يوعظ ويخوف بالله تعالى، ويُورَد عليه الأخبار الواردة بالوعيد في ذلك ونحكي له سيرة السلف، كل ذلك بلطف ومن غير عنف وغضب^(١)، ويجب إشعاره بشفقته عليه من عذاب الله في الدنيا والآخرة، من غير أن يصدر من المرهب اعتزازه بنفسه وصلاحه، واستحقاق الفاعل، لأن ذلك قد يكون له أثر سيء يؤثر في تحصيل المقصود^(٢)، ومن شواهد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لليهود المعاندين: (يامعشر اليهود ويلكم اتقوا الله، فوالله الذي لا إله إلا هو لتعلمون أني رسول الله حقاً وأنني جئتكم بحق فأسلموا)^(٣) فالرسول صلى الله عليه وسلم يواجه أعداءه له، وأي أعداء، إنهم أعداء من الدرجة الأولى، أعداء عرفوا الحق وعرفوا صدق نبوته ثم حادوا عن ذلك، أعداء الإصرار والعناد عشعش في قلوبهم، ومع ذلك لم يواجههم عليه السلام بعنف وغضب واحتقار، نعم الموقف اشتمل على الترهيب في قوله عليه السلام: (ويلكم اتقوا الله) لكن هذا الترهيب تخلله نصيح وتذكير كما هو واضح من أسلوب الخطاب .

ج- درجة التعنيف*

ويكون ذلك بزواجر الكلام الذي لا قذف فيه ولا سب مثل: يا جاهل، يا أحمق، يا فاسق، وما يجري هذا المجرى، لأن كل عاص فاسق والفاسق أحمق جاهل^(٤)، كما يمكن تعنيفه بكلام يحمل علامات الترهيب وأمارات عدم الرضا عن صنيعه، كأن يقول له إنك تطيع الشيطان بأفعالك وهو عدو لك

(١) انظر: الإحياء للغزالي (٣٣٠/٢)

(٢) انظر: نظام الحسبة في الإسلام لعبد العزيز بن مرشد (ص ١٠٩) مرجع سابق

(٣) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي عليه السلام وأصحابه، جزء من الحديث ٣٩١١، (٢٥٠/٧)

(٤) انظر: التشريع الجنائي في الإسلام لعبد القادر عودة، (٥٠٦/١)

* درجات التعنيف والتهديد والتشهير، هذه الدرجات من اختصاص الحاكم وليست من اختصاص الداعية، ذلك لان عمل الداعية لا يتعدى القول، والقول الحسن .

وسيردك المهالك، فاتق الله ودع ما أنت فيه من الفسق^(١) أما تسمع قول الله تعالى ﴿ إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ﴾^(٢) .

والقائم بالترهيب يعدل إلى هذه الدرجة عند العجز عن المنع باللطف وظهور مبادئ الإصرار . كما يجب على المرهَّب بهذه الدرجة أن لا ينطق إلا بالصدق، ولا يسترسل في التعنيف، فيطلق لسانه بما لا يحتاج إليه^(٣) .

ومن الشواهد على ذلك: ما رواه الإمام البخاري عن أبي ذر رضي الله عنه قال: (إني ساببت رجلاً فعيرته بأمه، فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم: يا أبا ذر. أعيرته بأمه!! إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم حولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم)^(٤) . والشاهد من الحديث، أنه عليه السلام استخدم الترهيب مع أبي ذر رضي الله عنه وكان ذلك بكلام يحمل علامات التعنيف دون التقييح (أعيرته بأمه) وقوله (إنك امرؤ فيك جاهلية)، ولم يسترسل عليه السلام في تعنيفه بشيء من فضول الكلام وقبيحه وكان هذا دأبه صلى الله عليه وسلم، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه الدعاة الذين يسرون على منهجه من بعده .

د-درجة التهديد*

وهو تهديد فاعل المعصية إن لم ينته عما هو عليه، فإن حكم الله العادل سينزل به وأنه سيضرب ويجلد أو يسجن أو يقتل أو أن عقاب الله سينزل به في آجل حياته، إلى غير ذلك من صيغ التهديد .

ويشترط في هذه الصورة ألا يهدده بوعيد غير مشروع ولا يمكن تحقيقه، كقوله: ليسبين الوالي زوجتك، أو ليحلقن لحيتك ، ولينهبن دارك ، لأنه إن قال ذلك عن عزم فهو حرام، وإن قاله من غير عزم فهو كذب. وله أن يبالغ في الترهيب في الأمور المشروعة إذا علم أن هناك إصراراً وعناداً، وإذا علم أن ذلك سوف يردعه، لأن الخلف في الوعيد كرم وليس بحرام^(٥) .

(١) انظر : نظام الحسبة في الإسلام لعبد العزيز بن مرشد (ص ١١٠)

(٢) سورة فاطر : الآية ٦

(٣) انظر : الإحياء للغزالي (٢/٣٣٠) وانظر التشريع الجنائي (١/٥٠٦) بتصريف، مرجعان سابقان

(٤) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية، حديث ٣٠ (١/٨٤)

(٥) انظر : الإحياء (٢/٣٣٢) ، نظام الحسبة في الإسلام (ص ١١٢) والتشريع الجنائي (ص ٥٠٧) مراجع سابقة

ومن الشواهد على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (ليس صلاة أثقل على المنافقين من الفجر والعشاء، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً، لقد هممت أن أمر المؤذن فيقيم، ثم أمر رجلاً يوم الناس ثم أخذ شعلاً من النار فأحرق على من لا يخرج إلى الصلاة بعد)^(١) فالرسول صلى الله عليه وسلم استخدم درجة التهديد عند ترهيب هؤلاء المنافقين، والتهديد الشديد "بسبب عناد المنافقين وإصرارهم على التخلف عن صلاة الجماعة رغم إشعارهم مسبقاً بضرورة حضورها"^(٢).

هـ- درجة التشهير*

وهذه الصورة تكون غالباً في المعاصي التي يعتمد فيها الشخص المرهَّب على السمعة الطيبة والسيرة الحسنة وثقة الناس، حيث يكون ظاهره عكس باطنه، ومن أمثلة ذلك الغش وشهادة الزور، وكل جرائم الاحتيال وعلى رأس ذلك كله جرائم النفاق، فينبغي أن يشهَّر بمثل هؤلاء حتى لا ينخدع به أحد، ويسلك بالتشهير كل طريقة تؤدي إلى تعريف أكثر عدد من الناس^(٣)، ومن أمثلة ذلك: مارواه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على صبرة طعام فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللاً فقال: ما هذا يا صاحب الطعام؟ قال أصابته السماء يا رسول الله، قال: أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس . من غش فليس منا)^(٤). لما علم صلى الله عليه وسلم أن ضرر صاحب الصبرة سوف يشمل كل من يشتري منه، لم يسكت عليه السلام ولم يستر عليه، بل رهبه مشهراً به أمام الناس قائلاً: (من غش فليس منا). وأيضاً مما يدل على ذلك: عن أبي مسعود عتبة بن عمرو رضي الله عنه قال: (خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن فيكم منافقين فمن سميت فليقم، ثم قال: قم يا فلان قم يا فلان قم يا فلان حتى سمى ستة وثلاثين رجلاً، ثم قال: إن فيكم -أو منكم- فاتقوا الله)^(٥).

(١) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الأذان، باب فضل العشاء في الجماعة، الحديث ٦٥٧ (١٤١/٢)

(٢) من صفات الداعية اللين والرفق، للدكتور فضل إلهي (ص ٤٤) مرجع سابق

(٣) انظر: فلسفة العقوبة في الشريعة الإسلامية، د. فكري أحمد عكاز (ص ٣٦٣) مرجع سابق

(٤) رواه الإمام مسلم، كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم من غشنا فليس منا، الحديث ١٠٢، (٩٩/١)

(٥) رواه أحمد في المسند (٢٧٣/٥) والطبراني في المعجم الكبير (٢٤٦/١٧) رقم ٦٨٧، تحقيق: حمدي السلفي، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١١٢/١) وقال: فيه عياض بن عياض عن أبيه، ولم أر من ترجمهما .

لما كانت جريمة النفاق من أخطر الجرائم وأشدّها أذى وإضراراً بالمسلمين، كان لابد من فضيحة أهله والتشهير بهم قدر الإمكان، وهذا ما فعله عليه السلام في خطبته .

ثالثاً: هدف الترهيب القوي

يهدف الترهيب القوي إلى إنشاء الخوف في قلوب الناس، وتفسير ذلك، أن الداعية من خلال الترهيب القوي يحرص على أن يزرع في قلوب الناس خوف الله والخشية منه أو من عقابه، وهو من خلال القول ينشط القلب ويوقظه لنداء الوعيد .. "وذلك حتى ترق تلك القلوب وتذوق طعم الإيمان، وترى السعادة في عبادة مولاها وطاعته، وترى الحرمان في البعد عنه سبحانه" (١)، ولتحقيق هذا الهدف ينبغي للداعية أن يراعي ويعرف مقامات الناس بالنسبة لهذا الترهيب، ومن هذه المعرفة يدخل عليهم بالترهيب. ومعلوم أن الناس في الخوف مقامات مختلفة منهم من يخاف فوات المكاسب الدنيوية، والحرمان من السعادة المادية والمعنوية والمتمثلة في سعة الأرزاق وكثرة الأولاد والعافية والراحة والأمن والذكر والثناء الحسن" ومنهم من يغلب على قلبه خوف الموت قبل التوبة، ومنهم من يغلب عليه خوف الاستدراج بالنعم، أو خوف الميل عن الاستقامة، ومنهم من يغلب عليه خوف سوء الخاتمة، ومن أقسام الخائفين من يخاف سكرات الموت وشدته أو سؤال منكر ونكير أو عذاب القبر، ومنهم من يخاف هيبة الوقوف بين يدي الله تعالى، والخوف من المناقشة والعبور على الصراط، والخوف من النار وأهوالها، أو الحجاب عن الله سبحانه وتعالى وكل هذه الأسباب مكروهة في أنفسها مخوفة" (٢) .

وعموماً فإن الداعية في ممارسته الترهيبية القولية يصادف قسمين من الناس: قسم استقاموا على الهدى، وقسم مالوا عن الإستقامة، فهؤلاء يرهبون من العقوبة على ميلهم، وهذا الترهيب ينشأ من ثلاثة أمور:

أحدها: تعريفه بالجناية وقبحها .

والثاني: تصديق الوعيد، وأن الله رتب على المعصية عقوبتها .

والثالث: أنه لا يعلم لعله يمنع من التوبة، ويحال بينه وبينها إذا استمر على إرتكاب الذنوب.

(١) معالم غائبة عن حياة المسلمين، ربيع السعدي (ص ١١١) الناشر دار معاذ للنشر، ط الأولى، ١٤٠٩ هـ

(٢) مختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة المقدسي (ص ٣٠٤) مرجع سابق

في هذه الأمور الثلاثة يتم له الترهيب وبحسب قوتها وضعفها تكون قوة الترهيب وضعفه، فإن الحامل على الذنب إما أن يكون عدم علمه بقبحه ، وإما عدم علمه بسوء عاقبته، وإما أن يجتمع الأمران ، ولكن يحمله عليه اتكاله على التوبة ، وهو الغالب على ذنوب أهل الإيمان.

فإذا علم قبح الذنب وعلم سوء مغبته، أو خاف ألا يفتح له باب التوبة بل يمنعه ويحال بينه وبينها، اشتد خوفه. هذا قبل الذنب، فإذا عمله كان خوفه أشد، وبالجملة فمن استقر في قلبه ذكر الدار الآخرة وجزاؤها وذكر المعصية والتوعد عليها، أو عدم الوثوق بإتيانه بالتوبة النصوح، هاج قلبه من الخوف وجزائها ما لا يملكه ولا يفارقه حتى ينجو.

ولعل الداعية عندما يُعاش آيات القرآن ويجد دعوة صريحة إلى ملء القلب بالخوف من الله تعالى، وخوف العقاب والوعيد أو خوف فوات وقت التوبة فينقل ذلك إلى المدعو المائل عن الاستقامة ويملاً قلبه به من خلال القول المؤثر، يلاحظ بأمر عينيه كيف تحقق ذلك الهدف الذي كان يصبو إليه، ألا وهو إنشاء خوف الله تعالى في القلوب، ومن أمثلة تلك الآيات التي يمكن استخدامها: قوله سبحانه: ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿فَاعْرَضُوا فَأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل حُطًى وأثل وشيء من سدر قليل﴾^(٢) وقوله سبحانه: ﴿يَأْيُهَا النَّاسِ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ، يَوْمَ تُرونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿يَأْيُهَا النَّاسِ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَاخْشَوْا يَوْمَ لَاجِزِي وَالِدٍ عَنْ وَلَدِهِ وَلَامُولُودٍ هُوَ جَازٍ عَنِ الْوَالِدِ شَيْئًا، إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغْرِبْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْرِبْكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾^(٤). هذا عن أصحاب القسم الأول الذين يخافون الله خوف الوعيد أو فوات التوبة أو رؤية قبح الذنب .

أما القسم الثاني ، وهم المستقيمون على الهدى فترهيبهم يكون من الخوف أن تنفلت أحوالهم من إيمان إلى غيره ومن يقين إلى عكسه، لعلمهم بأن الله مقلب القلوب ومامن قلب إلا وهو بين إصبعين من أصابع الرحمن عز وجل، فإن شاء أن يقيمه أقامه، وإن شاء أن يزيغه

(١) سورة النحل : جزء من الآية ١١٢

(٢) سورة سبأ : الآية ١٦

(٣) سورة الحج : الآية ٢٠١

(٤) سورة لقمان : الآية ٣٣

أزاعه^(١) كما ثبت في الصحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء)^(٢) فليس لأحد أن يحكم بأنه ثابت على الهدى حتى يلقي ربه، بل إن الأعمال بخواتيمها كم أخبر عن ذلك عليه السلام؛ حيث قال: (إن العبد ليعمل عمل أهل النار وإنه من أهل الجنة، ويعمل عمل أهل الجنة وإنه من أهل النار، إنما الأعمال بالخواتيم)^(٣) فأبي قرار ، وأي طمأنينة لمن هذه حاله !! ومن أحق بالخوف منه ؟.

ويكفي في هذا حديث عائشة رضي الله عنها قالت : قلت يارسول الله -صلى الله عليه وسلم- قول الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾^(٤) أهو الذي يزني ويسرق ويشرب الخمر؟؟ قال: (لا يابنت الصديق ولكنه الرجل يصوم ويتصدق ويصلي وهو يخاف أن لا يتقبل منه)^(٥) .

هذا بالإضافة إلى ما ينبغي أن يكون عليه الداعية من علم وبصيرة لأحوال المدعوين الجبلية منها والمكتسبة ، والمهم في ذلك أن يحقق الداعية من خلالها هدف الترهيب القوي، وهو إنشاء الخوف في قلب المدعو، لأنه متى تحقق ذلك في قلب الفرد أيقظ الوازع الإيماني، وإذا تربى هذا الوازع في الإنسان إشتدت صلته بربه وكان في ذلك قوة على الابتعاد عن طريق المعصية محبة لله وخوفاً من عقابه، إن لم يكن اليوم فغداً، فإن هناك يوماً آخر ستجزى فيه كل نفس بما كسبت ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(٦) .

وفائدة هذا الوازع يظهر عند خير القرون ، فقد بلغت القوة الإيمانية عندهم أن الرجل يأخذ ولده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقم عليه الحد ! ، بل وأعجب من ذلك أن يبادر الرجل بنفسه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ليطهره من الذنب !! وبماذا يطهره ؟ بالرجم !!

(١) انظر : طريق المهجرتين وباب السعادتين لابن القيم (ص ٤٠٠-٤٠٢)، معالم غائبة عن حياة المسلمين (ص ١٠١، ١٠٣، ١٠٤، ١١١) .

(٢) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء ، الحديث ٢٦٥٤ ، (٤/٢٠٤٥)

(٣) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب القدر، باب العمل بالخواتيم ، جزء من حديث ٦٦٠٧ (١١/٤٩٩)

(٤) سورة المؤمنون : جزء من الآية ٦٠

(٥) انظر صحيح سنن ابن ماجه (٤٠٩/٢) وسبق تخرجه في المبحث الثاني من الفصل الأول (ص ٣٣) من هذه الرسالة

(٦) سورة الزلزلة : الآية ٨،٧

إنه الخوف في أسمى صورته وأعظم معانيه . مما ذكر نفهم المعنى السامي لأهمية إنشاء مثل هذا الخوف في نفوس الناس .

المطلب الثاني الترهيب العملي

تمهيد:

الترهيب القولي قد لا يكفي رغم جلال قدره وعظيم تأثيره، وذلك لأن هناك نفوساً معاندة، الخراب في عقولهم أعمق من أن تؤثر فيه كلمات ترهيبية، وهناك نفوس غافلة يتأثرون بالكلمات عند السماع، فتذرف الدموع، وتقشعر الجلود، لكن سرعان ما يتبخر أثر تلك الكلمات^(١). بما فيها من وعظ ووعد ووعيد فكان لابد من وضع الترهيب العملي .

وسوف نتعرض لهذا النوع من الترهيب في هذا المطلب من خلال النقاط التالية :

أولاً: ماهية الترهيب العملي .

ثانياً: درجات الترهيب العملي ، وأمثله.

ثالثاً: هدف الترهيب العملي .

أولاً: ماهية الترهيب العملي

الترهيب العملي: نسبة إلى العمل، وهو مايقع على العاصي بالفعل من عقوبة دنيوية مثل الكفارات و التعزيرات و الحدود ومايستخدم بالفعل اتجاه غير المسلمين في الدعوة، مثل: الجهاد بالسيف، يقول ابن تيمية رحمه الله: "العقوبات التي جاءت بها الشريعة لمن عصى الله ورسوله نوعان، أحدهما: عقوبة المقدر عليه، من الواحد والعدد...، والثاني: عقاب الطائفة الممتعة، كالتى لا يقدر عليها إلا بقتال"^(٢). والمقصود به تأديب المرهَّب وزجره عملياً على جناية أو معصية ومنعه من العودة إليها، وردع غيره عن التشبه وسلوك طريقه، ويشترط لإقامة هذا الترهيب شروط خاصة موجودة في كتب الفقه، ولا مجال لذكرها هنا، وهذا النوع من الترهيب من اختصاص السلطان أو نائبه^(٣) أو من له ولاية ومسؤولية على غيره^(٤) أو نفسه^(٥) .

(١) انظر: الحل الإسلامي فريضة وضرورة، د. يوسف القرضاوي، (ص١٧٤، ١٧٥)، ط الثالثة ١٩٧٧م، الناشر دار وهبه، القاهرة

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣٤٩/٢٨) والسياسة الشرعية (ص١٢٥) ط. دار الكتاب العربي

(٣) خاصة إذا كانت من جرائم الحدود أو القصاص أو التعازير، انظر حاشية الروض المربع، عبد الرحمن العاصمي (٣٢٠/٧) ط. الثانية

١٤٤٠ هـ ، والعقوبة في التشريع الإسلامي لعبد القادر عودة (١/٥١٢)

(٤) كالزوج والأب على الزوجة والأبناء .

(٥) يقوم الإنسان بوضع عقوبة على نفسه عن طريق الكفارات إذا ارتكب معصية

وينبغي أن يعلم أن عوام وعلماء الناس ليس لهم أن يستخدموا وسيلة القوة - وهم يرهبون- لما قد تؤدي إليه من فوضى واضطراب وفتن، وقد يتسبب إنكار هذا المنكر في حصول منكر أعظم منه بكثير (١) .

ثانياً: درجات التزهيب العملي ، وأمثله :-

إن حمل المخالفين على الوقوف عند حدود الله تعالى بالعقوبات الشرعية وإزالة المفاسد والمنكرات عملياً أمر يقضي به الإسلام، ويلاحظ أن هذا التطبيق وهذه الإزالة تندرج تحت درجات معينة، أطلقنا عليها درجات التزهيب العملي ، وهذه الدرجات قد تكون مصحوبة باستخدام القوة، وقد تكون خالية منه، وتفصيل ذلك يكون على النحو التالي:-

أ- درجة استخدام القوة

ومما ينبغي أن يعلم أن التزهيب العملي الحاصل باستخدام القوة هو أقوى درجات التزهيب العملي وأعلاه، لمن له القدرة الكافية على هذا التزهيب، إلا إذا تعذر القيام باستخدام القوة خشية تفويت مصالح أعظم أو وقوع في مفاسد أكبر، فإنه والحالة هذه ينتقل إلى مادونه . ولاشك في تفاوت الناس في هذه القدرة، وأعظمهم قدرة في استخدام القوة الأمير أو من بيده سلطة الأمر والنهي ، لذا فهم أكثر من غيرهم مسؤولية في تنفيذ هذا التزهيب، سواء كان ذلك بإشهار السلاح وإحداث القتل، كما ظهر ذلك من غزوات النبي صلى الله عليه وسلم مع الكفار والجاحدين ، كما يدل عليه موقف الصديق رضي الله عنه مع المرتدين لما أصر على استخدام القوة معهم وقال : "والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة.." (٢) .

أو تكون هذه الدرجة من خلال القيام بالهدم والتكسير والإحراق، كما فعل ذلك صلى الله عليه وسلم في مسجد الضرار الذي اتخذه المنافقون، فأمر بإحراقه بعد هدمه (٣) . ومما يدل على ذلك أيضاً الحديث الذي رواه البخاري عن جرير البجلي رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ألا تريحي من ذي الخلصة؟ فقلت: بلى، فانطلقت في خمسين ومائة فارس من

(١) انظر: أحكام القرآن للحصاص (٢/ ٣١ ، ٣٢) ط. دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، وانظر: شرح النووي (٢/ ٥٢) ، وانظر: الحسبة في

الإسلام لابن تيمية (ص ٧٦) مرجع سابق .

(٢) انظر الحديث كاملاً (ص ٣١٩) من هذه الرسالة .

(٣) انظر: تفسير الطبري (١١/ ١٨) السيرة النبوية (٤/ ١٧١) وزاد المعاد (٣/ ٥٤٩) .

أحمس... قال: وكان ذو الخلصة بيتاً باليمن لختعم وبجيلة فيه نصب تُعبد، يقال له الكعبة، قال: فأتاها فحرقها بالنار وكسرها(١).

وقد تكون هذه الدرجة في صورة إيقاع القطع، أو الضرب والجلد، ومن شواهد ذلك الحديث الذي أخرجه البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: (قطع النبي صلى الله عليه وسلم يد سارق في مجن ثمنه ثلاثة دراهم)(٢)، ومن ذلك أيضاً مارواه عقبه بن الحارث رضي الله عنه حيث قال: (إن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بنعيمان- أو بابن نعيمان- وهو سكران فشق عليه، وأمر من في البيت أن يضربوه، فضربوه بالجريد والنعال، وكنت فيمن ضربه)(٣)

ب- درجة الجمع بين استخدام القوة وعدمها

وتظهر هذه الدرجة بوضوح من خلال المعاصي التي لم تحدد بعقوبات شرعية، كما في العقوبات التعزيرية، فللوالى أن يستخدم القوة، فيجلد ويضرب ويكسر، وقد يصل إلى القتل، وله أن يتنازل عن استخدام القوة بالتغريم والحبس والمقاطعة والنفي، يقول شيخ الإسلام: "والتعزير أجناس، فمنه ما يكون بالتوبيخ والزجر بالكلام، ومنه ما يكون بالحبس، ومنه ما يكون بالنفي عن الوطن، ومنه ما يكون بالضرب... ومن لم يندفع فساده في الأرض إلا بالقتل قتل مثل المفرق لجماعة المسلمين"(٤).

ومن الشواهد التي تدل على هذه الدرجة الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى خاتماً من ذهب في يد رجل فنزعه فطرحه، وقال: يعمد أحكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده فقيل للرجل بعدما ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم: خذ خاتمك وانتفع به...)(٥) الحديث.

الشاهد : استخدامه عليه السلام للقوة عند تهيب الرجل تظهر في قول الراوي (فنزعه فطرحه) فهنا فيه إشعار لإستخدام النبي عليه السلام لدرجة القوة. ثم تركه عليه السلام المكان بعد ذلك مباشرة فيه تهيب عملي لكن بدون وجود القوة .

(١) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب غزوة ذي الخلصة، حديث (٤٣٥٧/٨) (٧٠/٨)

(٢) المرجع السابق، كتاب الحدود، حديث ٦٧٩٨ (٩٧/١٢)

(٣) المرجع السابق، كتاب الضرب بالجريد والنعال، حديث ٦٧٧٥ (٦٥/١٢)

(٤) مجموع الفتاوى (١٠٧/٢٨، ١٠٨)

(٥) صحيح مسلم، كتاب اللباس، باب تحريم خاتم الذهب على الرجال، حديث ٢٠٩٠ (١٦٥٥/٣)

ج-درجة التهيب بدون استخدام القوة

وهذه درجة من الدرجات المهمة في التهيب العملي، ولها صور متعددة، قد تكون بالمقاطعة والهجر، يدل عليه موقف النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة من المتخلفين عن غزوة تبوك^(١). وقد تكون بعدم المخالطة و القعود في مجالس المعاصي والفسوق، كما جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعت آيات الله يُكفر بها ويُستهزأ بها، فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره﴾^(٢) ويقول الشيخ السعدي تعليقاً على الآية: وكذلك يدخل فيه حضور مجالس المعاصي والفسوق التي يستهان فيها بأوامر الله ونواهيه، وتقتحم حدوده التي حدها لعباده^(٣). وفي هذا الخصوص عقد البخاري في صحيحه باباً سماه (هل يرجع إذا رأى منكراً في الدعوة؟)- ثم ذكر قوله- (ورأى ابن مسعود صورة في البيت فرجع)^(٤).

ومن صور هذه الدرجة ظهور مايدل على التهيب عملياً دون وجود القوة، كوقوف النبي عليه السلام أمام حجرة عائشة رضي الله عنها، فقد روى الإمام البخاري عن عائشة (أنها اشترت تمرقة فيها تصاوير فقام النبي صلى الله عليه وسلم بالباب فلم يدخل...)^(٥) الحديث، ومن الشواهد على هذا ظهور الغضب على النبي صلى الله عليه وسلم لَمَّا رأى النخامة في المسجد، فقد روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنه قال: (بينما النبي صلى الله عليه وسلم يصلي رأي في قبلة المسجد نخامة فحكها بيده، فتغيظ...)^(٦) الحديث.

ثالثاً: هدف التهيب العملي

يهدف التهيب العملي إلى حفظ الضرورات الخمس لبني آدم لحماية مصالحهم، هذه الحماية قامت "لتحفظ على الناس مقومات حياتهم، ودعائم إنسانيتهم، والركائز الأساسية لتقدمهم وأمنهم، واستقرار حياتهم، وإبعاد شبح الجريمة عنهم. ذلك لأن الطباع البشرية والغرائز والشهوات والإنفعالات والعواطف تميل إلى قضاء الشهوة: واقتناص الملاذ وتحصيل

(١) انظر : القصة كاملة في (ص ٣٠١) من هذه الرسالة.

(٢) سورة النساء : جزء من الآية ١٤٠

(٣) تفسير السعدي (١٩٨/٢)

(٤) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب النكاح، حديث ٨٦ (٢٤٩/٩).

(٥) المرجع السابق باب من كره القعود على الصورة، حديث ٥٩٥٧ (٣٨٩/١٠)

(٦) المرجع السابق، كتاب الأدب، باب مايجوز من الغضب والشدة لأمر الله، حديث ٦١١١ (٥١٧/١٠).

مقصودها وكل محب لديها من الخمر والمخدرات ، والزنا، والتشفي بالقتل، وأخذ مال الغير، والاستطالة على الآخرين بالسب والشتم والضرب، خاصة من القوي على الضعيف، ومن العالي على الداني ، فاقتضت الحكمة الإلهية تشريع هذا النوع من الترهيب حسماً لمادة الفساد و زجراً عن ارتكابه، ليبقى العالم على نظم الاستقامة، وعلى المنهج السوي ، فإن إخلاء العالم عن إقامة الزواجر يؤدي إلى انحرافه واختلاله، وفيه من الفساد ما لا يخفى على عاقل مدرك^(١) من أجل ذلك فرض سبحانه وتعالى عقوبات مختلفة إما بنص قرآني أو حديث نبوي أو تقدير بقياس على ضوء ما جاء فيهما من نصوص، وفي سبيل تحقيق هذا الهدف، لابد من توفير الحماية لما يعرف بالضرورات الخمس الإنسانية .

وعن أهمية المحافظة على هذه الضرورات يقول الإمام الشاطبي: ومجموع الضروريات خمس وهي حفظ الدين والنفس والنسل والمال والعقل، وهذه الضرورات إن فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وتهارج وفوت حياة، وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم والرجوع بالخسران المبين^(٢) . ومما ينبغي أن يعلم أن هذه الضرورات " جميعاً مترابطة يكمل بعضها بعضاً؛ لأن النفس لو هلكت لانعدم من يتدين، ولو انعدم العقل لارتفع التكليف، ولو انعدم النسل لانقطع الجنس البشري، ولو انعدم المال لم تبق حياة"^(٣) .

و سنتعرض بشيء من التفصيل لتلك الضرورات لتكون تمهيداً للحديث عن الوسائل العملية ونماذجها^(٤) ، وذلك لارتباط هذه الضرورات بتلك الوسائل ارتباطاً وثيقاً، ويكون الحديث فيها على النحو التالي :

أ- حفظ الدين

إن الغاية العظمى التي خلق الإنسان من أجلها هو إقامة هذا الدين، قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾^(٥) . ومن هنا كان من الضروري حفظ هذا الدين من عبث العابثين ومن عناد المعارضين، أما العابثون فيتحقق ضررهم للدين من خلال الردة لذلك تواعد

(١) أثر تطبيق الحدود في المجتمع (ص ١٠، ١١) بحوث مقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامي الذي عقدته جامعة الإمام بالرياض ١٣٩٦هـ، ط. عام ١٤٠١هـ

(٢) انظر: الموافقات للشاطبي (٢/١٠-١٧) مرجع سابق

(٣) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، د. أحمد غلوش، (ص ٣٤)، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت

(٤) انظر نماذج الترهيب العملي في المطلب الثاني من المبحث الثاني في هذا الفصل (ص ١٠٧-١٢٢) .

(٥) سورة النازيات: الآية ٥٦

الله سبحانه هؤلاء المرتدين الذين تركوا الدين بعد أن آمنوا به مختارين، وانقادوا لأحكامه طائعين، فقال تعالى: ﴿ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾^(١) كما شرع لهم عقوبة شديدة في الدنيا والآخرة؛ لأن التهاون معهم تشويه لهذا الدين من أهله العالمين بحقيقته، وفي ذلك خطورة على الإسلام ذاته وتعاليمه، وأي خطورة أعظم من ذلك.

وأما الفئة الأخرى المعارضة للدين فقد شرع الله لهم عقوبة ترهيبية، وهي قتالهم، وفرض ذلك على المؤمنين فقال تعالى ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر﴾^(٢)؛ ذلك لأن التقصير مع هؤلاء معناه تعريض الدين للزوال، أو منع الانتشار على أقل احتمال.

ب- حفظ النفس

خلق الله سبحانه وتعالى النفس الإنسانية واعتنى بها أيما عناية، وكتب لها رزقها وأجلها منذ انعقادها جنيناً في بطن أمها، وأناط بها تعمير الكون، والرقى به، وجعل هذه النفس مصونة معصومة لاتنال إلا بحق، قال تعالى: ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾^(٣) فحفظ نفس الغير وصيانتها واجب شرعي، وليس لأحد أن يضر بنفس، بأي أنواع الضرر، ومن يفعل ذلك تورعه الله بقوله تعالى: ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً﴾^(٤). وإن كان هذا التحريم ثابتاً في اعتداء الإنسان على غيره، فإن ذلك كائن أيضاً في اعتداء الإنسان على نفسه، قال تعالى ﴿ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً﴾^(٥).

ج- حفظ النسل

إن من مظاهر تكريم الله لهذا الإنسان أن شرع طريقة توالده وتناسله بالكيفية التي تحقق مصالحه، فشرع سبحانه الزواج ونظمه تنظيماً دقيقاً، ليكون منه التوالد والتناسل الذي يمنع فناء الجنس البشري، قال تعالى: ﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين

(١) سورة البقرة: جزء من الآية ٢١٧

(٢) سورة التوبة: جزء من الآية ٢٩

(٣) سورة الإسراء: جزء من الآية ٣٣

(٤) سورة النساء: الآية ٩٣

(٥) سورة النساء: جزء من الآية ٢٩

وحفدة ﴿١﴾ . وفي المقابل شدد سبحانه وعيده لكل من يحاول الاعتداء على هذا النظام من خلال العلاقات غير الشرعية كما في جريمة الزنا، وقد أكد سبحانه حرمة بقوله ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً ، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً ﴿٢﴾ . كما حرم سبحانه انتهاك الأعراض والنيل منها وخذشها بالقذف بالزنى؛ فقال تعالى: ﴿إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة وهم عذاب عظيم﴾ ﴿٣﴾ .

د- حفظ المال

المال عصب الحياة، به قوام النفس الإنسانية، وهو وسيلة نافعة يحقق بها الفرد مصالحه الدنيوية والأخروية، حيث ينفق منه على نفسه وأسرته، أو تجود نفسه به في سبيل الله لمن يحتاجه. من أجل ذلك كان إهداره أو إتلافه أو الاعتداء عليه يشكل اعتداءً على هذه النفس التي حرم الله الاعتداء عليها.

ولقد حاربت الشريعة الإسلامية كل من يحاول الاعتداء على المال سواء بالسرقة أو الاحتيال أو النهب أو السلب، وقررت أن من مات دون ماله فهو شهيد ووضعت عقوبة عملية شديدة للشارق وقطاع الطريق جزاء عاجلاً وعادلاً لهم في الدنيا .

هـ- حفظ العقل

كرم الله تعالى الإنسان بالعقل ، وميزه عن سائر خلقه بعقله، وجعل مناط تكليفه عقله ، به يفكر ويركز ويتدبر ، وبه يتعلم ويعلم ، وبه يقدر الأمور خيرها وشرها ، يقول أبو الحسن الماوردي : "أس الفضائل وينبوع الآداب هو العقل، الذي جعله الله تعالى للدين أصلاً وللدنيا عماداً" (٤) ، لذا أمر الله بالمحافظة عليه وحرم الاعتداء عليه بشرب ما يفسده ويجعله يرتكب كل الموبقات، ذلك لأن الخمر يبعد الإنسان عن دينه وإيمانه، كما بين ذلك عليه السلام حين وضح أن شارب الخمر لا يشربها وهو مؤمن، كما وأنها تصرف الإنسان عن واجباته الدينية وأهمها

(١) سورة النحل : جزء من الآية ٧٢

(٢) سورة الفرقان : الآية ٦٨، ٦٩

(٣) سورة النور : الآية ٢٣

(٤) منهاج اليقين شرح أدب الدنيا والدين، لأبي الحسن الماوردي (ص٧) مطبعة محمود بك ، ١٣٢٨هـ

الصلاة والذكر، يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ
وَالْمَيْسِرِ وَيُصَدِّكُمُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾ (١) .

وقد أجمعت الشرائع كلها على ضرورة المحافظة على هذه الأمور ، وقد لخص الغزالي رحمه
الله ذلك كله فقال : "إن جلب المنفعة ودفع المضرة مقاصد الخلق، وصلاح الخلق في تحصيل
مقاصدهم ، لكننا نعني بالمصلحة المحافظة على مقصود الشرع ، ومقصود الشرع من الخلق
خمسة، وهو أن يحفظ عليهم دينهم وأنفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ
هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يُفوّت هذه الأصول فهو مفسدة ودفعها مصلحة،
وهذه الأصول الخمسة حفظها واقع في رتبة الضرورات، فهي أقوى المراتب في المصالح، ومثاله
قضاء الشرع بقتل الكافر المضل، وعقوبة المبتدع الداعي إلى بدعته، فإن هذا يُفوّت على الخلق
دينهم ، وقضاؤه بإيجاب القصاص ، إذ به حفظ النفوس ، وإيجاب حد الشرب إذ به حفظ
العقول التي هي ملاك التكليف، وإيجاب حد الزنى، إذ به حفظ النسل والأنساب ، وإيجاب
زجر الغُصَّاب والسراق، إذ به يحصل حفظ الأموال التي هي معاش لهم وهم مضطرون إليها.
وتحريم تقويت هذه الأصول الخمسة والزجر عنها يستحيل ألا تشمل عليه ملة من الملل وشريعة
من الشرائع التي أريد بها إصلاح الخلق ، ولذلك لم تختلف الشرائع السماوية في تحريم الكفر
والقتل والزنى والسرقه وشرب المسكر" (٢) .

(١) سورة المائدة : جزء من الآية ٩١

(٢) المستصفي للغزالي (١/٢٨٧-٢٨٨) ط. دار إحياء التراث العربي

المبحث الثاني

وسائل التهيب

وفيه مطلبان

المطلب الأول : وسائل التهيب القولية

المطلب الثاني : وسائل التهيب العملية

المبحث الثاني وسائل الترهيب

تمهيد:

تكلّمنا في المبحث السابق عن نوعي الترهيب القولي و العملي، وفي هذا المبحث سنوضح وسائل كل نوع في مطلبين مستقلين:

المطلب الأول : وسائل الترهيب القولي

المطلب الثاني : وسائل الترهيب العملي

المطلب الأول وسائل الترهيب القولي

لوسائل الترهيب القولية أشكال وصور متعددة، أظهرها الترهيب من خلال ضرب مثل، أو من خلال قصة، أو من خلال التأكيد بالقسم، وكل واحدة من تلك الوسائل^(١) لها دورها المميز والفعال في عملية الترهيب عند الدعوة إلى الله، وبيان ذلك يكون بإذن الله من خلال العناوين التالية:

الترهيب من خلال ضرب المثل

الترهيب من خلال القصة

الترهيب من خلال القسم

(١) الخلاف في العلاقة بين الوسيلة والأسلوب أيهما أخص وأيها أعم مازال قائماً، والمهتمون بالبحوث الدعوية يستندون إلى المصادر اللغوية في تحديد العلاقة بين الوسيلة والأسلوب، وقد أخذت برأي أستاذ من أساتذة الدعوة وهو د/ أحمد غلوش في هذا المطلب، فجعلت القسم والمثل والقصة وسائل دعوية، وفق ماجاء في كتابه الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها (ص ٢٧٣) وما بعدها.

الوسيلة القولية الأولى

الترهيب من خلال ضرب المثل

جاءت الأمثال في القرآن الكريم والسنة الشريفة كثيرة غزيرة، وذلك لما تتمتع به من أهمية في الدعوة الإسلامية، وقد أشار الإمام الزركشي إلى تلك الأهمية بقوله: "وضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور كثيرة، التذكير والوعظ والحث والزجر والاعتبار والتقرير وتقريب المراد للعقل وتصويره في صورة المحسوس"^(١)، ويضيف الإمام الأصبهاني إلى تلك الأهمية قوله: "لضرب الأمثال.. شأن ليس بالخفي في إبراز خفيات الدقائق، ورفع الأستار عن الحقائق، تريك المتخيل في صورة المتحقق، والمتوهم في معرض المتيقن، والغائب كأنه مشاهد"^(٢).

من هذا المنطلق كان لضرب المثل عند الترهيب في الدعوة إلى الله شأن عظيم، وتأثير عجيب، إذ إنه يعمل على تهيج انفعال الخوف، وتحريك عوامل الحذر، بما يحتويه من تشبيه الذنوب والآثام المعقولة وإبرازها في صورة المحسوس وتشبيه الغائب بالحاضر، مما يساعد على استقرار الترهيب في الأذهان. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن المعاصي تأخذ حقيها من النفور والكراهية والاشتمزاز إذا صيغت في قالب قبيح يناسب قبح المعصية!! والتمثيل هو القالب الذي يقوم بهذا الدور، فيصوغ المعاصي في صورة سيئة تأنفها النفوس وتستحقرها العقول، لذا كان لزاماً التركيز على ضرب الأمثال عند الترهيب والأمثال المرهبة خاصة" لأنها أوقع في النفس، وأبلغ في الوعظ، وأقوى في الزجر"^(٣)، بدليل أن المرء لو أراد الترهيب من الكفر-مثلاً- فإذا كان مجرداً من وسائل الإيضاح والتي منها ضرب المثل، لم يتأكد قبحه في العقول كما يتأكد إذا مثل بالظلمات أو بالعمى أو بشجرة خبيثة^(٤).

(١) البرهان في علوم القرآن/ للإمام الزركشي، (٤٨٧/١) تحقيق محمد أبو الفضل، ط دار إحياء الكتب العربية، ط. أولى ١٣٧٦هـ

(٢) الإتيان في علوم القرآن للإمام السيوطي، (١٣٢/٢) المكتبة الثقافية، بيروت لبنان، وانظر تفسير الألويسي (١٦٣/١) بمثله

(٣) مباحث في إعجاز القرآن، د. / أحمد جمال العمري (ص ١٦٨) ط. مكتبة الشباب ١٩٨٢م، ومباحث في علوم القرآن، الأستاذ/مناع القطان

(ص ٢٨٩) ط مكتبة دار المعارف، ط ثامنة ١٤٠١هـ-١٩٨١م

(٤) انظر هداية المرشدين، للشيخ علي محفوظ (ص ١٧٨) ط. دار الاعتصام، ط. التاسعة ١٣٩٩هـ

وصدق الله إذ يقول جل علاه: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾^(١) ويقول سبحانه: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ﴾^(٢) وسأذكر بالتفصيل خصائص الأمثال المستخدمة في مجال الترهيب القولي :

الأمثال وسيلة للترهيب القولي

الأمثال من الوسائل القولية الرئيسة التي يعتمد عليها الداعية بعد اعتماده على الله في ترهيب المدعو ، وذلك عائد إلى أسباب كثيرة منها :-

أولاً: القدرة العالية على الإقناع

فالأمثال تملك عناصر إقناعية عالية، تستطيع من خلالها أن تشحن عقل المدعو ونفسه بخطر الأمر المرهب منه، أو ضرره، أو على أقل الأحوال قبحه. وهذه العناصر تتمثل في التنفير، أو الذم والتحقير، أو إثارة جانب الخوف والحذر. يقول الإمام الزركشي: "تأتي أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر، وعلى المدح والذم، وعلى الثواب والعقاب، وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره، وعلى تحقيق أمر أو إبطاله"^(٣).

وقد أبرز علماء البلاغة قيمة هذه العناصر في التمثيل، فقالوا: اعلم أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني المخوفة حط من أقدارها، وشب من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس منها وإبعاد القلوب عنها، وقسر الطباع على البعد عنها خوفاً وخشية، فإن كانت ذمماً، كان مسه أوجع، وحده أحد، وإن كان تنفيراً، كان إبعاده أكثر وسلطانه أقهر، وإن كان تحذيراً، كان أشقى للصدر وأبلغ في التنبيه والزجر"^(٤).

وسوف نتطرق لهذه العناصر عملياً في أمثال القرآن والسنة، ولعلنا نلمح أثر هذه العناصر من خلال التعرض العملي للأمثال على النحو التالي:

(١) سورة الزمر : الآية ٢٧

(٢) سورة العنكبوت : الآية ٤٣

(٣) البرهان في علوم القرآن (٤٨٧/١)

(٤) انظر: أسرار البلاغة، للإمام عبد القاهر الجرجاني، (ص ١٠١، ١٠٢) مكتبة المتني، ط. الثانية ١٣٩٩هـ.

التنفير : يكون بإبراز جوانب قبح المرهب منه ، وكشفه عن طريق تمثيله بما هو مكروه للنفوس أو تنفر منه النفوس ، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة، اجثت من فوق الأرض ما لها من قرار﴾^(١) .

إن مثل الكلمة الخبيثة كشجرة خبيثة ضارة مؤذية ليست بنافعة مكروهة المنظر والرائحة، وهي مع ذلك استأصلت كل صلة جذرية لها بالأرض، فهي مقطوعة الصلة بالعوامل القادرة على إنمائها، فليس لها فروع نامية في السماء حتى تنفع في ظل أو حطب، وليس لها ثمر يستفيد منه إنسان أو حيوان، وهكذا الكلمة الخبيثة مثل كلمة الكفر، وكلمة الإثم والظلم والعدوان، والغيبة والنميمة وشمم الناس وكلمة الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف إلى غير ذلك من الكلمات الخبيثات التي تقذف إلى أسماع الناس من فم قائلها، فتؤذيهم أو تضرهم أو تفسدهم. لا يصعب على من تدبر هذا المثل أن يلاحظ مافيه من تصوير ينفر العقلاء من الكلمة الخبيثة ومثل ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (مثل الذي يرجع في صدقته كمثل الكلب بقيء ثم يعود في قيئه فيأكله)^(٢) . لا يخفى على من تدبر هذا المثل مافيه من صورة كريهة تشمئز وبالتالي تنفر منه النفوس السليمة.

أما الذم والتحقير : فيكون أيضاً بتشبيه من ضرب به المثل بصورة تحمل منظر الحقارة كما في قوله تعالى: ﴿مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا﴾^(٣) فهذا مثل اشتمل على ذم بني إسرائيل بالجهالة المساوية لجهالة البهائم؛ حيث إن التمثيل بالحمار أبلغ في الذم من التمثيل بغيره من البهائم، لاشتهار الحمار عند الناس بالبلادة والغباء .

ومن الشواهد التي يلاحظ فيها التحقير، قوله تعالى: ﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا﴾^(٤) هنا تحقير للحياة الدنيا لمن اتخذها أكبر همه !! وتهوين من شأنها وشأن لذاتها

(١) سورة إبراهيم : الآية ٢٦

(٢) صحيح مسلم، كتاب الهبات، باب تحريم الرجوع في الصدقة، الحديث ١٦٢٢ (٣/١٢٤٠)

(٣) سورة الجمعة : جزء من الآية ٥

(٤) سورة الكهف : الآية ٤٥

ومتاعها وسرعة زوالها وفنائها، بدورة من دورات الربيع الخضراء النضرة!! لكن سرعان ماتذبّل وتصفر، ثم يتكسر الزرع ويتحطم، ثم يزول ويفنى، وتعود الأرض جرداء غيراء.

أما إثارة جانب الخوف والحذر: فيكون بابتعاد الإنسان بمحرض ذاتي عما يراود إبعاده عنه، ويمثل ذلك قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تَرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ، فَتَرَكَ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (١).

فقد صور المثل المنفق رياء بزراع على صخرة صماء ملساء، عليها طبقة رقيقة من التراب، وعند نزول الغيث من السماء يجرف التراب ومازرع فيها لعدم وجود أرض سميكة تمتص الغيث، وكذلك قلب المرائي ونفسه ينجرف عنهما غيث رحمة الله، كما ينجرف الوايل عن الصفوان.

فهنا إثارة لمحور الخوف في الإنسان ليكون على حذر من إبطال الصدقات بالمن والأذى، وليكون لديه محرض ذاتي يبعده عما يبطل صدقاته (٢).

ثانياً: استيعاب أصناف المدعوين:

فالأمثال احتوت ترهيباً أصناف المدعوين، فمن خلال هذه الوسيلة يستطيع الداعية أن يرهب الكافر والمنافق والمؤمن العاصي. هذا من جهة ومن جهة أخرى، فالأمثال تصف الحالة السيئة لكل طائفة وتبينها بياناً شافياً، مما يجعل المستمع يتمنى ويحرص أن يكون مع الطائفة الناجية، ويتعد عن الطائفة الخاسرة.

وسوف نستعرض بعض الأمثلة التي تبين قيمة كل طائفة وقيمة عملها.

الكافرون: يقول سبحانه في حق هؤلاء الكافرين: ﴿وَمَثَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعُقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دَعَاءَ وَنِدَاءَ صَمٍ بِكُمْ عَمِي فَهَم لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٣) فهؤلاء الكافرون استوى لديهم الإنذار وعدمه، لذلك شبههم تعالى بقطيع من البهائم التي تسمع صيحات راعيها ولا تفهم

(١) سورة البقرة: الآية ٢٦٤

(٢) انظر هذه العناصر بتوسع في كتاب الأمثال القرآنية للأستاذ عبد الرحمن الميداني، تحت عنوان أغراض الأمثال القرآنية (ص ٥٥-٧٦) دار النظم

بيروت لبنان، ط. أولى ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م

(٣) سورة البقرة: الآية ١٧١

دلالات مايقول، بل إنهم في الحقيقة أضل من الأنعام، ذلك لأنهم أعطوا أدوات الفطرة السليمة بخلاف الأنعام التي لم تؤت أدوات الكمال في أصل فطرتها؛ لذلك يقول تعالى عنهم: ﴿أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾^(١).

فالكافر عطل أدوات الكمال من سمع وبصر وعقل بغشاوة الكفر، لذا فهو كالأعمى والأصم، يقول تعالى عنهم: ﴿مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلاً؟ أفلا تذكرون﴾^(٢)، وفي هذا الصدد يقول القاضي عبد الجبار الهمداني رحمه الله: "إنهم لما لم ينتفعوا بهذه الحواس والآلات فيما خلقت له وأنعم عليهم بها لأجله، صاروا كأنهم قد سلبوها"^(٣). بل إن كفرهم أودى بهم إلى درجة الأموات!! نعم هم أحياء في الواقع الحسي الظاهر لكن في الواقع الإيماني هم بلا أرواح، يقول تعالى: ﴿وما يستوي الأحياء ولا الأموات، إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور﴾^(٤).

ونتيجة للمستوى الذي عليه الكافر من الحيوانية، والعمى والصمم، والجسد الذي بلا روح، نتيجة لذلك كله فإن أعمالهم ضياع!! ونفقاتهم هباء! وفي ذلك يقول سبحانه ﴿مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرُونَ مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد﴾^(٥) فأعمالهم في ضياعها كالرماد الخفيف الدقيق الذي لا يقوى أمام الريح الشديدة العاتية في اليوم العاصف! فكما لا يستطيع صاحب الرماد أن يجمع رماده في ذلك اليوم، فكذلك الكافر لا يستطيع الانتفاع بعمله، حتى ولو كان عملاً صالحاً. يقول تعالى: ﴿مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته﴾^(٦)

(١) سورة الاعراف : جزء من الآية ١٧٩

(٢) سورة هود : الآية ٢٤

(٣) متشابه القرآن للهمداني (٥٨/١) تحقيقك د. عدنان محمد ، ط. دار التراث القاهرة

(٤) سورة فاطر : الآية ٢٢

(٥) سورة إبراهيم : الآية ١٨

(٦) سورة آل عمران : الآية ١١٧

وكما شملت أمثال القرآن الكافر ترهيباً، فكذلك الأمثال النبوية لم تغفل عنه، وفي هذا الصدد يقول صلى الله عليه وسلم: (مثل الكافر كمثل الأرزة المجذبة^(١)) على أصلها لا يفيئها شيء حتى يكون المجعافها مرة واحدة^(٢)، فالكافر قليل الآلام والمصائب في هذه الدنيا، كشجرة الصنوبر القوية الثابتة في الأرض المنتصبة عليها، والتي لا يصيبها شيء نتيجة لتلك القوة وذلك الثبات، حتى يكون انقلاعها مرة واحدة، والشاهد من هذا يوضحه الإمام النووي بقوله: "إن المؤمن كثير الآلام في بدنه أو أهله أو ماله وذلك مكفر لسيئاته، ورافع لدرجاته، وأما الكافر فقليلها، وإن وقع به شيء لم يُكفّر شيئاً من سيئاته، بل يأتي بها يوم القيامة كاملة"^(٣).

المنافقون : فهم لا يقلون بنفاقهم مستوى عن الكافرين في العمى والصمم والبكم، ذلك لأنهم استبدلوا نور الإيمان بظلام الكفر، ويقرر الله تعالى ذلك بقوله سبحانه: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظِلْمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ، صَمٌّ بَكْمٌ عُمِيٌّ فَهُمْ لَا يُرْجِعُونَ﴾^(٤) فهذا هو المنافق الذي يظهر إيمانه ويخفي كفره، لا ينفعه نور إيمانه الظاهر، وذلك مثله كمن استوقد ناراً لينتفع بها، فبينما هو كذلك إذ أذهب الله بصره فتركه في ظلمة، فهو لا ينتفع بالنار الموقدة، ولا يأخذ منها سوى الدخان وناتج الاحتراق، وكذلك المنافق لا ينفعه إيمانه الظاهر في الآخرة، بل سيكون وبالاً عليه !!

(صم.. بكم.. عمي) صورة منفرة للنفاق وأهله !! وهم كذلك لأنهم لم ينتفعوا بحواسهم في تقوية إيمانهم وإصلاح أنفسهم وتهذيب خلقهم، فلما لم ينتفعوا بهذه الحواس والأعضاء فيما خلقت له وأنعم عليهم بها لأجله، صاروا كأنهم قد سلبوها، وبسلب هذه الحواس، أصبحوا صنفاً ممسوخاً مطموساً لأناس لا يتجاوبون^(٥).. أشباح بلا أرواح، وأجسام بلا أحلام، كأنهم

(١) المجذبة : الثابتة المنتصبة. المجعافها : انقلاعها (انظر: شرح النووي مع صحيح مسلم ١٥٣/١٧/٦)

(٢) صحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب مثل المؤمن كالزرع ومثل الكافر كشجرة الأرز، جزء من حديث ٢٨١٠

(٤/٢١٦٣)

(٣) شرح النووي مع صحيح مسلم (١٥٣/١٧/٦)

(٤) سورة البقرة : الآية ١٧، ١٨

(٥) في ظلال القرآن (٣٥٧٤/٦)

خشب مسندة إلى حائط لا يسمعون ولا يعقلون^(١) يقول تعالى عنهم: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ خَشَبٌ مَسْنَدَةٌ﴾^(٢) فهم ليسوا خشباً بلا حركة لها فحسب، إنما هي مسندة بغيرها نتيجة لتآكلها!! لوحة تثير النفور والازدراء بكل ماتعنيها هذه الكلمة من معنى ، ولو بحثنا عن سبب وضعهم في هذه اللوحة المنفرة، لوجدتهم: مترددين بين معسكر الإيمان ومعسكر الكفر، هذا التردد وضحه صلى الله عليه وسلم في قوله: (مثل المنافق كمثل الشاة العائرة)^(٣) بين الغنمين، تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة^(٤) . هذا التردد إنما قبحه صلى الله عليه وسلم، لأنه ناتج عن الشك في دين الله ، ولأنه ليس هناك مبدأ يسير عليه المنافق، وهو يفتقد إلى عنصر الإخلاص في جميع أعماله وأحواله، وبالتالي لا أثر لأي عمل يقوم به، يقول صلى الله عليه وسلم: (مثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة، ريحها طيب وطعمها مر)^(٥) ، فالمنافق وإن عمل عملاً صالحاً في حقيقته ، إلا أن مردود هذا العمل سيء في ثمرته وفي نتاجه - كالريحانة- ريحها طيب وطعمها مر.

فالقارىء أو السامع لهذه الأمثال يتولد عنده شعور بفداحة الضرر الذي يجره لنفسه إن سار في درب النفاق، وينفعل إنفعالاً سلبياً تجاه هذا البلاء العظيم، ويلتمس النجاة بكل قواه من هذا الداء الوبيل، وبذلك يؤدي التمثيل غرضه لتحقيق هدف هذا الترهيب، ألا وهو إستقامة السلوك وانتهاج الصراط المستقيم^(٦) .

المؤمنون: فقد استوعبتهم الأمثال ترهيباً أيضاً ، وذلك أن المؤمن بحكم بشريته قد يرتكب معصية ناسياً، أو جاهلاً، أو راغباً، فتأتي الأمثلة فتذكره إن كان ناسياً، وتعلمه إن كان جاهلاً وتحذره إن كان راغباً.

(١) تفسير القرطبي (١٢٥/١٨)

(٢) سورة المنافقون : جزء من الآية ٤

(٣) العائرة : المترددة الحائرة لاتدري أيهما تتبع (هامش صحيح مسلم ٢١٤٦/٤)

(٤) صحيح الإمام مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، الحديث ٢٧٨٤ (٢١٤٦/٤)

(٥) صحيح الإمام مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة حفظ القرآن، الحديث ٧٩٧ (٥٤٩/١)

(٦) انظر: القرآن الكريم رؤية تربوية ، لزهير محمد كحالة، تدقيق محمد الكيلاني، دار الفكر عمان ، ط. الأولى ١٤٠٢هـ.

ومن الشواهد القرآنية على الأمثال التي يقصد منها ترهيب المؤمن حال ارتكابه معصية قوله تعالى: ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ (١) هذه الآية الكريمة فيها نهي الله للذين آمنوا عن بعض القبائح الاجتماعية، وهي الظنون الضعيفة، والتجسس على المسلمين، والغيبة .

وللتفكير الشديد من الخصلة لأخيرة - الغيبة - ضرب الله مثلاً لمن يغتاب أخاه المسلم بصورة كريهة قبيحة وهي أكل لحمه؟ وليت الأمر وقف عند هذا الحد بل إن أكله يكون حال موته !! فمن يستطيع أن يتحمل مثل هذا المنظر المقزز! إنها فعلاً صورة كريهة تقبح الغيبة في نفوس المؤمنين.

ومن الأمثال التي احتوت ترهيباً للمؤمن أيضاً قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ، وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا، إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزَاهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا﴾ (٢) في هذا المثل ترهيب من نقض العهد والمواثيق، وذلك بتشبيه من يفعل ذلك بالمرأة الحمقاء التي من شأنها أن تغزل صوفها، حتى إذا أكملته وأبرمته إبراماً مناسباً، عادت فنقضته وجعلته أنكاثاً كحالته الأولى ، كذلك حال الذين ينقضون عهودهم ومواثيقهم ، يرتكبون حماقة تشبه حماقة هذه المرأة ، وهذه حماقة مما ينفر العقلاء منه (٣) .

وجاءت الأمثال النبوية تحمل ترهيباً للمؤمن، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (مثل الذي لا يتم ركوعه، وينقر في سجوده مثل الجائع يأكل التمرة والتمرتين لاتغنيان عنه شيئاً) (٤) ففي هذا الحديث شبه صلى الله عليه وسلم المصلي الذي لا يطمئن في ركوعه وسجوده بجائع أكل تمره أو

(١) سورة الحجرات : الآية ١٢

(٢) سورة النحل : الآية ٩١-٩٢

(٣) انظر : الأمثال القرآنية (ص٥٩، ٦٠) بتصرف واختصار

(٤) صحيح ابن خزيمة، باب إتمام السجود والرجوع عن انتقاصه... ، حديث ٦٦٥ (٣٣٢/١) تحقيق: د. محمد الأعظمي، الناشر المكتب الإسلامي بيروت-لبنان، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، وأورده الهيثمي في المجمع، وقال: رواه الطبراني في الكبير وأبو يعلى، وحسن إسناده واللفظ له.

تمرتين، فلم يرد جوعه، وكذلك من لا يتم ركوع صلاته وسجوده، لاتغنيه صلاته هذه بالحسنات.

ثالثاً - تشبيه العقول بالمخسوس:

فالأمثال الترهيبية تستمد عناصرها من الطبيعة، لتظل قريبة من الإنسان تعيش معه، قريبة من فهمه، تستنزل المعاني الصعبة وتجعلها في متناول العقل الإنساني، ومن أجل ذلك وحتى يؤدي المثل الترهيبى الدور المطلوب، رأينا يتخذ من الطبيعة ميداناً يقتبس منها صوراً، فمن نباتها نرى الشجرة الخبيثة، ومن حيواناتها نرى الحمار والكلب والشاة، ومن حشرات البعوض والعنكبوت، ومن طيورها نرى الهدهد، ومن أحجارها نرى الصفوان الذي عليه تراب، وإنما كان الأمر كذلك، لأن المثل لا يقصد الإهتمام بالممثل به بقدر اهتمامه باقتراب الصورة في نفس المدعو ليشد وضوحها ويحصل تأثيرها^(١).

وقد وضحنا ذلك ببعض الأمثلة في الصفحات السابقة، ولأبأس بذكر هذا المثل الترهيبى الذي اقتبس من حيوانات الطبيعة أحيثها وأحسها نفساً، وضربه مثلاً لحال من أعطاه الله علماً فلم ينتفع به، وإنما اتبع أهواء نفسه، فانخط بذلك إلى منزلة هذا الحيوان الخبيث، وفي ذلك يقول المولى جل علاه: ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين . ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه، فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث، ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾^(٢).

ووجه الشبه في المثل أن العالم المنحط في شهوات نفسه وأهوائها، شديد اللهث على الدنيا، قليل الصبر عنها، فلهته نظير لهث الكلب الدائم في حال إزعاجه^(٣).

وهكذا رأينا كيف اشتملت هذه الوسيلة على كثير من الخصائص التي تعمل على إثارة الخوف والحذر في النفوس مع إستيعابها لطوائف الناس المخاطبين، مما جعل لها الصدارة لتكون ضمن وسائل الترهيب القولية المهمة، لتقوم بدورها عند البلاغ بقوة وواقعية وتأثير.

(١) انظر: الدعوة الإسلامية د. / احمد غلوش (ص ٣٧٥)

(٢) سورة الاعراف: الآية ١٧٥-١٧٦

(٣) انظر: بلاغة القرآن لمحمد الحضر حسين (ص ٣٤) تحقيق علي التونسي، المطبعة التعاونية ، ط. ١٣٩١ هـ

الوسيلة القولية الثانية الترهيب من خلال القصة

تحتل القصة الترهيبية مكانة رفيعة في الإثارة وجذب الانتباه، لهذا عني الإسلام بها وجعلها وسيلة توجيه وإصلاح بما تحمله من وعيد وتهديد .

ويضم القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة مجموعة من أحسن القصص، لكن يلاحظ أن القرآن لا يعرض قصصه بحيث يجمع معاني الترغيب في جهة ومعاني الترهيب في أخرى، فالقرآن ليس كتاب أبواب، بل هو كتاب هداية يعرض القصة الواحدة حاملة بين طياتها صنوف الترغيب والترهيب، وضروب الوعد والوعيد، وعلى ذلك المنهج سارت السنة في أحاديثها، فكان عليه السلام يجلس بين أصحابه يذكرهم ويعظهم ويوعدهم ويخوفهم. وعلى هذا الأساس، فإن القصة في القرآن والسنة تشتمل على كثير من المرهبات والمخوفات التي تظهر في ثناياها، فتحدث دويماً هائلاً وتثير زلزلة رهيبية.

لذا كان على الداعية عند استخدام القصة كوسيلة ترهيبية أن يراعي مآذرك، وذلك بأن يركز على الهدف الترهيبية الذي يرجو تحقيقه، ومن ثم يتخير من القصص القصة المناسبة التي تدعو إليها الحاجة والمقام، ويتلمس من القصة الجانب الذي يمس حاجته، والذي يريده الداعية من المدعو؛ لأن لكل جانب من جوانب القصة أهدافاً مستقلة، مقصودة لذاتها، "ووضع الحدث بجوار الهدف، وجزء القصة أمام الغرض من سياقه، أدخل في النفس وأقوى في التأثير، مما لو ذكرت كاملة عند هدف واحد، أو عند أهداف متباينة ومناسبات مختلفة" (١) .

ويمثل ماقلناه قصص الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين مع أقوامهم، فهذا نوح عليه السلام لبث حياة طويلة -ألف سنة إلا خمسين عاماً- تخللتها مواقف عظيمة تسترعي الانتباه: موقف الصبر الطويل والدعوة ليلاً ونهاراً ﴿قال رب إنني دعوت قومي ليلاً ونهاراً﴾ (٢)، وموقف

(١) اللآلئ الحسان في علوم القرآن، للدكتور موسى لاشين (ص ٢٦٠) ط. مطبعة الفجر الجديد

(٢) سورة نوح : الآية ٥

العاطفة الأبوية ﴿يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين﴾^(١)، وصنع السفينة ﴿ويصنع الفلك﴾^(٢)، وموقف الإنجاء ﴿فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون﴾^(٣). لكن في مقام الترهيب ينبغي للداعية التركيز على قوله تعالى: ﴿وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوماً عمين﴾^(٤) وقوله سبحانه: ﴿إن تسخروا منا فإننا نسخر منكم كما تسخرون، فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم﴾^(٥) وقوله سبحانه: ﴿فأخذهم الطوفان وهم ظالمون﴾^(٦) وقوله سبحانه: ﴿ففتحننا أبواب السماء بماء منهمر، وفجرنا الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قدر﴾^(٧).

ومما يجب التنبيه عليه عند استخدام القصة في البلاغ وسيلة للترهيب القولي: أنه ليس المقصود بها تلك القصص التي وقعت في الأمم السابقة للدعوة المحمدية فقط، بل الداعية يمكنه أن يقص أحداثاً وقعت في عهد النبوة، قرآنية كانت أو نبوية. ومن أمثلة ذلك: ما وقع في بدر وأحد وحين وبيعة الرضوان، وحديث الثلاثة الذين خلفوا^(٨)، وقصة الشاب الذي جاء يستأذن الرسول صلى الله عليه وسلم في الزنى، إلى غير ذلك من قصص وردت في السيرة النبوية الصحيحة، يصوغ الداعية أحداثها في صورة قصص تحمل الترهيب للمنكرين والمعاندين والمستهترين والمسوفين، والمهم في ذلك كله أن يحدث العبرة والعظة في نفوس المخاطبين.

(١) سورة هود : جزء من الآية ٤٢

(٢) سورة هود : جزء من الآية ٣٨

(٣) سورة الشعراء : الآية ١١٩

(٤) سورة الأعراف : جزء من الآية ٦٤

(٥) سورة هود : الآية ٣٨-٣٩

(٦) سورة العنكبوت : جزء من الآية ١٤

(٧) سورة القمر : الآية ١١-١٢

(٨) انظر: بحوث في قصص القرآن، السيد عبد الحافظ عبد ربه (ص٤٨) دار الكتاب اللبناني، ط. الأولى عام ١٩٧٢م

القصة وسيلة للترهيب القولي

القصة من الوسائل القولية المهمة عند ترهيب المدعو، والأخذ بيده للنجاة، وذلك عائد

للأسباب التالية :

أولاً: أنها ربانية الصنع

وفي ذلك يقول الله جل ثناؤه: ﴿لنحْنُ نقص عليك أحسن القصص﴾^(١) ، هذا فيما يخص القصة القرآنية ، أما القصة النبوية فمعلوم بالضرورة أن ماينطق به صلى الله عليه وسلم إنما هو وحي يوحى من ربه. إذاً القصة بشطريها القرآني والنبوي معصومة من الهوى، بعيدة كل البعد عن الخيال والخرافات والمبالغات، فكل معانيها ومدلولاتها وشخصياتها وأحداثها حقاً ثابتاً وصدقاً خالصاً، وصدق تعالى إذ يقول: ﴿إن هذا هو القصص الحق﴾^(٢) ، ويقول سبحانه ﴿لنحْنُ نقص عليك نبأهم بالحق﴾^(٣) .

ثانياً: القصة الترهيبية في القرآن والسنة تحقق الهدف من العمل الدعوي :

فإذا كانت قصص القرآن والسنة بوجه عام تهدف إلى أغراض حمة، فإن القصة الترهيبية في القرآن والسنة إنما تساق لإفادة العبرة والعظة بما تحدثه من خوف ورهبة في قلوب الناس عند ذكر ما حل بالأمم الغابرة من هلاك ودمار، يقول تعالى: ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب﴾^(٤) ، ويقول: ﴿وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين﴾^(٥) . من أجل ذلك كان لابد من التركيز على عقوبة الأمم عند استخدام الترهيب وجعلها مادة أساسية في الغرض الدعوى ، فمثلاً الطوفان في قصة نوح عليه السلام، والصيحة المدمرة في قصة صالح عليه السلام، والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والسنين ونقص من الثمرات في قصة موسى عليه السلام، والآفة السماوية التي أدت إلى

(١) سورة يوسف : جزء من الآية ٣

(٢) سورة آل عمران : جزء من الآية ٦٢

(٣) سورة الكهف : جزء من الآية ١٣

(٤) سورة يوسف : جزء من الآية ١١١

(٥) سورة هود : الآية ١٢٠

استتصال النباتات والأشجار في قصة صاحب الجنتين، والريح العاتية في قصة هود عليه السلام، والطير الأبايل التي تحمل في مناقيرها حجارة العذاب في قصة أصحاب الفيل،.. إلى غير ذلك مما ذكر في القرآن والسنة الصحيحة. هذه العقوبات جديرة بأن تحدث دويماً هائلاً في الفكر الإنساني، وتجعله-لا شعورياً- يسأل ويبحث عن السبب؛ لثلا يقع فيما وقعوا فيه، فيجد ذلك حاضراً واضحاً فيما قصه تعالى في كتابه ، وقد فصل سبحانه سبب إهلاك كل قوم، وهذا واضح ومشاهد في معظم قصص القرآن والسنة، كما أوجز سبحانه ذلك في قوله : ﴿ ألم يأتكم نبؤ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسالهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا: إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب، قالت رسالهم: أفي الله شك فاطر السموات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى قالوا: إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وقال الذين كفروا لرسالهم: لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا ، فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين﴾ (١) .

إذاً فالإلتزام بذكر الواقعة المخوفة-العقوبة مع ذكر سببها- أجدى وأنفع في تحقيق الهدف، وحصول العبرة والعظة، ولقد كثر هذا النمط في قصص القرآن والسنة ليكون غاية الإعدار ونهاية الإنذار، فعلى سبيل المثال: "لو أن مصلحاً جاء اليك فدعاك بدعوة الحق، وتوعدك إن لم تدعن لها وخوفك من عاقبتها لكان أثر ذلك هيناً جداً في مقابله أن يقول لك: إن قوماً فعلوا كذا، فجرى عليهم كذا، وإن قوماً خالفوا ذلك، فعذبوا وأودوا ، ثم صار يطاولك بذلك .. إذاً لكان لهذا الضرب من المطاولة والمذاكرة أثره العظيم وثمرته الحلوة، وغايته المرجوة الشهية (٢) .

فمن هنا نجد أن القصة القرآنية أو النبوية ليست مجرد السرد التاريخي أو المتعة الثقافية" إنما جاءت لتؤدي دوراً عظيماً يستفيد منه من يقرؤها أو يعايشها، ومن ذلك القصة الترهيبية ، فهي وسيلة لتثبيت المؤمنين على الحق ، كما هي لأخذ العبرة والعظة مما حل بالأقوام السابقة ، حتى لا يقع المرهَّب في نفس أخطائهم ، فيحل به ما حل بهم من العذاب والنكال ، كما قال

(١) سورة إبراهيم : الآية ٩-١٣

(٢) بحوث في قصص القرآن (ص ٩٦) مرجع سابق

سبحانه: ﴿وما هي من الظالمين ببعيد﴾^(١) ، وكما في قوله عز وجل: ﴿ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد﴾^(٢) "فهي توجه الأولين إلى الثبات على الحق والاستزادة من عمل الخير والبر كما تصرف المتهيين من المكذبين عن الباطل والشرك والشر بأنواعه بقدر ما فيهم من استعداد وتهيؤ"^(٣) .

ثالثا- القصة الترهيبية جاءت على منهج الإسلام الشمولي:

لذا فقد اشتملت على توجيهات لكل ما أنكره الإسلام، سواء في أمور العقيدة أو المعاملة أو الأخلاق .

ففي مجال العقيدة ترهب من العقائد الباطلة وتدعو إلى توحيد الله. يدل على ذلك أن قصص الأنبياء جميعهم توضح أنهم كانوا يدعون إلى التوحيد ، يقول تعالى ﴿إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا إلا الله﴾^(٤) ، أو توضح القصة القرآنية العاقبة الوخيمة لمن قصر أو أهمل جانب التوحيد، وأشرك مع الله آلهة متعددة، وفي هذا يقول الحق سبحانه: ﴿ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد. وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آهنتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك وما زادوهم غير تنبيء﴾^(٥) .

وتمضي آيات القصة تبين حلول عذاب الله وبطشه بالمكذبين والمشركين: ﴿فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين . وعادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين. وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين. فكلاً أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا

(١) سورة هود : جزء من الآية ٨٣

(٢) سورة الرعد : جزء من الآية ٣١

(٣) بحوث في قصص القرآن (ص ٤٤)

(٤) سورة فصلت : جزء من الآية ١٤

(٥) سورة هود: الآية ١٠٠-١٠١

وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون^(١) ، الخسف والإغراق والصيحة كلها معاني توضح عاقبة المكذبين بدعوة التوحيد.

ونلاحظ أن هذه المعاني المخوفة أيضاً استوعبت أمور الشريعة في قصة أصحاب الجنة الذين ارتضوا لأنفسهم أن يعطلوا ركن الإسلام الثاني - الزكاة - لكن بطش الله لايهمل وعين الله لاتغفل ﴿فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون. فأصبحت كالصريم﴾^(٢) لفتة عظيمة لمن تتمثل فيهم جانب الانانية، وتحذير رهيب لمن يحاول تعطيل شريعة الله، هذه الشريعة التي تعمل على تكوين الأخلاق الحسنة التي تحمل صاحبها وتعطيه سمة بارزة على صدق عقيدته.

وكما أحاطت القصة ترهيباً بعقائد الناس وعباداتهم، فإنها كذلك لم تغفل عن علاقات الأفراد في المعاملات المالية، ومثال ذلك قصة شعيب عليه السلام مع قومه الذين أسرفوا في الكيل والميزان، وبخسوا الناس حقهم ﴿أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين. وزنوا بالقسطاس المستقيم . ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم﴾^(٣) .

كذلك تركز القصة على جانب الأخلاق، وتحذر من التفريط في هذا الجانب المهم الذي يعد عنواناً بارزاً على حسن عقيدة المرء وعبادته ومعاملاته، فعلى سبيل المثال نلاحظ أن القصة رهبت من خلق الحسد والمتمثل في قصة ابني آدم؛ حيث يقول سبحانه: ﴿فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين﴾^(٤) وفي قصة يوسف عليه السلام: ﴿إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إنني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين. قال يا بني لاتقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً إن الشيطان للإنسان عدو مبين﴾^(٥) ، ونبهت القصة النبوية أيضاً على رذيلة الكبر والخيلاء ، فقد روى الإمام البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله

(١) سورة العنكبوت : الآية ٣٧-٤٠

(٢) سورة القلم : الآية ١٩، ٢٠

(٣) سورة الشعراء : انظر الآيات من ١٨١-١٨٩

(٤) سورة المائدة : الآية ٣٠

(٥) سورة يوسف : الآية ٤-٥

عنه أن النبي عليه السلام قال: (بينما رجل يجر إزاره من الخيلاء خسف به، فهو يجلجل في الأرض إلى يوم القيامة)^(١) أو قوله عليه السلام: (بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه، مرجل جمته، إذ خسف الله به، فهو يتجلجل إلى يوم القيامة)^(٢) .

وأيضاً رهبب القصة من خلق البخل، البخل الذي كان سبباً في سحق الله تعالى: على الأبرص والأقرع، وفي المقابل رضاؤه تعالى عن الأعمى، وقد جاءت القصة بتمامها في صحيح البخاري والشاهد من القصة قوله صلى الله عليه وسلم: (..وأتى الأعمى في صورته-الملك- فقال: رجل مسكين وابن السبيل وتقطعت به الحبال في سفره، فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري، وقال له: كنت أعمى فرد الله بصري، وفقيراً فقد أغناني، فخذ ماشئت، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله، فقال: أمسك مالك، فإنما ابتليتكم، فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك)^(٣) .

وكما استوعبت القصة الجانب الإنساني، فإنها أعطت مخلوقات الله الأخرى جانب الاهتمام، ومن ذلك قصة المرأة التي دخلت النار بسبب هرة، والقصة كما جاءت في صحيح البخاري عن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي عليه السلام قال: (عذبت امرأة في هرة ربطتها حتى ماتت، فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها ولا سقتها إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض)^(٤) .

لاحظنا كيف أحاطت القصص القرآنية والنبوية ترهيباً لما أنكره الإسلام من أمور العقيدة أو المعاملات والعبادات، أو الأخلاق، كذلك فإن القصة الواحدة قد تقوم بهذه الإحاطة، فتشمل القصة الواحدة جانب العقيدة والمعاملة والأخلاق، وإن شئت فاقراً قصة القرية التي كانت تعمل الخبائث، يقول سبحانه وتعالى عنهم: ﴿وَلَوْ طَآءَنَاهُ حِكْمًا وَعِلْمًا وَنَجِّنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ﴾^(٥) ، فهم قوم قد فسدوا في العقيدة والشريعة والمعاملة والأخلاق

(١) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حدثنا أبو اليمان، الحديث ٣٤٨٥ (٥١٥/٦)

(٢) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب اللباس، باب من جر ثوبه من الخيلاء، حديث ٥٧٨٩ (٢٥٨/١٠)

(٣) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث أبرص وأعمى وأقرع، الحديث ٣٤٦٤ (٥٠١،٥٠٠/٦)

(٤) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حدثنا أبو اليمان، الحديث ٣٤٨٢ (٥١٥/٦)

(٥) سورة الأنبياء: جزء من الآية ٧٤

﴿أنكم لتأتون الرجال وتقطعون السيل وتأتون في ناديكم المنكر﴾^(١) ، وأصبحوا وبالا على أنفسهم وعلى الناس معهم، لذا كانت نهايتهم نهاية خبيثة تناسب ذلك الفساد الذي كانوا عليه حيث عاقبهم تعالى بالعمى ليلاً، وفي الصباح أتتهم صيحة من المشرق زلزلتهم، وأمطرت السماء حجارة فوق رؤوسهم، فتهدمت القرية فوق رؤوسهم، وأبقى الله هذه القصة -قصة لوط- للذين يخافون العذاب الأليم^(٢) يقول سبحانه: ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد﴾^(٣) .

رابعا- والقصة في القرآن والسنة تملك قوة ترهيبية من خلال الخصائص الفنية المؤثرة التي تحتويها سواء في الأسلوب أو التصوير أو التكرار.

أما الأسلوب: فلها أسلوب موجز تستطيع أن تحقق به غرضاً أو أغراضاً ترهيبية تعجز عنه مؤلفات كبيرة، دون أن يكون هناك إخلال أو قصور في المعنى، بل فيه من البلاغة وروعة البيان والإتقان مافيه، فهي كما يقولون: كلمات قليلة تؤدي معاني كثيرة.

ولو شخصنا البصر في بعض آيات سورة الفجر، لوجدنا قوله تعالى: ﴿ ألم تر كيف فعل ربك بعاد. إرم ذات العماد. التي لم يخلق مثلها في البلاد. وثمود الذين جابوا الصخر بالواد. وفرعون ذي الأوتاد. الذين طغوا في البلاد. فأكثروا فيها الفساد. فصب عليهم ربك سوط عذاب. إن ربك لبالمرصاد﴾^(٤) ، فهذه الآيات بما فيها من إيجاز قد استوعبت مجموعة من القصص ، قصة عاد و ثمود وفرعون، هذه القصص غايتها واحدة وهو بيان شدة العذاب ودوامه إذ الصب يشعر بالدوام، والسوط يشعر بزيادة الآلام^(٥) .

(١) سورة العنكبوت : الآية ٢٩

(٢) انظر :الدعوة الاسلامية، د. أحمد غلوش (ص ١٣٨، ١٤٠)

(٣) سورة هود : الآية ١٠٢

(٤) سورة الفجر : الآية ٦-١٤

(٥) انظر : تفسير النسفي (٤/٣٥٥)

ومثل ذلك قصة أصحاب الفيل ، فهي عبارة عن آيات أربع تصور قصة كاملة، ومع بساطة القصة، إلا ان الكلمات تحمل معاني ترهيبية هائلة، يقول تعالى: ﴿ ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل. ألم يجعل كيدهم في تضليل. وأرسل عليهم طيراً أبابيل. ترميهم بحجارة من سجيل. فجعلهم كعصف مأكول ﴾^(١) ، والجانب الترهيبى يظهر من خلال تسميتهم بأصحاب الفيل، فهنا تهويل لشأنهم ثم تهوين لهم أمام شدة بطشه سبحانه، إذ أهلكم الله تعالى :بأضعف مخلوقاته .

وبخصوص فنية التصوير فإن القصة تملك قدرة تصويرية رائعة، إذ تصور هلاك الأمم والانتقام من المكذبين تصويراً سيئاً، وبصورة حسية واضحة، وكأنها تنقل الناس بأحاسيسهم ومشاعرهم ليعيشوا واقعاً^(٢) مشاهداً حياً مع هذا الترهيب الرهيب الذي مضى عليه قرون من الزمان . كل ذلك بواسطة التصوير البياني الذي امتاز به القصص القرآني والنبوي ، نلمس هذا في قوله تعالى :﴿ ففتحن أبواب السماء بماء منهمر. وفجرنا الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قدر ﴾^(٣) إنه تصوير دقيق لنوع العذاب الذي لحق بقوم نوح عليه السلام، فأيات القصة اشتملت على المشاهدة الحسية كالواقع تماماً، فنزول الماء من أعلى نتيجة فتح أبواب السماء ، وتفجير الأرض عيوناً، ثم التحام مياه السماء بمياه الأرض على الأمر المكتوب لهؤلاء القوم، وهو استئصالهم بالطوفان تهويل لصورة العذاب بتصويره وأي تصوير ، ونلمح تلك الناحية الفنية أيضاً في الكيفية التي استأصل الله بها قوم هود، فلنقرأ الآية الكريمة لتظهر الصورة وكأنها ماثلة أمام العيان، فيقول جل من قال: ﴿ إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحس مستمر ﴾^(٤) فالآية تصور تصريف الرياح، ومن ثم نزع الجرمين وإلقاءهم في الأرض بلا حراك تصويراً دقيقاً وذلك كما ترى أعجاز النخل المنقر وهي منظرحة ملقاة على الأرض.

(١) سورة الفيل : الآية ١-٥

(٢) انظر: الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، د. محمد محمود حجازي (ص ٣٠٩) ط. دار الكتب الحديثة، ١٣٩٠هـ

(٣) سورة القمر: الآية ١١، ١٢

(٤) سورة القمر: الآية ١٩

أما تكرار العقوبة في أكثر من موضع : فهذه ميزة اختصت بها القصة القرآنية، إذ تنقل مشاهد الترهيب في القصة الواحدة على دفعات ولقطات حتى لاتتراكب وتتراكم، وبذا تعمل على تثبيت الترهيب واستقراره في النفوس، والقصة إنما تكرر المشهد لتؤكد على أن العقوبة واقعة لاحالة في حق المخالفين، وبذا تملك القصة تأثيرها في المدعويين ، ولزيادة الإيضاح نتعرض لقصة هلاك ثمود، وقد كرر القرآن هلاكهم في مواضع كثيرة بكيفيات ومسميات مختلفة نلاحظها عند قراءة قوله تعالى: ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد﴾^(١) وفي قوله: ﴿وأنه أهلك عاداً الأولى. وثمود فما أبقى﴾^(٢) ، وفي قوله سبحانه: ﴿فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها﴾^(٣) وقوله تعالى: ﴿إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر﴾^(٤) وفي قوله: ﴿فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين﴾^(٥) وفي قوله تعالى: ﴿أنا دمرناهم وقومهم أجمعين. فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا﴾^(٦) وقوله تعالى: ﴿فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون﴾^(٧) وقوله تعالى: ﴿فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية﴾^(٨) وقوله سبحانه: ﴿فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون. فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين﴾^(٩) وقوله عز وجل: ﴿وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين. كأن لم يغنوا فيها ألا إن ثمودا كفروا ربهم ألا بعداً لثمود﴾^(١٠) .

(١) سورة الفجر : الآية ٦-٩

(٢) سورة النجم : الآية ٥٠-٥١

(٣) سورة الشمس : جزء من الآية ١٤

(٤) سورة القمر : الآية ٣١

(٥) سورة الأعراف : الآية ٩١

(٦) سورة النمل : جزء من الآية ٥١-٥٢

(٧) سورة فصلت : جزء من الآية ١٧

(٨) سورة الحاقة : الآية ٥

(٩) سورة الناريات : الآية ٤٤-٤٥

(١٠) سورة هود : الآية ٦٧-٦٨

نلاحظ أن القرآن عبر عن إهلاك ثمود بالرجفة وبالصيحة وبالصاعقة وبالطاغية .. إن هذا التكرار بهذه الصورة يعطي انطبعا للسامع بمدى شدة الإهلاك وقسوته، كما يشعر بدوام العذاب واستمراره على ثمود، فهذا يزيد الموقف قوة ترهيب فيسهل حصول التأثير.

مما سبق ذكره ، نلمح أن هذه الخصائص ميزت القصة الترهيبية وأمدتها بقوة مضاعفة في الإنذار والتهديد والوعيد، مماضاعف نواحي الترهيب في الوقائع والأحداث والمواقف التي احتوتها، وهذا-بفضل الله- يعطي للقصة مكانة ناجحة بين وسائل الترهيب القولية.

الوسيلة القولية الثالثة

الترهيب من خلال القسم^(١)

القسم وسيلة قولية موجزة قصيرة، تلائم الطباع الذكية النبيهة التي تكفيها الإشارة ، والقسم وسيلة قديمة عرفها الناس قديماً واستعملوه تأكيداً للخبر، أو تعظيماً لشيء ، أو جمع الانتباه حول غاية^(٢)، والقسم أيضاً وسيلة إقناع، لأنها تعمل على " ربط النفس بالامتناع عن شيء أو الإقدام عليه . بمعنى معظم عند الحالف حقيقة أو اعتقاداً^(٣) .

من هنا كان للقسم عند الترهيب في الدعوة " إلى الله شأن عظيم وتأثير عجيب، إذ أنه يعمل على تعظيم الأمر المرهب منه في نفس المدعو وذهنه، كما يعمل على جمع الانتباه حول الغاية الوخيمة المنتظرة لكل من حاول إقتراف ذلك الأمر المرهب منه، كل ذلك بصيغة مؤكدة من المقسم ، خاصة إذا كان المقسم هو الله تعالى بجلاله وعظمته، أو كان المقسم نبيه صلى الله عليه وسلم المؤيد بالوحي من عنده، فإن ذلك يساعد على تثبيت المعاني المخوفة ، ويعمل على تكوين حاجز وسد منيع من الخوف يمنع من الوصول ، أو حتى مجرد الإقدام إلى تلك المنهيات المقسم بها أو المقسم عليها . هذا من جهة، ومن جهة أخرى ، فإن العقل الانساني تعود وأدرك أن الكلام العظيم المستحق للاهتمام هو الذي يبدأ بالقسم، فعلى سبيل المثال: لما أراد صلى الله عليه وسلم أن يبين الوعيد الوارد في عصيان المرأة زوجها، كما جاء ذلك في أحاديث صحيحة ، منها ما رواه الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه، فأبت أن تجيء، لعنتها الملائكة حتى تصبح)^(٤) ، وفي رواية عند الإمام مسلم عن أبي هريرة أنه عليه السلام قال: (والذي نفسي بيده مامن رجل يدعوا امرأته إلى فراشها

(١) القسم واليمين واحد، وأصل اليمين في اللغة اليد وأطلقت على الحلف، لأنهم كانوا إذا تحالفوا أخذ كل يمين صاحبه، وعرفت شرعاً بأنها

توكيد الشيء بذكر اسم أو صفة الله (انظر فتح الباري ٥١٦/١١)

(٢) انظر: الدعوة الاسلامية، د. أحمد غلوش (ص ٣٢٩-٣٣٠)

(٣) مباحث في علوم القرآن ، للشیخ مناع القطان، (ص ٢٩١) مرجع سابق

(٤) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب النكاح، باب إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها، الحديث ٥١٩٣ (٢٩٤/٩)

فتأبى عليه، إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها^(١) فعند قراءة هذا الوعيد نشعر بقشعريرة من هذا الترهيب القوي يسري في نفوسنا وأبداننا، لكن في الرواية الثانية نشعر بمزيد خوف وحذر، والسبب كما هو واضح تقديم النبي عليه السلام الوعيد وتأكيد القسم بذات الله العظيمة، فأعطى للحديث قوة ترهيب أكثر .

من هذا المنطلق كان ضرورياً أن تتضمن وسائل الترهيب القولية في البلاغ على القسم بشطريه القرآني والنبوي لما فيها من فائدة في توضيح المعاصي المعرضة للإنكار والشك ووضعها في موضع ثابت مؤكد بقوة وثقة أكثر، خاصة مع تلك النفوس "التي رانت عليها سحابة الجهل وغشيتها ظلمة الباطل ، فلا يهتز قلبها إلا بمطارق الزجر وصيغ التأكيد حتى يتزعزع نكيرها، ويزيل شكها ويحبط شبهاتها، ويقيم الحجة عليها، ويستدرجها إلى الاعتراف بما تجحد"^(٢) .

القسم وسيلة للترهيب القولي

مما تقدم تبين لنا أن القسم جاء في القرآن الكريم والسنة الصحيحة ليقوم بدور الوسيلة الترهيبية القولية، وقد قام بهذا الدور خير قيام ، وذلك للأسباب التالية :

أولاً القدرة على إثارة انفعالات الخوف:

وصلة هذه الانفعالات بالقسم صلة قوية لا يستطيع أحد أن ينكرها، فالكلام المؤكد أو الذي يحمل صيغة التأكيد ذو تأثير لا يسعنا إنكاره في حياتنا الفردية والاجتماعية، وهذا التأثير لا يتم إلا إذا استندت هذه المؤكدات إلى دعائم قوية، وهذه الدعائم موجودة في القسم، كيف لا والقسم إنما يكون بذات عظيمة هي ذات الخالق سبحانه وتعالى كيف لا والقسم هو الله تعالى : كما في أقسام القرآن، أو المقسم هو النبي صلى الله عليه وسلم، كما في أقسام السنة!! "فإذا ما كان

(١) صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب تحريم امتناعها من فراش زوجها، الحديث ١٤٣٦ م (٢/١٠٦٠)

(٢) الدعوة الإسلامية، د. غلوش (ص ٣٤٣) بتصرف

القسم بالعظيم من عظيم دل في وضوح على أن المقسم عليه عظيم، فتهيأ النفس له" (١) محرقة عوامل الخوف والحذر، كما ورد عن بعض الأعراب أنه لما نزل قول الله تعالى: ﴿فَورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون﴾ (٢) قال في خوف ورعب من ذا الذي أغضب الجليل حتى ألقاه إلى اليمين". (٣)

ثانياً: في القسم القرآني والنبوي إثبات للغيب المرهَّب منه :

وهذه الأمور الغيبية تتمثل في القيامة أو البعث والحشر والسؤال والنار، والتي وقف الكافرون منها موقف الإنكار والشك والعناد، وأكدوا إنكارهم ذلك ، فقالوا: ﴿أئذا متنا وكنا تراباً ذلك رجع بعيد﴾ (٤) وأكدوه بالقسم كما في قوله سبحانه ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت﴾ (٥) ولأهمية هذه الأمور الغيبية فالغالب على الناس في هذه الدنيا إنكار ما بعد الموت، لذا فإن الله سبحانه وتعالى يرد على ذلك الإنكار والعناد، ويثبت ذلك في المقسم به، والمقسم عليه، وفي هذا الصدد يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: "والمقسم عليه يراد بالقسم توكيده وتحقيقه، فلا بد أن يكون مما يحسن فيه ذلك، كالأمور الغائبة والخفية إذا أقسم على ثبوتها، فأما الأمور الظاهرة المشهورة كالشمس والقمر والليل والنهار والسماء والأرض، فهذه يقسم بها ولا يقسم عليها" (٦).

إذاً فالله تعالى أقسم بيوم القيامة وأقسم عليها، لأنها من الأمور الغيبية، كما جاء في قوله تعالى: ﴿لَأَقْسِمَ بِبِیومِ الْقِیامَةِ﴾ (٧) ، وقوله سبحانه: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ. وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ (٨) ، وأقسم عليها في قوله عز وجل: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِنَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى

(١) الدعوة الإسلامية، د. أحمد غلوش (ص ٣٤٥)

(٢) سورة الذاريات : الآية ٢٣

(٣) الإتيان في علوم القرآن (١٣٣/٢) مرجع سابق

(٤) سورة ق: الآية ٣

(٥) سورة النحل: جزء من الآية ٣٨

(٦) التبيان في أقسام القرآن لابن القيم (٤٦/١)، تحقيق محمد زهري النجار، ط مطابع الدجوي بالقاهرة ، المؤسسة السعيدية بالرياض ١٩٧٩م

(٧) سورة القيامة : الآية ١

(٨) سورة البروج : الآية ٢٤١

وربي لتأتينكم»^(١)، وأقسم سبحانه على البعث: ﴿بلى وربى لبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير﴾^(٢)، وأقسم على الحشر: ﴿فوربك لنحشرنهم﴾^(٣)، وأقسم سبحانه على السؤال والحساب كما في قوله تعالى: ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون﴾^(٤).

وكما أوضح القرآن هذه الأمور الغيبية وأكدها بالقسم، فكذلك السنة أكدت ووضحت جزءاً من تلك الأمور الغيبية، ومن الأمثلة على ذلك ما رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: (والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار)^(٥) فالعقل البشري إذا سمع هذا القسم اهتز له، وخرج منه متذكراً القيامة بأهوالها، موقناً بأنها حق، وأنها يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، فهو إن تذكر ذلك وعلمه، فهو - بلا شك - سيتبع الصراط المؤدي إلى الجنة وسيترك ما عداه، ليكون بعيداً عن النار.

ثالثاً: في القسم القرآني والنبوي ترهيب لكل معانداً ومستتهزراً في أصول الإيمان:

حيث احتوى القسم على أصول الإيمان، وباحتوائه هذا، فإنه يهيئ النفوس لتقبلها على أنها حقائق مسلمة، لا تحتاج إلى مزيد إيضاح وتفصيل.

وعن احتواء القسم لتلك الأصول يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: "وهو سبحانه يقسم على أصول الإيمان التي يجب على الخلق معرفتها، تارة يقسم على التوحيد، وتارة يقسم على أن القرآن حق، وتارة على أن الرسول حق، وتارة على الجزاء والوعد والوعيد، وتارة على حال الإنسان"^(٦).

(١) سورة سبأ: جزء من الآية ٣

(٢) سورة التغابن: جزء من الآية ٧

(٣) سورة مريم: جزء من الآية ٦٨

(٤) سورة الحجر: الآية ٩٢-٩٣

(٥) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.. الخ، الحديث ١٥٣ (١/١٣٤)

(٦) التبيان في أقسام القرآن لابن القيم (٤٩/١)

فالقسم على التوحيد كقوله تعالى: ﴿والصافات صفا. فالزاجرات زجرا. فالتاليات ذكراً. إن إلهكم لواحد﴾^(١). والقسم على أن القرآن حق كقوله تعالى: ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم. وإنه لقسم لو تعلمون عظيم. إنه لقرآن كريم﴾^(٢) والقسم على الرسول صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى: ﴿يس. والقرآن الحكيم. إنك لمن المرسلين. على صراط مستقيم﴾^(٣)، وكقوله سبحانه: ﴿والنجم إذا هوى. ما ضل صاحبكم وما غوى. وما ينطق عن الهوى﴾^(٤). وأما القسم على الجزاء والوعيد، ففي مثل قوله تعالى: ﴿والذاريات ذرواً. فالحاملات وقرأ. فالجاريات يسراً. فالقسمات أمراً. إنما توعدون لصادق. وإن الدين لواقع﴾^(٥)، وكقول الله عز وجل: ﴿والطور. وكتاب مسطور. في رق منشور. والبيت المعمور. والسقف المرفوع. والبحر المسجور. إن عذاب ربك لواقع. ما له من دافع﴾^(٦). وأما القسم على أحوال الإنسان، فمثل قوله تعالى: ﴿والليل إذا يغشى. والنهار إذا تجلى. وما خلق الذكور والأنثى. إن سعيكم لشتى﴾^(٧).

فالقسم القرآني كما لاحظنا في الآيات السابقة يعمد إلى إثارة الانتباه حول هذه الأصول المقسم عليها من خلال المقسم به، لينطلق من هذه الإثارة إلى التخويف والترهيب لكل معاند أو منكر أو شاك أو مستهتر في أصول الإيمان أو في بعضها.

رابعاً: القسم القرآني والنبوي احتويا على التذكير بالعاقبة السيئة لمن ترك المأمورات وعمل المنهيات .

فعن طريق هذه الوسيلة يمكن تبصير المدعوين بالآثار الخاسرة المحتملة عليه إذا لم

(١) سورة الصافات : الآية ١-٤

(٢) سورة الواقعة : الآية ٧٥-٧٧

(٣) سورة يس : الآية ١-٤

(٤) سورة النجم : الآية ١-٣

(٥) سورة الذاريات : الآية ١-٦

(٦) سورة الطور : الآية ١-٨

(٧) سورة الليل : الآية ١-٤

يتصف بأربع صفات مذكورة في قوله تعالى ﴿وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خَسْرٍ﴾^(١) ، فأقسم سبحانه بالعصر الذي هو الدهر وهو زمان أفعال الإنسان ومحلها، على عاقبة تلك الأفعال وجزائها، ونبه بالمبدأ وهو خلق الزمان، وخلق الفاعلين وأفعالهم، على المعاد وأن قدرته كما لم تقصر على المبدأ ، لم تقصر على المعاد ليجازى فيه المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته^(٢) .

ومن أدلة ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَضحاها . والقمر إذا تلاها . والنهار إذا جلاها والليل إذا يغشاها . والسماء وما بناها . والأرض وما طحاها . ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها﴾^(٣) .

تضمن هذا القسم الإقسام بالخالق والمخلوق، فالإقسام بالخالق، ليدل عليه سبحانه والإقسام بالمخلوق، ليدل على كمال علمه وقدرته وحكمته وتوحيده^(٤) وهذا القسم والإقسام إنما جاء تأكيداً على المقسم عليه وبياناً لعاقبته فهو على حالتين لاثالثة لهما: إما من الفالحين وإما من الخائبين ﴿قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها﴾^(٥) . قال الحسن وقتادة: "قد أفلح من زكى نفسه وحملها على طاعة الله، وقد خاب من أهلكتها وحملها على معصية الله"^(٦) .

أيضاً القسم النبوي يبصر بالعاقبة الوخيمة للعصاة، ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أبو حميد رضي الله عنه (..فوالذي نفس محمد بيده لا يغفل أحدكم منها شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه، إن كان بغيراً جاء به له رغاء ، وإن كانت بقرة جاء بها لها خوار..الحديث)^(٧) هذا الحديث الشريف اشتمل بياناً مؤكداً بالقسم على عاقبة الغال ، يوم القيامة، يوم لا ينفع مال ولا بنون . والصورة واضحة في الحديث.

(١) سورة العصر : الآية ١-٣

(٢) انظر التبيان في أقسام القرآن (١٧٦، ١٧٧)

(٣) سورة الشمس : الآية ١-١٠

(٤) انظر : التبيان في أقسام القرآن (٧٠/١)

(٥) سورة الشمس : الآية ٩-١٠

(٦) التبيان في أقسام القرآن (٧٥/١)

(٧) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الإيمان، باب كيف كانت يمينا النبي صلى الله عليه وسلم، جزء من الحديث ٦٦٣٦ (١١/٥٢٤)

ومن ذلك: الحديث الذي رواه الإمام البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (يا أمة محمد والله لو تعلمون ما أعلم لبكىتم كثيراً ولضحكتكم قليلاً) (١) فالحديث فيه إشارة مؤكدة إلى عاقبة الذين اتخذوا الدنيا داراً للهو والضحك والمسرات، بأن عاقبته ستكون ندماً وحزناً وبكاءً ، وقد أكد عليه السلام ذلك بالقسم لاختصاصه صلى الله عليه وسلم بمعارف بصرية وقلبية لم تجتمع لأحد غيره على وجه التفصيل كما جمع الله له بين علم اليقين وعين اليقين على وجه لم يجتمع لغيره (٢) .

خامساً - القسم بالمحسوسات لتشبيه المعقول بالمحسوس :

ذلك لأن القسم إنما يهدف إلى التأثير في المخاطبين، فإذا لم يكن هذا القسم واقعياً ومعرفياً للمخاطبين ، فإن الهدف ينتفي ولن يتحقق ، لهذا كان المقسم به دائماً مما يلامسه البشر ويعرفونه كالليل والنهار والشمس والقمر والأرض والسماء والفجر والعصر .. الخ. أما إذا كانت هناك أمور خفية على المخاطب، فإنه سبحانه لا يقسم بها، بل يجعلها في صورة مقسم عليه ويأتي سبحانه بمقسم به مناسب للمقسم عليه، وبينهما علاقة قوية ورابطة سليمة، تجعل المدعو ينتقل تلقائياً مما هو معروف له إلى ماهو غير معروف، لأن سوق المقسم به يجعل المقسم عليه يشبهه ، فيتم فهمهما معا والتصديق بهما على مستوى واحد.

ومن أمثلة ذلك لما أراد سبحانه أن يخوف العباد من يوم القيامة وما فيها من أهوال وعذاب واقع للمخالفين أقسم بالأمر الظاهرة للعباد على تلك الأمور الخفية؛ ليقرب الصورة في ذهن المخاطبين، وليحدث التأثير فيهم ، يقول سبحانه: ﴿والمرسلات عرفاً. فالعاصفات عصفاً. والناشرات نشراً. فالفارقات فرقاً. فالملقيات ذكراً. عذراً أو نذراً. إنما توعدون لواقع﴾ (٣) فالمقسم به هنا أمر ظاهر، حيث أقسم سبحانه بالريح العاصفة التي تحمل العذاب، وأقسم بالرياح التي تحمل الرحمة - تأتي بالمطر - والمقسم عليه هو أحقية مجيء يوم القيامة، والمناسبة بينهما أن

(١) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الايمان، باب كيف كانت بمن النبي صلى الله عليه وسلم، الحديث ٦٦٣١ (٥٢٤/١١)

(٢) انظر: فتح الباري (٥٢٧/١١) بتصرف

(٣) سورة المرسلات : الآية ١-٧

الرياح تغير صورة الطبيعة وتحولها إلى صورة مناقضة لصورتها الأولى تماماً، فالشمس كانت ساطعة والسماء صافية، وبعد لحظة وجيزة تأتي الرياح العاصفة فتتبدد السماء بالغيوم ويبدو الجو داكناً، فتتمحي النجوم وتغيب الجبال خلف الغيوم، وهذا يقرب من يوم القيامة. بما فيه من فناء الخلق وطمس النجوم ونسف الجبال والغرض من تقريب المقسم عليه وهو يوم القيامة بالمقسم به وهو الرياح العاصفة هو أن يصدق المدعو المخاطب بيوم القيامة ، فليس له أن يصدق بشيء ويكذب بنظيره تماماً ، وليس له أن يكذب بهما معاً ، ومن هنا لا يجد المخاطب إلا التصديق بالمقسم عليه^(١) .

وهكذا يقوم المقسم بدوره كوسيلة للترهيب القولي بعد تمتعه بخصائص الوسيلة القولية واشتماله على كثير من الطرق المخوفة التي تؤثر في المدعو ترهيباً لتأخذ بيده بعيداً عن الهلاك.

(١) انظر : الدعوة الإسلامية، د. / أحمد غلوش (٣٥١، ٣٥٣، ٣٥٤) بتصرف واختصار

المطلب الثاني

وسائل الترهيب العملي

الوسائل التطبيقية للترهيب العملي تتنوع في طريقة تنفيذها، وتتفاوت في شدتها، قد تكون بالهجر والحبس وقد تكون بالضرب والجلد وقد تصل إلى قطع الأطراف والقتل، كل ذلك مقدر ونوع الجريمة والمعصية التي هي بصدد إقامتها، وعلى هذا الأساس أيضاً تختلف مسميات هذه الوسائل، فقد تسمى حدوداً أو تعزيراً أو كفارة أو جهاداً، وسنوضح في هذا المطلب أقسام هذه الوسائل في مسألة مستقلة، ثم نلحق بها بياناً لخصائص هذه الوسائل في الدعوة إلى الله في مسألة ثانية (١) على النحو التالي:

المسألة الأولى

أقسام وسائل الترهيب العملي

تنقسم هذه الوسائل إلى: الكفارات، التعزيرات، الحدود، الجهاد.

الوسيلة العملية الأولى

الترهيب من خلال الكفارات

الكفارات هي الوسيلة التي يتم من خلالها إقامة العقوبات المقررة والمحددة شرعاً على المعاصي بقصد التكفير عن إتيانها، والكفارة في الأصل نوع من العبادة؛ لأنها عبارة عن عتق أو إطعام مساكين أو صوم، وقد تفرض على عمل لا يعد معصية، فتكون عبادة خالصة، الإطعام بدل الصوم لمن لا يطيق الصوم، وقد تفرض على ما يعد معصية، فتكون وسيلة ترهيبية عملية خالصة؛ كالكفارة في القتل الخطأ، والمعاصي التي يحكم فيها بهذه الوسيلة محدودة،

(١) وذلك لأن هذه الخصائص من الناحية الدعوية تتشابه تقريباً في كل الوسائل فمن أجل عدم حصول تكرار في كل وسيلة أفردنا لها نقطة خاصة في النهاية بعد ذكر أقسام هذه الوسائل.

وهي: إفساد الصيام، إفساد الإحرام، والحنث في اليمين، والوطء في الحيض، والوطء في الظهر، القتل الخطأ. والكفارة الواجبة في كل هذه الذنوب ليست واحدة، وهي تختلف في نوعها ومقدارها وطريقة أدائها باختلاف المعصية على النحو التالي:-

الكفارة في حالة القتل (١) :

على كل قاتل نفس ضمان ديته وأداء كفارتها، والكفارة هي عتق رقبة مؤمنة، فإن أعسر بها، صام شهرين متتابعين، فإن عجز عنها، أطعم ستين مسكيناً. ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً، وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً، فَتَحْرِيرَ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ، وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا، فَإِنْ كَانَ مِنَ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرَ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ، وَإِنْ كَانَ مِنَ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرَ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (١) .

الكفارة في حالة الحنث باليمين:

"أجمع أهل العلم على أن الحانث في يمينه بالخيار: إن شاء أطعم، وإن شاء كسا، وإن شاء أعتق (٢)". والأصل في ذلك الكتاب والسنة، فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْإِيمَانَ فَكْفَارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تَطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرَ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، ذَلِكَ كَفَارَةٌ أَيمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ (٣) .

وأما من السنة فقولهُ صلى الله عليه وسلم: (...وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيراً منها فكفر عن يمينك وأتت الذي هو خير) (٤) .

(١) انظر تفصيلات هذه الكفارة في حاشية الروض المربع (٧/٢٨٨، ٢٩٠) مرجع سابق

(٢) سورة النساء: الآية ٩٢

(٣) المغني لابن قدامة (٨/٧٣٤) من مطبوعات رئاسة إدارات البحوث العلمية ١٤٠١هـ، وانظر حاشية الروض المربع (٧/٤٧٧)

(٤) سورة المائدة: جزء من الآية ٨٩

(٥) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب النهي عن الخلف بغير الله تعالى، جزء من حديث (٣/١٢٧٤)

الكفارة في الظهار

الكفارة في الظهار على الترتيب فيلزمه العتق إن أمكنه، فإن عجز، انتقل إلى الصيام، فإن عجز، انتقل إلى إطعام ستين مسكيناً^(١)، والأصل في هذه الكفارة قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَظَاهَرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَلِكَمْ تَوْعظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِإِطْعَامُ سِتِينَ مَسْكِينًا﴾^(٢).

الكفارات^(٣) وسيلة للترهيب

الإنسان ميول بطبعه إلى حب الكسب والراحة، وكرهية الخسارة والمشقة أياً كان نوعها، والكفارات ماهي إلا عقوبة جسدية كالصوم، أو عقوبة مالية كإطعام المساكين وعتق رقبة، فهي بذلك تلحق بركب العقوبات.

فإذا حاول شخص ارتكاب معصية، وفكر في الخسارة المادية التي تنتظره، أو الجهد الجسدي الذي يلحقه، تولد عنده نوع من الخوف والحذر يصرفه عن ارتكاب مثل تلك المعاصي التي توجب الكفارات.

الوسيلة العملية الثانية

الترهيب من خلال التعزيرات

هي الوسيلة التي يتم من خلالها إقامة العقوبات غير المقدره شرعاً، وهذه العقوبات "تختلف مقاديرها وصفاتها بحسب كبر الذنوب وصغرها، وبحسب حال الذنب في قلته وكثرته"^(٤)،

(١) انظر المعني لابن قدامة (١٢٧/٣) وانظر: ذلك بالتفصيل في أحكام القرآن للحصاص (٤١٧/٣)

(٢) سورة المجادلة: الآية ٤،٣ .

(٣) هذه بعض الأمثلة والشواهد على الكفارات كوسائل للترهيب العملي وهناك كفارات لإفساد الصوم، وأخرى لإفساد الإحرام تحتاج إلى تفصيل وليس هنا مجال بحثها نظراً لضيق المساحة . وللفادة انظر ذلك بالتفصيل: المعني (١٢٧/٣-١٣٥) (٤٩٢/٣-٥٥٢) وانظر ذلك باختصار كتاب العقوبة في الفقه الإسلامي - أحمد فتحي بهنسي (ص ١٦٧-١٧١) دار الراشد العربي بيروت-لبنان، ط. الثانية ١٤٠١هـ

(٤) الحسبة في الإسلام لابن تيمية (ص ٥٠) وانظر: نهاية الرتبة في طلب الحسبة لابن بسام (ص ٢١١) طبعة دار المعارف بغداد، ١٩٦٨م

وهذه العقوبات تتفاوت في شدتها وقسوتها، فقد تكون بالضرب والهجر، وقد تكون بالحبس والنفي عن الوطن، وقد نبه تعالى على بعض منها في كتابه، لتكون أصلاً في مشروعيتها، فشرع الضرب والهجر في قوله سبحانه: ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ﴾ (١). وشرع الحبس في قوله تعالى: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتُوفَىٰهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ (٢).

وقد يكون التعزير بعقوبات مالية، كما دلت عليه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أمر بكسر دنان الخمر وشق ظروفه، كما ورد ذلك في سنن الترمذي عن أبي طلحة رضي الله عنه أنه قال: (ياني الله إني اشتريت خمراً لأيتام في حجري! قال: أهرق الخمر واكسر الدنان) (٣).

ومن لم يندفع فساده في الأرض إلا بالقتل، قتل، مثل المفرق لجماعة المسلمين، والداعي إلى البدع في الدين. يدل على ذلك ما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا بويع لخيفتين، فاقتلوا الآخر منهما) (٤). إذاً فالمعاصي العديدة والجرائم الكثيرة والتي لم يتحدث الشرع عن عقاب مرتكبيها، كأكل الربا، والفرار من الزحف، وغش السلع، وخيانة الشركة، لولي الأمر أن يستأصل هذه الجرائم بما يلائمها من عقاب، له أن يجلد، وله أن يسجن، وله أن يقتل أيضاً، وله أن يفرض عقوبة مالية، والمهم في هذه الوسيلة أن تنضبط مع قواعد العدالة التي جاءت بها الشريعة الإسلامية، فلا تبلغ حد الجور ولا تصل إلى الاستهانة والخفة (٥).

(١) سورة النساء: جزء من الآية ٣٤

(٢) سورة النساء: الآية ١٥

(٣) صحيح سنن الترمذي، ابواب البيوع، باب بيع الخمر والنهي عن ذلك، حديث ١٠٣٩ (٢٧/٢)

(٤) صحيح مسلم، كتاب الامارة، باب إذا بويع لخيفتين، الحديث ١٨٥٣ (١٤٨٠/٣)

(٥) دعوة الفطرة، د. يوسف أبو هلاله (ص ١٤٩)، ط: دار العاصمة، النشرة الأولى ١٤٠٨هـ

الوسيلة العملية الثالثة

الترهيب من خلال تطبيق الحدود

هي الوسيلة التي يتم من خلالها إقامة العقوبة المقررة شرعاً على جرائم الردة، قتل النفس، القذف، السكر، السرقة، والحراية، والبغي، فكل من ارتكب جريمة من هذه الجرائم - واستغرقت ما يجعلها جريمة كاملة-^(١) عليه العقوبة مثل: حد الزنى، حد السرقة...، والعقوبات الفعلية التي تقام من خلال وسيلة الحدود منصوصة ومقدرة في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم على النحو التالي:

أولاً: حد الردة

تعاقب الشريعة المرتد بالقتل، والأصل في ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فِيمْت وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٢) وقوله صلى الله عليه وسلم: (من بدل دينه فاقتلوه)^(٣)، وقوله صلى الله عليه وسلم: (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمفارق لدينه التارك للجماعة)^(٤).

والشريعة الإسلامية إنما تشدد في عقوبة المرتدين، لأنهم أخطر على الإسلام من غير المسلمين، فهم سيثوهون الدين ويدسون عليه ما لا يوجد فيه، فينخدع الكثير ممن لا معرفة لهم بالإسلام، إذ الفرق كبير بين مسلم يرتد ويهاجم الإسلام، وبين غير مسلم يهاجم الإسلام. فالأول يدس سمومه تحت ستار علمه بالدين وأحكامه، مما يجعل مستمعه أقرب إلى تصديقه^(٥)،

(١) وبيان ذلك في كتب الفقه، لأن هدف هذا البحث بيان الوسائل العلاجية للمعاصي والجرائم

(٢) سورة البقرة: جزء من الآية ٢١٧

(٣) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الجهاد، باب لا يعذب بعذاب الله، الحديث ٣٠١٧ (١٤٩/٦) وأيضاً كتاب استتابة المرتدين والمعاندين، باب حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم، الحديث ٦٩٢٢، (٢٦٧/١٢) ورواه الإمام ابن ماجه في سننه (صحيح سنن ابن ماجه، كتاب الحدود، باب المرتد عن دينه، حديث ٢٠٥٤ (٧٧/٢).

(٤) البخاري مع الفتح، كتاب الديات، باب قوله تعالى "أن النفس بالنفس"، الحديث ٦٨٧٨، (٢٠١/١٢)، وبنحوه في صحيح مسلم،

كتاب القسامة، باب ما يباح به دم المسلم، الحديث ١٦٧٦، (١٣٠٢/٣) واللفظ للبخاري

(٥) انظر: أثر تطبيق الحدود في المجتمع ص ١٥، مرجع سابق

ويتضح ذلك من قوله تعالى: ﴿وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون﴾^(١) .

فإذا ما فكر بعض الطامعين في الدخول إلى الإسلام بغية تحقيق أغراض معينة ثم العودة إلى الكفر بعد تحقيق تلك الأغراض، إذا ما فكروا في العقوبة الرادعة، امتنعوا عن المتاجرة بالأديان.

ثانياً: حد القصاص

وهو جزاء جريمة متعمدة في النفس أو ما دون النفس، فإن كانت في النفس، فعقوبتها القتل، بدليل قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد، والأنثى بالأنثى فمن عُفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم﴾^(٢) .

وكما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم قوله: (لا يجل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: وذكر منها النفس بالنفس)^(٣) .

وإن كانت فيما دون النفس، فالعقوبة تساوي العضو المثلّف، ودليلها قوله تعالى: ﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص﴾^(٤) .

وتأتي أهمية القصاص كوسيلة للترهيب من الردع الخاص والعام الذي يحققه القصاص، فالجاني إذا ما عرف أنه سيؤخذ بالجني عليه، وأنه لن يعيش على هذه الأرض بعده إلا أياماً قليلة حتى يلحقه القصاص نفساً بنفس، وعينا بعين، وأذناً بأذن، وسناً بسن، وليس الأمر أنه سيمكث في السجن شهوراً أو سنيناً ثم يعود إلى حياته العادية، أو أنه سيدفع مبلغاً من المال ثم يستأنف حياته بين ولده وأسرته، بل المسألة أن زوجته وولده سيلقيان مصير ولد المجني عليه

(١) سورة آل عمران : الآية ٧٢

(٢) سورة البقرة : الآية ١٧٨

(٣) صحيح البخاري مع الفتح، وسبق تحريجه (ص ١٠٨) هامش رقم (٣) في هذا المطلب .

(٤) سورة المائدة : جزء من الآية ٤٥

وزوجته من اليتيم والترمل والتعرض للضياع، هذا الشعور رادع قوي، وأثر فعال في منع الجاني من الإقدام على الجريمة^(١)، هذا من جهة الردع الخاص، ومن جهة أخرى إن تطبيق هذه الوسيلة عملياً في حق الجاني يعمل على حصول ردع عام لكل من شاهد أو سمع بقيام هذه الوسيلة، وفي هذا يقول المولى جل علاه: ﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون﴾^(٢) وهذه الآية دليل على ما ذكر سابقاً بكلام وجيز بليغ، يقول الإمام القرطبي رحمه الله: "إن القصاص إذا أقيم وتحقق الحكم فيه ازدجر من يريد قتل آخر، مخافة أن يقتص منه فحياً بذلك معاً، فلهم في ذلك حياة بالقصاص"^(٣).

ثالثاً: حد السكر وشرب الخمر

تكفلت السنة ببيان عقوبة شارب الخمر. وثبت في الصحيحين وغيرهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أوتي بشارب خمر أمر بضربه، فيضربه الحاضرون بما تيسر من النعال والحديد والثياب، وقد أورد الإمام البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: (أُتي النبي صلى الله عليه وسلم بسكران، فأمر بضربه، فمنا من يضربه بيده، ومنا من يضربه بثوبه، ...) ^(٤) الحديث. بهذا يثبت وجوب حد شارب الخمر، والإجماع حاصل على وجوب حد شارب الخمر، وأن حده الجلد، ولكن الاختلاف حاصل في مقداره^(٥)، وقد ثبت عن علي رضي الله عنه أنه قال: (جلد النبي صلى الله عليه وسلم أربعين وجلد أبو بكر أربعين و عمر ثمانين وكل سنة وهذا أحب إلي)^(٦).

(١) انظر: النظام العقابي الإسلامي للدكتور أبو المعاطي حافظ (ص ٣٩٦-٣٩٧)

(٢) سورة البقرة: الآية ١٧٩

(٣) تفسير القرطبي (٢/٢٥٦)

(٤) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الحدود، باب ما يكره من لعن شارب الخمر.. جزء من حديث ٦٧٨١ (١٢/٧٥)

(٥) فقه السنة، للسيد سابق، (٢١/٣٣٥)، ط. الثالثة، ١٤٠١هـ.

(٦) صحيح مسلم، كتاب الحدود، باب حد الخمر، جزء من حديث ١٧٠٧ (٣/١٣٣٢)

يشير كلام علي رضي الله عنه إلى أن فعل عمر رضي الله عنه لم يخرج عن السنة، حيث ثبت أنه عليه السلام كان في بعض الأحيان يضرب شارب الخمر أربعين بجريدتين أو بتعدين فبذلك تبلغ ثمانين.

قاومت هذه الوسيلة كل العوامل الداعية إلى شرب الخمر والمسكرات التي تؤخذ بهدف نسيان الآلام النفسية، أو الهروب من الحقائق، فإذا ما فكر الشخص في شرب الخمر لينسى آلام نفسه وهمومها، وليهرب من عذاب الحقائق إلى سعادة الأوهام، تذكر العقوبة وعذابها...، تذكر الجلد وآلامه، وفي هذا ما يصرفه غالباً عن ارتكاب معصية الشرب، فإذا لم يصرفه ذلك وارتكبها مرة، كان فيما يصيبه من آلام الجلد ووجعه ما يصرفه نهائياً عن العودة إليها، بل وحتى مجرد التفكير فيها مرة أخرى^(١).

رابعاً: حد الزنى

لا يخلو الزاني أن يكون محصناً أو غير محصن، فإن كان محصناً، وجب رجمه حتى الموت، بدليل قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يجل دم امرئ مسلم... إلا بإحدى ثلاث، وذكر منها: الثيب الزاني)^(٢)، ومما يدل على رجمه: قيامه صلى الله عليه وسلم برجم معز بن مالك الأسلمي ورجم الغامدية^(٣)، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (أتى رجل من المسلمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد، فناده فقال: يا رسول الله، إني زنت فأعرض عنه. فتنحى تلقاء وجهه. فقال له: يا رسول الله: إني زنت، فأعرض عنه صلى الله عليه وسلم، حتى ثنى ذلك عليه أربع مرات، فلما شهد على نفسه أربع شهادات دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أباك جنون؟ قال: لا، قال: فهل أحصنت؟ قال: نعم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اذهبوا به فارجموه)^(٤).

(١) انظر: التشريع الجنائي الإسلامي، عبد القادر عودة، (١/٦٤٩-٦٥٠) بتصرف، ط: دار الكتاب العربي - بيروت

(٢) صحيح البخاري مع الفتح، سبق تخريجه (ص ١٠٨) في هذا المطلب.

(٣) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٨/٣٣٣، مرجع سابق

(٤) صحيح مسلم، كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنى، حديث ١٦٩١ م (٣/١٣١٨)

وإن كان الزاني غير محصن يجلد مائة ويغرب عاماً، والأصل في ذلك قوله تعالى: ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾^(١) ، ومن السنة كما جاء في قصة العسيف قوله صلى الله عليه وسلم: (أما والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله، أما غنمك وجاريتك فرد عليك ، وجلد أبنه مائة وغربه عاماً، وأمر أنيساً الأسلمي أن يأتي امرأة الآخر، فإن اعترفت رجمها، فاعترفت، فرجمها)^(٢) .

فعقوبة المحصن شرعت أشد من عقوبة البكر، ذلك لأن المحصن قد توفرت فيه موانع الزنى، فإذا زنى بعد ذلك، فإنه قد أتى فعلاً غاية في القبح، فوجب أن تكون عقوبته غاية في الشدة. وهناك جريمته تلحق بالزنى هي اللواط، وحدها القتل للفاعل والمفعول. وأصل ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به)^(٣) .

إن الدافع الذي يدعوا الزاني إلى الزنى هو شهوة اللذة والاستمتاع بالنشوة، والدافع الوحيد الذي يصرف الإنسان عن اللذة هو الألم الجسدي نتيجة الجلد، أو الألم النفسي نتيجة الإمتهان الذي يلقاه من الجمهور المشاهد ﴿وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾^(١) ، ومحال أن يستمتع الإنسان بنشوة اللذة إذا تذوق أو فكر بالألم.

فالزاني المحصن إذا اتجه تفكيره إلى الموت، وليس الموت المجرد من الألم بل الموت الذي يصاحبه عذاب الرجم، تولدت عنده عوامل نفسية مضادة تصرفه عن الزنى، وكذلك الزاني غير المحصن إذا فكر في آلام الجلد والنفي، تتولد عنده عوامل نفسية مضادة تدفع العوامل التي تدعو إلى الزنى وتصرفه عن فعل الفاحشة، فإذا تغلبت العوامل الداعية على العوامل الصارفة

(١) سورة النور: الآية ٢

(٢) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمينا النبي صلى الله عليه وسلم، جزء من الحديث ٦٦٣٤ (١١/٥٢٣)

(٣) صحيح سنن الترمذي، كتاب الحدود، باب حد اللوطي، حديث ١١٧٧ (٢/٧٦) صحيح السنن للألباني، الناشر: مكتب التربية لدول الخليج،

الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ

وارتكب الزاني الفاحشة مرة، كان فيما يصيبه من ألم الوسيلة لترهيبة ما ينسيه اللذة ويحمله على عدم التفكير فيها^(١) .

خامساً: حد القذف

شرع الله سبحانه وتعالى حد القذف ثمانين جلدة، من أجل تحذير المجتمع المسلم وتربيته على الأخلاق الكريمة وكف الألسنة المتهوررة التي تشيع الفاحشة بين المؤمنين، وتمس أعراضهم زوراً وبهتاناً، قال تعالى: ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون﴾^(٢) ومعنى المحصن هنا هو: الحر العفيف، وهو يختلف عن إحصان الرجم الذي معناه: من وطئ وطئاً كاملاً في نكاح تام^(٣) .

حاربت هذه الوسيلة كل الدوافع النفسية الداعية إلى المعصية بالعوامل النفسية المضادة، التي تستطيع وحدها التغلب على الدوافع الداعية إليها، فإذا فكر شخص أن يقذف شخصاً آخر كذباً وبهتاناً ليؤلم نفسه ويحقر شخصه، تذكر أن هناك عقوبة مزدوجة بانتظاره، عقوبة تؤلم النفس والبدن معاً، وتذكر التحقير الذي سيفرضه المجتمع عليه بسقوط عدالته وشهادته أبداً، ازداد المانع في التفوه بتلك المعصية وإشاعتها في المجتمع، ثم إذا علم أن اسم الصلاح يسلب منه ويوصم باسم الفسق قوي المانع .

فإذا ما تغلبت العوامل الداعية إلى الجريمة عند بعض النفوس الضعيفة على العوامل الصارفة، وارتكب العاصي جريمة القذف، كان فيما يصيبه في بدنه ونفسه من ألم الجلد، وفيما يلحق شخصه من تحقير الناس ما يصرفه نهائياً عن العودة إلى ارتكاب الجريمة مرة أخرى، بل ما يصرفه نهائياً عن التفكير فيها^(٤) .

(١) انظر: التشريع الجنائي الإسلامي (١/٦٣٦) ، مرجع سابق

(٢) سورة النور : الآية ٤

(٣) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣٤٢/٢٨)

(٤) انظر التشريع الجنائي الإسلامي (١/٦٤٦) بتصرف

سادساً: حد السرقة

حفظ الإسلام أموال الناس من الاعتداء عليها، وشرع لذلك عقوبة صارمة إذا تحققت السرقة بشروطها، وهي قطع اليد اليمنى^(١) وهذه العقوبة ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع. أما الكتاب، فقوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٢)، ومن السنة ماجاء في صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: تقطع اليد في ربع دينار فصاعداً)^(٣)، وقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع يد امرأة مخزومية^(٤)، كما أجمع المسلمون على قطع يد السارق في الجملة^(٥).

ومن المعلوم أن السارق حينما يفكر في السرقة، إنما يفكر في زيادة ونماء كسبه بكسب غيره، ليزيد من قدرته على الإنفاق، أو ليظهر أمام الناس بمظهر الأبهة والعظمة، وهذه الوسيلة حاربت الدوافع النفسية التي تدعو إلى ارتكاب هذه المعصية بعوامل نفسية مضادة تصرف عن جريمة السرقة، ألا وهي القطع.

ومؤكد أن قطع يد السارق معناه تعطيل أداة رئيسة للكسب، إضافة إلى المظهر غير اللائق الذي سيكون عليه السارق بعد القطع، فإذا ماساورت الشخص العوامل النفسية الشريرة الداعية إلى ارتكاب السرقة، تذكر العقوبة وشدها، فيدفعه ذلك إلى مقاومة هذه النزعة الشريرة، فإذا ماضعت نفسه ودفعته إلى السرقة، قطعت يده، وبذا يكون معه مانع قوي من السرقة، بل ويصاحبه حيثما حل وارتحل^(٦).

(١) انظر الفتاوى (٣٢٩/٢٨)

(٢) سورة المائدة: الآية ٣٨

(٣) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الحدود، باب قول الله تعالى: (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما..) حديث ٦٧٨٩، (٩٦/١٢)

(٤) إشارة إلى حديث في المرجع السابق (٨٧/١٢)

(٥) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٣٢٩/٢٨)

(٦) انظر التشريع الجنائي الإسلامي (٦٥٣-٦٥٢/١)

سابعاً: حد الحرابة

لما كانت الحرابة من أشنع الجرائم ترويعاً للناس، وانتهاكاً لأمن المجتمع، وإخلالاً لنظامه، لأنها قد تكون اعتداءً على النفس أو على العرض أو على المال، وقد تكون اعتداءً على الجميع في وقت واحد، لذلك كانت عقوبتها من أقسى العقوبات المشروعة. ولتدبر ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(١). وكما هو واضح، فإن هذه الآية الكريمة أحاطت معظم العقوبات وسيطرت على معظم الجرائم!!! ففيها قتل وصلب لمن أخذ مالاً وقتل، وفيها قتل فقط لمن قتل ولم يأخذ مالاً، ومن أخذ مالاً فقط كان جزاؤه قطع أطرافه من خلاف، وإن لم يحصل اعتداء على نفس أو مال، نُفي وشُرِّد في البلاد والأمصار، فالعقوبة الترهيبية في هذه الوسيلة متنوعة يختلف ترتيبها باختلاف الجناية، بما يحقق الزجر والمنع^(٢). ولاشك أن هذه العقوبات المرهبة مع شدتها من أنجح العقوبات على منع الفتن والاضطرابات في المجتمع، وبالتالي نشر الأمن والطمأنينة بين أفرادها.

يلاحظ في هذه الوسيلة أنها من أقسى الوسائل الترهيبية عقوبة، ففيها تغليظ العقوبة، حيث تقطع الأطراف من خلاف، وفيها السجن، وفيها النفي. فإذا فكر الإنسان في قتل غيره، وأخذ ماله، أو حتى مجرد إخافة الناس وإرهابهم وقطع الطريق عليهم، ذكرتلك العقوبات المؤلمة الشديدة، وأنه سيعاقب على فعله بالقتل، أو بالقتل والصلب، أو تقطيع أطرافه من خلاف، تولد في نفسه صارف يصرفه عن ارتكاب مثل تلك الجرائم، وكذلك قاطع الطريق الذي يخيف الناس ويرهبهم لا لأجل أخذ ماله أو قتلهم، إنما يقصد بفعله ذلك الشهرة أو إبعاد الأمن عن الناس، فكانت العقوبة الفعلية من خلال هذه الوسيلة النفي أو السجن الذي يؤدي إلى الخمول وانقطاع الذكر، فإذا فكر الشخص بالجريمة لجلب الشهرة ونشر الفوضى،

(١) سورة المائدة: الآية ٣٣

(٢) انظر: التشريع الجنائي الإسلامي (١/٦٥٦-٦٦١)

وتذكر في المقابل العقوبة التي تجلب له الخمول، أو علم أنه سيُنقَى عنه الأمن في كل الأرض، يتولد عنده صارف عن ارتكاب مثل تلك الجريمة.

ثامناً: حد البغي

وضعت الشريعة عقوبة القتل على هذه الجريمة الموجهة إلى نظام الحكم والقائمين عليه . والأصل فيه القرآن والسنة والاجماع (١) .

فمن القرآن قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْآخَرَى فَقَاتَلَا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَ ت فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسَطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسَطِينَ﴾ (٢) .

ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم: (من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه) (٣) .

ولاشك أن إقامة هذا الترهيب العملي فيه تحذير لمن تسول لهم أنفسهم الخروج عن طاعة إمام الحق (٤) ، وفي نفس الوقت ترهيب للمندفعين والمنساقين وراء المضللين الذين كل همهم محصور في الإفساد ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، فإذا فكر إنسان في الخروج عن طاعة إمام الحق، أو حاول الجري وراء المضللين، تذكر العقوبة وشدتها فكان ذلك صارفاً له عن الجريمة، وقاضياً على العوامل الداخلية الدافعة إلى الجريمة.

(١) انظر حاشية الروض المربع ٣٩٠/٧

(٢) سورة الحجرات : الآية ٩

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة، باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع، حديث ١٨٥٢ م (٣/١٤٨٠)

(٤) انظر : شرح فتح القدير (٥/٣٣٤) للإمام كمال الدين محمد المعروف بابن الهمام، دار إحياء التراث العربي بيروت-لبنان

الوسيلة العملية الرابعة الترهيب من خلال الجهاد

شرع سبحانه وتعالى الجهاد كوسيلة لترهيب أعدائه وإخافتهم، وفي هذا يقول المولى سبحانه: ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾^(١). وهذه الوسيلة إنما تستعمل في حق الكفار أعداء الله والإسلام والمسلمين. يدل على ذلك تفسيره صلى الله عليه وسلم لمعنى الجهاد عندما سئل عن معناه، حيث قال: (أن تقاتل الكفار إذا لقيتهم)^(٢).

وقد أجمع غير واحد من علماء السلف الصالح أن هذه الوسيلة إنما تكون في حق الكفار. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "فأصل هذا هو جهاد الكفار أعداء الله ورسوله، فكل من بلغته دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى دين الله الذي بعث به، فلم يستجب له، فإنه يجب قتاله"^(٣) ويقول الحافظ ابن حجر رحمه الله: "بذل الجهد في قتال الكفار"^(٤)، ويقول ابن مفلح في كتاب المبدع عن هذه الوسيلة: "إنها عبارة عن قتال الكفار خاصة"^(٥)، ويقول ابن رشد: "...إلا أن الجهاد في سبيل الله إذا أطلق، فلا يقع بإطلاقه إلا على مجاهدة الكفار بالسيف حتى يدخلوا في الإسلام، أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون"^(٦).

كيف يعمل الجهاد وسيلة للترهيب عند الدعوة إلى الله؟

إن قيام المسلمين بهذه الوسيلة ضد أعداء الله معناه استخدام القوة الترهيبية العملية، ووجود هذه القوة بيد المؤمنين يعني - بإذن الله تعالى - تحقيق هدف الجهاد الأسمى، ألا وهو: تعييد الناس لله وحده، وإخراجهم من العبودية للعباد إلى العبودية لرب العباد، وإزالة

(١) سورة الأنفال: جزء من الآية ٦٠

(٢) جزء من حديث رواه الإمام أحمد في مسنده عن عمرو بن عبسة رضي الله عنه (٤: ١١٤) وانظر مجموع الفتاوى (٧٠/٧)

(٣) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية (ص ١٢٥)

(٤) فتح الباري (٣/٦)

(٥) المبدع في شرح المقنع لابن مفلح (٣٠٧/٣) نشر المكتب الإسلامي، ط الأولى ١٤٠١هـ

(٦) المقدمات لابن رشد (٢٥٩/١) نشر دار صادر، بيروت

الطواغيت كلها من الأرض جميعاً، وإخلاء العالم من الفساد^(١)، كما قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾^(٢).

ويؤكد شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم رحمهما الله هذا المعنى لمقصود الجهاد، فيقول ابن تيمية: "أصل القتال المشروع هو الجهاد، ومقصوده أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا، فمن منع هذا قوتل باتفاق المسلمين"^(٣)، ويقول ابن القيم: "المقصود من الجهاد إنما هو أن تكون كلمة الله هي العليا، ويكون الدين كله لله.. فإن من كون الدين كله لله إذلال الكفر وأهله وصغاره، وضرب الجزية على رؤوس أهله، والرق على رقابهم، فهذا من دين الله"^(٤).

إن هدف الجهاد إذا تحقق معناه إما دخول الكفار تحت راية الإسلام -وهذا هو المطلوب الأعظم للدعوة- وإما معناه- كما قال ابن القيم رحمه الله -صب القهر والإذلال فوق رؤوس الكفار، وبالتالي كسر شوكتهم وإخضاعهم لأحكام الإسلام، ومنعهم من المجاهرة بدينهم، ومنعهم من التعامل بالربا والزنى ونحو ذلك^(٥).

وكذلك فإن في الجهاد إدخال الرعب في قلوب الكفار بقتل بعضهم إذا لم يخضعوا للحكم الإسلامي، وفي ذلك أيضاً نصر للدعوة. والسبب في ذلك هو أن إذلال الكفار وإدخال الرعب والخوف في قلوبهم فيه دفع الأذى ورد العدوان عن منجزات الدعوة الإسلامية، وفيه تحطيم للحواجز المادية والمعنوية التي يقيمها الكفار أمام الدعوة، وفيه إزالة للعوائق والعقبات من طريق الدعوة^(٦) وبذا يتمكن الناس من الاستماع إلى دلائل التوحيد،

(١) أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية، د. /علي العلياني (ص ١٥٨) دار طيبة، الرياض-السعودية، ط. الأولى ١٤٠٥هـ.

(٢) سورة الأنفال : جزء من الآية ٣٩

(٣) السياسة الشرعية لابن تيمية (ص ١٣١)

(٤) أحكام أهل الذمة لابن القيم (١٨/١) تحقيق د. صبحي الصالح، الناشر دار العلم للملايين، ط: الثانية ١٤٠١هـ.

(٥) انظر : أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية (ص ١٧٣)

(٦) انظر : افتراءات حول غايات الجهاد ، د. محمد نعيم ياسين (ص ٧٩) بتصرف، دارة الأرقم، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

ومشاهدة نظام الإسلام وعدله، وما فيه من سمو في شتى المجالات^(١) من غير عائق ولا حاجز بشري .

المسألة الثانية

خصائص وسائل الترهيب العملية في الدعوة إلى الله

وسائل الترهيب العملية وسائل ناجحة ومهمة في حياة الناس، وهناك خصائص ومميزات وأمور أعطتها تلك الأهمية وذلك النجاح وأهم تلك الأمور:

أولاً: أنها ربانية لابشورية:

وضعها اللطيف الخبير، العالم بأحوال خلقه . قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(٢) ومادامت كذلك فهي أدوية شافية واقية لا يعقبها إتكاس ولا ارتكاس، بل الثبوت والدوام والإستمرار .

ومادامت ربانية من عند الله سبحانه، فهي كاملة غير ناقصة، ثابتة لا تتغير على مر الأزمان، ولم تتغير منذ أربعة عشر قرناً، وقواعدها ونصوصها من المرونة والعموم، بحيث تتسع لحاجات الجماعة والأفراد مهما طالت الأزمان وتطورت الجماعات، بخلاف الوسائل البشرية والمسماة بالقوانين الوضعية والمتسمة بالنقص، آية نقصها أنها تحتاج كل وقت إلى تعديل وسد ثغرات، يكشف عنها الزمان، مهما حاولت أن تتسامى لتصل إلى مستوى الكمال ولكن هيهات.

وإذا ما حاولنا المقارنة بين الحدود والعقوبات الشرعية كمثال لوسائل الترهيب العملية الربانية، وبين ما وضعه البشر بديلاً لها من وسائل الترهيب، نجد أن البون شاسع، والفرق واسع، وسيتجلى لنا ما للوسائل الربانية وإقامتها من آثار جليلة في القضاء على الجريمة أو

(١) انظر : أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية (ص ١٧٣)

(٢) سورة الملك : الآية ١٤

تضييق لدائرتها ما أمكن وعلى العكس من ذلك سنرى أن الوسائل التي وضعها البشر لا تؤدي الغرض، بل ربما زادت الطين بلة، وعلمت الناس من أساليب الإجرام ما لم يكونوا يعلمون، فمثلاً: هل حبس السارق أو المحارب أو قاطع الطريق جعله يعدل عن السرقة؟ هل حبس السكران أو تاجر المخدرات مثلاً قومٌ خلقه وأصلح شأنه وأوقفه عند حده؟ هل تغريم الناس بضعة نقود جعلهم يحترمون الأعراض والمقدسات، فأصبحوا لا يهتكون عرضاً، ولا يسبون ديناً، ولا يقذفون محصناً؟

إن المسجون ربما يخرج من سجنه مزوداً بحصيلة من الشتائم وألفاظ السباب والطعن في الدين وفي الأعراض، بل إن مخالطة الأشرار بعضهم البعض تزيد التعلم والتفنن في وسائل العدوان وأساليب الإجرام حصيلة لم تكن لتتوفر له خارج السجن. إذاً، مهما قيل في هذه الوسائل، ومهما أثرت حولها من شبهات^(١) تبقى هذه الوسائل الربانية الدواء الناجح لجميع أمراض المجتمع، والتجربة والمشاهدة في البلاد التي تقيم هذه الوسائل خير دليل وأسطع برهان^(٢).

ثانياً: إنها رحمة للعباد:

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: "وينبغي أن يعرف أن إقامة الحد رحمة من الله بعباده، فيكون الوالي شديداً في إقامة الحد، لا تأخذه رهبة في دين الله فيعطله، ويكون قصده رحمة الخلق بكشف الناس عن المنكرات لا لشفاء غيظه وإرادة العلو عن الخلق، بل بمنزلة الوالد إذا أدب ولده، فإنه لو كف عن تأديب ولده كما تشير به الأم رقة ورأفة لفسد الولد، وإنما يؤديه رحمة وإصلاحاً لحاله مع أنه يود أن لا يحوجه إلى تأديب"^(٣).

إن هذه الوسائل قد تكون في ظاهرها مفاصد في حق من تنزل به، لكنها في آثارها رحمة.. وفي نتائجها مصلحة للمجتمع، والعبرة بالنتائج كما يقول العز بن عبد السلام رحمه الله.

(١) انظر هذه الشبهة والرد عليها بتفصيل رافع في كتاب أثر تطبيق الحدود في المجتمع، أ. الغزالي خليل عيد، (ص ١٦٧-١٨٣)

(٢) انظر التشريع الجنائي الإسلامي، (١/٤-٥) بتصرف

(٣) السياسة الشرعية ص ١٠٦ مرجع سابق

ربما كانت أسباب المصالح مفسدة، فيؤمر بها أو تباح، لا لكونها مفسدة، بل لكونها مؤدية إلى المصالح، كالمخاطرة بالأرواح في الجهاد، وكذلك العقوبات الشرعية كلها ليست مطلوبة لكونها مفسدة بل لكون المصلحة هي المقصودة، كذلك الحدود أوجبها من شرعها، كقطع يد السارق ورجم الزناة وجلدهم، وكذلك التعزيرات كلها مفسدة، والكفارات كلها مشقة، والجهاد فيه من الجهد والتعب والإصابة بالظمأ والنصب والمخمصة مافيه، ومع ذلك أوجبها الشرع لتحصيل مراتب عليها من المصالح الحقيقية^(١) وهي توفير الرحمة العامة للناس أجمعين، وذلك حين تنكشف عنهم المنكرات، ويرتفع حكم الكفار، وتزال العوائق والعقبات عن عموم الناس، وتصبح السيطرة لأحكام الله في الأرض.

ثالثاً: إنها تعمل على تكفير الذنوب والمعاصي

وهذا من كرم الله جل وعلا بعباده، حيث لم يجمع عليهم عقوبتين، عقوبة الدنيا وعقوبة الآخرة، ومما ورد في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: (بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا ولا تنزنوا ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا بيهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا، فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً، ثم ستره الله، فهو إلى الله إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه)^(٢). يقول القاضي عياض رحمه الله: "ذهب أكثر العلماء أن الحدود كفارات واستدلوا بهذا الحديث"^(٣)، وهذا ليس حصراً على الحدود، بل إن العقوبة متى وقعت على العاصي، كانت له كفارة، يقول ابن حجر في قوله عليه السلام: (فعوقب به)^(٤): "هذا أعم من أن تكون العقوبة حداً أو تعزيراً"^(٥).

وهنا يشترط التوبة والندم من الذنب حتى يحصل التكفير، يدل على ذلك حديث معز بن مالك رضي الله عنه عند اختلاف الناس في شأنه بعد رجمه فقال قائل:..لقد هلك، لقد

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، للإمام عز الدين عبد السلام (١٤/١) راجعه طه عبد الرؤوف، دار الجيل، ط. الثانية، ١٤٠٠هـ

(٢) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الإيمان، حديث ١٨ (٦٤/١)

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٦٦/١)

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٦٨/١

أحاطت به خطيئته"، وقال آخر: "ماتوبة أفضل من توبة ماعز"، حتى جاء الفصل في جوابه عليه السلام، حيث قال: (لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لو سعتهم) (١).

وحدث الجهنية التي صلى عليها رسول الرحمة بعد رجوعها، فقال له عمر رضي الله عنه أتصلي عليها وقد زنت؟ فجاءه الجواب سريعاً على لسان النبي العظيم صلى الله عليه وسلم: (... لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لو سعتهم، وهل وجدت توبة أفضل من أن جادت بنفسها لله؟) (٢). وفي هذا الصدد يقول شيخ الإسلام رحمه الله: "ولهذا اتفق العلماء- فيما أعلم- على أن قاطع الطريق واللصوص ونحوهما إذا رفعوا إلى ولي الأمر، ثم تابو بعد ذلك لم يسقط الحد عنهم، بل تجب إقامته وإن تابوا، فإن كانوا صادقين في التوبة كان الحد كفارة لهم" (٣).

هذا بخصوص وسيلة الحدود والتعزير، أما وسيلة الكفارات، فواضح من اسمها أنها تعمل على تكفير الذنوب، وهي إنما شرعت لهذا الغرض.

وأما وسيلة الجهاد، فقد وردت أحاديث صحيحة تبين أن الشهيد بفضل الله ورحمته مغفور له، ومما يدل على ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (إن للشهيد عند ربه ست خصال: يغفر له في أول دفعة، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ..) (٤) الحديث.

رابعاً: إن هذه الوسائل بمنزلة العبادة والجهاد

وتفسير ذلك أن الله تعالى أمر بتعظيم حرماته، حيث قال عز وجل: ﴿ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه﴾ (٥)، وقال سبحانه: ﴿تلك حدود الله فلا تقربوها﴾ (٦)، وقال عليه

(١) صحيح مسلم، كتب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنا، جزء من حديث ١٦٩٥ (١٣٢٢/٣)

(٢) صحيح مسلم، كتب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنا، جزء من الحديث ١٦٩٦ (١٣٢٤/٣)

(٣) فتاوى شيخ الإسلام (٣٠٠/٢٨)

(٤) صحيح سنن الترمذي، أبواب فضائل الجهاد، باب ٢٥، حديث ١٣٥٨ (١٣٢٢/٢)

(٥) سورة الحج: جزء من الآية ٣٠

(٦) سورة البقرة: جزء من الآية ١٨٧

عليه السلام: (ألا إن حمى الله في أرضه محارمه)^(١) ، فتعظيم حرمان الله وعدم الاجترار على حدوده، فيه تعظيم لأمره تعالى وطاعة له وعبادة، وهو خير ما يتقرب به إلى الله تعالى ، في حين أن العدوان على هذه الحدود ومواقعة حمى الله هي المعصية بعينها. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَحَادُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذْلَىٰ﴾^(٢) هذا فضلاً عن أن الكفارات "عقوبة مقررة على المعصية بقصد التكفير عن إتيانها، وهي في الأصل نوع من العبادة، لأنها عبارة عن عتق أو إطعام مسكين أو صوم رمضان"^(٣) وأما كون إقامة الحدود جهاد يقول شيخ الإسلام: "إن إقامة الحد من العبادات كالجهد في سبيل الله"^(٤) . فهو رحمه الله يعتبر إقامة الحدود عبادة إذا أدت على وجهها، وأنها جهاد في سبيل الله تعالى، وإذا كان الذي يحمل السيف داعياً إلى الحق راداً للإعتداء مجاهداً. فمن يدفع الشر داخل الأمة، ويجرد سيف الشرع يجمع به العابثين بأحكامه، الذين يعيشون في الأرض فساداً، ويدفع اعتداءهم مجاهداً، لأنه جهاد لحماية الدين والنفس والأخلاق والفضيلة^(٥) . وكذلك القيام بوسيلة الجهاد ذاتها والتي تعد من أفضل العبادات وأشملها كما ذكر ذلك شيخ الإسلام حين وضع أنه لم يرد في ثواب الأعمال وفضلها مثل ماورد في هذه الوسيلة ، ذلك لأن نفع الجهاد عام لفاعله ولغيره في الدين والدنيا، ويشتمل على جميع العبادات الباطنة والظاهرة مثل محبة الله والإخلاص له والصبر والزهد^(٦) .

خامساً: أن فيها تحقيق لمبدأ العدل والمساواة

ومما يدل على ذلك غضبه صلى الله عليه وسلم لما جاءه حبه أسامة رضي الله عنه شافعاً فيما حرمه الله، وهو الشفاعة في الحدود^(٧) . فقد روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها

(١) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الإيمان، باب فضل من استترأ لدينه، جزء من الحديث ٥٢ (١/١٢٦) وفي صحيح مسلم،

كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال، جزء من الحديث ١٥٩٩ (٣/١٢٢٠) واللفظ للبخاري

(٢) سورة المجادلة : الآية ٢٠

(٣) أثر تطبيق الشريعة الإسلامية في منع الجريمة، د. أبو بكر اسماعيل ميكا (ص ٩٠) ط. مكتبة التوبة، ط الأولى ١٤١١ هـ

(٤) السياسة الشرعية (ص ١٠٦) مرجع سابق

(٥) انظر : الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي، الشيخ محمد أبو زهرة (ص ٧٥) ط. دار الفكر العربي

(٦) انظر : مجموع فتاوي شيخ الإسلام (٣٥٣/٢٨)

(٧) انظر : المرجع السابق (٢٩٩/٢٨)

أن قريشاً أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: من يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يجترىء عليه إلا أسامة جِبُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: (أتشفع في حد من حدود الله)؟ ثم قام فخطب فقال: (يا أيها الناس إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها)^(١).

يقول ابن تيمية رحمه الله: في هذه القصة عبرة، فإن أشرف بيت كان في قريش بطنان: بنو مخزوم وبنو عبد مناف، والمرأة التي وجب عليها القطع بسرقتها من بني مخزوم أكبر القبائل^(٢) ووجه العبرة في القصة ظهور مبدأ المساواة والعدل فعلاً من إصرار النبي عليه السلام على إقامة الحد ولو كانت المرأة من أشرف الناس.. ولو كان الشافع أحب الناس إليه، كما يظهر هذا المبدأ قولاً من قسمه صلى الله عليه وسلم بإقامة الحد ولو كانت المعصية من أحب الناس إليه - ابنته فاطمة - يقول الشافعي: "إنما خص صلى الله عليه وسلم فاطمة بالذكر، لأنها أعز أهله عنده، ولأنه لم يبق من بناته حينئذ غيرها، فأراد المبالغة في إثبات إقامة الحد على كل مكلف، وترك المحاباة في ذلك"^(٣).

إن وقوفه صلى الله عليه وسلم بين الناس قائلاً: (يا أيها الناس إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف.. الخ) يكشف لنا بوضوح أن هذه الوسائل أسوار منيعة لا تقبل فيها المساومة لأجل الشرف والرفعة، بل الضعيف قوي حتى يؤخذ له الحق، والقوي ضعيف حتى يؤخذ منه الحق، وأن حكم الله واحد للجميع.

وكذلك وسيلة الجهاد إنما كانت على أساس العدل والمساواة، ويظهر ذلك من وصيته عليه السلام لجنوده عند قيامهم بهذه الوسيلة، حيث يقول: (... وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم -

(١) صحيح البخاري مع الفتح، سبق تخريجه في الفصل الأول (ص ٢٧)

(٢) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢٨/٢٩٩)

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٢/٩٥)

وذكر الإسلام والجزية والقتال- (١). إن تخيير العدو الكافر بين اعتناق الإسلام وبين دفع الجزية، وبين الدخول في معركة مع المسلمين، غاية العدل، ثم إذا اختاروا الأولى كانوا إخواناً للمسلمين، لهم ماعلى المسلمين، وعليهم ماعلى المسلمين، دون نقص أو زيادة. ومع ذلك ليسوا مجبورين على ذلك، فإن إختاروا الثانية ورفضوا الإسلام وقبلوا عهد المسلمين وذمتهم، وجب على المسلمين القبول منهم وإعطائهم حقوقهم ومعاملتهم بالحسنى، وحرّم عليهم مقاتلتهم، فإن اختاروا الثالثة استعان المسلمون بالله وقاتلوهم بأسلوب نظيف (٢).

سادساً- إنها وسيلة للقضاء على الجريمة والإجرام أو الحد من انتشارها:

إن هذه الوسائل تؤدي دورين مزدوجين في القضاء على الجريمة:

الدور الأول:- أنها تمنع الجريمة قبل وقوعها.

الدور الثاني:- أنها زواجر بعد فعلها.

وفي هذا يقول ابن الهمام: "إنها موانع قبل الفعل، زواجر بعده، أي العلم بشرعيتها يمنع الإقدام على الفعل، وإيقاعها بعده يمنع من العودة إليه" (٣)، ولتقف قليلاً في شرح هذين المعنيين، إن هذه الوسائل أتجهت إلى العقاب ببيان ذلك بالحس والعيان، لا بالفرض والتخمين والتقدير، فجاءت نتيجتها مثمرة، فالعصاة إذا ما فكروا في ارتكاب معصية، والكفار إذا ما حاولوا الاعتداء على المسلمين، ذكروا العقوبة الفعلية واستحضروها بقلوبهم وعقولهم وما يصيبهم من فضيحة وعار وتحقير (٤)، صرفهم ذلك في الغالب عن ارتكاب الجريمة أو التفوه بها أو حتى مجرد التفكير، هنا يكون لإقامة هذه الوسائل وتطبيقها من الردع والزجر ما هو كفيفل بكسر شوكة الخارجين عن أوامر الشريعة وتقليص عددهم ما يجعل الجرائم أياً كانت تميل إلى الانخفاض وفي المقابل يرتفع معدل الأمن والطمأنينة.

(١) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعث.. جزء من حديث ١٧٣١ م (٣/١٣٥٧)

(٢) انظر: افتراءات حول غايات الجهاد، د. / محمد نعيم ياسين (ص ٥٢، ٥٣)، مرجع سابق، وهذا الحكم خاص بالمشركين من أهل الكتاب والمجوس أما بقية الكفار فيخبرون بين الإسلام والسيوف، انظر المرجع نفسه.

(٣) شرح فتح القدير، لابن الهمام (٣/٥)، مرجع سابق

(٤) انظر: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، للماوردي (ص ٢٥٠) راجعه: محمد فهمي، ط. المكتبة التوفيقية.

سابعاً: إن في إقامتها الفوز برخاء الدنيا

ومما يدل على ذلك ماجاء في الحديث الذي رواه النسائي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (حد يعمل في الأرض خير لأهل الأرض من أن يعطروا ثلاثين صباحاً)^(١) ، وفي هذا يقول ابن تيمية رحمه الله: "إن المعاصي سبب لنقص الرزق والخوف من العدو، فإذا أقيمت الحدود ظهرت طاعة الله ونقصت معصية الله، حصل الرزق والنصر"^(٢) .

ووجه ذلك أن تطبيق هذه الوسائل معناه عدم تحكم الأعداء على العباد وعلى خيرات البلاد، ومعناه أيضاً ندره الجرائم وقلة المعاصي ، ويترتب على ذلك شعور الأمة بالراحة والطمأنينة والاستقرار والأمن، فتنصرف طاقات الأفراد إلى العمل والإنتاج المستمر ، ذلك لأن الطاقة الإنسانية أشبه بكمية من الغاز المضغوط في وعاء تتصل به مجموعة من الأنابيب، فلو وضعنا بعض الصمامات لسد بعض تلك الأنابيب فإن الغاز سيتحول إلى غيرها مادام هو بطبيعته يميل إلى الإنطلاق حتى يجد أمامه منفذاً^(٣) ، وهكذا تنطلق طاقات الأفراد نحو البناء مادامت منافذ الشر قد سدت، فدينهم في منعة من العيش، ودمائهم وأموالهم وأعراضهم مصنونة من الأعداء، معصومة إلا بحقها ، وعقولهم أمانة بأيديهم يعاقبون إذا خانوا الله فيها .

وهنا يتهيأ لهم مناخ نظيف لمزيد من العمل والكفاح. وكذلك فإن إقامة وسائل الترهيب العملية معناه إنكماش أجهزة الأمن وتضييق نطاقها وفي ذلك تخفيف للمجتمع من رصد الميزانيات الضخمة التي تخصص لهم، والتي لو أنفقت في مشاريع إنمائية أخرى لسدت ثغرات

(١) صحيح سنن النسائي، كتاب قطع السارق، باب الترغيب في إقامة الحد، حديث ٤٥٥٤ (١٠١٢/٣) تصحيح الألباني، الناشر مكتبة التربية العربي لدول الخليج، ط. الأولى ١٤٠٩هـ، وبنحوه في صحيح سنن ابن ماجه، كتاب الحدود، باب إقامة الحدود، حديث ٢٠٥٦ (٧٨/٢)

(٢) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣٠٢/٢٨)

(٣) انظر: أثر إقامة الحدود في استقرار المجتمع، للدكتور محمد حسين (ص ٨٥) ط. دار الاعتصام ، ط الأولى ١٣٩٨هـ

كبيرة في المجتمعات. وبذلك يتوفر الرخاء ، وتتسع أرزاق البلاد، وفي هذا تحقيق لقوله تعالى ﴿وَأَلُو اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾^(١) .

ثامناً: أنها موافقة لطبيعة النفس الإنسانية

ومن الأسباب المهمة في نجاح وسائل الترهيب العملي في مكافحة الجرائم والمعاصي ، أن عقوبتها قد وضعت على أساس طبيعة الإنسان، ومن طبيعته أن يخشى ويرجو، فلا يأتي عملاً إلا بقدر ما يرجو من منفعه، ولا يتعد إلا بقدر ما يخشى من مضاره، فهو دائم الموازنة بين مافي الفعل من منفعة وما يترتب عليه من ضرر، فإن رجحت كفة المنافع أقدم عليه، وإن رجحت كفة المضار أحجم عنه.

هذه الطبيعة ملازمة له في جميع الأفعال، سواء كانت مباحة أو محظورة، فهو يقدم على المعصية لما ينتظره من منفعة تعود عليه منها، ولا يجتنبها إلا لما يخشى على نفسه من ضرر يعود عليه منها، إذا كلما اشتدت العقوبة على المعصية ابتعد عنها الناس، ولا سيما إذا كانت العقوبة واجبة التنفيذ لا محيص عنها أو التخفيف منها، فإن ذلك يكون باعثاً نفسياً يبعثه على اليأس من الخلاص منها، فيحول دون الوقوع في الجريمة أو المعصية^(٢) .

تاسعاً: إنها تحقق هدف الترهيب العملي

قلنا سابقاً: إن الترهيب العملي يهدف إلى الحفاظ على الضرورات الخمس^(٣) ، وهذه الوسائل بفضل الله تعمل على الحفاظ على تلك الضرورات.

فالدين هو أول الحرمات، وهو المقدم على كل الضرورات، واعتبر القرآن فتنة المؤمن عن دينه أكبر من قتله وأشد. قال تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾^(١) وقال سبحانه: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾^(٢) . والنفس هي المقدمة-بعد الدين- على سائر ما يجرص عليه الإنسان ويحميه.

(١) سورة الجن : الآية ١٦

(٢) انظر أثر تطبيق الحدود في المجتمع (ص ٣١٠) بتصرف، مرجع سابق

(٣) انظر المطلب الثاني من المبحث الأول في هذا الفصل ص(٧٢-٧٦) .

ويوضح سبحانه انشغال الإنسان بنفسه عن أقرب القريب في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ . وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ . وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ . لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ (١) .

والعقل مناط التكليف، وبه تقوم إنسانية الإنسان وأهليته لما خلق له من مكانة في ملكوت الله وتفرداً به بين سائر مخلوقات الله. يقول سبحانه: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾ (٢) .

والعرض مناط الكرامة والاحترام بين الناس، وكمال الإنسان لا يكون إذا تلم عرضه أو جرح، والكمال الإنساني مطلب إسلامي في معتنقيه.

والمال قوام الحياة في بعدها المادي القائم على إشباع حاجات الجسد أولاً، وهو مع ذلك أداة من أدوات تطهير الروح وتزكية النفس.

ووسائل الترهيب العملي قابلت هذه الضرورات وعملت على المحافظة عليها ، فإزاء الحفاظ على الدين، حد الردة.. وإزاء الحفاظ على النفس، حد القتل أو القصاص.. وإزاء الحفاظ على العرض، حد الزنى والقذف .. وإزاء الحفاظ على المال حد السرقة (٣) .. وإزاء الحفاظ على العقل حد الشرب .. وإزاء الحفاظ على أي مقوم من هذه المقومات في أي صورة من الصور من العدو الكافر شرع القتال، وهكذا تتحقق الحماية للمقومات الضرورية للحياة الإنسانية بأعلى المقاييس وبأكمل الصور.

(١) سورة البقرة : جزء من الآية ١٩١

(٢) سورة التوبة : جزء من الآية ٢١٧

(٣) سورة عبس : الآية ٣٤-٣٧

(٤) سورة الأحزاب : جزء من الآية ٧٢

(٥) انظر أثر إقامة الحدود (ص ٤٠، ٤١) بتصرف

الفصل الثالث

مجالات التهيب

محتويات الفصل الثالث

مبحث تمهيدي :

المبحث الأول : مجالات الترهيب مع الكفار

وفيه مطلبان

المطلب الأول : مجال ترهيب الكفار في الدنيا

المطلب الثاني : مجال ترهيب الكفار في الآخرة

المبحث الثاني : مجالات الترهيب مع المنافقين

وفيه مطلبان

المطلب الأول : مجال ترهيب المنافق في الدنيا

المطلب الثاني : مجال ترهيب المنافق في الآخرة

المبحث الثالث : مجالات الترهيب مع عصاة المؤمنين

وفيه مطلبان

المطلب الأول : مجال ترهيب المؤمن العاصي في الدنيا

المطلب الثاني : مجال ترهيب المؤمن العاصي في الآخرة

الفصل الثالث

مجالات الترهيب

مبحث تمهيدي

لا ريب أن لكل عامل في معصية الله تعالى منازل ومراتب يبلغه الله إياها ويجازيه بها^(١) ، يقول المولى سبحانه: ﴿ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون﴾^(٢) ، فللكفر منازل ومثل ومذاهب وللنفاق أيضاً منازل ودرجات ، وكذلك المعاصي والفسوق درجات^(٣) ، ومع هذا لن نتعرض لكل هذه الأمور والتفصيلات، نظراً لضيق المساحة، وسوف نقتصر في هذا الفصل على الآتي:

أولاً: أسس ترهيب الكفار والمنافقين وعصاة المؤمنين :

أ- الكفار : نرهبهم على أساس أن الكفر ملة واحدة وإن تنوعت صورته، وتعددت عقائده واعتماداً على قوله تعالى: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾^(٤) .

ب- المنافقون : نرهبهم على أساس خلوهم من عنصر الإخلاص في العقيدة والعبادة ، واعتمادهم على الكذب؛ فعقيدتهم الكفر بالله، ويخفون ذلك، ويظهرون الإيمان، ثم يخالفون ذلك الإيمان الظاهر عملياً، فترهيبهم يكون اعتماداً على قوله تعالى: ﴿اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله ، إنهم ساء ما كانوا يعملون ، ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون﴾^(٥) .

ج- عصاة المؤمنين : نرهبهم على أساس الكبائر ، واعتماداً على قوله تعالى: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم﴾^(٦) . وهذا لا يمنع من التعرض للصغائر حتى لاتعظم

(١) انظر: تفسير الإمام ابن كثير (٣/٣٣٤)

(٢) سورة الأنعام : الآية ١٣٢ ، وانظر سورة التوبة الآيات ١٢٥ ، ٣٧ ففيهما شواهد تحمل المعنى نفسه

(٣) أشرنا إلى هذه المنازل والدرجات في المبحث الثاني من الفصل الأول، انظر (ص ٤٢، ٤٣) من هذه الرسالة

(٤) سورة آل عمران : الآية ٨٥

(٥) سورة المنافقون : الآية ٢-٣

(٦) سورة النساء : جزء من الآية ٣١

وتلحق بركب الكبائر ، وفي هذا الصدد يقول ابن عباس رضي الله عنه " لاصغيرة مع إصرار ولا كبيرة مع الاستغفار" (١) .

ثانياً: الترهيب مع هؤلاء سيكون باعتبار موضوع الترهيب ، بمعنى أننا سنرهبهم بجنس العقوبة، لاجنس المعصية ، مع الإشارة إلى نوع المعصية في ثانيا الترهيب ما أمكن . ذلك لأنه من الصعوبة بمكان حصر الكفر وملله والنفاق وأنواعه والكبائر وصورها (٢) .

ثالثاً: سنتحرك بالترهيب مع هؤلاء المدعويين من خلال مجالي الدنيا والآخرة وذلك بناء على المعنى اللغوي (٣) واقتباساً من قوله تعالى: ﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون﴾ (٤) .

ففي الدنيا : العقوبة ثابتة للمعرضين والمنهمكين في المعاصي والشهوات، وذلك إما بإقامة الأحكام الشرعية عليهم من قصاص وتعزير وحد... إلخ، وإما بتسليط جنود الله الكونية، وإما بحرمانهم من بعض النعم الضرورية في المأكل والمشرب والنفس والوالد ... إلخ.

وفي الآخرة : العقوبة ثابتة أيضاً ، وتكون حقيقة على البدن والروح ، ولييان حقيقة العذاب الدنيوي والأخروي على الروح والبدن نقول : إن الله جعل لكل دار عقوبة تختص بها، وركب هذا الإنسان من بدن وروح، وجعل عذاب الدنيا على الأبدان والأرواح تبعاً لها، ولهذا جعل سبحانه عقوبته الشرعية مرتبة على ما يظهر من حركات اللسان والجوارح وإن أضمرت النفوس خلفه ، وجعل سبحانه عذاب القبر على الأرواح والأبدان تبعاً لها ، فكما تبعت الأرواح الأبدان في أحكام الدنيا فتألمت بألمها، وكانت هي التي باشرت أسباب العذاب ، تبعت الأبدان

(١) أورده ابن قدامة المقدسي في مختصر منهاج القاصدين (ص ٢٥٧) مرجع سابق

(٢) على سبيل المثال لانهب المؤمن العاصي من شرب الخمر على حدة وقطع الرحم على حده وكذلك الربا... إلخ، إنما الترهيب سيكون بجنس العقوبة التي تقع أو سوف تقع على العصاة منهم حال ارتكابهم أي معصية أو كبيرة.

(٣) من المعلوم في اللغة أن الجمال مشتق عن الفعل الثلاثي (جال) والذي من مشتقاته ايضا (الجول) بمعنى الناحية والمكان وعلى هذا يكون المكان الذي يتم فيه ترهيب هؤلاء المدعويين هو الدنيا وما سيؤول إليه مصيرهم في الآخرة . (انظر: القاموس المحيط ص ١٢٦٧) مرجع سابق

(٤) سورة السجدة : جزء من الآية ٢١ وقال الشوكاني "العذاب الأدنى في الدنيا والأكبر في الآخرة" ، فتح القدير (٤/٢٥٤)

الأرواح في عذابها، فإذا جاء يوم حشر الأجساد وسوق الناس إلى دار الحسرات ، صار العذاب على الأرواح والأبدان جميعاً^(١) .

ومما ينبغي أن يعلم أن شقاء الآخرة مما يخفى على الكثير، لذا سنتعرض له بشيء من التفصيل لتحصل الفائدة عند قراءة مطالب ومسائل الآخرة - في الصفحات القادمة .

فالعذاب يبدأ بنزع الروح^(٢) ويمر بمرحلة البرزخ ثم الحساب و الجزاء وينتهي بالأشقياء إلى جهنم أعادنا الله منها .

ساعة الإحتضار : آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة تنزل الملائكة على المحتضر، ومعهم الأكفان والحنوط^(٣)، ثم تجلس قريباً منه ويشاهداهم عياناً ، يقول تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تَبْصُرُونَ﴾^(٤) .

لحظة الإحتضار !! وما أدراك ما تلك اللحظة أيها الكافر؟ أيها المنافق ، أيها العاصي ؟ إنها لحظة النزاع ، لحظة بلوغ الروح الحلقوم^(٥) لحظة بلوغ الروح التراق^(٦) ، ولكأننا نسمع صوت الحشرة ونبصر تقبض الملامح، ونحس بالكرب والضيق ، إنها لحظة تلوي المكروب من السكرة^(٧)، السكرة التي لو لم يكن للعبد سواها عذاباً، لكانت كافية لتكدير عيشه وإذهاب شهواته ، السكرة التي لم ينج منها أحب الخلق إلى الله تعالى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما جاءته السكرة كان يمسح وجهه الكريم بالماء ويقول (لا إله إلا الله ، إن للموت سكرات)^(٨) .

(١) انظر الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٤/٢٨٤) والروح لابن قيم الجوزية ، (ص٦٣) دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان ١٣٩٥ هـ ، وشرح العقيدة الطحاوية (ص ٤٥٢)

(٢) ألقنا الموت بالآخرة مع أنه يقع في الدنيا لأن المحتضر لا يقبل منه حتى صالح عمله، وتوبته مرفوضه، كرفض إيمان فرعون وتوبته وهو في غمرات الموت.

(٣) إشارة إلى حديث طويل رواه الإمام أحمد في مسنده عن البراء بن عازب رضي الله عنه (٤/٢٨٧-٢٨٨) (٤/٢٩٥) وبهامشه منتخب كنز العمال، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ ، وأورده الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب (٤/٣٦٦) وقال هذا حديث صحيح رواه محتج بهم في الصحيح .

(٤) سورة الواقعة : الآية ٨٥

(٥) إشارة إلى قوله تعالى ﴿فلولا إذا بلغت الحلقوم﴾ سورة الواقعة الآية ٨٣

(٦) إشارة إلى قوله تعالى ﴿كلا إذا بلغت التراق وقيل من راق﴾ سورة القيامة الآية ٢٦-٢٧

(٧) إشارة إلى قوله تعالى ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾ سورة ق الآية ١٩

(٨) جزء من حديث رواه البخاري في صحيحه مع الفتح ، كتاب الرقاق، باب سكرات الموت ، رقم الحديث ٦٥١٠ (١١/٣٦١)

فإذا انتهى مشهد الإحتضار، تبدأ مراسم الاستقبال لدار البرزخ ، تبدأ من الطريق، فيعرض له مقعده من النار^(١) حينئذ يصيح قائلاً: "ياويلها أين تذهبون بها؟ يسمع صوته كل شيء إلا الإنسان"^(٢)، حينئذ تبدأ الحسرات ، وتعظم الندامات ، وتعلن التوبيات تداركاً لما فات ، ولكن هيهات هيهات ، يقول سبحانه: ﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت قال: رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت ، كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾^(٣) .

دار البرزخ : البرزخ هو القبر ، وعذاب القبر اسم لعذاب البرزخ ، وهو ما بين الدنيا والآخرة^(٤)، كما دلت عليه الآية السابقة ، وهو أثر غضب الله وسخطه لمن جهله وأضاع أوامره ، كل بحسب عمله، فمستقل ومستكثر ومصدق ومكذب^(٥) ، فالقبور ظواهرها بالتراب والحجارة مبنيات وبواطنها دواهِ وضمانات، لاينجو منها حتى من قدم كثيراً من الصالحات^(٦) .. بواطنها البليات والحيات ، حيات سود ، حية عند رجليه يقرصانه ، وحية عند رأسه حتى يلتقيان في وسطه^(٧) .. بواطنها مشتعلة بألمة النيران لو لمسها أهل الدنيا لم يحسوا بذلك، وأعجب منه أن الرجلين يدفنان أحدهما جنب الآخر، وهذا في حفرة من حفر النار لا يصل حرها إلى جاره ، وذلك في روضة من رياض الجنة لا يصل نعيمها إلى جاره^(٨) .. القبور بواطنها عامرة بزيارة الملكين الأسودين الأزرقين ، عامرة بالمنكر والنكير^(٩) لتعذيب أهل الجحيم حتى وقت القدوم إلى أرض المحشر .

(١) إشارة إلى حديث رواه البخاري في صحيحه مع الفتح ، كتاب الجنائز ، باب الميت يعرض عليه مقعده ، رقم الحديث ١٣٧٩ (٢٤٤/٣)

(٢) جزء من حديث رواه البخاري في صحيحه مع الفتح ، كتاب الجنائز ، باب كلام الميت على الجنائز ، رقم الحديث ١٣٨٠ (٢٤٤/٣)

(٣) سورة المؤمنون : الآية ٩٩-١٠٠

(٤) انظر الروح لابن القيم (ص ٥٨، ٧٣)، وشرح الطحاوية (ص ٤٥١)

(٥) انظر : المرجع السابق (ص ٧٧)

(٦) إشارة لحديث صحيح رواه الإمام أحمد في مسنده (٩٨،٥٥/٦) عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن للقبر ضعفة، ولو كان أحد ناجياً منها ، نجا سعد ابن معاذ) ، وأورده الهيثمي في المجمع (٤٦/٣) وقال رجاله رجال الصحيح

(٧) إشارة إلى قول لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، انظر تفسير ابن كثير (٤٨٧/٥)

(٨) انظر: الروح لابن القيم (ص ٦٦ ، ٧١ ، ٧٩)

(٩) إشارة إلى حديث رواه ابن حبان في صحيحه برقم (٣١١٧) بإسناد قوي كما قال محققه انظر "الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان" تحقيق شعيب الأرنؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط ١، ١٤٠٨-١٩٨٨ م ، وقال عنه الألباني: إسناده حسن (انظر هامش شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٥٠) .

يوم القيامة وتوابعها^(١) : فينما الميت المغضوب عليه في قبره في هم وغم وشدة الانتظار لعاقبة الأمر ، اذا صوت يقرع أذنيه ؟ إنه صوت إسرافيل ، ينفخ في الصور ، فيقوم مذهولاً مبهوتاً شاخصاً^(٢) نحو النداء ، يساق حافياً عارياً^(٣) إلى أرض المحشر .

أرض المحشر : أرض مبدلة غير هذه الأرض بيضاء كالفضة لم يسفك فيها دم ولم يظلم على ظهرها أحد قط ، تظهر لنزول الجبار جل جلاله لفصل الخطاب^(٤) ، يحشر فيها الخلائق خائفين فزعين، ينصب منهم العرق إنصباباً ويكاد يغمرهم غمراً^(٥) ، يحشر فيها الخلائق للعرض والوقوف بين يدي الجبار لمناقشة كتب الأعمال، ومحاسبة ما صدر من الأقوال^(٦) ، فإذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال ، فالمحاسبة لتقرير الأعمال ، والوزن لإظهار مقاديرها، ليكون الجزاء على الصراط بحسبها^(٧) ، يقول سبحانه: ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها، وكفا بنا حاسين﴾^(٨) .

الصراط : جسر على جهنم كحد السيف دحض مزله ، فيه خطاطيف وكلايب وحسكه وأشواك^(٩) ، والورد عليها قائم على كل هذه الأمة لا يبقى بر ولا فاجر إلا عبرها ، يقول تعالى : ﴿وإن منكم إلا واردها ، كان على ربك حتماً مقضياً﴾^(١٠) ، والنجاة منها حسب عمل بني آدم في الدنيا ، منهم العابر السعيد ، ومنهم الساقط الشقي .

(١) المقصود بتوابعها النفخ في الصور والبعث والحشر والعرض والحساب ، والحوض والميزان ، والصراط ثم الشفاعة

(٢) إشارة إلى قوله تعالى -محدثاً عن نفخة الصور الثانية- ﴿ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾ سورة الزمر : جزء من الآية ٦٨

(٣) إشارة إلى حديث في صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الرقاق ، باب الحشر ، الحديث رقم ٦٥٢٦ (٣٧٧/١١)

(٤) إشارة إلى حديث في صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب الرقاق ، باب يقبض الله الأرض يوم القيامة، الحديث ٦٥٢١ (٣٧٢/١١)

(٥) أورد الميثمي في الجمع بعض تلك الأحاديث ، انظر المجمع (٣٣٤/١٠-٣٣٦)

(٦) إشارة إلى الآيات ١٨-٢٩ من سورة الحاقة

(٧) أقوال للإمام القرطبي تفيد في هذا المقام ، انظر شرح العقيدة الطحاوية (ص ١٧٩، ٣٧٢، ٣٧٤)

(٨) سورة الأنبياء : الآية ٤٧

(٩) من حديث في صحيح البخاري مع الفتح، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى ﴿وجوه يومئذ ناضرة﴾ رقم الحديث ٧٤٣٩، (٤٢١/١٣)

(١٠) سورة مريم : الآية ٧١

دار القرار في النار: فلا دار بعدها -إلا من رحم ربها- وإن سألت عن صفاتها لوجدتها ضخمة كبيرة ، لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها^(١)، النار من سعتها لو أن الخلائق كلهم دخلوها لوسعتهم، وكلما ألقى فيها فوج تقول: هل من مزيد؟^(٢) ... النار عميقة ، عمقها مسيرة سبعين خريفاً^(٣) ... النار دركات بعضها تحت بعض، كل دركة عبارة عن طبقة، بين كل طبقة وأخرى مسيرة عشر سنين ، ولكل طبقة باب يعرف باسمه^(٤) ، ... النار أولها جهنم، ثم لظى، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية^(٥) ، ... النار حرها شديد لأنها تزيد تسعة وستين جزءاً عن نار الدنيا^(٦) ... في النار أودية وأنهار وآبار عجيبة ، يسيل فيه القيح والدم والصدید ، وغسالة أهل النيران والوعيد... النار فيها العقارب والحيات^(٧) وأدوات العذاب بأيدي الخزنة والزبانية الغلاظ الشداد ﴿لَا يَعصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ ، وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(٨) .

فهذه بعض صفات دار القرار ، وهي في انتظار أهلها وخاصتها من الكفار والمنافقين والعصاة تقول: "رب آتني ما وعدتني فقد كثرت سلاسلي وأغلالي وسعيري وحميمي وغساقبي وعذابي ، وقد بعد قعري واشتد حري، فآتني ما وعدتني . فإرد عليها سبحانه : لك كل مشرك ومشاركة وكافر وكافرة، وكل خبيث وخبيثة، وكل جبار لا يؤمن بيوم الحساب"^(٩) .

نعم هي في انتظارهم ، ليحيوا فيها حياة طويلة أو أبدية كل بحسبه ، حياة لا يهدؤون ولا ينامون ولا يموتون ، بل يمشون على النار ويجلسون على النار ، ويشربون من صديد أهل

(١) إشارة لحديث أخرجه مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها ، باب شد حر جهنم ، الحديث ٢٨٤٢ (٤/٢١٨٤)

(٢) إشارة لحديث أخرجه مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب النار يدخلها الجبارون ، الحديث ٢٨٤٨ (٤/٢١٨٧)

(٣) إشارة لحديث أخرجه مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب شدة حر نار جهنم وبعد قعرها ، الحديث ٢٨٤٤ (٤/٢١٨٤)

(٤) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿لَهَا سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم﴾ سورة الحجر الآية ٤٤

(٥) قول لابن جريج في تفسير قوله تعالى ﴿لَهَا سبعة أبواب﴾ انظر التخويف من النار لابن رجب (ص ٥٠)

(٦) إشارة لحديث في صحيح البخاري مع الفتح رقم (٣٢٦٥) كتاب بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة، وصحيح مسلم كتاب الجنة

وصفة نعيمها، باب شدة حر نار جهنم، الحديث ٢٨٤٣ (٤/٢١٨٤)

(٧) أورد الهيثمي في "مجمعه" بعض هذه الأحاديث ، انظر المجمع (١٠/٣٩٠)

(٨) سورة التحريم : جزء من الآية ٦

(٩) التخويف من النار لابن رجب (ص ٩٦) مرجع سابق

النار، ويأكلون من زقوم النار ، فرشهم ولحفهم نار ، وقمصهم نار وقطران ، وتغشى وجوههم النار ، وجميع أهل النار في سلاسل بأيدي الخزنة أطرافها ، يجذبون مقبلين ومدبرين ، فيسيل صديدهم إلى حفر النار فذلك شرابهم^(١) .

وبعد ، فهذه بعض صفاتها وصفات أهلها ، فيا أيها الإنسان .. ابتعد عنها وعن شهواتها ، فإنها مخوفة بالشهوات^(٢) حذرنا منها خالق الأرض والسموات بقوله: ﴿فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة﴾^(٣) كما استعاذ منها نبي الرحمة وعلمنا تلك الدعوات ، في قوله عليه الصلاة والسلام (اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ومن عذاب النار ، ومن فتنة الحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال)^(٤) اللهم آمين .

(١) انظر التحويف من النار لابن رجب (ص ١٢٠)

(٢) إشارة لحديث أخرجه البخاري في صحيحه مع الفتح ، كتاب الرقاق، باب حجت النار بالشهوات، الحديث ٦٤٨٧ (٣٢٠/١١)

(٣) سورة البقرة : جزء من الآية ٢٤

(٤) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الجنائز، باب التعوذ من عذاب القبر، رقم الحديث ١٣٧٧، (٢٤١/٣)

المبحث الأول

مجالات

الترهيب مع الكفار

وفيه مطلبان

المطلب الأول : مجال ترهيب الكفار في الدنيا

المطلب الثاني : مجال ترهيب الكفار في الآخرة

المطلب الأول

مجال ترهيب الكفار في الدنيا

تمهيد :

مجالات ترهيب الكفار الدنيوية كثيرة ومتعددة ، ويمكن حصر هذا الترهيب في الدنيا من خلال تهديدهم بزيادة إغراقهم فيما هم فيه من ضلال ، وهذا هو الأصل في ترهيبهم ، كما يمكن ترهيبهم بمنع السعادة بشقيها المادي والمعنوي عنهم ، وسنعالج هذا من خلال المسألتين التاليتين: المسألة الأولى : الحرمان من نور التوحيد .
المسألة الثانية : الحرمان من السعادة .

المسألة الأولى

حرمانهم من نور التوحيد

لما فقد الكفار استعدادهم للإيمان بدليل قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١) .. ولما استحبوا العمى على الهدى بدليل قوله سبحانه ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾^(٢) .. ولما خيروا فاختاروا سبيل الضلال كما جاء في قوله تعالى ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾^(٣) !! عاقبهم سبحانه بالحرمان من نور الإيمان ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ﴾^(٤) .

وقد عبر القرآن عن هذا الحرمان بألفاظ تناسب ما هم عليه من كفر وعناد وسوء استعداد يقول تعالى ﴿فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمَعُ الصَّمِّ الدَّعَاءَ إِذَا وَلُوا مَدْبِرِينَ . وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعَمَىٰ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(٥) ، ويقول سبحانه في موضع آخر: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ، إِنْ اللَّهُ يَسْمَعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمَسْمُوعٍ فِي الْقُبُورِ﴾^(٦).

(١) سورة البقرة : آية ٧ .

(٢) سورة فصلت : جزء من الآية : ١٧ .

(٣) سورة الإنسان : آية ٣ .

(٤) سورة النور : جزء من الآية : ٤٠ .

(٥) سورة الروم : آية : ٥٢ ، ٥٣ .

(٦) سورة : فاطر : آية : ١٩-٢٢ .

سيل من الصواعق المرسله من رب العزة والجلال - موت، عمى، ظلمة، حرور والسبب؟
﴿أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون﴾^(١) .. والمعنى أنهم كالأنعام في سوء
الإستعداد وتعطيل الأجهزة الحسية للوصول إلى ما حرموا منه ، وهو التوحيد .

وقد أوضح القرآن الكريم كما وضحت السنة الشريفة هذا الحرمان بكيفيات مختلفه نذكرها
تحت العناوين التالية :

- (أ) بالختم على قلوبهم .
- (ب) بحرمانهم من الهداية .
- (ج) بتيسير سبل الشر لهم .
- (د) بصرف أفهامهم عن الحق .

(أ) الختم على قلوبهم :

يقول تعالى: ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم، وعلى أبصارهم غشاوة﴾^(٢)

يقول الإمام ابن جرير رحمه الله في معنى الختم: أصل الختم هو الطبع، يقال: ختمت
الكتاب إذا طبعته، وسمي الختم على القلوب ختماً، لأن قلوب العباد أوعية للعلوم، وظروف
لما جعل فيها من المعارف، والختم عليها نظير الختم على سائر الأوعية والظروف^(٣) .
وقد جاء لفظ الطبع في القرآن في قوله تعالى: ﴿بل طبع الله عليها بكفرهم﴾^(٤) ، ويقول
الإمام مجاهد رحمه الله "ثبت أن الذنوب على القلب تحف به من كل نواحيه حتى تلتقي
عليه، فالتقاؤها عليه الطبع، والطبع الختم - ويقول أيضاً - كانوا يرون أن ذلك: الرين"^(٥) ..
إذا فالختم والطبع والرین أفاظ تجري على شيء واحد ، وهو تغطية القلب والحيلولة بينه
وبين التوحيد^(٦) ويؤكد صلى الله عليه وسلم هذا المعنى في قوله : (إن العبد إذا أخطأ
خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء ، فإذا نزع واستغفر وتاب سقل قلبه ، وإن عاد زيد فيها
حتى تعلق قلبه، وهو الران الذي ذكر الله ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا
يكسبون﴾^(٧)(٨) .

(١) سورة الأعراف : جزء من الآية : ١٧٩ .

(٢) سورة البقرة : جزء من الآية : ٧ .

(٣) انظر : تفسير الإمام الطبري (١/٨٦ - ٨٧) .

(٤) سورة النساء : جزء من الآية ١٥٥ .

(٥) تفسير الإمام الطبري (١/٨٧) ، وفي تفسير الإمام ابن كثير (١/٧٠) .

(٦) انظر : تفسير المنار (١/١٤٤) للسيد محمد رشيد رضا ، دار المعرفة بيروت ط. الثانية .

(٧) سورة المطففين : آية ١٤ .

(٨) صحيح الترمذي، صحيح الألباني، أبواب تفسير القرآن، سورة المطففين رقم الحديث ٢٦٥٤ ، (٣/١٢٧) .

يقول الإمام ابن جرير رحمه الله تعليقا على هذا الحديث : "أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذنوب إذا تتابعت على القلوب أغلقتها، وإذا أغلقتها أتاها حينئذ الختم من قبل الله تعالى والطبع ، فلا يكون للإيمان مسلك، ولا للكفر عنها مخلص، فذلك هو الختم والطبع الذي ذكره قوله تعالى: ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم﴾ نظير الطبع والختم على ما تدركه الأبصار من الأوعية والظروف، التي لا يوصل إلى ما فيها إلا بفض ذلك عنها ثم حلها، فكذلك لا يصل الإيمان إلى قلوب من وصف الله أنه ختم على قلوبهم إلا بعد فض خاتمه وحل رباطه"^(١) .

(ب) الحرمان من الهداية :

يقول تعالى: ﴿إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولنهم عقاب أليم﴾^(٢) .
اختلفت الأقوال في المراد بسلب الهداية من الكفار^(٣) ، والذي عليه الإمام ابن جرير رحمه الله أن الله يحرمهم من التوفيق ، حيث يقول: "لا يوفقهم الله لإصابة الحق ولا يهديهم لسبيل الرشد في الدنيا"^(٤) .

ويؤيد هذا المعنى الإمام الأصفهاني فيقول: "وكل هداية ذكر الله عز وجل أنه منع الظالمين والكافرين ، فهي هداية التوفيق الذي يختص به المهتدون"^(٥) . فالله سبحانه وتعالى هدى الكفار هداية إرشاد وبيان وتعليم ، كما في قوله تعالى ﴿وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى﴾^(٦) فلما لم ينتفع الكفار بهذه الإرشادات والبيانات ولم يحصل لهم القبول ، عاقبهم الله تعالى وحرّمهم من هداية التوفيق^(٧) ، بخلاف المؤمنين الذين هداهم الله هداية إرشاد وبيان وتعليم ، فقبلوها وجاهدوا في الإفادة منها ، فلما علم الله إخلاصهم وصدق استعدادهم ، منحهم هداية التوفيق ، وفي ذلك يقول الحق سبحانه: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾^(٨) .

(١) تفسير الإمام الطبري (٨٧/١) ، وتفسير الإمام ابن كثير (٧١/١) .

(٢) سورة النحل : الآية ١٠٤ .

(٣) انظر هذه الأقوال في : تفسير الإمام الألويسي (٢٣٤/١٤ ، ٢٣٥) .

(٤) تفسير الإمام الطبري (١٤ / ١٢١) .

(٥) المفردات في غريب القرآن ، كتاب الهاء (ص ٥٣٩) بتصرف .

(٦) سورة فصلت : جزء من الآية ١٧

(٧) أنظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، للشيخ محمد الشنقيطي (ص٧-١٠) بتصرف، ط: عالم الكتاب ، بيروت.

(٨) سورة العنكبوت : جزء من الآية ٦٩ .

إذا فهؤلاء الكفار قد أعطوا الإرشاد والبيان ، ولولا ذلك لكانوا معذورين ، ولولاه لما كان لإيمانهم بعد مجيء البيانات معنى ، لأنه سبحانه وتعالى أرحم الراحمين، واسع المغفرة ، لم يكن ليحرم أحداً من عباده الهداية بمحض الخلق والمشيمة، وعلى هذا يكون المراد أنهم يحرمون من أن يوقفوا إلى ما ينجيهم من الحق لما يعلم من سوء استعدادهم^(١) .

ومن هنا نستطيع أن نجتمع بين ما أشكل في قوله تعالى: ﴿والله لا يهدي القوم الكافرين﴾^(٢) وبين قوله سبحانه: ﴿إن علينا للهدى﴾^(٣) ، وهو أن القرآن يستعمل الهدى خاصاً وعماماً ، فالمثبت هو العام ، والمنفي هو الخاص، ونفي الأخص لا يستلزم نفي الأعم، والخصوص إنما هو بشأن الأشقياء الذين فقدوا الاستعداد للهدى وهو التوفيق ، وأما الهدى العام هو إبانة الطريق ، وإيضاح المحجة وهو المثبت ، وبذا يرتفع الإشكال^(٤) .

(ج) تيسير طرق الشر :

يقول تعالى ﴿وأما من بخل واستغنى ، وكذب بالحسنى ، فسنيسه للعسرى﴾^(٥) . توعد الله تعالى الكفار بتيسير طرق الشر لهم^(٦) ، وذلك إما بتهيئة نفس الكافر للشقاء ، وفي هذا يقول الإمام ابن العربي: "وإن أراد الشقاء - يعني العبد - هياً أسبابه للعبد وخلقها فيه"^(٧) ، وإما بتهيئة أسباب الشر للكفار ، ثم يجريه تعالى على يديه ، وفي هذا يقول الإمام الشوكاني رحمه الله : "يسهل الله له خصلة العسرى حتى تتعسر عليه أسباب الخير والصلاح ويضعف عن فعلها"^(٨) .

(١) انظر تفسير المنار (٦٤/١) (٤١٧/٩) .

(٢) سورة البقرة : جزء من الآية ٢٦٤ .

(٣) سورة الليل : آية ١٢ .

(٤) انظر : دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ، للشيخ محمد الشنقيطي (ص ٣٣٣، ٨٠٧) ، فائدة في هذا المقام انظر : تفسير الألويسي (١٥٠/٣٠) .

(٥) سورة الليل : آية ٨-١٠ .

(٦) انظر : تفسير القرطبي (٨٤/٢٠) ، وتفسير الإمام ابن كثير (٣٩٤/٨) .

(٧) أحكام القرآن للإمام ابن العربي (١٩٤٤/٤) ، تحقيق علي الجبالي، الناشر: دار المعرفة بيروت - لبنان .

(٨) فتح القدير ، للإمام الشوكاني ، (٤٥٢/٥) ، توزيع مكتبة المعارف بالرياض : الناشر: دار المعرفة بيروت - لبنان .

وفي هذا الموضع يقول ابن كثير رحمه الله: "والآيات في هذا المعنى كثيرة ، دالة على أن الله عز وجل يجازي من قصد الخير بالتوفيق له ، ومن قصد الشر بالخذلان ، وكل ذلك بقدر مقدر" (١) .

والأحاديث الدالة على ذلك أيضاً كثيرة ، منها ما رواه الإمام البخاري في صحيحه عن علي رضي الله عنه قال: (كان النبي صلى الله عليه وسلم في جنازة ، فأخذ شيئاً فجعل ينكت به الأرض، فقال: مامنكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار ، ومقعده من الجنة ، قالوا : يارسول الله ، أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل ؟ قال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له ، أما من كان من أهل السعادة فييسر لعمل أهل السعادة ، وأما من كان من أهل الشقاء فييسر لعمل أهل الشقاوة ، ثم قرأ : ﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى﴾ (٢) (٣) .

(د) صرف قلوبهم وأفهامهم عن الحق :

يقول تعالى : ﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق، وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها ، وإن يروا سبيل الرشداً لا يتخذوه سبيلاً ، وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين﴾ (٤) .

توعد الله تعالى الكفار الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق بصرف قلوبهم وأفهامهم عن الحق الذي جاء في القرآن ، يقول الإمام سفيان بن عيينة في معنى قوله تعالى (سأصرف عن آياتي) قال : "أنزع عنهم فهم القرآن وأصرفهم عن آياتي" (٥) .

يقول الإمام ابن كثير: وهذا كما قال تعالى : ﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة﴾ (٦) "وتقلب الشيء تغييره من حال إلى حال، والتقلب : التصرف ، وتقلب الله القلوب والبصائر صرفها من رأي إلى رأي" (٧) وصرفها من نور التوحيد إلى ظلام الكفر.

(١) تفسير ابن كثير (٤٣٩/٨) ، وانظر : أضواء البيان (٢٥٩/٩ ، ٢٦٠) للشيخ الشنقيطي ، عالم الكتب بيروت .

(٢) سورة الليل : الآية ٥-٦ .

(٣) صحيح الإمام البخاري مع الفتح ، كتاب التفسير ، باب (فسيروه للعسرى) ، رقم الحديث ٤٩٤٩ ، (٧٠٩/٨) .

(٤) سورة الأعراف : آية ١٤٦ .

(٥) تفسير الإمام الطبري (٤١/٩) ، تفسير الإمام القرطبي (٢٨٣/٧) ، وتفسير الإمام ابن كثير (٤٧٢/٣) .

(٦) سورة الأنعام : جزء من الآية ١١٠ : انظر : تفسير ابن كثير (٤٧٣/٣) .

(٧) فتح الباري (٣٧٧/١٣) .

ويبين الإمام الألويسي كيفية هذا الصنف وسببه بقوله : " ومعنى صرفهم عنها منعهم بالطبع على قلوبهم، فلا يكادون يتفكرون فيها ، ولا يعتبرون بها ، لإصرارهم على ما هم عليه من التكبر والتجبر ، كقوله تعالى: ﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾ (١) " (٢) .

وبعد : فهؤلاء الكفار لم يكفروا عن جهل أو غفلة أو انشغال بالشهوات ، بل كفروا عن تصميم على رفض الإيمان واردة جازمة لهذا الرفض ، بعد وضوح دلائل الإيمان لهم ، لذا فإن عقدة هؤلاء الكفار في أعماقهم ، ومن كانت عقدة كفره في أعماق نفسه ، كانت النتيجة الطبيعية التي تقضي بها سنة الله في خلقه أن يختم على قلبه ، فلا يقبل الهداية ، وأن يكون على سمعه غشاوة لاتسمح بانتقال مرئيات الهداية إلى مراكز وعييه (٣) ، وصدق الله إذ يقول سبحانه : ﴿وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا﴾ (٤) .

(١) سورة الصف : جزء من الآية ٥

(٢) تفسير الإمام الألويسي (٦٠/٩) .

(٣) انظر : الامثال القرآنية للأستاذ عبدالرحمن الميداني ، (ص ٨٤)

(٤) سورة الكهف : جزء من الآية ٥٧ .

المسألة الثانية

الحرمان من السعادة

يكابر من يرى أن السعادة ليست في عناصر المال والولد والعافية ، ويجانب الصواب من يعتقد أن السعادة ليست في أصول الأمن والطمأنينة والإستقرار والهدوء .

كيف لا !! والله جل علاه جعل هذه العناصر والأصول في مقام الإمتنان على الكفار في قوله تعالى: ﴿الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾^(١) .

كيف لا !! والله سبحانه أطلق على هذه العناصر زينة في قوله تعالى: ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾^(٢) نعم ، هذه هي السعادة بالمقاييس الفطرية ، ولأنها كذلك كان لابد أن تخضع للسنن الفطرية التي فطر عليها هذا الكون ، تخضع للقاعدة الإلهية ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد﴾^(٣) .

وقد ترتب على هذا الكفر ، أن حرمهم الله تعالى هذه السعادة بشقيها المادية والمتمثلة في المال والولد والعافية ، والمعنوية والمتمثلة في الأمن والطمأنينة والاستقرار . وسنبين هذا بعون الله تحت العنوانين التاليين :

أ - الحرمان من السعادة المادية .

ب - الحرمان من السعادة المعنوية .

(أ) الحرمان من السعادة المادية :

يظهر هذا الحرمان للكفار من خلال قوله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون﴾^(٤) . وقد وضع الإمام ابن كثير رحمه الله معنى السراء والضراء بقوله "بالبأساء يعني الفقر والضييق في العيش ، أما الضراء فهي الأمراض والأسقام والآلام"^(٥) .

(١) سورة قريش : آية ٤ .

(٢) سورة الكهف : جزء من الآية ٤٦ .

(٣) سورة إبراهيم : جزء من الآية ٧ .

(٤) سورة الأنعام : الآية ٤٢

(٥) انظر تفسير ابن كثير (٢٥١/٣) .

كما يظهر هذا الحرمان في قوله تعالى: ﴿ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى﴾^(١) توعد الله تعالى الكفار في هذه الآية بالعيش الضنك في الدنيا. يقول الإمام الشوكاني في تفسير قوله سبحانه ﴿فإن له معيشة ضنكاً﴾ يقول: "فإن له في هذه الدنيا معيشة ضنكاً، أي عيشاً ضيقاً"^(٢). فالضيق الشديد في معيشة الكافر إنما كانت بسبب حرمان الله له من النعم المادية، وهذا الحرمان يكون بعدة صور منها:

(١) نزع البركة، ويدل على ذلك حديث النبي صلى الله عليه وسلم، حيث يقول عليه السلام: (يأكل المسلم في معى واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء)^(٣). ووجه نزع البركة أن المؤمن يسمي الله تعالى في طعامه وشرابه، فلا يشركه الشيطان، فيبارك له الله، والكافر لا يسمي فيشركه الشيطان، فينزع الله منه البركة^(٤). وفي هذا الصدد يقول ابن عباس رضي الله عنه في معنى قوله تعالى: ﴿فإن له معيشه ضنكاً﴾ قال: "كل مال أعطيته عبداً من عبادي قل أو كثر لا يتقيني فيه فلاحير فيه"^(٥).

(٢) الحرمان من الزيادة: وهذه العقوبة نراها واضحة في شخص الوليد بن المغيرة كما حكى ذلك القرآن عنه في قوله تعالى: ﴿ذرني ومن خلقت وحيداً، وجعلت له مالا ممدوداً. وبين شهوداً. ومهدت له تمهيداً. ثم يطمع أن أزيد. كلا إنه كان لآياتنا عنيداً﴾^(٦) فبسبب عناده وإستكباره بآيات الله حرمه الله الزيادة في المال والولد، وشدد سبحانه في هذا المنع بقوله (كلا) "أي لست أزيده"^(٧).

(٣) الحرمان الدائم من تلك النعم: وقد وقع ذلك فعلاً في الأمم الغابرة، وحكاه القرآن الكريم، وبينته السنة الشريفة، ومن ذلك ما حل بقوم فرعون كما جاء في

(١) سورة طه: الآية ١٢٤.

(٢) فتح القدير، (٣/٣٩١)، وانظر: تفسير الإمام القرطبي (١١/٢٥٨)، وتفسير الإمام ابن كثير (٥/٣١٦)، وتفسير أضواء، البيان (٤/٥٤٦).

(٣) صحيح الإمام البخاري مع الفتح، كتاب الأطعمة، باب المؤمن يأكل في معى واحد، رقم الحديث ٥٣٩٦، (٩/٥٣٦).

(٤) انظر: فتح الباري (٩/٥٤٠).

(٥) تفسير ابن كثير (٥/٣١٦)، وتفسير الإمام الألويسي (١٦/٢٧٧).

(٦) سورة المدثر: الآيات ١١-١٦.

(٧) فتح القدير (٥/٣٢٦).

قوله تعالى : ﴿كذأب آل فرعون والذین من قبلهم كفروا بأیات الله فأخذهم الله بذنوبهم، إن الله قوي شديد العقاب . ذلك بان الله لم يك مغیراً نعمة أنعمها على قوم حتى یغیروا ما بأنفسهم وأن الله سمیع علیم﴾^(١) ، وماحل بصاحب الجنین كما جاء في قوله تعالى : ﴿وأحیط بثمره ، فأصبح یقلب کفیه على ما أنفق فیها وهي خاویة على عروشها ، ویقول : یالیتنی لم أشرك بری أحداً﴾^(٢) . وما حصل مع سبأ حیث یقول تعالى : ﴿لقد كان لسبأ فی مسکنهم آية جنتان عن یمین وشمال ، کلوا من رزق ربکم واشکروا له، بلدة طيبة ورب غفور، فأعرضوا فأرسلنا علیهم سیل العرم وبدلناهم بجنیتهم جنتین ذواتی أکل خمط وأثل وشيء من سدر قليل﴾^(٣) . ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجیل وما أنزل إلیهم من ربهم لأکلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم﴾^(٤) والشاهد: قوله تعالى : ﴿لأکلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم﴾ . وهذا يدل بمفهوم المخالفة على أن الإعراض سبب لحرمان الرزق كما أن الطاعة سبب لحصول الرزق^(٥) .

هذا في المال والولد ، وبخصوص الحرمان من العافية ، فقد بینه صلى الله علیه وسلم ، لما سألته زوجه السيدة عائشة رضی الله عنها عن الطاعون ؟ فقد روى البخاری عن يحيى بن يعمر عن عائشة زوج النبي صلى الله علیه وسلم أنها سألت رسول الله صلى الله علیه وسلم عن الطاعون ، (فأخبرها نبي الله صلى الله علیه وسلم أنه كان عذاباً یبعثه الله على من یشاء ، فجعله الله رحمة للمؤمنین)^(٦) . یقول ابن حجر رحمه الله : إن كون الطاعون رحمة في حق المؤمن ، فإذا وقع بالكفار فإنما هو عذاب علیهم یعجل لهم في الدنيا قبل الآخرة^(٧) .

(١) سورة الأنفال : الآية (٥٢ ، ٥٣) .

(٢) سورة الكهف : الآية (٤٢) .

(٣) سورة سبأ : آية (١٥ - ١٦) .

(٤) سورة المائدة : جزء من الآية ٦٦ .

(٥) انظر : المعاصي وأثارها على الفرد والمجتمع ، لحامد بن محمد المصلح (ص ١٤٦) تقریظ الشيخ عائض القرني ، مكتبة الضیاء ، الطبعة الأولى ١٤١٠ .

(٦) صحیح البخاری مع الفتح ، كتاب الطب ، باب أجر الصابر على الطاعون ، جزء من الحديث ٥٧٣٤ ، (١٠/١٩٢) .

(٧) انظر : فتح الباری (١٠/١٩٢) .

(ب) الحرمان من السعادة المعنوية :

وهذا الحرمان يظهر على الكافر من خلال انقطاع صلته بالله تعالى ، ومن خلال الوحشة الداخلية المتمثلة في ضيق الصدر ، والوحشة الخارجية التي تحيط به ، ولعدم وجود أنصار وأولياء يأنس بهم ويستشيرهم ، كما تظهر من خلال الخزي الذي كتبه تعالى عليه . ولتوضيح ذلك نقول :

١- انقطاع صلة الكافر بالله : الحياة المقطوعة عن التوحيد ونوره مظلمة مهما يكون

فيها من ضوء وإشعاع ، إنها ظلمة الانقطاع عن الاتصال بالله والاستقرار في حماه، ظلمة الخوف والقلق ، ظلمة الحيرة والشك ، ظلمة الهم والغم .
وبانطفاء نور الإيمان يصبح الكافر يمشي في ظلام نفسي يجسده القرآن في قوله تعالى: ﴿أَوْ كظلمات في بحر لجي يغشاه موج ، من فوقه موج ، من فوقه سحب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾^(١) . إنه تصوير دقيق للحالة النفسية التي عليها الكفار ، تصوير لفقدان الأمن ، فهو في رعبه وخوفه كمن غاص في بحر عميق لا يدرك عمقه يعلوه موج من بعده موج ، حتى كأن الأمواج فوق بعضها، والبحر أخوف ما يكون إذا توالى أمواجه، فإذا انضم إلى ذلك وجود سحب من فوقه ، زاد الخوف والشدة ، لأن السحب تستر النجوم ، ثم إذا أمطرت تلك السحب وهبت الريح المعتادة عند نزول المطر، ازدادت المخاوف ، وترادفت الهموم والغموم^(٢) ، وفقد الأمن والأمان .
وهكذا حالة الكافر يتقلب في الظلام حتى تحتويه ، كما يقول أبي بن كعب رضي الله عنه : "الكافر يتقلب في خمسة من الظلم ، كلامه ظلمة ، وعمله ظلمة ، ومدخله ظلمة ، ومخرجه ظلمة ، ومصيره يوم القيامة إلى الظلمات إلى النار"^(٣) .
وبفقد الكافر نور الإيمان يحرم أقوى مقومات السعادة المعنوية .

٣- ضيق الصدر : لا يتوقف الحرمان هنا أبداً ، إنه يتعداه ليكون حرماناً من نوع

آخر ، لاتساويه خسارة وإنما يكمله ليصل بالكافر إلى قمة الشقاء الذي لا يعدله شقاء ، إنه حرمان من الراحة النفسية المتمثلة في ضيق الصدر ،

(١) سورة النور : آية ٤٠ .

(٢) انظر : فتح القدير (٣٩/٤) .

(٣) تفسير الإمام ابن كثير (٧٧/٦) ، وتفسير الإمام القرطبي (٢٨٥/١٢) .

يقول تعالى: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء ، كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون﴾^(١) .

فالكافر في ضيق صدره وحرجه كأنه شجر ملتف يصعب الوصول إليه كما لا تصل الراعية إلى الموضع الذي التف شجره^(٢) ، فهذا كناية عن مدى الضيق والفتك الذي يعيشه الكافر في دنياه ، "قلاطمأينة له ، ولا انشراح لصدرة ، بل صدره حرج لضلاله ، وإن تنعم ظاهره ، وليس ما شاء ، وأكل ما شاء وسكن حيث شاء ، فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى ، فهو في قلق وحيرة وشك"^(٣) وضيق ، ومن شدة هذا الضيق يشعر بالإختناق الذي "يحصل لمن يصعد في السماء، إذ تتناقص عليه في الطبقات العليا من الجو نسبة الأكسجين اللازمة لتنفسه ، فيضيق صدره ، ويكاد يختنق شيئاً فشيئاً كلما ارتفع صاعداً"^(٤) .

وفي مقام ضيق الصدر وأثرها في الحالة المعنوية لنفس الكافر يقول الإمام ابن القيم رحمه الله : "من أعظم أسباب ضيق الصدر الإعراض عن الله تعالى ، وتعلق القلب بغيره ، والغفلة عن ذكره ، ومحبة سواه ، فإن من أحب شيئاً غير الله عذب به وسجن قلبه في محبه ذلك الغير ، فما في الأرض أشقى منه ولا أكسف بالاً ، ولا أكد عيشاً ، ولا أتعب قلباً ، فهما محبتان ؟ محبة هي جنة الدنيا وسرور النفس ولذة القلب ونعيم الروح وغذاؤها ودواؤها ، بل حياتها وقررة عينها ، وهي محبة الله وحده بكل القلب .. ومحبة هي عذاب الروح وغم النفس وسجن القلب وضيق الصدر ، وهي سبب للألم والنكد والعناء ، وهي محبة ما سواه سبحانه"^(٥) .

(١) سورة الأتعام : آية ١٢٥ .

(٢) انظر : تفسير الإمام القرطبي (٨١/٧) وتفسير الإمام ابن كثير (٣٢٨/٣) ، وتفسير المنار (٤٣/٨) .

(٣) تفسير الإمام ابن كثير (٣١٦/٥) .

(٤) الأمثال القرآنية (ص ١٠٩) . هذه الصورة لم تكن معروفة للناس عند نزول النص ، لقد كان بالنسبة إليهم أمراً من أمور الغيب ، ولما اكتشف الناس هذه الحقيقة بعد صعودهم إلى طبقات الجو العليا ظهرت إحدى معجزات القرآن الكريم العملية ، الأمثال القرآنية (ص ١٠٩ - ١١٠) .

(٥) زاد المعاد في هدي خير العباد (٢٥/٢) .

٣- وأما الخزي: فقد قرره سبحانه في حق هؤلاء الكفار في الدنيا ، في قوله جل علاه: ﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾^(١) والخزي هو الذل والهوان ، وقد ذكر بصيغة التكرير للتهويل ، أي وخزي هائل فظيع لا يكاد يوصف^(٢) .. ليكون بمثابة شبح يلاحقهم ويقلق مضاجعهم ، فلا يجدوا للراحة سبيلاً ولا للأمن طريقاً .

٤- وأما الحرمان من الأولياء والأنصار: فقال فيه تعالى: ﴿ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً ما واهم جهن كلما خبت زدناهم سعيراً ، ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أء ذا كنا عظاماً ورفاتاً أءنا لمبعوثون خلقاً جديداً﴾^(٣) .

يقول الإمام الألوسي في معنى ذلك: "قال الكفار لن يكون لهم أنصار من دونه عز وجل يهدونهم إلى طريق الحق ، أو إلى طريق يوصلهم إلى مطالبهم الدنيوية أو الآخروية أو إلى طريق النجاة من العذاب الذي يستدعيه ضلالهم"^(٤) وبذا يزدادون ضلالاً ومن ثم يزدادون وحشة وضيقاً نفسياً .

ويؤكد سبحانه هذا الحرمان عند مخاطبته لعباده المهتدين في قوله سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا لاتتولوا قوماً غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور﴾^(٥) .

وما دام الأمر كذلك ، فالكافر يتخبط في ظلام الوحشة ، هذه الوحشة القاتلة ليست بينه وبين خالقه فقط ، بل بينه وبين الناس أيضاً ، بل لعله في بعض أحواله يستوحش من نفسه ويضيق بها ذرعاً ، حتى إنك لترى بعض هؤلاء الكفار ينتحرون لأنهم لا يجدون للحياة طعماً ولالذة فهم في شقاء وتعاسة نفسية^(٦) جزاءاً لهم على كفرهم بآيات الله كما وضحتها الآيات .

(١) سورة البقرة : آية ١١٤ .

(٢) انظر : صفوة التفاسير ، للشيخ محمد الصابوني (١/٨٩ ، ٩٠) ، ط. القرآن ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨١ ، وتفسير الفخر الرازي (٢/١٢٤) ، وتفسير المنار (١/٤٣٣) .

(٣) سورة الإسراء : آية ٩٧ - ٩٨ .

(٤) تفسير الإمام الألوسي (١٥/١٧٤) .

(٥) سورة الممتحنة : آية ١٣ .

(٦) انظر : المعاصي وأثرها على الفرد والمجتمع (ص ١١٠ - ١١١) .

مما سبق نلاحظ أن حرمان الكافر من السعادة المعنوية كانت نتيجة لعوامل نفسية منها ضيق الصدر والخزي وحرمانه من الأولياء والأنصار ، وأهم ذلك كله سخط الله عليه ، ولاحظنا أن الحالة النفسية السيئة صنعت للكافر الهم والغم اللذين هما أقوى جنود الله في الأرض، حتى إنه صلى الله عليه وسلم استعاذ منهما، فقد روى الإمام البخاري عن أنس رضى الله عنه قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن ، والعجز والكسل ، والجبن والبخل ، وضلع الدين وغلبة الرجال"^(١).

هذا بالإضافة إلى ما قرره الأطباء المتخصصون أن الحالة النفسية هي رأس الصحة، فمن كانت حالته النفسية جيدة - وإن كانت الأعضاء فيها شيء من الخلل - يجد السعادة في الراحة النفسية ، والعكس حاصل لمن كانت حالته النفسية سيئة والأعضاء قوية فالحالة النفسية السيئة تدمرها تدميراً ، فسبحان الله واهب السعادة لخلقه وسبحان مصرف السعادة عن خلقه .

إستدراك *

قد نشهد في بعض الفترات أمماً كافرة وشعوباً ضالة ، لا تؤمن بالله تعالى ، ولا تقيم لشريعته وزناً ، ومع هذا مُمكنُ لها في الأرض ، موسع لها في المال والرزق والولد مذلة لها سبل الراحة ، تعيش في سعادة وطمأنينة وعافية !!! وهذا في ظاهره يخالف القاعدة الربانية ، والسنة الكونية ، المذكورة في قوله تعالى: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾^(٢) كيف ذلك؟؟ نقول: هذه القاعدة الربانية والسنة الكونية لاتخالف ما عليه الكافر من النعم، ذلك لأن الكافر كلما ارتكب إثماً ، فتح الله له باباً من النعمة في الدنيا ، ليزداد فساداً وبطراً بسبب ترادف النعم، حتى إذا أنغمس في الفساد ، أجرى الله سنته فيهم . يقول تعالى: ﴿فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء ، حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون﴾^(٣)

(١) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب الدعوات ، باب الاستعاذة من الجبن والكسل رقم الحديث ٦٣٦٩ ، (١١/١٧٨)

(٢) سورة النور : الآية ٥٥

(٣) سورة الأنعام : الآية ٤٤

* - الإستدراك : لمخاطبة النفوس المريضة

ويوضح صلى الله عليه وسلم هذا المعنى في قوله: (إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب ، فإنما هو استدراج . ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم (فلما نسوا ما ذكروا به) الآية^(١) .

ففتح الله عليهم أبواب السعادة من كل ما يحتاجون إنما هو استدراج منه تعالى، وإملاء لهم ، ومكر بهم^(٢) ، كما قال تعالى: ﴿والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملي لهم ، إن كيدي متين﴾^(٣) .

فسنة الله تعالى في الكفار ماضية لاتبديل لها، والواقع العملي يشهد بتحقيقها على مدار القرون!! فما إبدال جنتي قوم سبأ إلا تحت هذه السنة، وما إغراق قوم نوح وقوم فرعون، وإهلاك قوم عاد وثمود إلا تحت هذه السنة، وما اندحار الشيوعيه الخبيثة إلا تحت هذه القاعدة ، يقول تعالى: ﴿فقطع دابر القوم الذين ظلموا، والحمد لله رب العالمين﴾^(٤) .

هذا مع ما لهم من عذاب أخروي ، حيث يقول سبحانه: ﴿لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد ، متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد﴾^(٥) . وهذا ما سنتعرض له من العذاب الأخروي لهذا الكافر في الصفحات التالية .

(١) مسند الإمام أحمد (١٤٥/٤) . قال الهيثمي عنه / والطبراني عن شيخه وهو ضعيف ، وقال العراقي إسناده حسن انظر : كنز العمال (٩٠/١١) .

(٢) قال بهذا المعنى ابن كثير انظر : تفسير ابن كثير (٢٥١/٣) .

(٣) سورة الأعراف آيه ١٨٢ ، ١٨٣ .

(٤) سورة الأنعام الآية ٤٥

(٥) سورة آل عمران الآية ١٩٦ - ١٩٧ .

المطلب الثاني

مجال تهيب الكافر في الآخرة*

تمهيد :

يتضمن التهيب الأخرى للكافر مراحل متعددة سنعالجها تحت المسائل الآتية :

المسألة الأولى : تهيب الكافر من الحالة التي يلقاها عند الموت

المسألة الثانية : تهيب الكافر من المصير الذي يؤول إليه في القبر

المسألة الثالثة : تهيب الكافر من مواقف يوم القيامة

المسألة الرابعة : تهيب الكافر من المصير الذي يؤول إليه في النار

المسألة الأولى

تهيب الكافر من الحالة التي يلقاها عند الموت

ومن صور تهيب الكافر عند الموت :

أ- **ييشر بالعذاب والسخط والغضب من الله** : حيث تنزل عليه ملائكة سود الوجوه يخاطبون روحه: "أبشري بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج"^(١) ، لذا فهو يكره لقاء الله عند الموت، كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من أحب لقاء الله أحب لقاءه، ومن كره لقاء الله كره لقاءه ، قالت عائشة-أوبعض أزواجه- إنا لنكره الموت؟! قال : ليس ذلك ، ولكن المؤمن إذا حضره الموت، بشر برضوان الله وكرامته ، فليس شيء أحب إليه مما أمامه، فأحب لقاء الله وأحب لقاءه ، وإن الكافر إذا حضر بُشر بعذاب الله وعقوبته، فليس شيء أكره إليه مما أمامه ، فكره لقاء الله وكره لقاءه)^(٢) .

* هذا المطلب بجميع مسائله تهيب لأحياء الكفار على سبيل الإخبار، وهي عقوبة فعلية للأمم منهم -أعادنا الله منها- .

(١) جزء من حديث صحيح أخرجه ابن ماجه في صحيح سننه من حديث أبي هريرة في كتاب الزهد، باب ذكر الموت ، رقم ٣٤٣٧

(٢) (٤٢٠/٢) و أورده الحافظ بن كثير في تفسيره (٤١٧/٤)

(٣) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب الرقاق، باب من أحب لقاء الله ، الحديث ٦٥٠٧ (٣٥٧/١١)

فإذا احتضر الكافر وبشرته الملائكة بالأغلال والنكال والجحيم وغضب الجبار المتعال، امتنعت الروح عن الخروج من الجسد خوفاً من تلك البشارة .

ب- قبض روحه بأبشع صورة : فإذا استصعبت أرواحهم الخروج، استخرجها ملك الموت قهراً وبالضرب على الوجوه والأدبار ، يوضح ذلك قوله تعالى: ﴿ ولوترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم ، اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ﴾ (١) ، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة ، يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق ﴾ (٢) ، فتفرق روح الكافر في جسده ، فتأتي الملائكة وتنتزعها بالقوة كما ينتزع السفود (٣) من الصوف المبلول، فتخرج معها العروق والعصب ج- استقبال روحه أسوأ استقبال : فإذا خرجت روح الكافر وضعتها الملائكة في المسوح (٤) وهي كأتنت جيفة تتأذى منها ملائكة السماء ، وهناك في السماء يهان إهانة ما بعدها إهانة ، يوضح ذلك كله الحديث الطويل الذي رواه البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في حق المؤمن والكافر، نقتطف منه الجزء الخاص بالعبد الكافر ، حيث يقول صلى الله عليه وسلم : (وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء سود الوجوه معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول : أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال: فتفرق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها ، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها كأتنت ريح جيفة وجدت على وجه الأرض ، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملاء من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الخبيث ؟ فيقولون : فلان ابن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا ، حتى ينتهي بها إلى السماء الدنيا، فيستفتح له

(١) سورة الأنعام : جزء من الآية ٩٣

(٢) سورة الأنفال : الآية ٥٠

(٣) السفود : حديدة يشوى بها (انظر القاموس المحيط مادة (سغد) ص ٣٦٩

(٤) المسوح : هي مفرد مسح، وهو الكساء من الشعر، انظر لسان العرب لابن منظور (٤٨١/٣)

فلا يفتح له ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ لا تفتح لهم أبواب السماء ، ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ﴾^(١) ، فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى ، فتطرح روحه طرْحاً ، ثم قرأ : ﴿ ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق ﴾^(٢) .. الحديث^(٣) ، وهكذا تطرح روح الكافر من السماء إلى الأرض حتى تصير إلى القبر دار البرزخ .

المسألة الثانية

ترهيب الكافر من المصير الذي يؤول إليه في القبر

إذا قبر الكافر تعاد إليه روحه في جسده ، ويبدأ معه مشوار العذاب والأهوال ومن جملة تلك الأهوال وأولها :

أ- سؤال الملكين للكافر وفشله في الإجابة :

يأتي الكافر الملكان منكر ونكير في صورة مرعبة، لو رآها أعظم الرجال قوة، لم يطق رؤيته ، فيجلسانه ويسألانه عن ربه ودينه ونبيه، فلا يستطيع الإجابة؛ لأنه كان في الدنيا غافلاً عنها، فناسب ذلك مقامه في القبر ، يدل على ذلك الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن البراء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في ذكر الكافر وحاله في القبر، ومما جاء فيه قوله صلى الله عليه وسلم : (..فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول هاه هاه لأدري ، فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول هاه هاه لأدري ، فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول هاه هاه لأدري ... الحديث^(٤) .

(١) سورة الأعراف : جزء من الآية ٤٠

(٢) سورة الحج : جزء من الآية ٣١

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده (٢٨٨، ٢٨٧/٤) وسبق تخريجه والحكم عليه في مقدمة هذا الفصل (ص ١٣٧) (هامش رقم ٣) .

(٤) سبق تخريجه في النقطة السابقة .

ب- العذاب الحسي للكافر في قبره :

ونتيجة لحرمان الله له من الإجابة على الملكين تقام عليه الحجة ، ويصب عليه العذاب، فيضرب بممرزة من حديد لو ضرب بها جبل لكان تراباً ، ويفرش له في قبره فرش من النار، ويفتح له باب إلى النار ، ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، ويسلط عليه ثعابين القبر ، وتعرض روحه على النار كل يوم مرتين إلى أن تقوم الساعة ، ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ، النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ، وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ (١) ، يقول ابن جرير رحمه الله: "إنهم لما هلكوا وأغرقهم الله جعلت أرواحهم في أجواف طير سود فهي تعرض على النار كل يوم مرتين غدوًّا وعشيًّا إلى أن تقوم الساعة" (٢) . وهذا وإن كان خاصاً بقوم فرعون الكافرين، فإنه يصح لكل كافر مثلهم، لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

ومما يدل على عذابهم الحسي في القبر ما ذكره الإمام أحمد عن البراء رضي الله عنه ، ومما جاء فيه قوله صلى الله عليه وسلم: (فينادي مناد من السماء أن كذب، فأفرشوا له من النار، وافتحوا له باباً إلى النار ، فيأتيه من حرها وسمومها ، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه...) الحديث (٣) .

ج- العذاب النفسي للكافر في قبره :

وذلك ساعة أن تنكشف له أعماله الدنيوية الخبيثة وتأتيه متمثلة في صورة رجل قبيح، فيخاطبه ويدعو له بالشر ، حينئذ يتمنى ألا تقوم الساعة، كما ورد ذلك في حديث البراء رضي الله عنه السابق وفيه (.. ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح، فيقول : أبشر بالذي يسوؤك . هذا يومك الذي كنت توعده، فيقول: من أنت، فوجهك الوجه يجيء بالشر ! فيقول أنا عمك الخبيث، فيقول: رب لا تقم الساعة ، وفي-رواية له بمعناه

(١) سورة غافر : الآية ٤٥-٤٦

(٢) تفسير الطبري (٤٦/٢٤)

(٣) سبق تخرجه والحكم عليه (ص ١٣٧) من هذه الرسالة (هامش رقم ٣) .

وزاد - فيأتيه آت قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح، فيقول: أبشر بهوان من الله وعذاب مقيم ، فيقول: وأنت فبشرك الله بالشر من أنت؟! فيقول أنا عملك الخبيث، كنت بطياً عن طاعة الله، سريعاً في معصية الله فجزاك الله شراً ثم يقيض له أعمى أصم أبكم في يده مرزبة لو ضرب بها جبل كان تراباً ، فيضربه ضربة حتى يصير تراباً، ثم يعيده الله كما كان، فيضربه ضربة أخرى، فيصيح صيحة يسمعه كل شيء إلا الثقلين.
قال البراء: ثم يفتح له باب من النار ويمهد من فرش النار (١) .

ومن العذاب النفسي للكافر في قبره أنه لا يعمل صالح له من صلاة وصوم وصدقة وإحسان يدافع عنه ويؤنس وحشته ، فيزداد لذلك خوفاً ورعباً وألماً وحسرة. ومما جاء في ذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الميت إذا وضع في قبره إنه يسمع خفق نعالم حين يولون عنه، فإن كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه وكان الصيام عن يمينه، وكانت الزكاة عن شماله، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجله ، فيؤتى من قبل رأسه، فتقول الصلاة: ما قبلي مدخل ، ثم يؤتى عن يمينه، فيقول الصيام: ما قبلي مدخل ... ، وإن الكافر إذا أتى من قبل رأسه ، لم يوجد شيء . ثم أتى عن يمينه، فلا يوجد شيء . ثم أتى عن شماله فلا يوجد شيء . ثم أتى من قبل رجله فلا يوجد شيء. فيقال له اجلس، فيجلس خائفاً مرعوباً، فيقال له: أرأيتك هذا الرجل الذي كان فيكم ماذا تقول فيه، وماذا تشهد به عليه؟ فيقول أي رجل، فيقال: الذي كان فيكم، فلا يهتدي لإسمه، حتى يقال له : محمد، فيقول : ما أدري . سمعت الناس قالوا قولاً، فقلت كما قال الناس، فيقال له : على ذلك حييت وعلى ذلك مت وعلى ذلك تبعث إن شاء الله، ثم يفتح له باب من أبواب النار، فيقال له : هذا مقعدك من النار وما أعد الله لك فيها، فيزداد حسرة وثبوراً ، ثم يفتح له

(١) انظر : مسند الإمام أحمد (٤/٢٩٥، ٢٩٦) ، سبق تخريجه والحكم عليه (ص١٣٧) (هامش رقم ٣) من هذه الرسالة

باب من أبواب الجنة، فيقال له : هذا مقعدك من الجنة وما أعد الله لك فيه لو أطعته ،
فيزداد حسرة وثبوراً، ثم يضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ... (الحديث (١) .

المسألة الثالثة

ترهيب الكافر من مواقف يوم القيامة

صور ترهيب الكافر في يوم القيامة متعددة تبدأ بالبعث من القبور عند النفخ في الصور،
وتنتهي بالدخول في النار - نعوذ بالله منها- دار القرار وأول تلك الصور :-

أ- قيام الكافر من قبره

يخرج الكافر من قبره مسرعاً في صورة يوضحها قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُخْرَجُونَ مِنَ
الْأَجْدَاثِ سِرَاعاً كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ (٢) يخرجون مسرعين والهوان والذل يغشى
وجوههم ، فرؤسهم مطأطأة إلى الأرض في ذل وخضوع، وأبصارهم خاشعة شاخصة
لا ترجع إليهم من شدة النظر ، ووجوههم مسودة عليها الغبار والتراب . هذه هي الحالة
المرئية للكافر . أما الحالة النفسية فلا تقل بشاعة ، فالأفئدة خائفة والنفوس حائرة لما
يتوقعونه من عذاب الله، وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها
قزرة . أولئك هم الكفرة الفجرة﴾ (٣) ، ويقول جل علاه: ﴿ولا تحسبن الله غافلاً عما
يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار، مهطعين، مقنعي رؤوسهم لا يرتد
إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء﴾ (٤) ، يقول ابن عباس عن شدة حيرة الكافر عند نشره من
القبر . تشخص أبصار الخلائق يومئذٍ إلى الهواء لشدة الحيرة فلا يرمضون" (٥) .

(١) رواه ابن حبان في "صحيحه" رقم (٣١١٣) (٣٧٢/٧) بإسناد حسن واللفظ له ، ورواه الحاكم في "المستدرک" (٣٧٩/١-٣٨٠) وقال: صحيح الإسناد على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي .

(٢) سورة المعارج : الآية ٤٣

(٣) سورة عبس : الآية ٤٠ - ٤٢

(٤) سورة إبراهيم : الآية ٤٢

(٥) تفسير الإمام القرطبي (٣٧٦/٩)

ب- قدوم الكافر مهاناً إلى أرض المحشر

يجاء بالكافر إلى أرض المحشر في صورة لاتقل عما قبلها إذلالاً إن لم ترد !! فيساق به إلى هناك على وجهه ، أعمى أبكم أصم ، يوضح ذلك ربنا تبارك اسمه، وجل شأنه في قوله تعالى: ﴿ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه ، ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً، مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً﴾^(١) وفي قوله جل علاه: ﴿ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى﴾^(٢) .

إنها فعلاً صورة منفرة ، وقد تعجب منها الصحابة رضوان الله عليهم. يقول أنس بن مالك رضي الله عنه: (أن رجلاً قال : يابني الله كيف يُحشر الكافر على وجهه؟ قال: أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة)^(٣) .

ج- ومن صور ترهيب الكافر في أرض المحشر :-

تحصل للكافر أمور عديدة، منها :

١- العرض على الجبار سبحانه

يدل عليه حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات : فأما عرضتان فجداول ومعاذير. وأما الثالثة ، فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي فأخذ يمينه وأخذ بشماله)^(٤) يقول الترمذي الحكيم : " الجدال للكفار، يجادلون؛ لأنهم لا يعرفون ربهم ، ويظنون أنهم إذا جادلوا نجوا"^(٥) .

(١) سورة الإسراء: الآية ٩٧

(٢) سورة طه : الآية ١٢٤

(٣) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب الرقاق ، باب المحشر ، الحديث رقم ٦٥٢٣ (٣٧٧/١١) ورواه مسلم ، كتاب صفات المنافقين ، باب يحشر الكافر على وجهه ، الحديث ٢٨٠٦ ، (٤/٢١٦١) واللفظ للبخاري

(٤) سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر البعث، حديث ٤٣٣١ (٤٤٤/٢) تحقيق محمد الأعظمي، وقال عنه هذا اسناد رجاله ثقات إلا أنه منقطع، الحسن لم يسمع من أبي موسى الأشعري (انظر هامش المرجع السابق) . وقال عنه ابن حجر في الفتح: هو عند البيهقي بسند

حسن عن عبد الله بن مسعود موقوفاً (الفتح ٤٠٣/١١)

(٥) فتح الباري : (٤٠٣/١١)

ويوبخهم سبحانه وتعالى على رؤوس الأشهاد كما جاء في قوله تعالى: ﴿وعرضوا على ربك صفاً لقد جنتمونا كما خلقناكم أول مرة، بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعداً﴾ (١). وينادى على رؤوس الخلائق: هؤلاء الذين كذبوا على الله، يدل عليه الحديث الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما ، أن الرسول عليه السلام قال: (...أما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلاق: هؤلاء الذين كذبوا على الله) (٢).

٢- السؤال ومناقشة الأعمال

يضع سبحانه كتاب أعمال الكفار فيها الجليل والحقير والفتيل والقطمير والصغير والكبير (٣) ، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً﴾ (٤) ثم يبدأ سبحانه في سؤال الكافر ، ويذكره بنعمه الدنيوية التي أسبغها عليه ليزيد في تعذيبه ، كما جاء ذلك في الحديث الذي رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه وجاء فيه (... فيلقى العبد، فيقول : أي فل (٥) ، ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأدرك ترأس وتربع ؟ فيقول بلى قال ، فيقول : أفظنت أنك ملاقي ؟ فيقول : لا ، فيقول فإني أنساك كما نسيتني . ثم يلقي الثاني ..) الحديث (٦) ، فإذا ما حاول الكافر الإنكار بفمه ، ختم الله على ذلك الفم وأنطق بقية الجوارح ، لتشهد عليه كما قال سبحانه: ﴿اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾ (٧) وفي تفسير هذه الآية يقول أبو موسى الأشعري رضي الله عنه : "... يدعى الكافر والمنافق للحساب ، فيعرض ربه عليه عمله، فيجحد فيقول:

(١) سورة الكهف : الآية ٤٨

(٢) صحيح مسلم ، كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل...، حديث ٢٧٦٨ (٤/٢١٢٠)

(٣) انظر : تفسير الإمام ابن كثير (٥/١٦٠)

(٤) سورة الكهف : الآية ٤٩

(٥) فل : منقوص عن فلان كأنه يقال : يا فلان (جامع الأصول لابن الأثير ١٠/٤٤٠) تحقيق الأرنؤوط، مكتبة الخلواني والملاح ودار البيان ،

١٣٩٢هـ

(٦) صحيح مسلم ، كتاب الزهد والرفائق ، بدون اسم باب ، الحديث رقم ٢٩٦٨ (٤/٢٢٧٩، ٢٢٨٠)

(٧) سورة يس : الآية ٦٥

أي رب، وعزتك لقد كتب علي هذا الملك ما لم أعمل! فيقول له الملك: أما عملت كذا في يوم كذا، في مكان كذا؟ فيقول: لا، وعزتك أي رب ما عملته . فإذا فعل ذلك ختم على فيه ؛ قال أبو موسى: فإني أحسب أول ما ينطق منه الفخذ اليمنى، ثم تلا الآية (١) .

٣- تحميل الكافر تبعة ضلاله وإضلال غيره :

كما يحمل الله الكافر وزر عمله السيء الذي قدمه في الدنيا عند السؤال، فإنه أيضاً يحمل أوزار الذين أضلهم كاملة ، يقول سبحانه: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرَ الْأُولِينَ ، لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ أَوْزَارَ الَّذِينَ يَضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴾ (٢) ، ويقول جل وعلا: ﴿ وَلِيَحْمِلْنَ أَثْقَاهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَاهُمْ ﴾ (٣) ، ولاتعارض بين هذه الآيات وبين قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ (٤) ؛ ذلك لأن الكافر في الحقيقة إنما حمل وزر نفسه فهو قد تحمل وزر الضلال والإضلال (٥) .

د- العذاب النفسي الذي يحيط بالكافر يوم القيامة

و يظهر هذا النوع من العذاب من خلال الآتي :-

١- الحرمان من عناية الله تعالى :

ويكون ذلك بسخطه تعالى عليه، فلا كلام، ولا نظر إليهم، ولا تزكية لهم من رب العزة والجلال. وفي هذا يقول جل وعلا: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ، أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ ، وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٦) .

(١) تفسير الإمام ابن كثير (٥٧٣/٦)

(٢) سورة النحل : الآية ٢٤-٢٥

(٣) سورة العنكبوت : جزء من الآية ١٣

(٤) سورة فاطر : جزء من الآية ١٨

(٥) انظر : دفع إيهام الإضطراب عن آيات الكتاب (ص ١٧٢)

(٦) سورة آل عمران : الآية ٧٧

٢- الحرمان من شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم :

يدل عليه الحديث الذي رواه البخاري ومسلم في صحيحهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها، وأريد أن أختي دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة)^(١) ، وزاد مسلم: (فهي نائلة إن شاء الله، من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً)^(٢) .

وهذا من باب المخالفة ، فاذا كانت الشفاعة في حق من يشهد أن لا إله إلا الله ، فإن الكافر لاحق له في تلك الشفاعة، لأنه لا يؤمن بالشهادة .

٣- الحرمان من الأولياء والأنصار :

يدل عليه قوله تعالى: ﴿ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾^(٣) إن الذين اتخذوا أولياء من دون الله تعالى في الدنيا يتخلون عنهم وتقطع روابط الصلة بينهما . بل وأكثر من ذلك يتلاعنان ويتبرآن من بعضهم البعض، كما جاء في قوله سبحانه: ﴿ إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب ، وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبراء منا ، كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار ﴾^(٤) . فأنواع الحرمان هذه تسبب للكافر ألماً نفسياً وأي ألم؟! فالحسرات تلاحقه والغم يصيبه والموت يتغشاه. وكما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: حدثني نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: (إني لقايم أنتظر أمتي تعبر على الصراط إذ جاءني عيسى فقال : هذه الأنبياء قد جاءتك يا محمد يشتكون -أو قال يجتمعون إليك- ويدعون الله عز وجل أن يفرق جمع الأمم إلى حيث يشاء لغم ما هم فيه ، والخلق ملجمون في العرق ، وأما المؤمن فهو عليه كالتركمة ، وأما الكافر فيتغشاه الموت...) الحديث^(٥) حينئذ يتمنى الخلاص من هذا الألم النفسي ولو

(١) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب لكل نبي دعوة مستجابة، حديث ٦٣٠٤ (٩٦/١١)

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب إختباء النبي صلى الله عليه وسلم دعوة الشفاعة لأمته، حديث ١٩٨، ١٩٩ (١٨٨/١، ١٨٩)

(٣) سورة الشورى : جزء من الآية ٨

(٤) سورة البقرة : الآية ١٦٦-١٦٧

(٥) رواه الإمام أحمد في مسنده (١٧٨/٣)، أورده الإمام الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٧٣/١٠) وقال رجاله رجال الصحيح

بالذهاب إلى النار كما ذكر ذلك عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، حيث قال: "إن الكافر ليلجم بعرقه يوم القيامة من طول ذلك اليوم حتى يقول: يارب أرحمني ولو إلى النار"^(١) .
ولزيادة الحسرة في نفس الكافر يذكر ويمنى بالنجاة كما جاء ذلك في صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: يقال للكافر يوم القيامة: أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهباً أكنت تفتدي به ؟ فيقول: نعم، فيقال له : قد كنت سئلت ماهو أيسر^(٢) من ذلك^(٣) .

هـ- نتيجة الكافر يوم القيامة :

١- حبوط عمله :

حتى الأعمال الطيبة التي قدمها في دنياه من صلة أرحام، وصدقة، وإغاثة الملهوف، وإكرام الضيف، وجميع أعمال الخير لا أثر لها في الآخرة^(٤) ، والسبب عدم الإخلاص وعدم سلوك الشرع فيها^(٥) ، وفي هذا يقول سبحانه: ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً﴾^(٦) ، ويقول جل وعلا: ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً ، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه ، فحبطت أعمالهم، فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾^(٧) .

٢- استلام كتاب عمله بشماله ومن وراء ظهره :

وفي هذا يقول تعالى: ﴿وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه﴾^(٨) ، ويقول سبحانه: ﴿وأما من أوتي كتابه وراء ظهره، فسوف يدعو ثبوراً

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير، حديث (٨٧٧٩/٩) (١٧٠/٩) عن ابن مسعود موقوفاً، وحديث ١٠٠٨٣ (١٠/١٢٢، ١٢٣) مرفوعاً، وقال

الميثمي في المجمع : رواه الطبراني في الكبير ورجال الكبير رجال الصحيح (٣٣٦/١٠)

(٢) يشير إلى الميثاق الذي أخذ على ابن آدم وهو في صلب أبيه آدم وهو عدم الإشراك بالله تعالى (فتح الباري ٤٠٣/١١)

(٣) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب الرقاق، باب من نوقش الحساب عذب، الحديث ٦٥٣٨ (٤٠٠/١١)

(٤) انظر : فتح القدير للشوكاني (٣٨/٤) ، وتفسير الإمام الألويسي (١٧٩/١٨-١٨٠)

(٥) انظر تفسير الإمام ابن كثير (١١١،٧٦/٦)

(٦) سورة الفرقان : الآية ٢٣

(٧) سورة الكهف: الآية ١٠٣-١٠٥

(٨) سورة الحاقة : الآية ٢٥

ويصلى سعيراً» (١) كما يشير صلى الله عليه وسلم إلى تلك النتيجة في الحديث الشريف الذي رواه أبو هريرة، وجاء فيه (.. وأما الكافر فيعطى كتابه بشماله ويسود وجهه ويمد له في جسمه ستون ذراعاً على صورة آدم ، فيلبس تاجاً -وفي رواية من نار- فيراه أصحابه ، فيقولون: نعوذ بالله من شر هذا ، اللهم لاتأتنا بهذا ، قال: فيأتيهم، فيقولون ، اللهم أخزهم ، فيقول: أبعدهم الله، فإن لكل رجل منكم مثل هذا) (٢) حينئذ تطوى صحيفة أعمالهم وينادى بهم على رؤوس الخلائق (٣) ﴿ هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ، ألا لعنة الله على الظالمين ﴾ (٤) .. حينئذ تحل عليهم لعنة خالقهم وبارئهم ومصورهم ويحرمون نهائياً من مغفرته تعالى وعفوه يقول سبحانه: ﴿ إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم ﴾ (٥) .

و- نهاية الكافر يوم القيامة :

نهايته إلى جهنم وبئس المصير، كما قال تعالى: ﴿ وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً ، حتى إذا جاؤوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا ؟ قالوا بلى، ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ﴾ (٦)

وأول من يدخل النار من الكفار -والله أعلم- المشركون، ثم اليهود، ثم النصارى ، يدل على ذلك ما رواه الإمام البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (... ينادى مناد: ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون ، فيذهب أصحاب الصليب مع صليبيهم وأصحاب الأوثان مع أوثانهم ، وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم حتى يبقى

(١) سورة الإنشاق : الآية ١٠-١٢

(٢) سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب سورة بني إسرائيل، حديث ٣١٣٦ (٣٠٣، ٣٠٢/٥) وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وعلق عليه الشيخ الأرنؤوط بقوله: أخرجه الترمذي وفي سننه عبد الرحمن بن أبي كريمة والد السدي الكبير، وهو مجهول الحال، ولم يوثقه غير ابن حبان، ومع ذلك فقد حسن الترمذي حديثه هذا، انظر هامش جامع الأصول (٢/٢١٤) .

(٣) إشارة إلى حديث في صحيح البخاري مع الفتح، انظر حديث ٢٤٤١ (٩٦/٥) ويأتي تحريمه (ص ٢٠٣) (هامش رقم ٧) من هذا الفصل.

(٤) سورة هود : جزء من الآية ١٨

(٥) سورة محمد : الآية ٣٤

(٦) سورة الزمر : الآية ٧١

من كان يعبد الله من بر أو فاجر وغيرات^(١) من أهل الكتاب ، ثم يؤتى بجهنم تعرض كأنها سراب ، فيقال لليهود ما كنتم تعبدون؟ ، قالوا: كنا نعبد عزيزاً ابن الله ، فيقال : كذبتهم ، لم يكن لله صاحبة ولا ولد ، فما تريدون ؟ قالوا : نريد أن تسقينا؛ فيقال اشربوا ، فيتساقطون في جهنم . ثم يقال للنصارى ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون : كنا نعبد المسيح ابن الله ، فيقال كذبتهم لم يكن لله صاحبة ولا ولد، فما تريدون ؟ فيقولون: نريد أن تسقينا ، فيقال اشربوا فيتساقطون.. (الحديث^(٢)).

كما يدل عليه حديث أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يخرج عُنُقٌ من النار فتكلم بلسان طلق زلق ، لها عينان تبصر بهما ولسان تكلم به، فتقول : إني أمرت بمن جعل مع الله إلهاً آخر، وبكل جبار عنيد، وبمن قتل نفساً بغير نفس ، فتنتلق بهم قبل سائر الناس بخمسمائة عام، وقال سليمان فينطوي عليهم فيقذفهم في جهنم)^(٣)

أما الكيفية التي يدخل بها الكافرون النار فهي إما بالاتباع والتساقط في النار كما ظهر ذلك من الحديث السابق المروي عن الإمام البخاري ، وإما بخروج عنق من النار تلتقط الكافر من أرض المحشر كما يلتقط الطير الحب ، يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : (... يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان تبصران وأذنان تسمعان ولسان ينطق يقول : إني وكلت بثلاثه: بكل جبار عنيد، وبكل من دعا مع الله إلهاً آخر وبالمصورين)^(٤) وفي رواية أخرى (وكلت بمن جعل مع الله إلهاً آخر ، فلهو أبصر بهم من الطير بحب السمسم ، فيلتقطهم ، فيحبس بهم في جهنم)^(٥) . حينئذ يتمنى الكافر أمنية ، وما أغربها من أمنية ، يتمنى لو كان

(١) غيرات : جمع غابر وهو الباقي ، وغيرات جمع الجمع (جامع الأصول لابن الأثير ٤٥٤/١٠)

(٢) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى : ﴿وَجْهٌ يُومِئُ نَاضِرَةٌ﴾ جزء من الحديث ٧٤٣٩ (٤٢١/١٣)

(٣) حديث صحيح رواه البزار (١٨٥/٤) برقم ٣٥٠٠ ، واللفظ من كشف الأستار بزوائد البزار ، وأورده الإمام الهيثمي في المجمع (٣٩٢/١٠) وقال: رواه البرار والطبراني في الأوسط ، وأحد إسناده الطبراني رجاله رجال الصحيح .

(٤) صحيح سنن الترمذي ، أبواب صفة جهنم ، باب صفة النار ، حديث ٢٠٨٣ (٣٢٠/٢) وقال الالباني: حديث صحيح ، وأخرجه ابن الأثير في جامع الأصول (٥١٨/١٠) وقال: إسناده حسن .

(٥) أورده ابن الأثير في جامع الأصول (٥١٩/١٠) وقال الشيخ الأرنؤوط : ذكره السيوطي ونسبه للطبراني وابن مردويه ثم قال ولها شواهد بمعناها من أحاديث حسنة ومتواترة (انظر هامش المرجع نفسه).

تراباً ، كما قال تعالى ﴿ يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر: ياليتني كنت تراباً ﴾^(١)

(٢) .

المسألة الرابعة

ترهيب الكافر من المصير الذي يؤول إليه في النار

صور القرآن الكريم والسنة الصحيحة المطهرة عذاب الكافر في نصوص كثيرة وبأشكال مختلفة تشير إلى بشاعة ذلك العذاب وأول تلك الصور :

أ- عند الاستقبال:

فالنار تقوم بمراسم الإستقبال بالتغيظ والزفير والأغلال والسلاسل والسعير، فهي تشاهد الكافر من بعد، فتشمم وتستعد له وتعبّر عن ذلك بالتغيظ والزفير ، يقول تعالى: ﴿ وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً ، إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً ﴾^(٣) ، فإذا ما اقترب الكافر من النار، أخذ بالأغلال والسلاسل والأنكال ، يقول تعالى: ﴿ إنا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالاً وسعيراً ﴾^(٤) ويقول سبحانه: ﴿ إن لدينا أنكالاً وجحيماً ﴾^(٥) .

فالأغلال في الأعناق كما قال تعالى: ﴿ وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا ﴾^(٦) ، فتغل اليد الواحدة إلى الخلف، وتصفد اليدان جميعاً إلى العنق، فإذا قال الرب تبارك و تعالى: ﴿ خذوه فغلوه ﴾^(٧) ابتدره سبعون الف ملك كلهم يتبدر أيهم يجعل الغل في عنقه^(٨) .

(١) أورده ابن الأثير في جامع الأصول (١٠/٥١٨) وقال: تحقّقه: ذكره السيوطي ونسبه للطبراني وابن مردويه ثم قال ولها شواهد بمعناها من حديث حسن صحيح.

(٢) سورة النبأ : الآية ٤٠

(٣) سورة الفرقان : الآية ١١-١٢

(٤) سورة الإنسان : الآية ٤

(٥) سورة المزمل : الآية ١٢

(٦) سورة سبأ : جزء من الآية ٣٣

(٧) سورة الحاقة : الآية ٣٠

(٨) انظر: كتاب التحويف من النار (ص ٩٢-٩٣) وانظر تفسير ابن كثير (٨/٢٤٣) مرجع سابق

والأنكال هي القيود ، يقول أبو عمران الجويني : "قيود لائحل والله أبدا" (١) ، ويقول الحسن رحمه الله عن هذه الأغلال والأنكال : أما وعزته ماغلهم ولاقيدهم مخافة أن يعجزوه، ولكنه فعل بهم ذلك لترسي بهم في النار إذا طفىء بهم اللهب (٢) .

أما السلاسل، فهي للسحب كما قال تعالى: ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ (٣) ، يقول ابن المنكدر عن الحلقة الواحدة من هذه السلاسل : " لو جمع حديد الدنيا كله ماخلا منها ومابقي ماعدل منها حلقة من الخلق التي ذكر الله في كتابه تعالى، فقال: ﴿في سلسلة ذرعتها سبعون ذراعاً﴾ (٤)، (٥) .

فإذا سحبوا بالسلاسل وألقوا في جهنم سمعوا لها صوتاً شديداً يخرج من جوفها كصوت الحمار وهي تغلي بهم كما يغلي الحب القليل في الماء الكثير (٦) .

يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وبئس المصير ، إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهي تفور ، تكاد تميز من الغيظ ، كلما القي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير﴾ (٧) .

ومن جملة استقباهم: أنهم يأتون من أرض المحشر حفاة عراة ويدخلونها وهم في قمة الجوع والعطش والتعب بعد أهوال المحشر، فيطلبون ذلك النعيم من أهل الجنة ، ولكنهم يردون رداً يائساً ، وفي ذلك يقول المولى سبحانه: ﴿ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله ، قالوا إن الله حرمهما على الكافرين﴾ (٨) حيث تقوم الخزنة بواجب الضيافة والإكرام، فتقدم الطعام والشراب، وتأتيهم بالكساء والفراش، والإكرام الذي يناسب المقام، والضيافة التي تناسب ماقدموا من أعمال ، فطعامهم : الزقوم كما قال تعالى: ﴿ثم إنكم

(١) التخويف من النار (ص ٩٣)

(٢) انظر: المرجع السابق

(٣) سورة غافر : الآية ٧١

(٤) سورة الحاقة : جزء من الآية ٣٢

(٥) التخويف من النار ص ٩٤

(٦) انظر : تفسير ابن كثير (٨/٢٠٤ هامش، ٢٠٥)

(٧) سورة الملك : الآية ٦-٨

(٨) سورة الأعراف : الآية ٥٠

أيها الضالون المكذبون لا تكون من شجر من زقوم فمائلون منها البطون ﴿١﴾ الزقوم وما أدراك ما الزقوم ؟ إنها شجرة غذاؤها من النار فهي تغلي كالمهل في بطون آكلها ، وأصلها في قعر جهنم، وفروعها في طبقات النار، كأنها رؤوس الشياطين ، يقول تعالى في وصفها: ﴿أذلك خيرٌ نزلًا أم شجرة الزقوم . إنا جعلناها فتنة للظالمين . إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم . طلعتها كأنه رؤوس الشياطين . فإنهم لا يكون منها فمائلون منها البطون﴾ (٢) . ويقول سبحانه: ﴿إن شجرة الزقوم طعام الأثيم ، كالمهل يغلي في البطون . كغلي الحميم﴾ (٣) .

ويوضح عليه الصلاة والسلام مرارة هذه الشجرة بقوله: (لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا، لأفسدت على أهل الدنيا معاشهم ، فكيف بمن يكون طعامهم) (٤) .

ومن طعام الكافرين في النار: الغسلين ، يقول تعالى: ﴿ولا طعامٌ إلا من غسلين . لا يأكله إلا الخاطئون﴾ (٥) والغسلين شر طعام أهل النار كما قال قتاده ، لأنه صديد أهل النار والدم والماء الذي يسيل من لحومهم (٦) . ومن طعامهم أيضاً: الضريع، وعنه يقول سبحانه: ﴿ليس لهم طعام إلا من ضريع . لا يسمن ولا يغني من جوع﴾ (٧) والضريع شجرة من النار ذات أشواك لاطقة بالأرض يقال لها الشبرق ويسميه أهل الحجاز الضريع إذا يبس وهو سُم (٨) . ومن صفات طعام الكافر في النار أنه ذا غصة ، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وطعاماً ذا غصة وعذاباً أليماً﴾ (٩) يقول ابن عباس رضي الله عنهما في معناه قال: "ينشب في الحلق فلا يدخل ولا يخرج" (١٠) .

(١) سورة الواقعة : الآية ٥١-٥٣

(٢) سورة الصافات : الآية ٦٢-٦٦

(٣) سورة الدخان : الآية ٤٣-٤٦

(٤) رواه الترمذي في سننه، صفة جهنم، باب ماجاء في صفة شراب أهل النار، حديث ٢٥٨٥ (٧٠٧/٤) وقال: هذا حديث حسن صحيح، مطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط. ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م ورافقه الشيخ الأنازوط، انظر : هامش جامع الأصول (١٠/٥١٦)

(٥) سورة الخاقا : الآية ٣٦-٣٧

(٦) انظر : ابن كثير في تفسيره (٨/٢٤٤)

(٧) سورة الغاشية : الآية ٦-٧

(٨) انظر تفسير ابن كثير (٨/٤٠٧) والتخويف من النار ص ١١٠

(٩) سورة المزمل : الآية ١٣

(١٠) تفسير ابن كثير رحمه الله (٨/٢٨٢) وكتاب التخويف من النار ص ١٠٨

أما شرابهم: فهو الحميم، كما قال تعالى: ﴿فشاربون عليه من الحميم﴾^(١). وهذا الحميم يقطع ما يجوفهم من أمعاء ويصهره حتى يسيل من بين أقدامهم، ثم يعاد كما كان، يوضح ذلك قوله تعالى: ﴿وسقوا ماءً حميماً فقطع أمعاءهم﴾^(٢). ويقول صلى الله عليه وسلم: (إن الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ الحميم حتى يخلص إلى جوفه فيسلت^(٣) ما في جوفه حتى يبرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان)^(٤)، ويقول الضحاك رحمه الله عن شدة حرارة الحميم: "يغلى من يوم خلق الله السموات والأرض إلى يوم يسقونه ويصب على رؤوسهم"^(٥). ومن شرابهم في النار الغساق، يقول سبحانه: ﴿لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً، إلا حميماً وغساقاً﴾^(٦) والغساق: هو ما اجتمع من صديد أهل النار وعرقهم ودموعهم وجروحهم وهو بارد لا استطاع شربه من برده ولا يواجه من نتنه^(٧). ومن شرابهم الصديد، يقول سبحانه: ﴿ويسقى من ماء صديد﴾^(٨) وهو القيح والدم وما يسيل من بين لحمه وجلده^(٩). ومن شرابهم: الماء الذي كالمهل، يقول تعالى: ﴿وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب﴾^(١٠)، والمهل هو كل شيء أذيب - سواء أكان ذهباً أم فضة أم زيتاً أم دماً أم قيحاً أم غيره - حتى يسود، فهو أسود، منتن، غليظ، حار^(١١).

(١) سورة الواقعة: الآية ٥٤

(٢) سورة محمد: الآية ١٥

(٣) فيسلت: أي يخلق ويستأصل ما في جوفه (جامع الأصول ٥٤١/١٠)

(٤) سنن الترمذي، أبواب صفة جهنم، باب ماجاء في شراب أهل النار، الحديث ٢٥٨٢ (٧٠٥/٤) وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح

غريب، وعلق عليه الأرنؤوط بقوله: إسناده حسن (هامش جامع الأصول ٥٤٠/١٠)

(٥) كتاب التخويف من النار (ص ١١٠) مرجع سابق

(٦) سورة النبأ: الآية ٢٤-٢٥

(٧) تفسير الإمام ابن كثير (٢٣٠/٨)

(٨) سورة إبراهيم: جزء من الآية ١٦

(٩) انظر: التخويف من النار (ص ١١٢)

(١٠) سورة الكهف: جزء من الآية ٢٩

(١١) انظر تفسير ابن كثير (١٥٠/٥)

أما لباسهم : فمادته مصنوعة من أصل النار الأخروي أو من القطران ، كما جاء في قوله تعالى ﴿ **فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ** ﴾^(١) وكان إبراهيم التيمي إذا تلا هذه الآية يقول: "سبحان من خلق من النار ثياباً"^(٢) وقوله تعالى عن هذه الثياب: ﴿ **سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ وَتَغْشَىٰ وَجُوهَهُمُ النَّارُ** ﴾^(٣) . وكان ابن عباس يقول: القطران هو النحاس المذاب^(٤) .

وكذا النعل الذي يوضع في قدمي الكافر مصنوع من مادة النار ، يدل على ذلك الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن النعمان رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن أهون أهل النار عذاباً من له نعلان وشراكان من نار يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل، ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً ، وإنه لأهونهم عذاباً)^(٥) .

أما فراشهم : فهو أيضاً مصنوع من مادة جهنم ، يقول تعالى: ﴿ **لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقَهُمْ غَوَاشٍ** ﴾^(٦) ، فالمهاد هو الفراش ، والغواش هو اللحف. ذكره ابن كثير رحمه الله^(٧) ، ويقول تعالى ﴿ **وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا** ﴾^(٨) . يقول الحسن رحمه الله في معنى الحصير: الفراش والمهاد^(٩) .

ب- ومن صور تعذيب الكافر في النار: إحاطة العذاب بكل بدنه

فالعذاب يغطي بدن الكافر من أعلى رأسه إلى أخمص قدميه ، يقول سبحانه: ﴿ **ثُمَّ صَبُؤْا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ** ﴾^(١٠) ، ويقول جل علاه: ﴿ **يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ**

(١) سورة الحج : جزء من الآية ١٩

(٢) كتاب التخويف من النار (ص ١١٨)

(٣) سورة إبراهيم : الآية ٥٠

(٤) تفسير ابن كثير (٤/٤٤٠) ، و التخويف من النار (ص ١١٩)

(٥) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان، باب أهون أهل النار عذاباً، الحديث ٢١٣ (١٩٦/١)

(٦) (سورة الأعراف : جزء من الآية ٤١

(٧) انظر: تفسير ابن كثير ٤١٠/٣

(٨) سورة الإسراء : جزء من الآية ٨

(٩) انظر : تفسير ابن كثير (٤٥/٥)

(١٠) سورة الدخان : الآية ٤٨

فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون ﴿١﴾ ، ويقول سبحانه: ﴿لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون﴾ (٢) .
وكما يغشى العذاب ظاهر الكافر ، فإنه يصل أيضاً إلى باطنه ، فتصل إلى فؤاده وعظمه ولحمه ومخه ، يقول تعالى: ﴿وما أدراك ما الحطمة ، نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة ، إنها عليهم مؤصدة ، في عمدة ممدده﴾ (٣) وقال سبحانه: ﴿وما أدراك ما سقر ، لا تبقي ولا تذر﴾ (٤) وقد أورد ابن رجب في معنى قوله: ﴿لا تبقي ولا تذر﴾ ، قول: "تأكل العظم واللحم والمخ ولا تذر على ذلك" (٥) .

وليس هذا فحسب ، بل إن العذاب وسرادق النار وظللها تحيط به ومن حوله كما قال تعالى: ﴿إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها﴾ (٦) ، ويقول سبحانه: ﴿هم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ، ذلك يخوف الله به عباده ، يا عباد فاتقون﴾ (٧) .

وحتى يكون العذاب على الكافر شديداً وبالغاً ، يبذل الله جلودهم كلما احترقت ، أو يزيد من سماكتها ، أو يعظم من خلقتهم حتى يكبر حجم بدنهم ويستوعب قدراً أكبر من النار ، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليدوقوا العذاب ، إن الله كان عزيزاً حكيماً﴾ (٨) . كما يدل عليه الحديث الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ضرس الكافر أوناب الكافر مثل أحد ، وغلظ جلده مسيرة ثلاث) (٩) .

(١) سورة العنكبوت : الآية ٥٥

(٢) سورة الأنبياء : الآية ٣٩

(٣) سورة الممزة : الآية ٥-٩

(٤) سورة المدثر : الآية ٢٧-٢٨

(٥) كتاب التخويف من النار (ص ١٣٥)

(٦) سورة الكهف : جزء من الآية ٢٩

(٧) سورة سورة الزمر : الآية ١٦

(٨) سورة النساء : الآية ٥٦

(٩) صحيح مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها ، باب النار يدخلها الجبارون ، الحديث ٢٨٥١ (٤/٢١٨٩)

وله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ما بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع) (١) .

إذاً ، فالعذاب يشمله من كل جانب، ظاهراً وباطناً، ومن شدته عليهم لكأنه الموت وألمه ، يقول تعالى: ﴿ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ، وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ، وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ (٢) . ويقول ابن رجب في معنى الآية : "إن العذاب يأتيه مثل شدة الموت وألمه من كل جزء من أجزاء بدنه حتى شعره وظفره، وهو مع هذا لا يخرج نفسه فيستريح" (٣) .

ج- ومن صور تعذيب الكافر في النار زيادة العذاب وتضعيفه

وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴾ (٤) . ويفسر ابن مسعود رضي الله عنه هذه الزيادة فيقول : زيدوا عقارباً أنيابها كالنخل الطوال (٥) .

وهذه الزيادة في العذاب من أشد الأمور على أهل النار كما ذكر ذلك أبو برزة رضي الله عنه لما سئل عن أشد آية على أهل النار؟ (٦) فقال قوله تعالى: ﴿ فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً ﴾ (٧) ولشدة هذا النوع من العذاب على نفوس الكافرين في النار، فإنهم يقومون بالدعاء بعضهم على بعض بمضاعفة العذاب ، كما قال تعالى ﴿ كلما دخلت أمة لعنت أختها ، حتى إذا اداركوا فيها جميعاً ، قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا ، فآتهم عذاباً ضعفاً من النار ﴾ (٨) ، وقوله تعالى ﴿ قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذاباً ضعفاً في النار ﴾ (٩) .

(١) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، الحديث ٦٥٥١ (٤١٥/١١) وصحيح الإمام مسلم ، كتاب صفة الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب النار يدخلها الجبارون ، الحديث ٢٨٥٢ ، (٢١٨٩/٤) واللفظ للبخاري

(٢) سورة إبراهيم : جزء من الآية ١٧

(٣) أورده صاحب التخويف من النار (ص ١٤١)

(٤) سورة النحل : الآية ٨٨

(٥) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٥٨/٩-٢٥٩) بالأرقام ٩١٠٣، ٩١٠٤، ٩١٠٥ ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد وقال رواه الطبراني ورجاله رجال الصحاح (٣٩٠/١٠)

(٦) التخويف من النار (ص ١٤٢)

(٧) سورة النبأ : الآية ٣٠

(٨) سورة الأعراف : جزء من الآية ٣٨

(٩) سورة ص : الآية ٦١

د- ومن صور ترهيب الكافر في النار محاولة التخلص من الهلاك بكل الأساليب والأسباب:
يحاول الكافر التفلت من النار والخروج منها، فيجد المقامع والمطارق في استقباله تقمعه
وتعيده حيث كان ، يقول سبحانه: ﴿وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ ، كَلِمًا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا
مِنْ غَمٍّ ، أَعِيدُوا فِيهَا﴾ (١) . فهذه إحدى المحاولات التي يلجأ إليها الكفار للتخلص من النار ،
ولكنها محاولة فاشلة كلاحقاتها من المحاولات ، حينئذ يلجأون إلى إبليس رئيس الشياطين ،
يستغيثون به ليخرجهم من النار، فلا يستجيب لهم وأنى له ذلك ؟ ويصور سبحانه ذلك في
قوله: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لِمَا قَضَى الْأَمْرَ : إِنْ اللَّهُ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ ، وَوَعَدْتَكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ ،
وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ، فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلَمْوَأْ أَنْفُسَكُمْ
، مَا أَنَا بِمُصْرِحِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِحِي ، إِنْ كَفَرْتُمْ بِمَا أَشْرَكْتُمُونَ مِنْ قَبْلِ ، إِنْ الظَّالِمِينَ لَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢) .

فإذا يئس الكفار من إبليس -لعنه الله- اتجهوا إلى خزنة النار بطلب التخفيف ولو ليوم
واحد قائلين لهم - كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ : ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ
عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ﴾ (٣) فينتظرون الجواب ماشاء الله ثم يجيبونهم بعد حين قائلين لهم، كما
جاء في قوله تعالى: ﴿قَالُوا: أَوْلَمْ تَكْ تَأْتِيكُمْ رَسَالِكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ؟ قَالُوا بَلَى ، قَالُوا فَادْعُوا
وَمَا دَعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ (٤) .

فإذا يئسوا من طلب التخفيف ، طلبوا الموت ، واتجهوا إلى خازن النار ورئيسهم لعله يقدر
على ما لم يقدر عليه غيره ، يتجهون إلى مالك ينادون أربعين عاماً يامالك .. يامالك، سل ربك
أن يميتنا ؟ كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَنَادُوا يَامَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ ، فيجيب عليهم بعد
أربعين عاماً قائلاً ، كما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّكُمْ مَا كَثُونَ﴾ (٥) .

(١) سورة الحج : الآية ٢١-٢٢

(٢) سورة إبراهيم : الآية ٢٢

(٣) سورة غافر : الآية ٤٩

(٤) سورة غافر : الآية ٥٠

(٥) سورة الزخرف : الآية ٧٧

حينئذ لا يجدون ملجأً ولا منجاةً من الله إلا إليه سبحانه ، فيتجهون إليه تائبين نادمين ذليين قائلين، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ، رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا ، فَإِنْ عَدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾ (١) ، فبسكت عنهم سبحانه مثل مقدار الدنيا، ثم يجيبهم بعد ذلك إجابة هي أشد عليهم من العذاب الذي هم فيه ، يجيبهم تعالى قائلاً: ﴿ قَالَ اخْسِئُوا فِيهَا وَلَا تَكْلُمُونَ ﴾ (٢) ثم يأس القوم، فما هو إلا الزفير والشهيق، تشبه أصواتهم أصوات الحمير أولها شهيق وآخرها زفير (٣) ، فتسيل دموعهم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فيسيل الدم فتقرح العين (٤) .

هـ - ومن صور ترهيب الكافر الأخرى الإقامة الأبدية في النار والحرمان الأبدي من جنات النعيم: والآيات القرآنية التي تنص على الإقامة الأبدية للكافر في النار وتخليده في جهنم كثيرة (٥) ، منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا يَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ، إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ، وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ (٦) ، ومنها قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ (٧) ، وقوله سبحانه ﴿ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ (٨) .

ومما يدل على الحرمان الأبدي من دخول جنات النعيم قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْجَأَ الْجِمْلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴾ (٩) .

(١) سورة المؤمنون : الآية ١٠٦-١٠٧

(٢) سورة المؤمنون : الآية ١٠٨

(٣) جزء من أثر أورده الإمام الهيثمي في مجمع الزوائد، وقال رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح (٣٩٦/١٠)

(٤) جزء من حديث رواه أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أورده الهيثمي في مجمع الزوائد وقال رواه ابويعلى ووثق رجاله

(٣٩١/١٠)

(٥) انظر الآيات التالية : سورة البقرة ٣٩ ، سورة المائدة ٧٢ ، سورة هود ١٠٦-١٠٧ ، سورة النور ٥٧ ، سورة التوبة ٦٨

(٦) سورة النساء : الآية ١٦٨-١٦٩

(٧) سورة الأحزاب : الآية ٦٤-٦٥

(٨) سورة البقرة : الآية ١٦٧

(٩) سورة الأعراف : الآية ٤٠

و- ومن صور ترهيب الكفار في الآخرة العذاب الروحي في النار :

ويتمثل هذا فيما يصيب الكفار من الحزن والحسرة، لما يلقوه من سخرية. وأهم من ذلك وأقساها على نفوسهم ما يلي :-

١- حجابهم عن الله عز وجل وحرمانهم من رؤيته سبحانه ، كما قال تعالى: ﴿كَلَّا ، إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحُوبُونَ﴾^(١) . يقول الإمام ابن رجب رحمه الله: "جعل سبحانه ذلك جزاءً لحال الكفار في الدنيا، وهو تراكم الران على قلوبهم، حتى حجبت عن معرفته ومراقبته، في الدنيا فكان جزاؤهم على ذلك أن حجبا عن رؤيته في الآخرة"^(٢) .

٢- سخرية المؤمنين منهم : كما قال تعالى: ﴿فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون، على الأرائك ينظرون ، هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون ؟﴾^(٣) .

وقد ذكر الإمام الرازي في تفسيره أنه "يقال لأهل النار وهم فيها: اخرجوا، وتفتح لهم أبوابها، فإذا رأوها قد فتحت أقبلوا إليها يريدون الخروج والمؤمنون ينظرون إليهم على الأرائك، فإذا انتهوا إلى أبوابها، غلقت دونهم فذلك هو سبب الضحك"^(٤) .

٣- ذبح الموت بين الجنة والنار: عندها ينقطع الرجاء في الفرج ، ويقع منهم الإياس، وتعظم عليهم الحسرة والحزن ، يدل على ذلك الحديث الذي رواه الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا صار أهل الجنة إلى الجنة ، وأهل النار إلى النار ، جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثم يذبح ، ثم ينادي مناد: يا أهل الجنة : لاموت، يا أهل النار : لاموت ، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم ، ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم)^(٥)

(١) سورة المطففين : الآية ١٥

(٢) انظر جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي (ص ٣٣) دار المعرفة، بيروت-لبنان

(٣) سورة المطففين : الآية ٣٤-٣٦

(٤) التفسير الكبير للفخر الرازي (١٠٣/٣١)

(٥) صحيح البخاري مع الفتح كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، الحديث ٦٥٤٨، (٤١٥/١١) ورواه الإمام مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب النار يدخلها الجبارون ، الحديث ٢٨٥٠ (٢١٨٩/٤) واللفظ للبخاري .

، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿ وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣) .

(٣) سورة مريم : الآية ٣٩

المبحث الثاني

مجالات

الترهيب مع المنافقين

وفيه مطلبان

المطلب الأول : مجال ترهيب المنافقين في الدنيا

المطلب الثاني : مجال ترهيب المنافقين في الآخرة

المطلب الأول

مجال ترهيب المنافقين في الدنيا

تمهيد :

يهدف المنافقون من وراء إخفاء كفرهم وبغضهم للإسلام والمسلمين وإظهار إيمانهم، يهدفون إلى الحصول على مصالح دنيوية مادية ومعنوية ، لذا فقد أمر الله سبحانه بجهادهم بكل أنواع الجهاد^(١) ، وسنعالج كل ذلك - بإذن الله- في هذا المطلب تحت المسائل التالية :

المسألة الأولى : الترهيب بالخروج من دائرة الإسلام والدخول في حظيرة الكفار ظاهراً وباطناً .

المسألة الثانية : الترهيب باستهزاء الله وسخريته من المنافقين

المسألة الثالثة : الترهيب بالحرمان من الحصول على المصالح الدنيوية

المسألة الرابعة : الترهيب بإلحاق الأذى بهم وإذلالهم عن طريق الجهاد

المسألة الأولى

الترهيب بالخروج من دائرة الإسلام والدخول في حظيرة الكفار ظاهراً وباطناً

لما تذبذب المنافقون بين ظاهر الإيمان وباطن الكفر ، ولما سلكوا مسلك النفاق، وارتضوه مبدأً لعقيدتهم، عاقبهم الله سبحانه بما يتناسب وجرمهم ، عاقبهم بإخراجهم من حدود الإيمان، ووضعهم في حظيرة الكفار سواءً بسواء ، ويتضح ذلك من الآتي :

أ- حكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم عليهم بالكفر :

فالمنافق مهما أقر بلسانه بالإيمان، ثم كفر بقلبه ، فإن ذلك لا جدوى منه، فالكفر مثبت والإيمان منفي عنه في حالة تلبسه واستمراره على النفاق، وقد وضع سبحانه ذلك في كتابه العزيز وأكدته تعالى بصورتين :

(١) الجهاد بمعناه اللغوي ماعدا القتال بالسيف وسيأتي توضيح ذلك، انظر (ص ١٩٠) من هذا المطلب.

١- الصورة الأولى : إثبات الكفر لهم، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب، قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون ، لاتعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ..﴾^(١)، ومنه قوله سبحانه: ﴿يخلفون بالله ما قالوا ، ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم﴾^(٢) .

٢- الصورة الثانية : نفي الإيمان عنهم ، وفي ذلك يقول جل علاه ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين﴾^(٣) ، ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿ويخلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ، ولكنهم قوم يفرقون﴾^(٤) .

ب- الجمع بينهم وبين الكفار ، حيث جمع الله بينهم في أمور عديدة، منها :

١- في الطبع على قلوبهم : فالله سبحانه غطى قلب المنافق وأغلق قلبه كالكافر^(٥) ، حتى لا يصل نور التوحيد إليه وذلك نتيجة إصراره على النفاق ، يقول ربنا جل وعلا: ﴿اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله ، إنهم ساء ما كانوا يعملون ، ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون﴾^(٦) .

٢- في الأمر بجهادهم والغلظة عليهم : يقول سبحانه : ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين وأغلظ عليهم ..﴾^(٧) . يقول سيد قطب رحمه الله " تجمع الآية بين الكفار والمنافقين في الأمر بجهادهم والغلظة معهم، لأن كلا الفريقين يؤدي دوراً مماثلاً في تهديد المعسكر الإسلامي وتحطيمه أو تفتيته .. " ^(٨) .

(١) سورة التوبة : الآية ٦٥ ، ٦٦

(٢) سورة التوبة : جزء من الآية ٧٤

(٣) سورة البقرة : الآية ٨

(٤) سورة التوبة : الآية ٥٦

(٥) انظر ذلك بالتفصيل في المبحث الأول من هذا الفصل (ص ١٤٤)

(٦) سورة المنافقون : الآية ٢-٣

(٧) سورة التحريم : جزء الآية ٩

(٨) في ظلال القرآن (٣٦٢١/٦)، لسيد قطب، دار الشروق، ط. الخامسة، ١٣٩٧هـ.

٣- في وجود علاقة قوية تربط بين الكفار والمنافقين: هذه العلاقة هي علاقة الأخوة الحميمة وقد قرر سبحانه هذه الأخوة في قوله تعالى: ﴿ ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب .. ﴾ (١) .

ج- تأصيل ذلك النفاق والكفر في قلوبهم :

إن استمراء المنافقين وإصرارهم على ما هم فيه من فساد عقيدة وسوء أخلاق، كان سبباً في عقاب الله لهم بتمكين النفاق في قلوبهم واستمراره معهم إلى يوم يلقون الله تعالى: وقد أخبر أصدق القائلين بذلك، فقال سبحانه: ﴿ ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ، فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون ، فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ﴾ (٢) وفي الآية إقرار بأن النفاق تمكن و سكن قلوبهم، وهذا النفاق ثابت إلى أن يلقوا الله عز وجل بالموت ومفارقة الدنيا (٣) بل وأكثر من ذلك أنه يصاحبهم إلى يوم القيامة كما بين سبحانه ذلك في قوله تعالى: ﴿ يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم، ويحسبون أنهم على شيء ، ألا إنهم هم الكاذبون ﴾ (٤) .

د- تضعيف عذابهم في الدنيا :

يقول سبحانه: ﴿ ومن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق، لا تعلمهم نحن نعلمهم، سنعذبهم مرتين، ثم يردون إلى عذاب عظيم ﴾ (٥) .
يقول الإمام القرطبي في هذه الآية: "الغرض من الآية إتباع العذاب أو تضعيف العذاب عليهم" (٦) ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ أولاً يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ،

(١) سورة الحشر : جزء من الآية ١١

(٢) سورة التوبة : الآية ٧٥-٧٧

(٣) انظر الكشاف عن حقائق التنزيل ، للأمام الزمخشري (٢٠٤/٢) تحقيق محمد قمحاوي، ط. الأخيرة، ١٣٩٢هـ

(٤) سورة المجادلة : الآية ١٨

(٥) سورة التوبة : الآية ١٠١

(٦) تفسير الإمام القرطبي (٢٤١/٨)

ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون ﴿١﴾ يقول الإمام الألويسي: "الفتنة هنا بمعنى البلية والعذاب:" (٢)

والسبب في هذا التضعيف والتتابع في العذاب لجمعهم بين صفتي الكفر والنفاق حيث يقول الإمام الألويسي رحمه الله: "ولعل تكرار عذابهم لما فيهم من الكفر المشفوع بالنفاق، أو النفاق المؤكد بالتمرد فيه" (٣) وقد اختلف المفسرون رحمهم الله في تأويل هذين العذابين على أقوال (٤) ، ولعل أولى ما قيل في ذلك -والله أعلم- ما توصل إليه الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله، حيث قال: "إن الله أخبر أنه سيعذب هؤلاء المنافقين ولم يضع لنا دليلاً نتوصل به إلى علم صفة هذين العذابين" (٥) ، وأن هذين العذابين لم يكونا رادعين لهم ، بدليل أنهم ﴿لا يتوبون ولا هم يذكرون﴾ (٦) .

المسألة الثانية

ترهيب المنافقين باستهزاء الله تعالى بهم وسخريته منهم

لقد بلغ من خبث المنافقين أنهم كانوا يظهرون بوجهين، ويتكلمون بلسانين، سخرية بالمؤمنين واستهزاءً ، وقد كشف سبحانه هذا الخبث، ووضح لهم أنهم إن يكونوا ساخرين مستهزئين، فهو سبحانه أشد وأقدر منهم سخرية واستهزاءً (٧) ، و بين سبحانه ذلك في كتابه العزيز، وجعل تلك السخرية في صور متعددة منها :

(١) سورة التوبة : الآية ١٢٦

(٢) تفسير روح المعاني (٥١/١١)

(٣) المرجع السابق (١١/١١)

(٤) هذه الأقوال موجودة في تفسير الإمام الطبري (٩/١١ ، ٥٤) وتفسير الإمام القرطبي (٨/٢٤١)

(٥) تفسير الطبري (٩/١١)

(٦) سورة التوبة : جزء من الآية ١٢٦

(٧) اختلف المفسرون في تأويل الاستهزاء وكيفيته منه تعالى ، انظر ذلك في تفسير الطبري (١٠٢/١-١٠٤) ، تفسير ابن كثير (٧٧/١-٧٨) ،

روح المعاني (١٥٨/١-١٥٩) ، تفسير المنار (١٦٣/١-١٦٤)

١- ورود لفظ السخرية والاستهزاء صريحاً في القرآن : قال تعالى: ﴿الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون﴾^(١) ، وقال سبحانه ﴿.. فيسخرون منهم سخر الله منهم..﴾^(٢) والملاحظ في الآية أن الله سبحانه أسند ذلك الاستهزاء وتلك السخرية لذاته الكريمة ، والسبب كما يقول الإمام الألوسي: " للتنبيه على أن الاستهزاء بالمنافقين هو الاستهزاء الأبلغ الذي لا يدانيه استهزاء " ^(٣) . ويقول الإمام الشوكاني رحمه الله: جعل الله ما وقع منه استهزاءً وسخرية لهم مع كونه عقوبة لينتقم منهم ويستخف بهم إنتصافاً لعباده المؤمنين^(٤) .

٢- ومن صور استهزاء الله تعالى بالمنافقين أنه جعل العقوبة في حقهم بشارة ووعداً : قال تعالى: ﴿بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً﴾^(٥) يقول الشيخ السعدي رحمه الله: ومعلوم أن البشارة تستعمل في الخير، ولكن لنكتة بلاغية استعملت في الشر ب قيد ، وهي إرادة السخرية بهؤلاء المجرمين^(٦) . وهذا منتهى السخرية، حيث جعل سبحانه العذاب الأليم الذي ينتظر المنافقين بشارة .

ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها، هي حسبهم﴾^(٧) جاء الوعد في صيغة الوعيد للسخرية والاستهزاء بهذا الصنف المسوخ ، هذا من جهة، ومن جهة أخرى للتأكيد على عدم الإخلاف فيما جرى الوعيد به ، ذلك لأن من شأن العظماء ألا يخلفوا بالوعد مهما كان السبب ، بخلاف الوعيد،

(١) سورة البقرة : الآية ١٥

(٢) سورة التوبة : جزء من الآية ٧٩

(٣) انظر: تفسير روح المعاني (١٥٩/١)

(٤) انظر : فتح القدير (٤٤/١)

(٥) سورة النساء : جزء من الآية ١٣٨

(٦) انظر تفسير كلام المنان (١٩٦/٢) للشيخ السعدي، تحقيق محمد النجار، مطابع الدجوي - القاهرة

(٧) سورة التوبة : جزء من الآية ٦٨

فقد يميل كرمهم إلى العفو عنه ، ولما كان المنافقون والكافرون لا يستحقون العفو أصلاً ، حسن في وعيدهم أن يعطى عنوان الوعد ليكون ذلك بالغ السخرية فيهم^(١) .

٣- ومن صور استهزاء الله بهم: أنه تعالى نصبهم تمثالاً وجعلهم هدفاً للسخرية^(٢) حين رسمهم في صورة قبيحة منفرة ، وهي صورة الفراغ والخواء والإنطماس ، صورة الجبان الرعديد الذي يُغشى عليه عند وجود المخاوف ، وفي هذا يقول عز وجل: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ خَشَبٌ مُسْتَنْدَةٌ ، يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعُدُو فَاخْذِرْهُمْ﴾^(٣) ، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفَ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ ، كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾^(٤) ، ويقول سبحانه: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ . فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذَكَرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾^(٥) .

المسألة الثالثة

ترهيب المنافقين بالحرمان من بعض المصالح الدنيوية

في الأصل اتخذ المنافقون النفاق وسيلة للحصول على المصالح الدنيوية ، مادية كانت أو معنوية ، وذلك لأن المسلم في دولة الإسلام له مطلق الحرية في التصرف في أمواله في حدود الشرع ، وإذا كان من أهل الكفاءة، فإنه يستطيع أن يصل إلى عمل في الدولة يتقاضى به أجراً ، وإذا اشترك في الجهاد، كان له حظ أو فر من المال ، فلو أظهر المنافق كُفْرَهُ، فاته تلك المصالح ، هذا بخصوص المصالح المادية .

وكذلك الحال بالنسبة للمصالح المعنوية ، فالمسلم في دار الإسلام يحصل على الجاه والمنصب، كما يحصل على ولاية المسلمين ، ويكثر أنصاره منهم ، وتكون له منزلة رفيعة بينهم^(٦) ،

(١) انظر الأخلاق الإسلامية وأسسه لعبد الرحمن الميداني (٥٥١/١) دار القلم ، ط. الأولى ١٣٩٩هـ.

(٢) انظر الظلال لسيد قطب (٣٥٧٤/٦)

(٣) سورة المنافقون : جزء من الآية ٤

(٤) سورة الأحزاب : جزء من الآية ١٩

(٥) سورة محمد : جزء من الآية ٢٠

(٦) انظر : المنافقون في القرآن الكريم للدكتور عبد العزيز الحميدي (ص ٢٠)، طبعة دار المجتمع للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٤٠٩

وبذا يتحقق له راحة نفسية داخلية ليس لها مثيل، لكن المنافق محروم من تلك المصالح التي يشتهيها ، والتي يبذل إيمانه في سبيل تحقيقها، ومع ذلك، فهو محروم منها في الدنيا، مسخوطٌ عليه في الآخرة. ويتضح ذلك الحرمان من خلال :

أ- الحرمان من شرف الجهاد ، وذلك الحرمان يكون :-

١- إما بتثييط الله تعالى لهم ، كما قال سبحانه ﴿ ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ، ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين ﴾^(١) وفي إيضاح هذا المعنى يقول الإمام ابن جرير رحمه الله: وكان تثييط الله لهم عن الخروج مع الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، لعلمه بنفاقهم وغشهم للإسلام وأهله ، وأنهم لو خرجوا أضروهم ولم ينفعوهم^(٢) ويقول الإمام القرطبي رحمه الله: أوقع الله في قلوبهم القعود فحبسهم وخذلهم عن الخروج^(٣) .

٢- أو بمنع الرسول صلى الله عليه وسلم - أو من هو في حكمه من ولاية أمر المسلمين - لهم صراحة من الخروج، ويتضح ذلك المعنى من قوله تعالى: ﴿فإن رجعت الله إلى طائفة منهم فاستذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبداً، ولن تقاتلوا معي عدوا ، إنكم رضيتم بالعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين ﴾^(٤) .

والملاحظ في الآية الكريمة تكرار المنع ومجيئه بصيغة الجزم والتأكيد: ﴿لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدوا﴾ وفي هذا غاية الحرمان وأبعده .

ب- عدم الاعتراف لهم بالسيادة

ومما يؤكد ذلك الحديث الذي أخرجه البخاري عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تقولوا للمنافق سيد ، فإنه إن يك سيدكم فقد أسخطتم ربكم عز وجل)^(٥) فإذا كان الله يغضب من قول المسلم للمنافق ياسيد ، فمعنى

(١) سورة التوبة : الآية ٤٦

(٢) انظر : تفسير الطبري (١٠/١٠١)

(٣) انظر : تفسير القرطبي (٨/١٥٧)

(٤) سورة التوبة : الآية ٨٣

(٥) أخرجه الإمام البخاري في الأدب المفرد ، باب لا يقل للمنافق سيد (ص١١٣) ، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان

ذلك أنه تعالى لا يرضى أن يعترف المسلم للمنافق بباقي حقوق السيادة من طاعة وإحترام وتقدير .

ج- الحرمان من الأولياء والأنصار ، وهو أنواع :

١- إما مجرمانهم من ولاية الله ونصرته وهذا أشد الحرمان وأسوأه ، لأن معناه الحرمان من رحمة الله ومن كل خير عاجل أو آجل ، يقول تعالى: ﴿ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكْ خَيْرًا لَهُمْ ، وَإِنْ يَتُوبُوا يَعَذِّبُهُمْ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَليٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾^(١) ويقول سبحانه: ﴿ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ، وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَليًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾^(٢) .

٢- وإما بقطع المؤمنين ولايتهم ونصرتهم للمنافقين نتيجة لأمر الله لهم بذلك ، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَدُوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سُوءًا ، فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَليَاءَ حَتَّى يَهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ، وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَليًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾^(٣) ، فقطع الولاية عنهم يستلزم عدم محبتهم ، لأن الولاية فرع المحبة ، ويستلزم أيضاً بغضهم وعداوتهم ، لأن النهي عن الشيء أمر بضده^(٤) .

استدراك

قد يلاحظ على بعض المنافقين النيل كثيراً من المصالح الدنيوية ، المادية والمعنوية ، فهم أولوا عزة وتمكين ، ومنزلة رفيعة في المجتمع ؟ نقول : إن هذا من باب الإمهال في الطغيان ، والإستدراج للعذاب ليس إلا ، كالكفار تماماً ، فالمنافق يكابد في جمع الأموال ، ويقاسي الشدائد في الوصول إلى أعلى المناصب والله تعالى يعطيهم ولا يمنعمهم ، يمنحهم ولا يقرعهم . بحسب توطئهم أو قارعة تفتح عيونهم ، كما قال تعالى: ﴿ .. وَيَعْدُهُمْ فِي طَغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾^(٥) ثم ماذا بعد

(١) سورة التوبة : الآية ٧٤

(٢) سورة الأحزاب : الآية ١٧

(٣) سورة النساء : الآية ٨٩

(٤) انظر تفسير كلام المنان (٢/١٢٠)

(٥) سورة البقرة : جزء من الآية ١٥

ذلك؟ يأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، فيعذبهم بها في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون﴾ (١) .
 ففي الدنيا عذابهم يكون كما قال الحسن البصري رحمه الله: "ياخراج الزكاة والإنفاق في سبيل الله" (٢) فهم يكابدون المتاعب ويقاسون الشدائد والمصائب، وليس عندهم من الاعتقاد بثواب الله تعالى ما يهون عليهم ما يجدونه (٣) ، كما أن قلوبهم تتعلق بها وإرادتهم لاتعدها ، فتكون منتهى وغاية، فلا يبقى في قلوبهم للآخرة نصيب (٤) ، لذا فإنهم عند الموت ﴿تزهق أنفسهم وهم كافرون﴾ . فما أفضعه من استدراج، وما أشده من إمهال ! .

المسألة الرابعة

ترهيب المنافقين بإلحاق الأذى والإذلال عن طريق الجهاد

نقصد بالجهاد هنا المعنى اللغوي لهذه الكلمة (٥) ، وهي: بذل الطاقة والوسع وجميع وسائل الدفاع التي هي دون القتال ، كما ورد ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في قوله تعالى: ﴿ياأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلب عليهم﴾ (٦) قال: "فأمره الله بجهاد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان وأذهب الرفق عنهم" (٧) .
 وهذا الجهاد يمكن تحقيقه باليد واللسان والقلب والمال وكل مامن شأنه أن يجعلهم في صورة الذل والمهانة حتى يقلعوا عما هم فيه من نفاق وفي هذا الصدد يقول الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله: "وأما جهاد الكفار والمنافقين فأربع مراتب ، بالقلب واللسان والمال والنفوس، وجهاد

(١) سورة التوبة : الآية ٥٥

(٢) تفسير الطبري (١٠٧/١٠) وتفسير القرطبي (١٦٤/٨)

(٣) انظر تفسير روح المعاني (١١٧/١٠) بتصرف

(٤) انظر : تفسير كلام المنان (٢٤٨/٣)

(٥) انظر القاموس المحيط للفيروزآبادي ، مادة (الجهاد) (ص ٣٥١)

(٦) سورة التحريم الآية ٩

(٧) تفسير الطبري (١٠٧-١٢٦/١٠) وتفسير ابن كثير (١١٩/٤)

الكفار أخص باليد وجهاد المنافقين أخص باللسان" (١) . وسنوضح ذلك من خلال الصور التالية :

أ- من صور ترهيب المنافقين في الدنيا جهادهم بالقلب، ويكون ذلك بإظهار احتقارهم ومحاولة إذلالهم من خلال :

١- الإعراض عنهم، يقول تعالى: ﴿سِيحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتَعَرَّضُوا عَنْهُمْ ، فَأَعْرَضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجَسٌ وَمَأْوَاهُم جَهَنَّمُ جُزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٢) والمقصود بالإعراض: هو إعراض مقت وتحقير واجتناب وإهمال، لا بمعنى العفو والصفح (٣) .

٢- نزع الثقة بهم، فلا يعتمد عليهم في أمور المسلمين، وذلك من قوله سبحانه: ﴿.. فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾ (٤) وقوله سبحانه: ﴿... وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ (٥) .

٣- عدم قبول اعتذاراتهم الكاذبة وإظهار عيوبها حتى يبطل نفاقهم (٦) . وفي هذا يقول سبحانه مرشداً نبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ (٧) ويقول سبحانه: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ﴾ (٨) .

٤- عدم استشارتهم والسماع منهم ، وفي هذا يقول جل علاه ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ (٩) . يقول ابن كثير رحمه الله في معنى هذه الآية: " أي لا تسمع منهم ولا تستشرهم" (١٠) .

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم الجوزية (١١/٣) تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط. أولى ١٣٩٩هـ.

(٢) سورة التوبة : الآية ٩٥

(٣) انظر تفسير الظلال (١٦٩٦/٣)

(٤) سورة التوبة : جز من الآية ٨٣

(٥) سورة التوبة : جزء من الآية ٤٦

(٦) انظر : المنافقون في القرآن الكريم (ص ٤٥٢)

(٧) سورة التوبة : جزء من الآية ٦٦

(٨) سورة التوبة : جزء من الآية ٩٤

(٩) سورة الأحزاب : جزء من الآية ١

(١٠) تفسير ابن كثير (٣٧٦/٦)

٥- النهي عن موالاتهم واتخاذهم خواص^(١)، كما قال تعالى: ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةَ مَنْ دُونَكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُوا مَا عَنْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تَخْفَىٰ صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ...﴾^(٢).

٦- عدم الرضا عنهم وتصديقهم، وذلك حينما يتحلون الأعذار الكاذبة للمؤمنين ليصدقوهم ويرضوا عنهم. وهنا يأمر سبحانه عباده بعدم تصديقهم، كما جاء في قوله تعالى ﴿يَخْلَفُونَ لَكُمْ لِرِضَا عَنْهُمْ، فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾^(٣) فقد يرضى عنهم المؤمنون؛ لأنهم لا يعلمون صدقهم من كذبهم، وهنا تأتي الطامة الكبرى، وهي غضب الله وعدم رضاه سبحانه عنهم، وذلك لأن رضا الناس لا يغير من غضب الله على هؤلاء المنافقين^(٤).

ب- ومن صور ترهيب المنافقين الديني: جهادهم باللسان، ويكون هذا بالوعظ والتهديد والتعنيف أو بلومهم وفضيحتهم وبكشف أمرهم على النحو التالي :

١- الوعظ والتعنيف، كما قال سبحانه مرشداً نبيه صلى الله عليه وسلم لذلك :

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرَضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾^(٥) وهذه المعرظة إنما تكون نصحاً وتعليماً في بادئ الأمر ترغيباً في الاستقامة، ثم التوبيخ والتعنيف على ما في قلوبهم من النفاق وسرائر الشر بكلام بليغ رادع يغمون به اغتماماً ويستشعرون منه الخوف استشعاراً^(٦).

٢- كشف أمرهم والتشهير بهم، وكان هذا أشد شيء على قلوبهم، يوضح سبحانه ذلك بقوله: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾^(٧)،

(١) انظر روح المعاني (٣٧/٤)

(٢) سورة آل عمران : جزء من الآية ١١٨

(٣) سورة التوبة : الآية ٩٦

(٤) انظر الظلال (١٦٩٧/٣)

(٥) سورة النساء : الآية ٦٣

(٦) انظر روح المعاني (٦٩/٥)

(٧) سورة التوبة : جزء من الآية ٦٤

وقد توعدهم الله تعالى بفضيحتهم وهتك سترهم ليكونوا عبرة للمعتبرين، كما قال سبحانه: ﴿وَلِيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلِيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ (١).

ليس هذا فحسب، بل إنه سبحانه أمر المؤمنين أيضاً بعدم التستر على المنافقين، وإظهار كذبهم وعيوبهم، نبه سبحانه على ذلك من خلال قوله تعالى: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ (٢)، لئلا يغتر المسلمون بظواهرهم فيقع بذلك فساد عريض، بل وشدد سبحانه على هذا الأمر، فأنزل في شأنهم سورة تحدثت عن مخازيهم ومساوئهم، وهتكت سترهم، هذه السورة هي سورة التوبة، ولهذا سميت بالفاضحة والمثيرة والمبعثرة والحفارة. يقول الحسن رحمه الله: "كان المسلمون يسمون هذه السورة الحفارة، لأنها حفرت مافي قلوب المنافقين فأظهرته" (٣)، كما قام صلى الله عليه وسلم بالتشهير ببعضهم أمام الناس، وفي المسجد كما ورد في الحديث الذي رواه الإمام الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: (صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر، فنادى بصوت رفيع، وقال: يامعشر من أسلم بلسانه ولم يفيض الإيمان إلى قلبه لاتؤذوا المسلمين ولاتعيروهم، ولاتتبعوا عوراتهم، فإنه من يتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله) (٤)، ومن ذلك قول أبي مسعود عتبة بن عمرو رضي الله عنه، قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيباً فحمد الله ثم قال: (إن منكم منافقين فمن سميت فليقم، ثم قال: قم يافلان، قم يافلان، قم يافلان حتى سمى ستة وثلاثين رجلاً، قال: إن فيكم أو منكم فاتقوا الله) (٥). كما أن معرفة هؤلاء المنافقين وإن أخفوا نفاقهم أصبح أمراً ميسوراً من خلال فلتات الألسنة، وصفحات الوجوه، وفحوى الكلام. وفي هذا يقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةَ مَنْ دُونَكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُوا مَا عَنْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ

(١) سورة العنكبوت: الآية ١١

(٢) سورة التوبة: جزء من الآية ٩٤

(٣) تفسير الإمام القرطبي (١٩٦/٨)

(٤) صحيح سنن الترمذي، باب ماجاء في تعظيم المؤمن، الحديث ١٦٥٥ (٢/٢٠٠)، ومن أمثله حديث رواه الإمام أحمد وسبق تخريجه في

الفصل الثاني (ص ٧٤) (ن ١).

(٥) سبق تخريجه والحكم عليه (ص ٦٤) هامش رقم (١)

وما تخفي صدورهم أكبر.. ﴿١﴾ وقوله تعالى: ﴿٢﴾ أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم ، ولو نشاء لأريناكمهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم ﴿٣﴾ . وفي هذا الصدد يقول عثمان بن عفان رضي الله عنه : "ما أسر أحد سريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه وفتتات لسانه" (٤) .

٣- ومن صور التهيب باللسان مع المنافقين: استخدام أسلوب التهديد. ومن أمثلة ذلك :
- التهديد بالجلاء والطرده من ديار المسلمين

وفي هذا يقول تعالى: ﴿٥﴾ لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورنك فيها إلا قليلاً ﴿٦﴾ ، فالآية اشتملت على تهديد واضح للمنافقين أن يسلم الله عليهم رسوله صلى الله عليه وسلم، فيطهر جو المدينة منهم، وفيها دلالة على أن ذلك الجلاء أعظم ما يصيبهم وأشدّه، لأنهم بذلك يفقدون جميع مصالحهم المادية والمعنوية (٧) ، وعن هذا المعنى يقول الإمام ابن كثير رحمه الله: "وهذا الجلاء والقهر سنة الله في المنافقين إذا تمردوا على نفاقهم وكفرهم ولم يرجعوا عما هم فيه، أن أهل الإيمان يسلطون عليهم ويقهرونهم، وسنة الله في ذلك لا تبديل ولا تغيير" (٨) .

- التهديد بإعلان الحرب عليهم ويكون بالأسر ثم القتل :

ومما يدل على هذا قوله سبحانه: ﴿٩﴾ ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً ﴿١٠﴾ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿١١﴾ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين .. ﴿١٢﴾ .

٤- ومن صور تهيب المنافق التي تتعلق باللسان : عدم المجادلة والدفاع عنهم ، وقد جاء هذا في قوله تعالى مرشداً نبيه صلى الله عليه وسلم بذلك، حيث قال تعالى: ﴿١٣﴾ إنا أنزلنا إليك

(١) سورة آل عمران : جزء من الآية ١١٨

(٢) سورة محمد : الآية ٢٩ ، ٣٠

(٣) تفسير الإمام ابن كثير (٣٠٤/٧)

(٤) سورة الأحزاب : الآية ٦٠

(٥) انظر : روح المعاني (٩١/٢٢)

(٦) تفسير الإمام ابن كثير (٤٧٢/٦)

(٧) سورة الأحزاب : جزء من الآية ٦١

(٨) سورة التوبة : جزء من الآية ٧٣

الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً، واستغفر الله إن الله، كان غفوراً رحيماً ، ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خواناً أثيماً ﴿١﴾ .

ج- الجهاد باليد

وكما ذكرنا أن جهادهم باليد يكون بما دون القتل، لأنهم غير مظهرين لكفرهم ، وأما من أظهر من المنافقين كلمة الكفر، ثم أقام على ما أظهر من ذلك، فإنه تعالى أمر بقتله وجهاده بالسيف، لأنهم يصبحون في حكم المرتدين ويكونون كسائر الكفار^(١) .

والجهاد باليد إنما يكون في حقهم بالقضاء على العمل الذي يراد منه إضرار المسلمين والتفريق بينهم ، ومن أمثلة ذلك حرق وهدم وتخريب معقل اجتماعهم التي في ظاهرها تدعو، إلى الإسلام، وفي باطنها تحارب الإسلام ، ويوضح هذا الجهاد قصة مسجد الضرار الذي جاء في القرآن في قوله تعالى: ﴿والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل، وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون﴾^(٢) .

فإنه سبحانه وتعالى يبين لنا خبر أولئك المنافقين الذين بنوا مسجد الضرار، ليكون معقلاً للكفر يجتمعون فيه ويتبادلون الرأي لكيفية الإضرار بالمؤمنين والتفريق بين جماعتهم^(٣) . والصورة الترهيبية تظهر من خلال موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من ذلك المسجد الضرار، والتي أوضحها سبب نزول الآية السابقة ، فقد أخرج الإمام ابن جرير رحمه الله في تفسيره عن قتاده قوله : "أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك حتى نزل بذي أوان - بلدة بينها وبين المدينة ساعة من نهار- وكان أصحاب مسجد الضرار قد كانوا أتوه وهو يتجهز إلى تبوك، فقالوا: يا رسول الله، إنا قد بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليله المطيرة والليله الشاتية، إنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه ، فقال صلى الله عليه وسلم: (إني على جناح

(١) سورة النساء : الآية ١٠٥-١٠٧، وانظر سبب نزول هذه الآية في صحيح الترمذي، كتاب التفسير، أبواب تفسير القرآن، حديث

(٢٤٣٢/٣) (٤٢/٣)

(٢) انظر : تفسير الإمام الطبري (١٠/١٢٧)، وانظر : المنافقون في القرآن الكريم (ص ٣٤٠)

(٣) سورة التوبة : الآية ١٠٧

(٤) انظر : المنافقون في القرآن الكريم (ص ٤٠٤)

سفر وحال شغل ولو قدمنا أتيناكم إن شاء الله فصلينا لكم فيه)، فلما نزل بذي أوان أتاه خير المسجد ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشم أخوا بني سالم بن عوف ، ومعن بن عدي وأخاه عاصم بن عدي أخوا بني العجلان ، فقال: (إنطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله، فاهدماه وحرقاه، فخرجا سريعين حتى أتيا بني سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدخشم، فقال مالك لمعن : انظروني حتى أخرج إليك بنار من أهلي ، فدخلك إلى أهله، فأخذ سعفاً من النخل، فأشعل فيه ناراً ثم خرجا يشندان حتى دخلا المسجد وفيه أهله فحرقاه وهدماه وتفرقا عنه، ونزل فيهم من القرآن ما نزل ﴿والذين اتخذوا مسجداً ضراراً... الآية﴾^(١) .

ومن ذلك الخبر الذي أخرجه ابن هشام في سيرته عن ابن اسحاق وجاء فيه قوله: " بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أناساً من المنافقين يجتمعون في بيت سويلم اليهودي ، وكان بيته عند جاسوم ، يثبطون الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، فبعث إليهم عليه السلام طلحة بن عبيد الله في نفر من أصحابه ، وأمره أن يحرق عليهم بيت سويلم ... " ^(٢) .

(١) انظر : تفسير الإمام الطبري (١١/١٨)

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (٤/١٧١) مرجع سابق

المطلب الثاني

مجال ترهيب المنافقين بما سينالهم في الآخرة*

تمهيد :

وكما أضر النفاق بأهله في الدنيا، فإن ضرره يلاحقهم في الآخرة، وهيهات أن يجدوا هناك مهرباً كما كانوا يفعلون في الدنيا بالإيمان الظاهر والأيمان الكاذبة وسوف يرون عاقبة نفاقهم عند النزع والغرغرة وفي القبر وفي يوم القيامة عند الحشر والعرض والحساب ، وفي النار المستقر النهائي لهم أعاذنا الله منها، لذا سيكون ترهيبهم الأخرى متضمناً ذلك كله تحت المسائل التالية:-

المسألة الأولى : ترهيب المنافق من الحالة التي يلقاها عند الموت

المسألة الثانية : ترهيب المنافق من المصير الذي يؤول إليه في القبر

المسألة الثالثة : ترهيب المنافق من المواقف التي سيتعرض لها يوم القيامة

المسألة الرابعة : ترهيب المنافق من المصير الذي يؤول إليه المنافقون في النار-أعاذنا الله منها-

المسألة الأولى

ترهيب المنافق من الحالة التي يلقاها عند الموت

أ- مشهد الاحتضار

يلقى المنافقون عند الاحتضار شدة عجيبة واحتقاراً أعجب، يلقون ذلك وهم في نهاية حياتهم على الأرض، وفي مستهل حياتهم الأخرى، هذه الحياة التي تفتح بضرب الوجوه والأدبار، وهم لاحول لهم ولا قوة، يتمنون الخلاص، فلا خلاص، يتمنون العودة، ولا عودة، وأول تلك الشدائد :

* هذا ترهيب لأحياء المنافقين على سبيل الإخبار والتذكير لإحداث العبرة والعظة، وهي عقوبة فعلية للأمم منهم .

١- صعوبة خروج روح المنافق: يقول تعالى: ﴿فَلَاتَعْلَبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾^(١) ، فالملائكة تأتي لقبض روح المنافق ونزعها من جسده، فترفض الروح، ويتعصى الخروج، لعلمها بما سيؤول إليها حالها من عذاب، حينئذ تقوم الملائكة الكرام باستخدام أسلوب آخر لنزع تلك الروح الخبيثة.

٢- استخراج تلك الروح بالعنف والقهر والضرب^(٢) ، يقول تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا توفيتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم﴾^(٣) مشهد مخيف .. وكأني أبصر صورة الكافر عند التوفي تتكرر مع المنافق ، كيف لا ، والله سبحانه جمع بينهما في دنياهم، فما الضرر أن يساويهم عند الممات؟ . يقول ابن عباس رضي الله عنه: "لا يتوفى أحد على معصية إلا تضرب الملائكة في وجهه وفي دبره"^(٤)، وهنا نكتة لتحديد الضرب وحصره في الوجه والدبر يوضحها الإمام الألويسي بقوله: هنا تصوير لتوفي المنافقين على أهول الوجوه وأفضحها، والكلام على الحقيقة وإن لم يحس بالضرب من حضر، وذلك التوفي الهائل إنما كان بسبب أنهم اتبعوا ما أسخط الله من الكفر الباطن والمعاصي، وكرهوا رضوانه من الإيمان والطاعات، ولما كان اتباع ما أسخط الله مقتضياً للتوجه يناسب ضرب الوجه، ولما كانت كراهية رضوانه سبحانه مقتضية للإعراض والإدبار ناسب ضرب الدبر^(٥) .

ب- مشهد الاحتقار بعد الموت:

يلقى المنافق هذا الاحتقار وهو لا يزال في ظاهر الأرض، وقبل أن يتوارى في باطنها، ويوضح هذا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَصِلْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا، وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ، إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾^(٦) ، فالآية اشتملت على بعض الأمور التحقيرية للمنافقين الذين علم نفاقهم وماتوا على ذلك، ومن تلك الأمور:

(١) سورة التوبة : الآية ٥٥

(٢) انظر : تفسير ابن كثير (٣٠٣/٧)

(٣) سورة محمد : الآية ٢٧

(٤) تفسير الإمام الألويسي المعروف بروح المعاني (٧٦/٢٦)

(٥) انظر: المصدر السابق

(٦) سورة التوبة : الآية ٨٤

١- حرمانهم من الصلاة عليهم ، ويوضح هذا المعنى الرواية التي أخرجها البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: (لما توفي عبد الله بن أبي، جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأعطاه قميصه، وأمره أن يكفنه فيه، ثم قام يصلي عليه، فأخذ عمر بن الخطاب بثوبه، فقال: تصلي عليه وهو منافق وقد نهاك الله أن تستغفر لهم؟ قال: إنما خيرني الله- أو أخيرني الله- فقال: ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم، إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم﴾^(١) ، فقال: سأزيده على سبعين، قال: فصلي رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلينا معه، ثم أنزل الله عليه: ﴿ولاتصل على أحد منهم مات أبداً.. الآية﴾^(٢) (٣) .

ففي الآية وسبب نزولها دليل واضح على وجوب البراءة من المنافقين، ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية لا يصلي على أحد من المنافقين، تدل على ذلك بعض الروايات أوردها ابن حجر رحمه الله، منها "فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على منافق بعده حتى قبضه الله" ، وفي رواية أخرى "ولا قام على قبره"^(٤) ، "وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يصلي على جنازة من جهل حاله، حتى يصلي عليه حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، لأنه كان يعلم أعيان منافقين قد أخبره بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولهذا كان يقال له صاحب السر الذي لا يعلمه غيره من الصحابة"^(٥) .

٢- حرمانهم من شرف وقوف الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون على قبورهم، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ولاتقم على قبره﴾^(٦) ، يقول العلامة الألوسي رحمه الله: والمراد لاتقف عند قبره للدفن وللدعاء، أو الزيارة^(٧) .

(١) سورة التوبة : جزء من الآية ٨٠

(٢) سورة التوبة : جزء من الآية ٨٤

(٣) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب التفسير، باب (ولاتصل على أحد منهم مات..) رقم الحديث ٤٦٧٢، (٣٣٧/٨)

(٤) فتح الباري على صحيح البخاري (٣٣٦/٨)

(٥) تفسير ابن كثير (١٣٥/٤) وانظر فتح الباري (٣٣٧/٨، ٣٣٨)

(٦) سورة التوبة : جزء من الآية ٨٤

(٧) انظر روح المعاني (١٥٥/١٠)

٣- حرمانهم من فضيلة الاستغفار بعد المات، يدل عليه قوله تعالى: ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم، إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم﴾^(١) يقول الإمام القرطبي في قوله تعالى: ﴿استغفر لهم .. الآية﴾: "بين الله تعالى-أنه وإن استغفر لهم- لم ينفعهم ذلك وإن أكثر من الاستغفار"^(٢)، وهذا المنع المطلق الواضح من الآية في حق المنافقين دليل على عدم النفع من الاستغفار لو حصل واستغفر لهم، وفيه نهاية اليأس للمنافق وتبشير به بالعذاب قبل القدوم إلى دار البرزخ .

المسألة الثانية

ترهيب المنافق من المصير الذي يؤول إليه في القبر

وعذاب القبر ثابت للمنافقين كمثبت للكفار، بدلالة الكتاب والسنة والإجماع، ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة ، مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم﴾^(٣) وقد نقل الإمام الطبري إجماع بعض المفسرين أن المقصود بقوله تعالى: ﴿سنعذبهم مرتين﴾ إحداهما في الدنيا والأخرى في القبر، ومما يؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿ثم يردون إلى عذاب عظيم﴾ ، ففيها دلالة على أن العذاب في المرتين كليهما قبل دخول النار ، والأغلب من إحدى المرتين أنها في القبر ، وقوله: ﴿ثم يردون إلى عذاب عظيم﴾ يقول: ثم يرد هؤلاء المنافقون بعد تعذيب الله إياهم مرتين إلى عذاب عظيم، وذلك عذاب جهنم^(٤) .

وأما أدلة السنة، فسنوردها من خلال بعض الصور التي يعذب بها المنافق، ومن تلك الصور:

(١) سورة التوبة : جزء من الآية ٨٠

(٢) تفسير القرطبي (٢١٩/٨)

(٣) سورة التوبة : الآية ١٠١

(٤) انظر : تفسير ابن جرير الطبري (١٠-٨/١١) بتصرف

أ- الحرمان من الاجابة على سؤال الملكين :

فالمنافق عند الدخول إلى القبر تستقبله الملائكة في هيئة مرعبة وبوجهها العابس وتبدأ معه مشوار السؤال، فهو يُسأل كغيره من الناس عن ربه ودينه ونبيه صلى الله عليه وسلم، فيرد على ذلك بأجوبة سلبية قائلاً: لأدري، كنت أقول مايقول الناس. ومما يدل على ذلك الحديث الذي رواه الإمام البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه - وإنه ليسمع قرع نعالهم - أتاه ملكان، فيقعدانه، فيقولان : ما كنت تقول في هذا الرجل؟ لمحمد صلى الله عليه وسلم فذكر إجابة المؤمن وتبشير الملائكة له - ثم قال صلى الله عليه وسلم: وأما المنافق والكافر، فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لأدري ، كنت أقول مايقول الناس، فيقال: لادريت ولا تليت ، ويضرب بمطارق من حديد ضربة، فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين^(١) .

ب- العذاب النفسي عند توبيخ منكر ونكير :

فالمنافق لما يفشل في الرد على سؤال الملكين، يلقي توبيخاً منهما، كما دل عليه الحديث السابق، حيث تقول الملائكة: (لادريت ولا تليت). يقول ثعلب رحمه الله في تليت: " أصلها تلوت، أي لافهمت ولاقرأت القرآن ، والمعنى: لادريت ولا اتبعت من يدري"^(٢). وفي رواية أخرى تقول الملائكة توبيخاً واستهزاءً: (كنا نعلم أنك تقول ذلك)^(٣)

ج- العذاب الحسي الذي يلحق المنافق في قبره، ويكون بالضرب أو بالضغط عليه ، كما جاء في السنة الصحيحة .

١- التعذيب بالضرب : كما جاء ذلك في الحديث السابق الذي رواه البخاري عن أنس وجاء فيه: (.. ويضرب بمطارق من حديد ضربة، فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين)^(٤). والضرب كما هو واضح في الحديث يكون بأداة ثقيلة .. بمطارق من حديد ،

(١) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الجنائز، باب ماجاء في عذاب القبر، رقم الحديث ١٣٧٤ ، (٣/٢٣٢، ٢٣٣)

(٢) فتح الباري (٣/٢٣٩) .

(٣) سيأتي تخريجه (ص ٢٠٢) نقطة (٣) في حديث أبي هريرة الذي أخرجه الترمذي .

(٤) انظر تخريجه في نقطه (١) من هذه الصفحة

يقول عنها الكرمانى رحمه الله: إنها جاءت بصيغة الجمع-مطارق- وليس مطرقة، لأن هذا مؤذن بأن كل جزء من أجزاء تلك المطرقة مطرقة برأسها مبالغة في التعذيب^(١) .

وهذا الضرب يكون في منطقة حساسة من الجسم، في منطقة الرأس وبين الأذنين، كما جاء ذلك في الحديث الذي رواه أبو داود في سننه عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (.. وأما الكافر والمنافق فيقولان له : كنت أقول ما يقول الناس، فيضربه بمطارق من حديد بين أذنيه، فيصيح صيحة يسمعا من يليه غير الثقلين)^(٢) .

٢- التعذيب بضغط القبر عليه : حتى تختلف أضلاعه، ويستمر على ذلك حتى وقت البعث. يدل على ذلك الحديث الذي أخرجه الإمام الترمذي في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (.. وإن كان منافقاً، قال: سمعت الناس يقولون، فقلت مثله، لأدري، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك، فيقال للأرض: التثمي عليه، فتلتئم عليه، فتختلف أضلاعه، فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك)^(٣) .

المسألة الثالثة

ترهيب المنافق من المواقف التي سيتعرض لها يوم القيامة

فإذا نقر في الناقور، ونفخ في الصور، وبعثر من في القبور، وسيق المنافق مع الخلائق إلى أرض المحشر، هنا يتذكرون الدنيا ويقرع آذانهم قول الحق سبحانه: ﴿فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة﴾^(٤) نعم تحقق ذلك اليوم، وتحققت تلك الساعة وهم يعيشون تلك اللحظات، يعيشونها ويتمنون أن لا يعيشوها؟ يتذكرونها وأنى لهم الذكرى وصدق تعالى إذ يقول عنهم

(١) انظر : فتح الباري (٢٣٩/٣)

(٢) صحيح سنن أبي داود، تصحيح الألباني، كتاب السنة، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر، رقم الحديث ٣٩٧٨، (٩٠١/٣)

(٣) صحيح سنن الترمذي، تصحيح الألباني، أبواب الجنائز، باب عذاب القبر، رقم الحديث ٨٥٦، (٣١١/١)

(٤) سورة محمد : جزء من الآية ١٨

﴿ فَأَنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم ﴾^(١) أي لا ينفعمهم تذكركم في ذلك الوقت وسوف يلقون ما وعدوا به، ولا يظلم ربك أحداً، ومن جملة ما يلقونه في ذلك اليوم :

أ- عند البعث:

يبعث الله المنافقين جميعاً من قبورهم أحياء كهياتهم قبل مماتهم^(٢) .. يبعثهم جميعاً عن آخرهم ولا يغادر منهم أحداً^(٣) .. يبعثون وهم في حالة من الفوضى والذهول ... يبعثون خائفين حالفين مقسمين أنهم كانوا على الحق والاستقامة في الدنيا ، ثم يساقون وهم على هذه الحالة إلى أرض الموقف، ويواجه من موقف، الخلائق كلهم صامتون لا يتكلمون ، كما قال تعالى: ﴿ يومئذ يتبعون الداعي لأعوج له، وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً ﴾^(٤) ومن بين تلك الهمسات يظهر صوت المنافقين حالفين مقسمين أنهم كانوا على الحق، معتقدين أن ذلك ينفعمهم في حضرة الرب تعالى، متناسين أنه علام الغيوب لا يخفى عليه شيء مما في القلوب. وفي هذا يقول جل علاه: ﴿ يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له، كما يحلفون لكم، ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون ﴾^(٥)، حينئذ يقول الأَشهاد: ﴿ هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين ﴾^(٦) ، يدل على ذلك ما رواه الإمام البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الله يدني المؤمن، فيضع عليه كفه ويستره، فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب، حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هلك، قال: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته، وأما الكافر والمنافقون فيقول الأَشهاد: ﴿ هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين ﴾^(٧) (٨) .

(١) سورة محمد : جزء من الآية ١٨

(٢) انظر : تفسير الطبري (١٧/٢٨)

(٣) انظر : تفسير ابن كثير (٧٧/٨)

(٤) سورة طه : الآية ١٠٨

(٥) سورة المجادلة : الآية ١٨

(٦) ، (٧) سورة هود : الآية ١٨

(٨) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب المظالم، باب قوله تعالى (ألا لعنة الله على الظالمين)، رقم الحديث ٢٤٤١، (٩٦/٥)

ب- ترهيب المنافق عند العرض على الجبار ومناقشة السؤال والحساب :

إذا كان يوم القيامة، عرف المنافق بعمله، وهتك ستره، وأظهر نفاقه، حينئذ يحاول اللجوء إلى خبثه، والاعتصام بحيله، والتستر بأيمانه الكاذبة، كما كان يفعل في دنياه، ناسياً أن هذا يوم تُبلى فيه السرائر ويُحصّل ما في الصدور .. ناسياً أن هذا هو اليوم الذي توعدهم فيه سبحانه حين قال: ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾^(١) فإذا ما حاول المنافق اللجوء إلى ذلك الخبث، أنطق الله سبحانه من يشهد عليه من نفسه، كما جاء ذلك في الحديث الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (.. فيلقى العبد فيقول: أي فل^(٢) ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل، وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى، قال فيقول: أفظننت أنك ملاقي؟ فيقول: لا فيقول: فإني أنساك كما نسيتني، ثم يلقي الثاني، فيقول: أي فلّ، ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى، أي رب؛ فيقول: أفظننت أنك ملاقي؟ فيقول لا، فيقول: فإني أنساك كما نسيتني، ثم يلقي الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول: يارب آمنت بك وبكتابك وبرسلك، وصليت وصمت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع، فيقول: ههنا إذاً. قال ثم يقال له: الآن نبعث شاهداً عليك، ويتفكر في نفسه: من ذا الذي يشهد علي؟ فيختم على فيه، ويقال لفخذه ولحمه وعظامه: انطقي فتنتطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله، وذلك ليعذر من نفسه، وذلك المنافق وذلك الذي يسخط الله عليه^(٣).

ج- الفضيحة على رؤوس الأشهاد

مهما حاول المنافقون إخفاء نفاقهم في الآخرة - كما وضحنا - بالأيمان الكاذبة فإنه سبحانه لا بد وأن يكشف الستار عنهم ، ويفضحهم بعلامات يعرفون بها أمام الخلائق ، ومن

(١) سورة النساء : جزء من الآية ١٤١

(٢) أي فل: معناه يافلان (هامش صحيح الإمام مسلم ٤/٢٢٧٩)

(٣) رواه الإمام مسلم، كتاب الزهد والرقائق، بدون اسم الباب، رقم الحديث ٢٩٦٨، (٤/٢٢٧٩، ٢٢٨٠)

تلك العلامات عدم القدرة على السجود، إذا تجلّى الرب عز وجل، بحيث تصبح فقارات ظهورهم كالفقارة الواحدة، كلما أراد أحدهم أن يسجد خر لقفاه^(١)، وبهذه العلامة يتميز المؤمنون عن المنافقين، يقول تعالى: ﴿يَوْمَ يَكْشِفُ عَنْ سَاقٍ وَيَدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ، خَاشِعَةً أَبْصَارِهِمْ تَرْهَقُهُمْ ذُلَّةٌ، وَقَدْ كَانُوا يَدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾^(٢)، كما يوضح هذا المعنى الحديث الذي رواه الإمام البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (.. فإنكم ترونه يوم القيامة، كذلك يجمع الله الناس فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه. فيتبع من كان يعبد الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتهم الله في غير الصورة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا أتانا ربنا عرفناه ..) الحديث^(٣) وفي رواية للإمام مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (.. فيقول أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك لانشرك بالله شيئاً-مرتين أو ثلاثاً- حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب فيقول: هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها؟ فيقولون: نعم، فيكشف عن ساق، فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة، كلما أراد أن يسجد خر على قفاه، ثم يرفعون رؤوسهم، وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة، فقال: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، ثم يضرب الجسر على جهنم، وتحل الشفاعة، ويقولون: اللهم سلم سلم..) الحديث^(٤).

د- ترهيب المنافق عند الصراط

١- سلب النور عنهم : بعد فصل القضاء بين العباد، ينتقل المنافقون إلى منزل آخر استعداداً لعبور الصراط المنصوب على جهنم، كما جاء ذلك في الحديث السابق، هذا المنزل يغشاه ظلمة شديدة، فيها يقسم النور ويعطى كل إنسان نوراً، منافقاً كان أو مؤمناً. لعبور الجسر،

(١) انظر : تفسير الإمام ابن كثير (٢٢٦/٨) بتصرف

(٢) سورة القلم : الآية ٤٢-٤٣

(٣) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم، رقم الحديث ٦٥٧٣، (٤٤٥/١١)

(٤) صحيح الإمام مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، رقم الحديث ١٨٣، (١٦٨/١)، (١٦٩)

"فبينما هم يمشون، إذ بعث الله فيهم رجلاً وظلمة فأطفأ الله بذلك نور المنافقين^(١) وسلب منهم الضوء، يدل على ذلك ما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله "رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (..فتدعى الأمم بأوثانها وما كانت تعبد، الأول فالأول، ثم يأتينا ربنا بعد ذلك فيقول: من تنظرون؟ فيقولون: ننظر ربنا، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: حتى ننظر إليك، فيتجلى لهم يضحك، قال: فينطلق بهم ويتبعونه، ويعطى كل إنسان منهم، منافق أو مؤمن نوراً ثم يتبعونه، وعلى جسر جهنم كلاليب وحسك تأخذ من شاء الله، ثم يطفأ نور المنافقين)^(٢) .

فإذا انطفأ نور المنافقين طلبوا ذلك من المؤمنين قائلين: أمهلونا، انتظرونا حتى نلحق بكم ونستضيء بنوركم، يوضح سبحانه ذلك في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظرونا نقتبس من نوركم..﴾ الآية^(٣) ، ولكن هيهات أن ينتفع المنافق بنور المؤمن في تلك اللحظة!! فهو لم ينتفع بذلك النور في الدنيا ولم يطلبه هناك!! فمحال أن يستفيد منه في الآخرة، وبذا يبقى المنافقون في ظلمات تناسب ظلمات الضمير وظلمات الخفاء المستور الذي كانوا عليه في الدنيا .

٢- الاستهزاء والتهمك بالمنافقين على الصراط: بينما المنافقون على الجسر المضروب على جهنم، تحيط بهم ظلمات السيئات، فلا يرون مواضع أقدامهم، ويثقلهم كفرهم، فلا يستطيعون مسaire المؤمنين .. وبينما هم في صراخ مستميت يطلبون من المؤمنين نوراً ﴿انظرونا نقتبس من نوركم﴾^(٤) ، فبينما هم على هذه الحالة، يأتيهم صوت يحمل في طياته التهمك والسخرية والاستهزاء .. صوت يخيب آمالهم قائلاً، كما قال تعالى: ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾^(٥)، وعلى الفور يرجعون حين يقال لهم ذلك إلى المكان الذي قسم فيه النور! فلا يجدون شيئاً، فيصرفون مسرعين إلى المؤمنين عليهم يلحقونهم

(١) تفسير القرطبي (١٧/٢٤٥، ٢٤٦)

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم الحديث ١٩١، (١/١٧٨)

(٣) سورة الحديد : جزء من الآية ١٣

(٤) سورة الحديد : جزء من الآية ١٣

(٥) سورة الحديد : جزء من الآية ١٣

ويرجونهم، هنا يصلون إلى قمة الإستهزاء حيث يجدون الله تعالى قد ضرب بينهم وبين المسلمين بسور يحجز بينهم، باطنه من جهة المسلمين فيه الرحمة والنعيم-الجنة- وظاهره من جهة المنافقين العذاب في جهنم^(١) .

يقول مقاتل: " هذا من الاستهزاء بهم كما استهزؤوا بالمؤمنين في الدنيا حين قالوا: آمنا وليسوا بمؤمنين"^(٢) ، هنا يغتم المنافقون ويصابون بالحسرة، فيحاولون خداع المؤمنين بالكلام الطيب، ويعاودون كلامهم قائلين: ألم نكن معكم في الدنيا؟ فلماذا إذاً هذا السور الآن بيننا؟ فيأتيهم الجواب سريعاً من المؤمنين قائلين لهم: "بلى ، كنتم معنا في الظاهر، ولكن لم تكونوا معنا في الحقيقة، لقد فتنتم أنفسكم بالكفر، وتربصتم في مواقع الكفر، وارتبتم فيما أنزل الله على رسوله، وغرتكم الأمانى التي كنتم تتمنونها بسلوككم مسالك النفاق، ولبثتم على حالتكم هذه حتى جاءكم الموت، وأنتم مغترون بوساوس الشيطان"^(٣) .

وفي بيان هذا يقول تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظرونا نقبَس من نوركم، قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا، فضرِب بينهم بسور له باب، باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب، ينادونهم، ألم نكن معكم؟ قالوا بلى، ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأمانى حتى جاء أمر الله، وغركم بالله الغرور، فالיום لا يُوخَذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير﴾^(٤).

هـ- نتيجة المنافقين يوم القيامة

١- حبوط أعمالهم : لما فقد المنافقون عنصر الإخلاص في إيمانهم، وعمدوا إلى مايسخط الله، عاقبهم سبحانه وتعالى بالحرمان من ثوابها، كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا سَخَطَ اللَّهُ وَكَرَهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾^(٥) ، و قوله جل علاه ﴿أُولَئِكَ لَمْ

(١) انظر هنا الموضوع: تفسير الإمام الطبري (١٣١/٢٧)، وتفسير الإمام ابن كثير (٤٣،٤٢/٨)، وتفسير الإمام القرطبي (٢٤٧/١٧)،

وروح المعاني (١٧٧،١٧٦/٢٧)

(٢) روح المعاني (١٧٦/٢٧)

(٣) الأخلاق الإسلامية وأسسها للاستاذ عبد الرحمن الميداني (٥٦٨/١)، مرجع سابق

(٤) سورة الحديد : الآية ١٣-١٥

(٥) سورة محمد : الآية ٢٨

يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم ﴿١﴾ ذلك لأن صحة الأعمال وقبولها من الله تعالى مشروطة بالإيمان والإخلاص، فانتفاء ذلك أو أحدها من الأعمال، يعني ردها وبطلانها، فالأعمال التي يعجب بها المنافقون ويتعجبون بها مثل العبادات المأمور بها من صلاة وصدقة وصوم، والتي لو عملوها حال الإيمان لانتفعوا بها، هذه الأعمال تبطل بطلاناً أساسياً يوم القيامة، لأنها كالنبته بلا جذور لاتستقر ولاتنمو ولاتزهرو ﴿٢﴾ ، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿قل انفقوا طوعاً أو كرهاً لن يتقبل منكم، إنكم كنتم قوماً فاسقين، وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله، ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون﴾ ﴿٣﴾ .

ومما ذكر في هذا الموضوع، ما أخرجه الإمام الفريابي عن معاوية الهذلي رضي الله عنه، وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن المنافق ليصلي فيكذبه الله عز وجل، ويصوم فيكذبه الله عز وجل، ويتصدق فيكذبه الله، ويجاهد فيكذبه الله، ويقاقل فيقتل، فيجعل في النار" ﴿٤﴾ .

٢- الحرمان من تكريم الله الأخرى : والمتمثل في رحمة الله ومغفرته وعفوه، ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض، يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم، نسوا الله فنسيهم، إن المنافقين هم الفاسقون﴾ ﴿٥﴾ ، فالمنافق في الآخرة يحرم من رحمة الله تعالى وفضله ولطفه ﴿٦﴾ ويحرم من كل خير ﴿٧﴾ ، فلا وزن له ولا اعتبار ﴿٨﴾ ، كل ذلك بدلالة قوله تعالى : ﴿فنسيهم﴾ ويؤكد سبحانه هذا المنع في

(١) سورة الأحزاب : جزء من الآية ١٩

(٢) انظر بتصرف روح المعاني (٧٦/٢٦) ، والظلال (١٦٧٤/٣) (٣٢٩٨/٦)

(٣) سورة التوبة : الآية ٥٣ ، ٥٤

(٤) صفة المنافق للإمام جعفر الفريابي (ص ٥٩) ، تحقيق بدر البدر، وقال: الأثر صحيح السند، أخرجه ابن الأثير في أسد الغابة (٢١٦/٥) ،

ط: دار الخلفاء، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ

(٥) سورة التوبة : الآية ٦٧

(٦) انظر تفسير كلام المنان (٢٦١/٣)

(٧) انظر روح المعاني (١٣٣/٢)

(٨) انظر تفسير الطبري (١٢٠/٢) ، وتفسير القرطبي (١٩٩/٨)

(٩) انظر الظلال (١٦٧٣/٣)

قوله تعالى ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم﴾^(١) ذلك لأن هؤلاء المنافقين ليسوا أهلاً لهذا التكريم لرسوخهم في الكفر، بل الأدهى من ذلك أن لعنات الله تعالى وغضبه يلاحقهم في ذلك اليوم حتى ينالون ما أعد لهم في دار قرارهم ومستقرهم النهائي، يقول تعالى: ﴿ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء، وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيراً﴾^(٢).

المسألة الرابعة

ترهيب المنافقين من المصير الذي يؤولون إليه في النار

ولا يزال المنافقون يتقلبون بين يدي الجبار من حسرة إلى أخرى حتى يصلوا إلى ما أعدده الله لهم وما وعدهم به في قوله سبحانه: ﴿ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء، وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيراً﴾^(٣) يصلون إلى المأوى النهائي المذكور في قوله تعالى ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير﴾^(٤) وقوله سبحانه ﴿سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم، فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون﴾^(٥) .. يصلون إلى جهنم حيث الذل والخزي العظيم الذي لا ذل أبشع وأفظع منه، والذي هددهم به سبحانه في قوله: ﴿ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فإن له نار جهنم خالداً فيها، وذلك الخزي العظيم﴾^(٦) يصلون إلى جهنم، حيث لا ينفعهم مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم خال من أمراض النفاق، كما

(١) سورة التوبة : جزء من الآية ٨٠

(٢) سورة الفتح : الآية ٦

(٣) سورة الفتح : جزء من الآية ٦

(٤) سورة التحريم : الآية ٩

(٥) سورة التوبة : الآية ٩٥

(٦) سورة التوبة : الآية ٦٣

قال سبحانه: ﴿اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين، لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً، وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ (١).

وهناك بعض الصور الترهيبية لهؤلاء المنافقين في دار قرارهم، نذكرها كالاتي:

أ- تعذيبهم في الدرك الأسفل من النار، ويؤيد هذا قوله تعالى: ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً﴾ (٢) وكما علمنا (٣) أن النار دركات، فهم في الدرك الأسفل من النار، في قعر جهنم، في مسافة تقدر بسبعين خريفاً، كما جاء ذلك في حديث صحيح رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: (كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ سمع وجبة فقال النبي صلى الله عليه وسلم: تدرؤن ما هذا؟ قال: قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفاً، فهو يهوي في النار الآن حتى انتهى إلى قعرها) (٤).

فالمنافقون تحت سائر أهل النار، من الكفار والفجار والعصاة، وهذه المكانة إنما استحقوها لكونهم ضموا إلى الكفر المشترك استهزاءً بالإسلام وخداعاً لأهله (٥)، ويوضح ابن مسعود رضي الله عنه تلك المنزلة في ذلك الدرك بقوله: في توابيت من حديد مبهمة مقفلة عليهم لايتهدي لمكان فتحها أحد (٦).

ب- ما يلحقهم من ذل وهوان يجمعهم مع إخوانهم الكفار، يقول سبحانه: ﴿إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً﴾ (٧) يجمعهم سبحانه كما جمعهم في الدنيا برابطة الأخوة، يجمعهم لاجتماعهم في الدنيا على الكفر، وفي ذلك غاية التحقير الذي ليس له مثيل. هذا من جهة ومن جهة أخرى، فالمنافقون في الدنيا يتحيزون للفئة المنتصرة، ويفرحون لذلك التحيز والجمع، ولكن في الآخرة يخلطهم الله، وينزلهم ولا يدخلهم الجنة

(١) سورة المجادلة: الآية ١٦-١٧

(٢) سورة النساء: الآية ١٤٥

(٣) انظر (ص ١٤٠) من هذه الرسالة

(٤) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب شدة حر نار جهنم، وبعد قعرها...، رقم الحديث ٢٨٤٤، (٤/٢١٨٤، ٢١٨٥)

(٥) انظر: روح المعاني (١٧٧/٥)

(٦) انظر: تفسير ابن كثير (٢/٣٩٣)

(٧) سورة النساء: جزء من الآية ١٤٠

مع المؤمنين المنتصرين، الفائزين، وبهذا يتحقق وعده لهم سبحانه، والذي جاء في قوله تعالى: ﴿وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله وهم عذاب مقيم﴾^(١).

ج- إصابتهم بالجرب : يقول تعالى: ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً﴾^(٢) ، وقد أخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قوله في هذه الآية: "يلقى الجرب على أهل النار فيحكون حتى تبدوا العظام، فيقولون: ربنا بماذا أصابنا هذا؟ فيقال بأذاكم المسلمين"^(٣).

د- البكاء الطويل الذي لا ينقطع في النار: يقول سبحانه: ﴿فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا: لا تنفروا في الحر، قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون، فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً، جزاءً بما كانوا يكسبون﴾^(٤).

وقد أخرج الإمام الطبري من طريق أبي رزين أنه قال في هذه الآية ﴿فليضحكوا قليلاً﴾ قال: "في الدنيا . فإذا صاروا إلى الآخرة بكوا بكاءً لا ينقطع، فذلك الكثير"^(٥).

هـ- الخلود في النار: ويقول سبحانه عن عذاب المنافقين في النار: ﴿وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾^(٦) ، ويقول جل وعلا: ﴿وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله وهم عذاب مقيم﴾^(٧) فعذاب المنافقين في النار لانهاية له ، وقد أكد سبحانه بقوله في الآية السابقة ﴿لهم عذاب مقيم﴾ بعد

(١) سورة التوبة : الآية ٦٨

(٢) سورة الأحزاب : الآية ٥٨

(٣) روح المعاني (٨٨/٢٢)

(٤) سورة التوبة : الآية ٨٢، ٨١

(٥) تفسير الطبري : (١٤٠/١٠)

(٦) سورة المجادلة : الآية ١٧

(٧) سورة التوبة : الآية ٦٨

قوله ﴿خالدين فيها﴾ دلالة على أنه عذاب دائم لا ينقطع ولا يزول ولا يبيد (١) ، يقول الإمام الطبري رحمه الله عن عذاب المنافقين: "هم ما كثون إلى الأبد لا يموتون فيها ولا يموتون، هي كافيتهم عقاباً وثواباً على ما قدموه" (٢) .

(١) تفسير الطبري (١٠/١٢١)

(٢) تفسير الطبري (١٠/١٢٠)

المبحث الثالث

مجالات ترهيب عصاة المؤمنين

وفيه مطلبان

المطلب الأول : مجال ترهيب عصاة المؤمنين في الدنيا

المطلب الثاني : مجال ترهيب عصاة المؤمنين في الآخرة

المطلب الأول

مجال ترهيب عصاة المؤمنين في الدنيا

تمهيد :

أخوف ما يخاف العبد المؤمن عليه دينه من الزوال، وإيمانه من الضعف، وقلبه من الانتكاس، وما بعده من أمور كالعافية والأموال والأرزاق وتعلم العلوم تأتي تبعاً، ذلك لأن الإيمان رأس مال المؤمن في حياته، فهو يحرص عليه أشد الحرص، ويأبى أن يفرض فيه أو أن يُنتقص منه. وكذلك فهو حريص على نيل الحياة الكريمة، لتكون وسيلة لتحقيق عبوديته وسعادته. لكن المؤمن قد يضعف أمام شهوات النفس ويرتكب المعاصي والآثام، من هنا لزم تذكيره بوعيد الله تعالى في هذه الدنيا، و سنقوم في هذا المطلب بتوضيح هذه الأمور مع عصاة المؤمنين من خلال المسألتين التاليتين :-

المسألة الأولى : الترهيب بالحرمان من كمال التوحيد

المسألة الثانية : الترهيب بالحرمان من الحياة الطيبة في الدنيا

المسألة الأولى

الترهيب بالحرمان من كمال التوحيد

إن الوصول إلى كمال التوحيد غاية وأمنية لكل مؤمن ومؤمنة ومسلم ومسلمة، لكن المعاصي قد تدخل على العبد المؤمن وتكون حاجزاً يمنع من الوصول إلى ذلك الكمال، وهذا المنع يكون تحت صور عديدة، منها :

أ- نقص الإيمان وضعفه

ب- انتكاس القلب ومرضه

أ- الترهيب بنقص الإيمان وضعفه

إن إيمان المؤمنين معرض للنقص والضعف، وقد ثبت ذلك بالكتاب والسنة والآثار والإجماع .

فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿ويزداد الذين آمنوا إيماناً﴾^(١) وقوله سبحانه: ﴿فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً﴾^(٢) ، يقول الإمام ابن كثير: "هذه الآية من أكبر الدلائل على أن الإيمان يزيد وينقص"^(٣) ، أما الأحاديث الدالة على قوة الإيمان وضعفه فمثل قوله صلى الله عليه وسلم : (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً)^(٤) ، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى الله، ومنع الله، فقد استكمل الإيمان)^(٥) ، وهذه النصوص مصرحة بزيادة الإيمان، وثبوتها يثبت المقابل وهو النقصان، فإن كل قابل للزيادة قابل للنقصان ضرورة^(٦) ، وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم لفظ ضعف الإيمان صريحاً في قوله عليه الصلاة والسلام (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)^(٧) .

وأما الآثار الواردة في ذلك، فهي كثيرة، منها: قول معاذ بن جبل رضي الله عنه لرجل: "إجلس بنا نؤمن ساعة"^(٨) ، ومراده رضي الله عنه بذلك ليس أصل الإيمان، كما وضح ذلك الإمام ابن حجر بقوله: "لا يحمل قوله على أصل الإيمان لكونه كان مؤمناً وأي مؤمن، وإنما يحمل على إرادة أنه يزداد إيماناً بذكر الله تعالى"^(٩) ، وكان ابن مسعود رضي الله عنه

(١) سورة المدثر : جزء من الآية ٣١

(٢) سورة التوبة : جزء من الآية ١٢٤

(٣) تفسير ابن كثير (٤/١٧٥)

(٤) صحيح سنن الترمذي، باب ماجاء في حق المرأة على زوجها، الحديث ٩٢٨ (٣٤٠/١)

(٥) صحيح سنن أبي داود، كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، الحديث ٣٩١٥ (٨٨٦/٣)

(٦) انظر : فتح الباري (١/٤٧)

(٧) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص ، الحديث ٤٩ (٦٩/١)

(٨) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : بني الإسلام على خمس بنون رقم حديث (٤٥/١)

(٩) فتح الباري (١/٤٨)

يقول: "اللهم زدنا إيماناً و يقيناً وفقهاً"^(١)، ومن ذلك قول أبي الدرداء رضي الله عنه: "من فقه العبد أن يتعاهد إيمانه ومانقص منه"^(٢).

وأما الإجماع، فقد نقله شيخ الإسلام في كتابه الإيمان بقوله: "المأثور عن الصحابة وأئمة التابعين وجمهور السلف وهو مذهب أهل الحديث، وهو المنسوب إلى أهل السنة، أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية"^(٣).

إذا نقصان الإيمان مترتب على إهمال شرع الله و المعصية، ولكن مانوع المعاصي التي تضعف الإيمان؟ قد أجاب النبي عليه السلام على جملة تلك المعاصي في قوله عليه السلام: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم وهو مؤمن)^(٤). فهذا الحديث اشتمل على الترهيب من بعض أمهات المعاصي والتي تنبه على غيرها، وفي هذا الصدد يقول القاضي عياض: "أشار بعض العلماء إلى أن في هذا الحديث تنبيهاً على جميع أنواع المعاصي والتحذير منها، فنبه بالزنى على جميع الشهوات، وبالسرقة على الرغبة في الدنيا والحرص على الحرام، وبالخمر على جميع ما يصدّ عن الله تعالى، ويوجب الغفلة عن حقوقه، وبالانتهاج الموصوف على الاستخفاف بعباد الله وترك توقيهم والحياء منهم، وعلى جمع الدنيا من غير وجهها"^(٥).

فالترهيب الوارد في هذا الحديث بنفي الإيمان له معانٍ عديدة عند سلف هذه الأمة، ومن تلك المعاني:

١ - نفي كمال الإيمان المطلق: يقول الإمام النووي: لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان، هذا من الألفاظ التي تطلق على نفي الشيء والمراد نفي كماله، كما يقال: لا عيش إلا عيش

(١) فتح الباري (٤٨/١) وقال عنه ابن حجر رحمه الله صحيح الإسناد، وانظر: العقيدة الطحاوية (ص ٣٨٦) المكتب الإسلامي، ط ١٣٩٢هـ.

(٢) العقيدة الطحاوية (ص ٣٨٦)

(٣) الإيمان الأوسط لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (ص ٤٧)، توزيع مكتب الفرقان، الإيمان، وانظر فتح الباري (٤٧، ٤٦/١) فقد نقل الإجماع ابن حجر رحمه الله أيضاً.

(٤) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الحدود، باب الزنى وشرب الخمر، رقم الحديث ٦٧٧٢، (٥٨/١٢)

(٥) فتح الباري (٦٢/١٢)

الآخرة، وإنما تأولناه لحديث عبادة الصحيح المشهور: (إنهم بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا يسرقوا ولا يزونا...) الحديث، وفي آخره: (ومن فعل شيئاً من ذلك فعوقب به في الدنيا فهو كفارة، ومن لم يعاقب فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه)^(١) هذا مع قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(٢) مع إجماع أهل السنة على أن مرتكب الكبائر لا يكفر إلا بالشرك يضطرنا إلى تأول الحديث ونظائره.

٢- وقال الحسن البصري ومحمد بن جرير الطبري رحمهما الله: معناه ينزع عنه اسم المدح الذي سمي الله به أولياءه، فلا يقال في حقه: مؤمن، ويستحق اسم الذم فيقال: سارق وزان وفاجر وفاسق.

٣- وقال ابن بطلال عن الأوزاعي: "إنه بارتكاب تلك المعاصي المذكورة يكون منافقاً نفاقاً معصية، لانفاق كفر".

٤- وقيل: إن معنى نفي كونه مؤمناً أنه شابه الكفار في عمله، وموقع التشبيه أنه مثله في جواز قتاله في تلك الحالة، ليكف عن المعصية، ولو أدى إلى قتله. فإن دمه هدر، فانتفت فائدة الإيمان في حقه بالنسبة إلى زوال عصمته في تلك الحال.

٥- وقيل: معنى قوله (ليس بمؤمن)، أي: ليس بمستحضر في حالة تلبسه بالكبيرة جلال من آمن به، فهو كناية عن الغفلة التي جلبتها له غلبة الشهوة، وعبر عن هذا ابن الجوزي بقوله: "فإن المعصية تذهله عن مراعاة الإيمان، وهو تصديق القلب فكأنه نسي من صدق به، ولعل هذا هو مراد المهلب رحمه الله بقوله: "تنزع منه بصيرته في طاعة الله".

٦- وقيل: إن معنى نفي الإيمان، نفي الأمان من عذاب الله، لأن الإيمان مشتق من الأمان.

(١) الحديث له شاهد في صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الحدود، باب الحدود كفاره، رقم الحديث ٦٧٨٤ (٨٤/١٢) بلفظ مقارب

(٢) سورة النساء: جزء من الآية ٤٨

٧- وقيل: المراد به الزجر والتنفير، وقد أشار إلى ذلك الطيبي، فقال: "يجوز أن يكون من باب التغليظ والتهديد، كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾^(١) لأن هذه الخصال ليست من صفات المؤمنين، فلا ينبغي أن يتصف بها.

٨- أنه يسلب الإيمان في حال تلبسه بالكبيرة، فإذا فارقها عاد إليه^(٢)، يدل على ذلك قول ابن عباس رضي الله عنه: "ينزع منه نور الإيمان. ولما سُئِلَ رضي الله عنه، كيف ينزع منه الإيمان؟ قال: هكذا وشبك بين أصابعه ثم أخرجها، فإذا تاب عاد إليه هكذا - وشبك بين أصابعه -"^(٣) (٤).

إذا فالترهيب الوارد في هذا الحديث - بنفي الإيمان - لا يعني ثبوت الكفر، والخروج من الإيمان بالكلية، واستحقاق الخلود في النار، وذلك بناءً على ما تقدم من الأقوال المذكورة، وبالتالي فإن ما ذكر من أقوال يصح أن تكون ترهيباً في حق المؤمن العاصي، المرتكب لتلك المعاصي، فهو يدل أن يرتقي بإيمانه إلى درجة الإحسان، فإنه يارتكابه لتلك الآثام ربما ينتقل إلى درجة الإسلام، وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "قال الجمهور من السلف والخلف ... إنه يخرج من الإيمان إلى الإسلام، ودَوَّرُوا للإسلام دارة، ودَوَّرُوا للإيمان دارة أصغر منها في جوفها، وقالوا: إذا زنى خرج من الإيمان إلى الإسلام، ولا يخرج من الإسلام إلى الكفر"^(٥)، وإن أصر على العصيان فترهيبه يكون بهبوط إيمانه إلى نفاق المعاصي وإلى الكفر الذي لا يخرج من الملة، هذا أمر وارد "لأنه قد يجتمع في الإنسان إيمان ونفاق، وبعض شعب الإيمان وشعبة من شعب الكفر، ومما يدل على ذلك: قوله صلى الله عليه وسلم: (من مات ولم

(١) سورة آل عمران : جزء من الآية ٩٧

(٢) صحيح الإمام البخاري مع الفتح، كتاب الحدود، باب الزنى وشرب الخمر، (٥٨/١٢)

(٣) انظر: صحيح الإمام البخاري مع الفتح، كتاب الحدود، باب إثم الزنى، رقم الحديث ٦٨٠٩، (١١٤/١٢) بلفظ مقارب

(٤) انظر هذه المعاني الثمانية في فتح الباري (٦١-٦٠/١٢)

(٥) الإيمان الأوسط (ص ١٨)

يغزو ولم يحدث نفسه بالغزو، مات على شعبة من نفاق^(١)، وقوله صلى الله عليه وسلم: (اثنتان في الناس هما بهم كفر، الطعن في النسب والنياحة على الميت)^(٢) " (٣) .

ومن هذا الباب أيضاً موقف حاطب ابن أبي بلتعة رضي الله عنه^(٤) لما كاتب المشركين ببعض أخبار النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنزل الله فيه: ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَاتتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة﴾^(٥) ، يقول شيخ الإسلام " ولهذا الشبه سمي عمر رضي الله عنه حاطباً رضي الله عنه منافقاً، فقال: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق" ، فقال عليه السلام: (إنه شهد بدرأً)، فكان عمر رضي الله عنه متأولاً في تسميته منافقاً للشبهة التي فعلها"^(٦) .

ومن لم يرتدع ترهيباً نتيجة الران الكثيف على قلبه، فإنه والحال هذه يخشى عليه أن يفضي به إلى نفاق الاعتقاد والكفر الذي يخرج من الملة، وبذا يزول الإيمان كله، كما قال ابن القيم رحمه الله: "الذنوب مثل السموم المضرّة بالذات ، فإن تدراكها من سقي بالأدوية المقاومة لها، وإلا قهرت القوة الإيمانية ، وكان الهلاك كما قال بعض السلف: المعاصي بريد الكفر كما أن الحمى بريد الموت"^(٧) .

ب- الترهيب بانتكاس القلب وتزيغته ومرضه

قد يقول قائل: وما علاقة انتكاس القلوب بنفي كمال الإيمان أو التوحيد؟! نقول: إن العلاقة بين انتكاس القلوب وبين الحرمان من الوصول إلى كمال التوحيد تأتي من قوله تعالى: ﴿لَاتتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم، أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم

(١) صحيح سنن أبي داود ، كتاب الجهاد ، باب كراهية ترك الغزو، الحديث ٢١٨٤ (٤٧٥/٢)

(٢) صحيح الإمام مسلم، كتاب الإيمان، باب إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والنياحة، الحديث ٦٧ (٨٢/١)

(٣) الإيمان الأوسط (ص٦٢)

(٤) انظر : المصدر السابق (ص٦٤)

(٥) سورة الممتحنة : الآية ١

(٦) الإيمان الأوسط (ص٦٥)

(٧) مشاهد الخلق في المعصية، للإمام ابن قيم الجوزية، (ص٧٧)، إعداد نذير عتمة، ط: المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ

بروح منه، و يدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار.. ﴿١﴾، فبين سبحانه أن مستقرَّ الإيمان الحقيقي هو القلب، كما أثبت سبحانه صدق الإيمان في قلوب من اتصف بمعاداة من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب، في حين أنه سبحانه نفى الإيمان عن قلوب الأعراب الذين أعلنوا إسلامهم، لكن لم يتمكن الإيمان من الوصول إلى قلوبهم، كما قال تعالى: ﴿قالت الأعراب آمنا، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا: أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم﴾ ﴿٢﴾. فدل ذلك على أن المكان الحقيقي للإيمان هو القلب، وما دام أن هذا الأمر قد ثبت يقيناً، فمعنى ذلك أن أي خلل في القلب معناه خلل في إيمان المؤمن، وبالتالي حرمان من كمال التوحيد، بل وأي خلل في القلب معناه خلل في أعمال بقية الجوارح. يدل على هذا المعنى الحديث الذي رواه الإمام البخاري عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (..ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب) (٣).

وقلوب المؤمنين عُرضة لهذا الانتكاس من خلال أمراض الشبهة أو الشهوة، كما قال تعالى: ﴿يانسأ النبي لستن كأحد من النساء إن اتقين فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً﴾ (٤)، أو من خلال زيغ القلوب عن الحق، كما ورد ذلك عن النواس بن سمعان رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ما من قلب إلا وهو بين اصبعين من أصابع رب العالمين إن شاء أن يقيمه أقامه، وإن شاء أن يزيغه أزاعه) (٥). والمعاصي هي البوابة الكبيرة لانتكاس القلوب، والفتن هي الداء الخبيث لهذا الانتكاس، كما وضع ذلك الحديث الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً

(١) سورة المجادلة : جزء من الآية ٢٢

(٢) سورة الحجرات : جزء من الآية ١٤

(٣) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، رقم الحديث ٥٢، (١/١٢٦)

(٤) سورة الاحزاب : الآية ٣٢

(٥) حديث صحيح رواه أحمد (٤/١٨٢) والحاكم (٤/٣٢١) وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وعمرو ابن أبي عاصم الشيباني في كتاب السنة (ص ٩٨) تحقيق الألباني وقال صحيح على شرط الشيخين، المكتب الإسلامي، بيروت-دمشق، ط. ١، ١٤٠٠هـ.

عوداً، فأى قلب أشربها نُكِت فيه نُكْتةٌ سوداء، وأي قلب أنكرها نُكِت فيه نُكْتةٌ بيضاء حتى تصير على قلبين، على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة مادامت السماوات والأرض، والآخر أسود مبرداً كالكوز مجحياً^(١) لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه^(٢) .

وموقع قلب المؤمن العاصي من هذا الانتكاس قريب ليس ببعيد، ذلك لأن قلبه يسير تحت مادتين، مادة فيها حياة قلبه، ومادة فيها علل قلبه، تمده هذه مرة وهذه أخرى، وهو لما غلب عليه منهما، ففي قلبه من محبة الله تعالى والإيمان به والتوكل عليه ماهر مادة حياته، وفيه من محبة الشهوات والحرص عليها وحب الفساد والإفساد ماهر مادة عطبه وهلاكه^(٣) ، والخوف كل الخوف حينئذ في حق هذا المؤمن العاصي أن تشدد المادة السلبية -مادة المعاصي- وتنكست الفتنة على قلبه نقطة نقطة، فلا يزال يشربها كما يشرب الاسفنج الماء فيسود قلبه وينتكس، فلا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً، ويطمئن إلى المعاصي والآثام، عند ذاك تختم أقفال القلوب ويطلع عليها، وهذا الطبع وارد في حق المؤمن العاصي، ودليله الحديث الذي رواه الإمام مسلم عن ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ليتتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين)^(٤) ، وفي هذا الصدد يقول ابن القيم رحمه الله: "أن القلب يصدأ من المعصية، فما زادت غلب عليه الصدأ حتى يصير راناً، ثم يغلب حتى يصير طبعاً وقفاً وختماً، فيصير القلب في غشاوة وغلاف، فاذا حصل له ذلك بعد الهدى والبصيرة، انتكس فصار أعلاه أسفله، فحينئذ يتولاه عدوه ويسوقه"^(٥) ، وعندئذ يلحق هذا العاصي بركب المنافقين والكفار الذين قال الله تعالى عن قلوبهم: ﴿يَأْيأها الرسول لا يجزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم، ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه، يقولون: إن أوتيتهم

(١) مجحياً: معناه مائلاً وهو وصف آخر غير السواد المذكور، ومثله عليه السلام بالكوز المائل المنكس المقلوب الذي لا يعلق به خير ولا حكمة وبينه بقوله (لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً) انظر هامش صحيح مسلم (١٢٩/١).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسعود غريباً، الحديث ١٤٤، (١٢٨/١)

(٣) انظر: إغاثة اللهفان لابن قيم الجوزية (٩/١)

(٤) صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب التغليظ في ترك الجمعة، رقم الحديث ٨٦٥، (٥٩١/٢)

(٥) الجواب الكافي لابن القيم (ص ١١٥) تحقيق: يوسف بدوي، دار ابن كثير، ط. الثانية ١٤٠٩هـ.

هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا، ومن يرد الله فتنه فلن تملك له من الله شيئاً أولئك الذين لم يرد الله أن يظهر قلوبهم، هم في الدنيا خزي وهم في الآخرة عذاب عظيم» (١) .

لذا نخاف على العاصي من انتكاس قلبه، ونرهبه بالحرمان من كمال الإيمان، ثم للحوق بركب الكفار، ونذكره بدعاء الرسول صلى الله عليه وسلم: (اللهم يامصرف القلوب صّرّف قلوبنا على طاعتك) (٢) ، وقوله صلى الله عليه وسلم: (يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك) (٣) اللهم آمين .

المسألة الثانية

الترهيب بالحرمان من الحياة الطيبة في الدنيا*

تكفل سبحانه لمن حفظ عهده أن يحييه حياة طيبة في الدنيا، فقال سبحانه: ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجينه حياة طيبة﴾ (٤) فأخبر سبحانه عن فلاح من تمسك بعهده علماً وعملاً في العاجلة بالحياة الطيبة، هذا بعكس من له المعيشة الضنك في الدنيا (٥) .

واختلفت عبارات السلف في معنى الحياة الطيبة، فقيل: الرزق الحلال الطيب، وقيل: القناعة، وقيل: التوفيق إلى الطاعات فإنها تؤدي إلى رضوان الله ، وقيل: اليسرة، وقيل: السعادة، وقيل: حلاوة الطاعة، وقيل: الاستغناء عن الخلق والافتقار إلى الحق (٦) . والظاهر -والله أعلم- أن الحياة الطيبة تشمل جميع أنواع الراحة الدنيوية أيّاً كانت، كما ورد ذلك عن ابن كثير

(١) سورة المائدة : الآية ٤١

(٢) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء، جزء من الحديث رقم ٢٦٥٤، (٤/٢٠٤٥)

(٣) صحيح سنن الترمذي، أبواب في القدر، باب ماجاء في أن القلوب بين اصبعي الرحمن ، الحديث ١٧٣٩ (٢/٢٢٥) وينحوه في مسند الإمام أحمد (٤/١٨٢)

* للفائدة : هناك محاضرة تفيده في هذا المقام للشيخ ابن باز بعنوان (في ظل الشريعة يتحقق الأمن والحياة للمسلمين) انظر: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، التوحيد ومايلحق به (٢/٢٥٨-٢٧٦)

(٤) سورة النحل : جزء من الآية ٩٧

(٥) انظر : مفتاح دار السعادة لابن قيم الجوزية (١/٤٤)، توزيع رئاسة البحوث العلمية

(٦) انظر هذه الأقوال في تفسير ابن كثير (٤/٥٢١) وتفسير القرطبي (١٠/١٧٤)

رحمه الله، حيث قال بعد أن ذكر الأقوال السابقة: "والصحيح أن الحياة الطيبة تشمل هذا كله كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (قد أفلح من أسلم، ورُزق كفافاً، وقنعه الله بما آتاه) (١) " (٢).

وترهيب المؤمن العاصي يأتي بدلالة مفهوم المخالفة، فإذا كان سبحانه قد وعد المؤمن الطائع بالحياة الطيبة، فإنه والحالة هذه توعد العاصي بالحرمان من هذه الحياة الطيبة، ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿ أَمْ، ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا يَرِيبُ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ، وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ، أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٣). فالفلاح في هذه الآية مترتب على إقامة الفرائض، والتي منها إقام الصلاة وإيتاء الزكاة. وبترك هذه الفرائض يحصل الضد، وهو عدم الفلاح.

والفلاح ضربان، كما ذكر الإمام الراغب الأصفهاني حين قال: "... وذلك ضربان: دنيوي وأخروي، فالدنيوي الظفر بالسعادات التي تطيب بها حياة الدنيا، وهو البقاء والغنى والعز.. (٤)". إذا فكل خير وسعادة في الدنيا بسبب طاعة الرب تعالى وعمل الحسنات، وكل نقص وبلاء وشر في الدنيا بسبب مخالفة أوامر الرب تعالى وعمل السيئات، فليس في العالم شر قط إلا بالذنوب وموجباتها، وفي هذا الصدد يقول ابن عباس رضي الله عنه: "إن للحسنة نوراً في القلب، وضياءً في الوجه، وقوة في البدن، وزيادة في الرزق، ومحبة في قلوب الخلق، وإن للسيئة سواداً في الوجه، وظلمة في القلب، وهناً في البدن، ونقصاً في الرزق، وبغضة في قلوب الخلق" (٥) ويقول ابن القيم رحمه الله: "وآثار الحسنات والسيئات في القلوب والأبدان والأموال أمر مشهود في العالم، لا ينكره ذو عقل سليم، بل يعرفه المؤمن والكافر والبر والفاجر" (٦) ويقول رحمه الله في

(١) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب في الكفاف والقناعة، رقم الحديث ١٠٥٤، (٢/٧٣٠).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/٥٢١).

(٣) سورة البقرة: الآية ١-٥.

(٤) المفردات للراغب الأصفهاني (ص ٢٨٥).

(٥) مشاهد الخلق في المعصية لابن قيم الجوزية (ص ٧٤).

(٦) المرجع السابق (ص ٧٥).

موضع آخر : "قلة التوفيق وفساد الرأي وخفاء الحق وفساد القلب، وحمول الذكر وإضاعة الوقت، ونفرة الخلق، والوحشة بين العبد وبين ربه، ومنع إجابة الدعاء، وقسوة القلب، ومحق البركة في الرزق والعمر، وحرمان العلم، ولباس الذل، وإهانة العدو، وضيق الصدر، وابتلاء بقرناء السوء الذين يفسدون القلب ويضيعون الوقت، وطول الهم والغم، وضنك العيش وكسف البال، تتولد من المعصية والغفلة عن ذكر الله كما يتولد الزرع عن الماء والإحراق عن النار، وأضداد هذه تتولد عن الطاعة"^(١) .

وعلى ضوء ذلك سنتناول ترهيب المؤمن العاصي، تحت العناوين التالية:

- أ- الحرمان من السعة في الأرزاق
- ب- الحرمان من العافية في الأبدان
- ج- الحرمان من الأمن في الأوطان
- د- الإصابة بالذل والهوان

أ- الترهيب بالحرمان من السعة في الأرزاق

الذنوب والمعاصي لها أثرها السيء في أموال المؤمن المقترف لها، كما أخرج بذلك الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم في قوله: (.. إن الرجل ليحرم الرزق بالذنوب يصيبه)^(٢) وقد أورد الإمام ابن حجر في الفتح ما يدل على هذا المعنى، ونسبه إلى الحسن البصري رحمه الله، حيث قال: "إن رجلاً شكى إليه الجذب، فقال: استغفر الله، وشكى إليه آخر الفقر، فقال: استغفر الله، وشكى إليه آخر جفاف بستانه، فقال: استغفر الله، وشكى إليه آخر عدم الولد، فقال: استغفر الله، ثم تلا عليه قوله تعالى: ﴿فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً﴾ ، يرسل السماء عليكم مدراراً^(٣) (٤)"

(١) الفوائد لابن قيم الجوزية (ص ٣٢، ٣٣) دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ط. الثانية ١٣٩٣هـ.

(٢) حديث حسن رواه الإمام أحمد في المسند (٥/٢٧٧، ٢٨٠، ٢٨٢) وابن ماجه في صحيح السنن، المقدمة، باب في القدر جزء من

حديث ٧٣ (١/٢٢) وصححه ابن حبان برقم ٨٧٢، انظر الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٣/١٥٣)

(٣) سورة نوح: الآية ١٠-١١

(٤) فتح الباري (١١/٩٨)

وهذا الحرمان له صور مختلفة، فقد تكون :

١ - **ياتلاف المال عينه**، كما في قصة أصحاب الجنة^(١) الذين امتنعوا عن أداء حق الله تعالى من زكاة الأموال، فعاقبهم سبحانه بأفة سماوية أهلكت تلك الجنة، وصرمت ثمارها، فلم تبق فيها شيء، فأحرقت تلك الجنة واقتلعتها من أساسها، فأصبحت هشيماً يبساً كالليل الأسود^(٢)، وفي هذا يقول تعالى: ﴿فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون. فأصبحت كالصريم﴾^(٣).

ومما يدل على هذا المعنى أيضاً: الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مامن يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً)^(٤) يقول الإمام ابن حجر تعليقاً على هذا الحديث: "وأما الدعاء بالتلف، فيحتمل تلف ذلك المال بعينه..."^(٥)

٢ - **وإما بمحق البركة من المال**، كقوله تعالى: ﴿يُمحِقُ اللَّهُ الرِّبَا..﴾^(٦). يقول ابن كثير رحمه الله في معنى الآية: "يُمحِقُ اللَّهُ الرِّبَا: أي يذهب، إما بأن يذهب بالكلية من يد صاحبه، أم يجرمه من بركة ماله"^(٧) وهذا المعنى بينه صلى الله عليه وسلم في قوله: (مأحد أكثر من الربا إلا كان عاقبة أمره إلى قلة)^(٨). ومما يدل على محق البركة من الرزق الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم عن حكيم بن حزام، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما محقت بركة

(١) اقرأ القصة في سورة القلم الآية ١٧-٣٣

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٢٢٢/٨) وروح المعاني (٣٠/٢٩) وتفسير النسفي (٢٨١/٤)

(٣) سورة القلم الآية ١٩، ٢٠

(٤) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الزكاة، باب قوله تعالى (فأما من أعطى واتقى.. الآية) رقم الحديث ١٤٤٢، (٣٠٤/٣)

(٥) فتح الباري (٣٠٥/٣)

(٦) سورة البقرة: جزء من الآية ٢٧٦

(٧) تفسير ابن كثير (٤٨٦/١)

(٨) صحيح سنن ابن ماجه، كتاب التجارات، باب التغليظ في الربا، حديث ١٨٤٨ (٢٨/٢)

ييعهما(١) . ومن ذلك أيضاً الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبركة)(٢) .

٣- وقد يكون هذا الحرمان من الرزق بمنع أسبابه عن العاصي. يوضح الحديث الذي رواه ابن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المتونة وجور السلطان عليهم ، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا...)(٣) .

٤- وقد يجعل سبحانه هذا الحرمان داخل نفس العاصي، فهو وإن كان يمتلك كنوز الدنيا إلا أن نفسه خالية خاوية، ويمكن التعبير عنه (بالحرمان من القناعة)، وفي هذا يقول صلى الله عليه وسلم: (من كانت الآخرة همه، جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه، جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله ولم يأتها من الدنيا إلا ما قدر له)(٤) ويقول صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الشيخان (ليس المسكين بالذي ترده، التمرة والتمرتان ولا اللقمة واللقمتان، وإنما المسكين المتعفف. اقرؤا إن شئتم: ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْخَافًا﴾)(٥) (٦) وقد أكد عليه السلام هذا المعنى في الحديث الذي رواه الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس)(٧) .

(١) صحيح مسلم ، كتاب البيوع، باب الصدق في البيع والبيان ، رقم الحديث ١٥٣٢ ، (١١٦٤/٣)

(٢) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب البيوع، باب يحق الله الربا ويربي الصدقات، الحديث ٢٠٨٧ (٣١٥/٤) وصحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب النهي عن الحلف في البيع، الحديث ١٦٠٧ (١٢٢٨/٣) واللفظ لبخاري

(٣) صحيح سنن ابن ماجه، كتاب الفتن ، باب العقوبات ، جزء من حديث ٣٢٤٦ (٣٧٠/٢)

(٤) صحيح سنن الترمذي، كتاب أبواب صفة القيامة، باب ١٤ ، حديث ٢٠٠٥ (٣٠٠/٢)

(٥) سورة البقرة : جزء من الآية ٢٧٣

(٦) صحيح البخاري ، كتاب الزكاة، باب فولة تعالى: (لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْخَافًا) حديث رقم ١٤٧٦ (٣٤٠/٣)، وصحيح مسلم كتاب الزكاة، باب المسكين لا يجد غنى ولا يقطن له فيتصدق عليه، حديث رقم ١٠٣٩ (٧١٩/٢) واللفظ له .

(٧) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الرقاق، باب الغنى غنى النفس، حديث ٦٤٤٦ (٢٧١/١١) .

ب- التزهيب بالحرمان من العافية في الأنفس والأبدان

المعاصي تهدد المؤمن في نفسه وبدنه بالمسوخ والأوجاع والأسقام والأمراض، بدليل قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾^(١). ويفسر قتادة رحمه الله معنى المصيبة الواردة في الآية بقوله: "في الأرض، هي السنون والجذب، وفي أنفسكم، هي الأوجاع والأمراض، وقال: وبلغنا أنه ليس أحد يصيبه خدش عود، ولا نكبة قدم، ولا خلجان عرق إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر"^(٢) ويؤكد صلى الله عليه وسلم ذلك في الحديث الذي رواه الإمام مسلم عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال، قال عليه السلام: (إن هذا الوجع أم السقم رجز عذب به بعض الأمم قبلكم، ثم بقي بعد بالأرض، فيذهب المرة ويأتي الأخرى..) الحديث^(٣). وهذه الأوجاع قد تكون ظاهرة في بدن العاصي، وقد تكون نفسية داخلية، ولتوضيح ذلك نقول:

١- الأوجاع الظاهرة:

- قد تكون بسبب العقوبة الشرعية وهي المعروفة بالتعزيرات والحدود والقصاص ومن أمثلتها قطع يد السارق، ورجم الزاني المحصن، وجلد شارب الخمر.. الخ^(٤).
- وقد تكون بسبب العقوبات القدرية، وذلك في نفس وبدن المؤمن العاصي، فيصبح ممسوخاً في شكله. يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (يكون في آخر هذه الأمة خسف ومسوخ وقذف)^(٥) ويوضح صلى الله عليه وسلم ذلك المسوخ على التفصيل بقوله (ليكونن من أممي أقوام يستحلون الخنز والحريير وذكر كلاماً قال: يمسخ منهم آخرون قرده وخنازير إلى يوم القيامة)^(٦) ويفسر بعض أهل العلم ذلك المسوخ تفصيلاً بقولهم: إذا اتصف القلب

(١) سورة الحديد: الآية ٢٢

(٢) تفسير الإمام ابن كثير (٥٢/٨)

(٣) صحيح مسلم، كتاب السلام، باب الطاعون والطيبة، رقم الحديث ٢٢١٨، (٤/١٧٣٨)

(٤) انظر تفصيل ذلك في المبحث الثاني من الفصل الثاني (ص ١٠٧) من هذه الرسالة

(٥) صحيح سنن الترمذي، أبواب الفتن، باب ما جاء في الخسف، حديث ١٧٧٦ (٢/٢٣٧)

(٦) صحيح سنن أبي داود، كتاب اللباس، باب ما جاء في الخنز، حديث ٣٤٠٧ (٢/٧٦٣)

بالمكر والخديعة والفسق، وانصبغ بذلك صبغاً تاماً، صار صاحبه على خلق الحيوان الموصوف بذلك من القرودة والخنازير وغيرهما، ثم لا يزال يتزايد ذلك الوصف فيه حتى يبدو على صفات وجهه بُدُوّاً خفياً، ثم يقوى ويتزايد حتى يصير ظاهراً على وجهه، ثم يقوى حتى يقلب الصورة الظاهرة كما قلب الهيئة الباطنة، ومن له فراسة تامة يرى على صور الناس مسخاً من صور الحيوانات التي تخلقوا بأخلاقها في الباطن، فالظاهر مرتبط بالباطن أتم ارتباط، ولهذا خوف النبي صلى الله عليه وسلم من سَابِقِ الإمام في الصلاة بأن يجعل الله صورته صورة حمار لمشابهته للحمار في الباطن، فإنه لم يستفد بمسابقة الإمام إلا فساد صلاته، وبطلان أجره، فانه لا يسلم قبله، فهو شبيه بالحمار في البلادة وعدم الفطنة. إذا عرف هذا، فأحق الناس بالمسخ هؤلاء الذين ذكروا في الحديث السابق، فهم أسرع الناس مسخاً قرودة وخنازير، لمشابهتهم لهم في الباطن^(١).

● وقد تكون بتسليط جنود الله الكونية، والتي تسلط على بدن العاصي، فيصاب بالأمراض المختلفة. ومما يدل على أن المعاصي عقوبة لبعض الأمراض: الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالإفلاس أو بجذام)^(٢) ومن تلك الأمراض وأشدّها على البشرية المرض القاتل المعروف بالطاعون. والذي قال عنه صلى الله عليه وسلم: (لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون، والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا ..)^(٣)

ففي معنى هذا الحديث أيضاً يقرر سبحانه مبدأ العلاقة بين انتهاك المحرمات وظهور الفواحش، وبين ظهور الأوجاع المختلفة .. الأوجاع التي لم تكن معروفة من قبل، وفعلاً تحقق ما وعد به صلى الله عليه وسلم !! تحقق وظهر الوباء المعروف بالإيدز أو مرض نقص المناعة

(١) انظر باختصار إغاثة اللفغان لابن قيم الجوزية (٢٦٧/١)

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده، الحديث ١٣٥ (٢١٤/١، ٢١٥) وحكم الشيخ أحمد شاکر على إسناده بالصحة، انظر تعليقات الشيخ على المسند (٢١٤/١)

(٣) سبق تخريجه في هذا المطلب (ص ٢٢٦) هامش رقم (٣)

"وقد أبرز اكتشاف هذا الوباء ضرراً جديداً لم تكن البشرية مدركة له، وهو ضرر انتقال العدوى بهذا الوباء وغيره من الأمراض المعدية نتيجة الفتك بالجهاز المناعي، فيصبح المريض بلا مقاومة، وبالتالي يكون معرضاً للإصابة بكل الأمراض من الإنفلونزا وحتى السرطان"^(١). ولعل البشرية لم تواجه في تاريخها كله وباءاً في خطورته. وتشير المصادر العلمية التي تعنى بمتابعة حالات الإصابة بالايديز وعلى رأسها منظمة الصحة العالمية إلى أن الإيدز مرض يفرض على الموت، وليس لدى الأطباء أو المعامل الطبية أدوية مضادة له حتى الآن، فضلاً عن ذلك كله، فإن أحداً لا يعرف حتى اليوم كيف بدأت إصابة الإنسان به، ولأما سيحل بالبشرية نتيجة توالي العدوى به على مدى السنين القادمة^(٢).

ومما يثير العجب أن هذا الداء -الايديز- ارتبط ارتباطاً وثيقاً بعمل الفواحش، والتي منها القيام بنشاط جنسي خارج العلاقة الزوجية -الزنى- أو العلاقة الشاذة غير الطبيعية، حتى لو كانت بين الزوج وزوجته، وإستعمال المخدرات -التي تتبع الخمر في الحكم الشرعي- ومن هنا يتبين ان مشكلة العصر -الايديز- هذا الداء القاتل لم تكن إلا نتيجة حتمية لمخالفة الأخلاق الحميدة والفتنة الإنسانية السليمة، وقبل ذلك الابتعاد عن شرع الله وأوامره ونواهيه^(٣). نعم هذا الداء القاتل الذي أصاب البشرية يحقق قول النبي صلى الله عليه وسلم لما سألته زوجته السيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها: (أفنهلك وفينا الصالحون؟ قال نعم إذا كثرت الخبث)^(٤) وفسر هذا الخبث الوارد في الحديث "بأنه: الزنى أو أولاد الزنى، وبالفسوق، والفسجور"^(٥).

٢- الأوجاع الداخلية :

وهي مايعبر عنها في الطب الحديث بالأمراض النفسية، وهذه الأوجاع الداخلية إذا ماقورنت بالأمراض الظاهرة الحسية، لفاقتها ألماً وقسوة وتحطيماً ذلك لأن الإنسان بإمكانه

(١) أخذت مشافهة من الدكتور : توفيق بن أحمد خوجه

(٢) انظر : دور الدين والأخلاقيات في الوقاية من الايدز ومكافحته (ص ٢٤١) إعداد منظمة الصحة العالمية

(٣) مقالة د. توفيق خوجه بعنوان دور الإسلام في الوقاية من مرض الإيدز، انظر مجلة صحة الرياض، عدد صفر، السنة الأولى (ص٧٠٦) ١٤١٤هـ

(٤) جزء من حديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه مع الفتح كتاب الفن، باب يأجوج ومأجوج، الحديث ٧١٣٥، (١٠٦/١٣)

(٥) فتح الباري (١٠٩/١٣)

غض الطرف عن الألم الحسي بوسيلة أم بأخرى، في حين أن المرض النفسي لا يمكن التغلبت منه، فهو مصاحب للانسان ومقيم معه حيث كان، وفي هذا الصدد يقول ابن قيم الجوزية رحمه الله: "العبد قد يصيبه ألم حسي فيطرحة عن قلبه، ويقطع التفاته عنه، ويجعل إقباله على غيره إلى أن لا يشعر به جملة- إلى أن قال- فما الظن بعذاب القلوب وآلامها"^(١) .

والأمر كما قال، خاصة إذا كانت المعصية أو الفاحشة صادرة عن مؤمن، فإن آلامه النفسية أشد وأقسى فيما لو كانت صادرة من نفس كافرة أو منافقة، ذلك لأن المؤمن بحكم إيمانه لا يزال يملك ضميراً حياً وحساً إيمانياً يؤنبه ويقلق راحته النفسية، هذه من الناحية الشرعية ، ولو بحثنا الأمر من الناحية الطبية، وأخذنا-على سبيل المثال-أحد الأمراض الشائعة-وليكن مثلاً مرض الإيدز-ودققنا النظر في الحالة النفسية للمصابين بها، لوجدنا أنها أحدثت فيهم انفعالات نفسية قاسية أثارت ردود أفعال كثيرة من الخوف والحزن والشعور بالذنب والخسران والاكتماب والوسوسة والهواجس الدائمة، وحالات الإنكار والغضب، بل حتى محاولة الانتحار^(٢) ، فهم في معاناة لاتدانيها معاناة ، ناهيك عن وصمة العار التي يلصقها بهم المجتمع، والرعب الذي يصيب كل من حوله حتى أهله وذويه، فلا يخالطونه، ولا يقترّبون منه، فيصبح هذا العاصي في عذاب مقيم بانتظار نهايته المحتومة مع قسوة العزلة الاجتماعية والانحطاط النفسي الشديد^(٣) .

ج- التزهيب بالحرمان من الأمن في الأوطان

تدور المشاكل الأمنية ، أو عدم الشعور بالأمن الذي يعانيه المسلم في حياته، أو المسلمون عامة مرده إلى اقرار المعاصي و البعد عن منهج الله سبحانه، ويتحقق عدم الأمن في عدة صور، منها ما تكون بسبب الضغوط البيئية سواء كانت ناشئة عن قلة موارد الأرزاق - كما بيناه سابقاً- أم بسبب تسليط أعداء الله عليهم ، أم بسبب تسليط جنود الله الكونية ، أو الإصابة بالذل والهوان ، ويتبين ذلك من خلال النقاط التالية :

(١) مشاهد الخلق في المعصية (ص٧٤)

(٢) انظر شرح هذه الانفعالات النفسية في كتاب بعنوان "دليل الإرشاد بشأن العدوى والمرض بفيروس العوز المناعي البشري"

(٣) مشافهة من الدكتور/ توفيق بن أحمد حوجه

١- تسليط أعداء الله على المؤمنين :

وفي هذا يقول صلى الله عليه وسلم : (يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ...) الحديث (١) .

وهذه سنة الله تعالى في عباده إذا ابتعدوا عن منهجه، وخالفوا أوامره تعالى وأوامر رسوله صلى الله عليه وسلم، ويوضح عليه السلام تلك السنة ويبينها بياناً شافياً في قوله : (.. ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلب الله عليهم عدواً من غيرهم، فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحك أمتهم بكتاب الله تعالى ويتخبروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم) (٢) . وقد وقع هذا فعلاً في زمن خير القرون، حينما حصلت المخالفة لأوامر الرسول صلى الله عليه وسلم من قبل الرماة في غزوة أحد، فحصلت الهزيمة للمسلمين، كما ورد ذلك في صحيح البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنه، قال : (لقينا المشركين يومئذ وأجلس النبي صلى الله عليه وسلم جيشاً من الرماة وأمر عليهم عبد الله (٣) وقال: لا تبرحوا. إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا، وإن رأيتموهم ظهرنا علينا فلا تعينونا، فلما لقينا، هربوا حتى رأيت النساء يشتددن في الجبل، رفعن عن سوقهن قد بدت خلاخلهن، فأخذوا يقولون: الغنيمة الغنيمة. فقال عبد الله: عهد إليّ النبي صلى الله عليه وسلم أن لا تبرحوا، فأبوا، فلما أبوا صرف وجوههم فأصيب سبعون قتيلاً ..) الحديث (٤) .

٢- وقد يكون الحرمان من الأمن في البلدان بسبب تسليط جنود الله الكونية من ربح مدمرة أو زلازل، أو براكين وهزات أرضية، أو صاعقة، أو خسف، أو غير ذلك من الظواهر الطبيعية التي يسلطها الله تعالى على عباده، فتخرب الدور والأوطان، ومن ثم يذهب الأمن والأمان وهذه

(١) صحيح سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب في تداعي الأمم على الإسلام، حديث ٣٦١٠ (٨١٠/٣) ورواه الإمام أحمد في مسنده عن ثوبان رضي الله عنه (٢٧٨/٥) .

(٢) صحيح سنن ابن ماجه، وسبق تخريجه في هذا المبحث (ص ٢٢٦) (٣ ن)، ورواه الحاكم عن بريده في المستدرک (١٢٦/٢) وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي ، واللفظ لابن ماجه .

(٣) هو عبد الله بن جبیر رضي الله عنه ، انظر : فتح الباري (٣٥٠/٧) .

(٤) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب غزوة أحد ...، الحديث ٤٠٤٣ (٣٤٩/٧)

الأحداث الكونية قد تكون بمثابة تنبيه وتذكير للعباد بالابتعاد عن المعاصي والعودة إلى الله، والاستقامة على طريقه سبحانه، وقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه، أنه دخل على عائشة رضي الله عنها، هو ورجل آخر، فقال لها الرجل: يأم المؤمنين حدثينا عن الزلزلة، فقالت: إذا استباحوا الزنا، وشربوا الخمر، وضربوا بالمعازف، غار الله عز وجل في سمائه فقال للأرض: تزلزلي بهم؛ فإن تابوا ونزعوا، وإلا هدميها عليهم..^(١) الحديث، كما أورد ابن قيم الجوزية رحمه الله ما يدل على ذلك، فقال: "أذن الله سبحانه للأرض في بعض الأحيان بالتنفس، فتحدث فيها الزلازل العظام، فيحدث من ذلك للعباد الخوف والخشية والإنابة والإقلاع عن معاصيه، والتضرع إليه والندم، كما قال بعض السلف وقد زلزلت الأرض: إن ربكم يستعقبكم وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد زلزلت المدينة فخطبهم ووعظهم وقال: لكن عادت لا أساكنكم فيها"^(٢).

وقد تكون نذيراً من الله بال غضب لأصحاب الشر، يجرهم فيه سبحانه أنه قادر على أن يزلزل بهم أو يخسف بهم. كما أخبر بذلك الصادق صلى الله عليه وسلم في الحديث المروي عن أبي أمامة رضي الله عنه، حيث قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يبيت قوم من هذه الأمة على طعم وشرب وهو ولعب، فيصبحون وقد مسخوا قرده وخنازير، وليصيبينهم خسف وقذف حتى يصبح الناس، فيقولون: خسف الليلة ببني فلان، وخسف الليلة بدار فلان خواص، وليرسلن عليهم حاصباً، حجارة من السماء، كما أرسلت على قوم لوط على قبائل منها وعلى دور، وليرسلن عليهم الريح العقيم التي أهلكت عاداً، على قبائل منها وعلى دور لشربهم الخمر ولبسهم الحرير واتخاذهم القينات واكلهم الربا وقطيعتهم الرحم)^(٣).

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من لم يغز، أو يجهز غازياً أو يخلف غازياً في أهله بخير، أصابه الله تعالى بقارعة، قبل يوم القيامة)^(٤).

(١) رواه الحاكم في المستدرک بزيادة فيه (٥١٦/٤) وقال: هذا احديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه

(٢) مفتاح دار السعادة لابن قيم الجوزية (٢٢١/١)

(٣) رواه الحاكم في المستدرک (٥١٥/٤) وصححه ووافقه الذهبي، ورواه ابن عساکر في تهذيب تاريخ دمشق الكبير (١٣١/٧) واللفظ منه، وانظر:

کنز العمال (٨٣/٨٢/١٦) مؤسسة الرسالة ١٣٩٩هـ.

(٤) صحيح سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب كراهية ترك الغزو، الحديث ٢١٨٥ (٤٧٥/٢)

بل إن كثرة هذه الأحداث الكونية قد تكون من علامات قيام الساعة، كما جاء ذلك في الحديث الذي رواه الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتهما واحدة، وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله، وحتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان .. الحديث) (١) .

والأمر كما أخطر عليه السلام، فقد وقعت كثير من تلك الكوارث الكونية في هذه الأمة وفي ديار المسلمين، شرقها وغربها شمالها وجنوبها، ووقف العلم عاجزاً عن التخلص منها ومواجهتها والتصدي لها، بل وحتى التهوين من وقعها وآثارها، وحسبنا هنا أن نذكر هؤلاء العصاة بقوله تعالى: ﴿أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون، أو آمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون، أفأمنوا مكر الله، فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾ (٢) .

د- التهيب بالإصابة بالذل والهوان

أخبر سبحانه أن العزة تحصل للمؤمن بلزوم طاعته (٣)، فقال سبحانه: ﴿من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً﴾ (٤)، فكما أن العزة تحصل بالطاعة، فإن المذلة تحصل بالمعصية، ويوضح عليه السلام أن مخالفة أمره أيضاً تورث الذل، فقال: (.. وجعل الذل والصغار على من خالف أمري..). (٥) وبين عليه السلام أن هذا الذل لن يرفعه الله تعالى عن عباده إلا بالتوبة والرجوع إلى الله، فقال عليه السلام: (إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم) (٦) . وهذا الذل والهوان يظهر على العصي في صور عديدة، ومن تلك الصور :

(١) صحيح البخاري مع الفتح كتاب الفن، بدون ذكر باب، الحديث ٧١٢١ (١٣/٨١، ٨٢)

(٢) سورة الأعراف : الآية ٩٧-٩٩

(٣) انظر تفسير ابن كثير (٥٢٣/٦)

(٤) سورة فاطر : جزء من الآية ١٠

(٥) رواه الإمام أحمد (٥٠/٢، ٩٢)، وقال الألباني عنه : صحيح (انظر إرواء الغليل ١٠٩/٥) المكتب الإسلامي / الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ

(٦) صحيح سنن أبي داود، كتاب الإحازة، باب في النهي عن العينة، الحديث ٢٩٥٦ (٢/٦٦٣)

١- الحرمان من إجابة الدعاء . ومما يدل على ذلك الحديث الذي رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم (ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يارب يارب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك) (١) . ومما يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم) (٢) .

٢- الحرمان من نور العلم ، ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ﴾ (٣) فإذا كانت التقوى سبب تعلم العلم ، فإن المعصية وترك التقوى سبب الخذلان والحرمان من العلم. ومما يدل على ذلك أيضاً الحديث الذي رواه ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إني لأحسب الرجل ينسى العلم كلما يعلمه للخطيئة يعملها) (٤) . ولما رأى الإمام مالك الشافعي أعجبه ورأى فطنته وذكاءه قال له: "إني أرى الله قد ألقى على قلبك نوراً، فلا تطفئه بظلمة المعصية" (٥) .

٣- النفور الاجتماعي الذي يصاحب العاصي : فالمعاصي تلحق بصاحبها بغضاً ومعاداة ونبذاً اجتماعياً رهيباً ، ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾ (٦) ، فالله سبحانه وتعالى يأمر عباده المؤمنين بإلحاق الأذى والذل بالعاصي المرتكب لفاحشة الزنى وعدم الشفقة عليه، وأن يكون ذلك بحضور

(١) صحيح مسلم ، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب، الحديث ١٠١٥ (٧٠٣/٢)

(٢) مسند الإمام أحمد (٣٨٨/٥) ، وقال عنه الألباني: حديث حسن، انظر: صحيح الجامع الصغير، حديث ٦٩٤٧ (٩٧/٦)، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، ط. الثالثة ، ١٤٠٢ هـ

(٣) سورة البقرة : جزء من الآية ٢٨٢

(٤) المعجم الكبير للطبراني رقم ٨٩٣٠ (٢١٢/٩) ، وأورده المنذري (٣١٣/٣) وقال رواه الطبراني في الكبير موقوفاً ورواته ثقات إلا أن القاسم لم يسمع من جده عبد الله، وكذا قال الهيثمي في الجمع (١٩٩/١).

(٥) الجواب الكافي لابن القيم (ص ١٠٤)

(٦) سورة النور : الآية ٢

الناس، ليكون أبلغ في الزجر والإهانة كما أن ذلك الإعلام يسبب له نفوراً اجتماعياً وبغضاً في قلوب الخلق، وفي ذلك يقول ابن عباس رضي الله عنه: "إن للحسنة نوراً في القلب، وضياءً في الوجه، وقوة في البدن، وزيادة في الرزق، ومحبة في قلوب الخلق، وإن للسيئة سواداً في الوجه وظلمة في القلب، وهناً في البدن، ونقصاً في الرزق وبغضة في قلوب الخلق" (١) ناهيك عن بعض الذنوب التي تلحق بصاحبها وصمة العار في المجتمع المسلم، ومما يدل على ذلك قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٢) والملاحظ في هذه الآية الكريمة أن الله تعالى حكم على العصاة المرتكبين لمعصية القذف بأمرين، الأمر الأول: رد شهادتهم، الأمر الثاني: سلب اسم الإيمان وإحراق أسماء الفسوق بهم، وفي هذا ذلة في حقهم من رب العزة ليس بعدها ذلة، وفي هذا المعنى يقول ابن قيم الجوزية رحمه الله: "المعاصي تسلب صاحبها أسماء المدح والشرف، وتكسوه أسماء الذم والصغار، فتسلبه اسم المؤمن والبر والحسن والتقوى والمطيع والنيب والولي والمصلح والورع والأواب والعابد والخائف ونحوه، وتكسوه اسم الفاجر والعاصي والمخالف والمفسد والخبيث والزاني والسارق والقاتل والكاذب وقاطع الرحم والغادر وأمثالها، فهذه أسماء الفسوق التي قال عنها تعالى: ﴿بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان﴾ (٣) والذي يوجب غضب الديان ودخول النيران وعيش الخزي والهوان، تلك أسماء توجب رضا الرحمن، ودخول الجنان، وتوجب شرف المسمى بها على سائر نوع الإنسان" (٤).

استدراك

مما ينبغي أن يعلم أن العقوبات الدنيوية في حق المؤمن ليست كلها شراً محضاً، فإذا شوهده مجتمع مسلم أو فرد مؤمن مسلط عليه القحط والفاقة والمرض والأوبئة أو مبتلى بتسليط الأعداء

(١) مشاهد الخلق في المعصية لابن قيم الجوزية (ص ٧٤)

(٢) سورة النور : الآية ٤

(٣) سورة الحجرات : جزء من الآية ١١

(٤) الجواب الكافي لابن القيم (ص ١٥٢، ١٥٣) مرجع سابق

عليه، أو غير ذلك من أنواع الابتلاءات والمصائب، فليس بالضرورة أن يكون ذلك المجتمع مسخوط عليه، وهذا الفرد مغضوب عليه من قبل الله تعالى، نعم الذنوب والمعاصي سبب وأي سبب في تلك العقوبات الدنيوية - كما بينا ذلك في الصفحات السابقة- ولكن ليس ذلك على إطلاقه، لأن تلك المصائب والعقوبات قد تكون سبباً في تكفير السيئات كما أخبر بذلك الصادق صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح، حيث قال: (ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن حتى ألهم يهمله إلا كفر به من سيئاته)^(١) فإذا قبلها المؤمن بالصبر والاحتساب والرضا، كانت بفضل الله سبباً في رفع درجاته، بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَنبَلُونَكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾^(٢). وفي هذا الصدد يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ولهذا كانت المصائب تكفر سيئات المؤمنين، وبالصبر عليها ترتفع درجاتهم"^(٣).

إذا، فمصائب الدنيا المختلفة وهمومها ومشقاتها قد تكون في حق بعض المؤمنين نعمة عظيمة، لأنها ترفع الدرجات، وتزيد الحسنات، وتعمل على تكفير السيئات. وفي هذا يقول عليه السلام في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: (مامن مسلم يشاك شوكة فما فوقها إلا كتبت له بها درجة، ومحيت عنه بها خطيئة)^(٤) يقول الإمام النووي رحمه الله تعليقاً على الحديث: "في هذا الحديث بشارة عظيمة للمسلمين، فإنه كلما انفك الواحد منهم ساعة من شيء من هذه الأمور، وفيه تكفير الخطايا بالأمراض والأسقام ومصائب الدنيا وهمومها، وإن قلت مشقتها، وفيه رفع الدرجات بهذه الأمور وزيادة الحسنات، وهذا هو الصحيح الذي عليه جماهير العلماء"^(٥).

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه...، الحديث ٢٥٧٣، (٤/١٩٩٢)

(٢) سورة البقرة: الآية ١٥٥

(٣) الحسنة والسيئة لشيخ الإسلام (ص ٣٥) طبعة دار الكتب العلمية بيروت، لبنان

(٤) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، ثواب المؤمن فيما يصيبه، الحديث ٢٥٧٢، (٤/١٩٩١)

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/١٢٨)

المطلب الثاني

مجال ترهيب عصاة المؤمنين في الآخرة*

تمهيد :

عصاة المؤمنين يلقون أيضاً شدة في الآخرة، لما اقترفته جوارحهم في الدنيا، لذا وجب تذكيرهم وتنبههم بما سيؤول إليه مصيرهم إن هم استمروا على تلك المعاصي، وسوف نعالج هذا الموضوع تحت المسائل التالية :

المسألة الأولى : ترهيب المؤمن العاصي بما سيلقاه عند الموت.

المسألة الثانية : ترهيب المؤمن العاصي بما سيناله في القبر.

المسألة الثالثة : ترهيب المؤمن العاصي من أهوال يوم القيامة.

المسألة الرابعة : ترهيب المؤمن العاصي بما سيناله في النار.

المسألة الأولى

ترهيب المؤمن العاصي بما سيلقاه عند الموت

أ- الحرمان من قبول التوبة :

فالمؤمن العاصي المرتكب للمحرمات والسيئات في دنياه المسوف للتوبة المستهتر بها حتى لحظة الموت يجب أن يعلم أن توبته مرفوضة في ذلك الوقت، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿وليس التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن﴾ (١) ، ويوضح الإمام القرطبي رحمه الله ذلك-بعد أن نفى عن الكفار توبتهم حال الموت- فيقول: من عمل دون الكفر من السيئات ثم تاب عند الموت ليست له توبة (٢) .

* هذا المطلب بجميع مسائله عبارة عن ترهيب للأحياء على سبيل الإخبار، وعقوبة للأموات.

(١) سورة النساء : جزء من الآية ١٨

(٢) انظر تفسير القرطبي (٩٣/٥)

ب- اطلاعه على مصيره بعد الموت:

لذا فهو يخاف الموت، وبالتالي يكره لقاء الله كما جاء ذلك في الحديث الذي رواه عبادة بن الصامت رضي الله عنه، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أحب لقاء الله، أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله، كره الله لقاءه. قالت عائشة: إنا لنكره الموت. قال: ليس ذلك، وإن الكافر- وفي رواية عند الإمام أحمد وإن الفاجر والكافر^(١) - إذا حضر بشر بعذاب الله وعقوبته، فليس شيء أكره إليه مما أمامه، فكره لقاء الله وكره الله لقاءه^(٢)). وزاد مسلم أن عائشة رضي الله عنها قالت: "إذا شخص البصر، وحشرج الصدر، وأقشعر الجلد، وتشنجت الأصابع، فعند ذلك... من كره لقاء الله كره الله لقاءه"^(٣).

ج- حرمانه من صلاة النبي صلى الله عليه وسلم على جنازته، يدل على ذلك ما رواه زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه، قال: توفي رجل من أشجع بخيبر، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (صلوا على صاحبكم فأنكر الناس ذلك، وتغيرت له وجوههم، فلما رأى ذلك قال: إن صاحبكم غل في سبيل الله، قال زيد: فالتمسوا في متاعه ففتشنا متاعه فوجدنا خرزات من خرز يهود ما تساوي درهمين)^(٤).

د- صعوبة النطق بالشهادتين :

ومعلوم أن لشهادة أن لا إله إلا الله عند الموت تأثيراً عظيماً في تكفير السيئات وإحباطها، لأنها شهادة من عبد مؤمن موقن بها، عارف بمضمونها، قد ماتت منه الشهوات^(٥)، كيف لا والرسول صلى الله عليه وسلم يقول في الحديث الذي رواه معاذ بن جبل رضي الله عنه: (من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة)^(٦). لذا حث النبي أمته

(١) انظر: المجمع (٣٢٠/٢) وقال الهيثمي: رجال أحمد رجال الصحيح.

(٢) صحيح البخاري مع الفتح (٣٥٧/١١) وسبق تخريجه (ص ١٥٧) هامش رقم (١).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب من أحب لقاء الله، الحديث ٢٦٨٥ (٢٠٦٦/٤)

(٤) سنن ابن ماجه، أبواب الجهاد، باب الغلول، حديث ٢٨٧٦ (١٤٥/٢)، وعلق عليه الأرنؤوط بقوله: إسناده صحيح عند ابن ماجه، انظر

هامش جامع الأصول (٧٢١/٢)

(٥) الفوائد لابن قيم الجوزية (ص ٥٥)

(٦) رواه الإمام أحمد (٢٤٧/٥) وصححه الحاكم في المستدرک (٣٥١/١) ووافقه الذهبي، وقال الألباني: صحيح، انظر: صحيح سنن أبي داود

، في الجنائز، باب التلقين، الحديث ٢٦٧٣ (٦٠٢/٢)

بتلقين الموتى، فقال عليه السلام: (لقنوا موتاكم لا إله إلا الله)^(١). لكن المؤمن العاصي يخونه قلبه ولسانه عند الاحتضار والانتقال إلى الديان، فيتعذر عليه النطق بالشهادة كما شوهد ذلك واقعاً وعياناً على كثير من المحتضرين^(٢) وحول هذا يقول الإمام ابن قيم رحمه الله قيل لبعض المحتضرين: قل لا إله إلا الله فقال آه آه لا أستطيع أن أقولها ثم قضى، وقيل لآخر ذلك، فجعل يهذي بالغناء حتى قضى^(٣). *

المسألة الثانية

ترهيب المؤمن العاصي بما سيلقاه في القبر

المؤمن العاصي يعذب في قبره ، وقد ثبت ذلك العذاب في أحاديث صحيحة صريحة ، ومن ذلك ما رواه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: (مر النبي صلى الله عليه وسلم على قبرين فقال: إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، ثم قال: بلى، أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة، وأما

(١) صحيح سنن الترمذي، أبواب الجنائز، باب تلقين المريض عند الموت ... حديث ٧٨١ (١/٢٨٨).

(٢) هناك بعض الأمثلة الحية المعاصرة ذكرها صاحب رسالة الماجستير "المعاصي وآثارها .." (ص ١٢٥).

(٣) انظر الجواب الكافي لابن القيم (ص ١٦٩، ١٧٠).

* الباحثة لم تآل جهداً في البحث عن سندٍ شرعي لهذه النقطة، فلم تجد إلا هذه الرواية، التي أوردها الإمام الهيثمي عن عبد الله بن أبي أوفى: (كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم، فأتاه آت فقال: شاب يجود بنفسه، قيل له: قل لا إله إلا الله، فلم يستطع، فقال: كان يصلي؟ فقال: نعم، فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهضنا معه، فدخل على الشاب، فقال له: قل لا إله إلا الله، فقال: لا أستطيع، قال: لم؟ قال: كان يعق والديه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أحية والدته؟ قالوا: نعم، قال: ادعوها، فجاءت، فقال: هذا ابنك، فقالت: نعم، فقال لها: أرأيت لو أجمعت ناراً ضخمة، فقيل لك إن شفعت له خلينا عنه وإلا أحرقناه- إلى أن قالت:- اللهم إني؟ أشهدك وأشهد رسولك، أني قد رضيت عن ابني، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا غلام قل لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فقالها.. الخ). وحيث أن أحد رواة هذه الرواية متروك، كما بين ذلك الإمام الهيثمي في الجمع (١٤٨/٨) حيث قال: رواه الطبراني وأحمد وفيه فائد أبو الوراق وهو متروك. وأيضاً تتبع الاستاذ محمد القاضي، محقق كتاب بر الوالدين، للمحافظ أبي بكر الطرطوشي إسناد هذا الحديث، ومن ثم قال: إسناد الحديث فيه ضعف شديد، انظر هامش الكتاب (ص ٥٥-٥٦) بإشراف المكتب السلفي لتحقيق الحديث ، ط. الأولى ١٤٠٦ هـ . لأجل هذا لا أرى الإعتقاد عليها . انتهى .

أحدهما فكان لا يستتر من بوله، قال: ثم أخذ عوداً رطباً، فكسره باثنتين، ثم غرز كل واحد منهما على قبر، ثم قال: لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا(١) .

وعذاب القبر في حق العصي قد يستمر إلى يوم القيامة، كما ظهر ذلك من الحديث السابق، حيث جعل صلى الله عليه وسلم التخفيف مقيداً برطوبة العودين فقط - وكما ستوضحه الأحاديث التالية- أو يكون إلى مدة، ثم ينقطع العذاب بدعاء أو صدقة أو استغفار(٢) ، يدل على ذلك حديث جابر رضي الله عنه، قال: (توفي رجل فغسلناه وحنطناه وكفناه، ثم أتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي عليه، فقلنا تصلي عليه؟ فخطى خطوة، ثم قال: أعليه دين؟ قلنا ديناران، فانصرف. فتحملهما أبو قتادة، فأتيناها، فقال أبو قتادة: الديناران عليّ، فقال عليه الصلاة والسلام: أحق الغريم وبريء منهما الميت؟، قال: نعم، فصلى عليه، ثم قال بعد ذلك بيومين: ما فعل الديناران؟ قلت: إنما مات أمس. قال: فعاد إليه من الغد؟ فقال: قد قضيتهما، فقال صلى الله عليه وسلم: الآن بردت عليه جلده(٣) .

ومن صور تعذيب عصاة المؤمنين في القبور مايلي:

أ- الجلجلة(٤) في الأرض إلى يوم القيامة :

يدل على ذلك ما رواه الإمام البخاري في صحيحه عن سالم بن عبد الله أن أباه حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (بيننا رجل يجر إزاره إذ خسف به، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة)(٥) ومعناه: ينزل في الأرض ويختلط بها، ويندفع مضطرباً من شق إلى شق إلى أن تقوم الساعة(٦) .

(١) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب عذاب القبر من الغيبة والبول، رقم الحديث ١٣٧٨ (٢٤٢/٣)، ورواه مسلم في كتاب الطهارة باب الدليل على نجاسة البول، رقم الحديث ١١١ (٢٤٠/١) واللفظ للبخاري.

(٢) انظر: الروح لابن القيم (ص ٨٩) مرجع سابق

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده (٣٣٠/٣)، و أورده المنذري في الترغيب والترهيب (٦٠٦/٢) وقال رواه أحمد بإسناد حسن والحاكم والدارقطني وقال الحاكم صحيح الإسناد، ورواه أبي داود وابن حبان في صحيحه باختصار .

(٤) الجلجلة: الحركة مع صوت (فتح الباري ١٠/٢٦١)

(٥) صحيح البخاري كتاب اللباس باب من جر ثوبه من الخيلاء الحديث ٥٧٩٠ (٢٥٨/١٠)

(٦) انظر: فتح الباري (١٠/٢٦١)

ب- اشتعال المادة التي ارتكب بها المعصية وصيرورتها ناراً في قبره :

ويدل على ذلك ما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (افتتحنا خير ولم نغنم ذهباً ولا فضة، إنما غنمنا البقر والإبل والمتاع والحوائط، ثم انصرفنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وادي القرى ومعه عبد يقال له مدعم، أهداه له أحد بني الضباب، فبينما هو يحط رحل رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه سهم عائر أصاب ذلك العبد، فقال الناس: هنيئاً له الشهادة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بلى والذي نفسي بيده إن الشملة^(١) التي أصابها يوم خير من المغنم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً، فجاء رجل -حين سمع ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم- بشراك أو بشراكين، فقال: هذا شيء كنت أصبته، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: شراك^(٢) أو شراكان من نار^(٣) وفي رواية الإمام مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كلا إني رأيته في النار في بردة غلها أو عباءة)^(٤).

ومما يدل على ذلك أيضاً ما رواه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، قال: (كان على ثقل النبي صلى الله عليه وسلم رجل يقال له كركرة، فمات، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هو في النار، فذهبوا ينظرون إليه، فوجدوا عباءة قد غلها)^(٥).

ج- ومن صور ترهيب المؤمن العاصي لهز^(٦) الملائكة له، ثم تعذيبه بما نيح عليه:

يدل على ذلك حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (الميت يعذب في قبره بما نيح عليه)^(٧)، وصفة ذلك العذاب يوضحه أبو موسى

(١) الشملة: كساء دون القطيفة يشمل به، القاموس المحيط (ص ١٣١٩)

(٢) الشراك: سير التعال، القاموس المحيط (ص ١٢٢٠)

(٣) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب غزوة حبير، رقم الحديث ٤٢٣٤ (٤٨٧/٧-٤٨٨)

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم الغلول، رقم الحديث ١٨٢ (١٠٧/١)

(٥) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الجهاد، باب القليل من الغلول، رقم الحديث ٣٠٧٤ (١٨٧/٦)

(٦) هز: اللهز هو الدفع بجميع اليد في الصدر (الترغيب والترهيب للمندري ٣٤٩/٤)

(٧) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الجنائز، باب ما يكره من النياحة على الميت، رقم الحديث ١٢٩٢ (١٦١/٣) صحيح مسلم، كتاب الجنائز،

باب الميت يعذب بيكاء أهله عليه، رقم الحديث ٩٢٧ (٦٣٩/٢) واللفظ للبخاري

الأشعري رضي الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مامن ميت يموت فيقوم باكيهم فيقول: واجبلاه، واسيداه أو نحو ذلك ، إلا وُكِّلَ به ملكان يلهزانه أهكذا كنت) (١)

وهناك بعض صور عذاب القبر ذكرها الإمام البخاري في حديث رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم، ومعلوم أن رؤيا الأنبياء حق وهي مطابقة لما في نفس الأمر. (٢) ومن تلك الصور:

د- ضرب رأس العاصي بالصخرة الكبيرة حتى يشدخ رأسه، ثم تندرج الصخرة إلى أسفل ولا تعود له ثانية حتى يلتئم رأسه ، فإن التأمّت تكررت العملية ، ودليل ذلك حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني مما يكثر أن يقول لأصحابه: هل رأى أحد منكم من رؤيا؟ قال: فيقص عليه ما شاء الله أن يقص ، وإنه قال ذات غداة : إنه أتاني الليلة آتيان، وإنهما ابتعثاني، وإنهما قالا لي: انطلق: وإنني انطلقت معهما، وإننا أتينا على رجل مضطجع ، وإذا آخر قائم عليه بصخرة وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيتلغ رأسه، فيتدهده الحجر هاهنا ، فيتبع الحجر فيأخذه، فلا يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان ، ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل به المرة الأولى ، قال ، قلت لهما : سبحان الله ما هذان (٣)؟ قال، قالوا لي : انطلق انطلق... الحديث) (٤).

هـ- شق وشرشرة جانب فم العاصي الكاذب ومنخره وعينه إلى قفاه بكلوب من حديد ، فإذا انتهى، تحول إلى الجانب الآخر، يفعل به ما فعل في الجانب الأول ، ثم يعود إلى الجانب الأول بعد أن التأم ويكرر العملية ، ودليله حديث سمرة رضي الله عنه السابق، حيث جاء فيه (.. فانطلقنا فأتينا على رجل مستلق لقفاه، وإذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد ، وإذا هو يأتي

(١) صحيح سنن الترمذي، أبواب الجنائز، باب كراهية البكاء على الميت، حديث ٨٠١ (٢٩٤/١). وهذا إنما يكون إذا أوصاهم بذلك النياح أما إذا نهاهم في حياته وناحوا بعد وفاته لم يكن عليه شيء.

(٢) انظر : الروح لابن القيم (ص ٥٩)

(٣) جاء في آخر الحديث، قوله عليه السلام: (قال قلت لهما، فإني قد رأيت منذ الليلة عجباً، فما هذا الذي رأيت؟ قال قالوا لي أما إنا سنحريك: أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يتلغ رأسه بالحجر، فإنه الرجل يأخذ بالقرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة... الحديث

(٤) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب التعبير، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح، رقم الحديث ٤٠٤٧، (٤٣٨/١٢)

أحد شقي وجهه، فيشرشر شدقه إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه، وعينه إلى قفاه، قال: وربما قال أبو رجاء: فيشق، قال: ثم يتحول إلى الجانب الآخر، فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول، فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانب كما كان، ثم يعود عليه، فيفعل مثل ما فعل المرة الأولى، قال: قلت: سبحان الله ما هذان (١)؟ قال: قالوا لي: انطلق انطلق... الحديث (٣)

و- تعذيب الزناة وهم عراة في تنور تتوقد تحته نارٌ فإذا أتاهم لهب تلك النار ضوضوا ورفعوا أصواتهم تألماً من شدة حرها ودليله الحديث السابق، وفيه.. فانطلقنا فأتينا على مثل التنور، قال وأحسب أنه كان يقول: فإذا فيه لغط وأصوات، قال فاطلعتنا فيه فإذا فيه رجال ونساء عراة، وإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا قال: قلت لهما: ماهؤلاء (٣)؟ قال، قالوا لي انطلق انطلق.. الحديث (٤).

ز- السباحة في نهر من الدم، وكلما أراد العاصي الخروج منه، رمي بحجر في فيه، فرده حيث كان، يدل عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث السابق:.. قال، فانطلقنا فأتينا على نهر، حسبت أنه كان يقول أحمر مثل الدم، وإذا في النهر رجل سابع، يسبح وإذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة، وإذا ذلك السابع يسبح ما يسبح، ثم يأتي ذلك الذي قد جمع عنده الحجارة فيفغر له فاه فيلقمه حجراً، فينطلق يسبح ثم يرجع إليه، كلما رجع إليه فغر له فاه فألقمه حجراً قال قلت لهما: ماهذان (٥)؟ قال قالوا لي: انطلق انطلق.. الحديث (٦).

ح- ومن صور تعذيب عصاة الموحدين: تغيير خلقهم تغييراً منفراً، بحيث يكون نصفهم قبيحاً ونصفهم الآخر حسناً، يقول عليه الصلاة والسلام في حديث سمرة السابق:.. فاستفتحنا ففتح

(١) جاء في آخر الحديث قوله عليه الصلاة والسلام (... وأما الرجل الذي أتيت عليه يشرشر شدقه إلى قفاه ومنخره إلى قفاه وعينه إلى قفاه، فإنه الرجل يغدر من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق... الحديث

(٢) تكلمة حديث سمرة رضي الله عنه الذي سبق تخريجه في (ص ٢٤٢) هامش رقم (٤).

(٣) جاء في آخر الحديث (... وأما الرجال والنساء العراة الذين في مثل بناء التنور فهم الزناة والزواني... الحديث

(٤) تكلمة حديث سمرة رضي الله عنه السابق

(٥) جاء في آخر الحديث قوله صلى الله عليه وسلم (... وأما الرجل الذي أتيت يسبح في النهر ويلقم الحجر فإنه أكل الربا... الحديث

(٦) تكلمة حديث سمرة رضي الله عنه السابق.

لنا، فدخلناها ، فتلقانا فيها رجال شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راءٍ ، وشطر كأقبح ما أنت راءٍ (١) .. الحديث (٢) .

ط- تعليقه من قدميه وشق جوانب فمه حتى تسيل منه الدماء ، يدل عليه حديث رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم الذي رواه أبو أمامة الباهلي، وجاء فيه (.. ثم انطلق بي، فإذا أنا بقوم معلقين بعراقيهم، مشققة أشداقهم، تسيل أشداقهم دماً، قال: قلت: من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يفطرون قبل تحله صومهم) (٣) (٤) .

المسألة الثالثة

ترهيب المؤمن العاصي بما سيصير إليه في أرض المحشر

في أرض المحشر ينال العاصي أيضاً عقوبات تختلف صورها وتنوع ، ومن تلك الصور التي تحاصره يوم القيامة مايلي:

أ- عند البعث والقيام من القبور

(١) يبعث الله بعض عصاة المؤمنين في صورة الذي مسه طائف من الشيطان، فهو يتخبط كالجنون ذات اليمين وذات الشمال، ولزيادة هذا التخبط يبعثون وبطونهم منتفخة كالحبالي، كلما قاموا سقطوا، والناس يمشون عليهم (٥) ، ويبعثون تتأجج أفواههم ناراً، وأهل المحشر يتأذون منهم ، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس﴾ (٦) كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿إن الذين يأكلون أموال

(١) جاء في آخر الحديث قوله عليه السلام: (..وأما القوم الذين كانوا شطر منهم حسناً وشطر قبيحاً فإنهم قوم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً تجارز الله عنهم) انتهى حديث سمرة رضي الله عنه .

(٢) تكملة حديث سمرة السابق

(٣) قبل تحلة صومهم : أي يفطرون قبل وقت الإفطار (الترغيب والترهيب ١٠٩/٢)

(٤) حديث صحيح، رواه ابن خزيمة، وابن حبان في صحيحيهما واللفظ من صحيح ابن خزيمة، حديث ١٩٨٦ (٢٣٧/٣) وقال محقق الكتاب: إسناده صحيح، وانظر: الاحسان في تقريب صحيح ابن حبان، حديث ٧٤٩١ (١٦/١٦-٥٣٧-٥٣٧).

(٥) انظر : تفسير القرطبي (٣٥٤/٣) بتصرف

(٦) سورة البقرة : جز من الآية ٢٧٥

اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيراً^(١)، وهذه الصورة علامة للمؤمن المرابي عند جميع أهل المحشر، فهو كما ارتضى لنفسه أكل الربا في الدنيا، فإن ذلك أرباه في بطنه فثقل، وأكله بضمه فاشتعل في بطنه ناراً .

(٢) ومن عصاة المؤمنين من يخرج من قبره حاملاً على رقبته ما أخذ وغلّ من أموال الناس ، يحمل ثقلاً يؤدي به إلى السقوط ، فيقوم ويحاول الإسراع ليلحق بركب الناس المسرعين إلى أرض المحشر، وفي هذا يقول تعالى: ﴿ وما كان لني أن يغل ، ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ﴾^(٣) .

كما يوضح ذلك ويفسره الحديث الذي رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: (قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره، ثم قال: لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء يقول: يارسول الله أغثنى، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك . لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحة فيقول: يارسول الله أغثنى، فأقول: لا أملك لك شيئاً...) الحديث (٣) .

ب- عقوبة المؤمن العاصي عند القدوم إلى أرض المحشر

يساق زمرة من الموحدين إلى أرض المحشر من جهة الشمال، أي جهة النار^(٤)، كما دل عليه حديث الإمام البخاري عنه عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (.. وإنه سيحاء برجال من أمي، فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يارب أصيحابي، فيقول: إنك لاتدري ماأحدثوا بعدك ، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وكنت عليهم

(١) سورة النساء : الآية ١٠

(٢) سورة آل عمران : جزء من الآية ١٦١

(٣) ورواه الإمام مسلم في صحيحه، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الجهاد، باب الغلول...، حديث ٣٠٧٣ (١٨٥/٦)، كتاب الإمارة ، باب غلظ تحريم الغلول الحديث رقم ١٨٣١، (١٤٦١/٣) واللفظ له.

(٤) انظر فتح الباري (٣٨٥/١١)

شهاداً مادمت فيهم - إلى قوله - الحكيم ﴿١﴾ قال، فيقال : إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم﴾ (٢)

ج- تجسيم المعصية الدنيوية وتحويلها إلى عقوبة حقيقية

فتحول المعصية إلى صورة مادية قبيحة يراها أهل المحشر وتستمر معه حتى ينزل الرحمن الرحيم لفصل القضاء وذلك في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، ومن أمثلة ذلك :-

١- المؤمن البخيل المانع حق الله، يطوق عليه بخله في صورة حية تطوقه وتحيط به، كما قال سبحانه: ﴿ولا يحسبن الذين يدخلون بما آتاهم الله من فضله هو خير لهم ، بل هو شر لهم ، سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ، والله ميراث السماوات والأرض والله بما تعملون خبير﴾ (٣) ويوضح الكيفية لهذا التطويق الحديث الذي رواه الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته، مثلاً له يوم القيامة شجاعاً) (٤) أقرع (٥) له زبيتان (٦) يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمتيه (٧) "يعني شدقيه" ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك.. الحديث (٨) .

٢- المؤمن الذي لا يؤدي زكاة ماله تمثل له يوم القيامة في صورتها إن كانت ذهباً أو فضة، تصهر وتصبح في صورة صفائح نار، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، ويكرر عليه العذاب حتى يقضي الله بين العباد ، ودليله ما رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة

(١) سورة المائدة : الآية ١١٧-١١٨

(٢) صحيح الإمام البخاري مع الفتح، كتاب الرقاق، باب المحشر، رقم الحديث ٦٥٢٦ (١١/٣٧٧)، وبنحوه أخرجه الترمذي في صحيحه ، باب شأن المحشر ، رقم الحديث ١٩٧٥ ، تحقيق الألباني (٢/٢٩١) واللفظ للبخاري

(٣) سورة آل عمران : الآية ١٨٠

(٤) شجاعاً : المراد بالشجاع ذكر الحية

(٥) أقرع : الأقرع الذي تفرع رأسه لكثرة سمه

(٦) زبيتان : أي نابان يجرحان من فيه

(٧) لهزمتيه : وهما لحم الخدين الذي يتحرك إذا أكل الإنسان (انظر هذه المعاني في فتح الباري ٣/٢٧٠)

(٨) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، رقم الحديث ١٤٠٣ (٣/٢٦٨)

رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (مامن صاحب ذهب ولافضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمى عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت له، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار ..) الحديث^(١) .

وإن كانت إبلاً أو غنماً أو بقراً، تأتي إليه بثقلها، فتطؤه بأخفافها، وتعضه بأفواهها وتنطحه بقرونها، وتستمر على ذلك حتى يقضى الله بين العباد، ودليله من الحديث السابق: (.. ولاصاحب إبل لا يؤدي منها حقها ومن حقها حلبها يوم وردها، إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر^(٢) أوفر ما كانت، لا يفقد منها فصيلاً^(٣) واحداً، تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها كلما مر عليه أولها رد عليه آخرها، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار. قيل: يارسول الله، فالبقر والغنم، قال: ولاصاحب بقر ولاغنم لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيئاً، ليس فيها عقصاء ولاجلحاء ولاعضباء^(٤)) تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها كلما مر عليه أولها رد عليه آخرها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار ..) الحديث^(٥) .

٣- والعاصي الذي غل أموال المسلمين يأتي بما غل يوم القيامة محمولة على رقبته، كما جاء ذلك في الحديث الذي رواه الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قام فينا النبي صلى الله عليه وسلم فذكر الغلول، فعظمه وعظم أمره، ثم قال: (لا ألفين أحدكم يوم القيامة على رقبته فرس له حممة يقول: يارسول الله أغثنني،

(١) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، رقم الحديث ٩٨٧ (٦٨٠/٢)

(٢) قرقر: أي المستوي من الأرض الواسعة

(٣) الفصيل: ولد الناقة إذا فصل عن أمه (انظر هذا المعنى في صحيح الإمام مسلم (٦٨٠/٢)

(٤) العقصاء: ملتوية القرنين، والجلحاء: التي لاقرن لها، والعضباء: التي انكسر قرنها (انظر صحيح مسلم (٦٨١/٢)

(٥) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، رقم الحديث ٩٨٧، (٦٨٠/٢)، (٦٨١)

فأقول: لأملك لك شيئاً، قد أبلغتك ..) الحديث^(١) وذكر في الحديث البعير والذهب والفضة والأقمشة .

٤- المؤمن المتكبر المنتفخ بغروره في الدنيا، يحشر يوم القيامة في صورة صغيرة جداً تشبه الذرة كما جاء في حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان ..) الحديث^(٢) .

٥- المؤمنون المصورون يطلب إحياء ماصوروه في الدنيا ، يدل عليه الحديث الذي رواه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم، أحيوا ما خلقتكم)^(٣) .

٦- المؤمنة النائحة التي تشق ثيابها وتلطم خدها أثناء النوح، تعذب يوم القيامة بلبس القطران ، ويسلط على جلدها داء الجرب . يدل على ذلك ما رواه الإمام مسلم عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (.. النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب)^(٤)

٧- والمؤمن الذي يسأل الناس الحاجة وهو قادر غير محتاج يأتي يوم القيامة ووجهه منزوع من اللحم كما ورد في الحديث الذي رواه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: (ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم)^(٥) .

د- الحالة النفسية

المؤمن العاصي في أرض المحشر يشعر بالحسرة والندامة وذلك في الحالات التالية :-

(١) صحيح البخاري مع الفتح، وسبق تخريجه (ص ٢٤٦) (٣٠)

(٢) صحيح سنن الترمذي ، أبواب صفة القيامة ، باب ١٥ ، الحديث ٢٠٢٥ (٣٠٤/٢)، ووافقه الارناؤوط محقق جامع الأصول (١٠/٦١٦)

(٣) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب اللباس، باب عذاب المصورين يوم القيامة الحديث رقم ٤٩٥١، (١٠/٣٨٣)

(٤) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب التشديد في النياحة ، رقم الحديث ٩٣٤، (٢/٦٤٤)

(٥) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الزكاة، باب من سأل الناس تكثراً، حديث ١٤٧٤ (٣/٣٣٨)

١- حين يرى ويشاهد سخط الله عليه وغضبه وإهماله له ، وذلك حين لا يكلمه سبحانه ولا ينظر إليه ولا يزيه، كما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكهم ولهم عذاب أليم ، قال: فقراها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرار قال أبوذر : خابوا وخسروا، من هم يارسول الله؟ قال المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب)^(١). وله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر"^(٢).

ومن المعاصي التي تحرم المؤمن عناية الله يوم القيامة العاق لوالديه ، والمرأة المتشبهة بالرجال ، والديوث^(٣).

٢- وحين يتبرأ منه نبي الرحمة وصاحب الشفاعة العظمى صلى الله عليه وسلم، كما جاء ذلك في أحاديث صحيحة، حيث يقول صلى الله عليه وسلم: (.. لا ألفين أحدكم يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة ، يقول: يارسول الله أغثنني، فأقول: لأملك لك شيئاً قد أبلغتك ..)^(٤).

٣- ويشعر بالحسرة والندم حين يرى ماله الذي اكتنزه ولم يؤد حق الله فيه يكلمه ويتهكم عليه، كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري، وجاء فيه (.. أنا مالك ، أنا كنزك ..) الحديث^(٥)، يقول الإمام ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعليقاً على ذلك:

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار....، رقم الحديث ١٠٦، (١٠٢/١)

(٢) صحيح مسلم المصدر السابق، رقم الحديث ١٠٧، (١٠٢/٢، ١٠٣)

(٣) هذه المعاصي ذكرت في حديث صحيح رواه الإمام أحمد (١٣٤/٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٣٠٦٦).

(٤) رواه الإمام البخاري ومسلم، وسبق تخريجه (ص ٢٤٥) هامش رقم (٣) في هذا المطلب

(٥) سبق تخريجه ، انظر (٢٤٦) (هامش رقم ٨) في هذا المطلب

"وفائدة هذا القول -أنا مالك ،أنا كنتك- الحسرة والزيادة في التعذيب حيث لاينفعه الندم وفيه نوع من التهكم"^(١) .

٤- ليس هذا فحسب، بل إن الذل يحاط بهم من كل جانب كما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان ..^(٢)، وفي هذا حسرة وأي حسرة ؟

هـ- المؤمن العاصي ومناقشة الحساب:

المؤمن يُسأل ويُحاسب يوم القيامة على نوعين من الحقوق ، حقوق خاصة بالله تعالى وحقوق خاصة بالعباد

١- حقوق الله تعالى ، وأول ما يحاسب عليه المؤمن من هذه الحقوق: الصلاة، يدل على ذلك الحديث الذي رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صلحت، فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت، فقد خاب وخسر ..)^(٣) .

ومما يدل على ذلك أيضاً عند فضيحة الله سبحانه للعاصي واتهامه بالكذب والتقصير في حقوقه تعالى، وذلك على رؤوس الأشهاد والخلائق ، فقد روى الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه ، رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمه فعرفها. قال فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمه

(١) فتح الباري (٣/٢٧٠)

(٢) سبق تخريجه ، انظر (ص ٢٤٨) هامش رقم (٢) من هذا المطلب

(٣) صحيح سنن الترمذي، أبواب الطهارة، باب ماجاء أن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، حديث ٣٣٧ (١/١٣٠) وبنحوه في

صحيح سنن النسائي، كتاب الصلاة، باب المحاسبة على الصلاة، حديث ٤٥١ (١/١٠١)

فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال هو قارىء، فقد قيل، ثم أمر به، فسحب على وجهه، حتى ألقي في النار، ورجل وسع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال كله، فأنتي به، فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار^(١).

٢- حقوق العباد: وأول ما يجاسب عليه المؤمن من هذه الحقوق: الدماء، يدل على ذلك ما رواه الإمام البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أول ما يقضى بين الناس في الدماء)^(٢).

وهناك حقوق أخرى يجاسب عليها الجبار سبحانه المؤمن الذي ارتكب معصية في حق أخيه المؤمن، ويقتص له منه، يدل عليه حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من ضرب ضرباً ظلماً اقتص منه يوم القيامة)^(٣).

وفي ذلك اليوم لا يقتصر الأمر بحاسبة الجبار سبحانه الناس، بل قد يجاسب العبيد بعضهم بعضاً، ويتعلق العبد بصاحبه يحمله تبعات ضلاله، كما ذكر هذا أبو هريرة رضي الله عنه حيث قال: "كنا نسمع أن الرجل يتعلق بالرجل يوم القيامة وهو لا يعرفه، فيقول له: مالك إلي!! وما بيني وبينك معرفة؟ فيقول: كنت تراني على الخطأ وعلى المنكر ولاتنهاني"^(٤).

لكن كيف يقتص الله سبحانه وتعالى من عصاة المؤمنين وهم في الحشر؟ حفاة، عراة، غرلاً، بهماً، لا يملكون ديناراً ولا درهماً!؟ .

(١) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمة استحق النار، رقم الحديث ١٩٠٥، (١٥١٣/٣)، (١٥١٤)

(٢) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الرقاق، باب القصاص يوم القيامة، الحديث ٦٥٣٣، (٣٩٥/١١)

(٣) حديث صحيح رواه البخاري في الأدب المفرد حديث ١٨٦ (ص ٨٧) وانظر: فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد، حديث ١٨٦

(٢٨٧/١) فضل الله الجليلاني، المطبعة السلفية-القاهرة، ط. الثانية، ١٣٨٨هـ، ورواه البزار، حديث ٣٤٥ (١٦٤/٤)، وأورده

المهيتمي في المجمع (٣٥٣/١٠) وحسن إسناده

(٤) جامع الأصول، رقم ٧٩٦١ (٤٣٢/١٠).

أجاب على ذلك صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه عبد الله بن أنيس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (يحشر الناس يوم القيامة - أوقال العباد - عراة، غرلاً^(١)) بهما ، قال: قلنا وما بهما؟ قال: ليس معهم شيء، ثم يناديهم بصوت يسمعه من قُرب، أنا الملك أنا الديان، لا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقصه منه، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد من أهل النار عنده حق حتى أقصه منه، حتى اللطمة، قال: قلنا: كيف؟ وإنا إنما نأتي الله عز وجل عراة، غرلاً، بهما؟ قال: بالحسنات والسيئات^(٢).

ويؤكد هذه الكيفية أيضاً الحديث الذي رواه الإمام البخاري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم ، قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه)^(٣).

وهذا هو المفلس الذي بينه صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أتدرون ما المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لادرهم له ولامتاع، فقال: إن المفلس من أمي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا ، فيعطي هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرح عليه، ثم طرح في النار)^(٤).

و- شهادة الأعضاء

يجادل عصاة المؤمنين ربهم يوم القيامة، ويحاولون التفلت من حساب الجبار سبحانه، ويطلبون شاهداً عليهم من أنفسهم، فيعطيهم سبحانه: ما أرادوا ، وهنا تحصل المفاجأة ، أن

(١) غرلاً : الغرله هي القلفة التي تقطع من جلدة الذكر وهو موضع الختان (جامع الأصول لابن الأثير ٤٢٦/١٠)

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (٤٩٥/٣) وقال الميمني في المجمع (٣٥١/١٠) حديث إسناده حسن

(٣) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب المظالم ، باب من كانت له مظلمة عند الرجل ، رقم الحديث ٢٤٤٩ (١٠١/٥)

(٤) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الظلم، رقم الحديث ٢٥٨١ (١٩٩٧/٤)

جوارحهم تشهد عليهم وتنطق بعملهم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ، يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ﴿١﴾ .

مما يدل على ذلك أيضاً ما رواه أبو أيوب رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أول من يختصم يوم القيامة الرجل وامرأته، والله ما يتكلم لسانها ولكن يداها ورجلاها يشهدان عليها بما كانت تغيب لزوجها. وتشهد يداها ورجلاه بما كان يوليها ..) (٢) حينئذ يغضب العاصي ويقول لأعضائه: "بعداً لكن وسحقاً لكن فعنكن كنت ادافع"، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك، فقال: هل تدرون مما أضحك؟ قال: قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: من مخاطبة العبد ربه، يقول: يارب ألم تجرني من الظلم؟ قال، فيقول: بلى، قال: يقول: فيأني لأجيز على نفسي إلا شاهداً مني، قال، فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً، وبالكرام الكاتبين شهوداً، قال، فيختصم على فيه، فيقال لأركانها (٣) : انطقي قال: فتنتطق بأعماله، قال ثم يخلى بينه وبين الكلام، قال، فيقول: بعداً لكن وسحقاً فعنكن كنت أناضل (٤)

ز- نتيجة المؤمن العاصي بعد الحساب

١- الحرمان من الورود على الحوض ، كما جاء ذلك في الحديث الذي رواه الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يرد علي يوم القيامة رهط من أصحابي فيجلون) (٥) عن الحوض، فأقول: يارب، أصحابي فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك ، إنهم ارتدوا على أديبارهم القهقري) (٦) .

(١) سورة النور : الآية ٢٣-٢٤

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير ٣٩٦٩ (٤/١٧٧) وأورده الإمام الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٣٤٩) وقد شهد لرجال إسناده بالصحة

(٣) أركانه : أي جوارحه (هامش صحيح مسلم ٤/٢٢٨١)

(٤) رواه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الزهد والرقاق ، بدون باب ، رقم الحديث ٢٩٦٩ ، (٤/٢٢٨١، ٢٢٨٠)

(٥) يجلون : من الجلاء وهو النفي عن الوطن وهو راجع إلى الطرد (جامع الأصول لابن الأثير ١٠/٤٧١)

(٦) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الرقاق، باب في الحوض، رقم الحديث ٦٥٨٥ ، (١١/٤٦٤)

٢- تقليل مقدار النور الذي يضيء لهم الصراط ، فالمؤمنون بعد الحساب وقبل المرور على الصراط يعطون نوراً ليعبروا به الصراط، وهذا النور يتفاوت إضاءة حسب نتيجة عمل العاصي ، يتفاوت بين الجبل العظيم وبين إبهام القدم كل حسب ما قدم. يدل على ذلك حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء فيه : (.. ثم يقول: ارفعوا رؤوسكم، فيرفعون رؤوسهم، فيعطيهم نورهم على قدر أعمالهم، فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين يديه، ومنهم من يعطى نوره أصغر من ذلك، ومنهم من يعطى نوراً مثل النخلة يمينه، ومنهم من يعطى نوراً أصغر من ذلك، حتى يكون آخرهم رجلاً يعطى نوره على إبهام قدمه، يضيء مرة ويطفأ مرة، فإذا أضاء قدم قدمه فمشى، وإذا طفىء قام ..) الحديث(١) .

٣- الإبطاء عند المرور على الصراط ، إذا نصب الجسر -الصراط- على جهنم وسار عليه المؤمنون، فإنهم والحالة هذه يتفاوتون في سرعة المرور حسب أعمالهم، فأسرعهم مثل طرفة العين، وأبطأهم كالذي يجبو على يديه ورجليه حتى يصل نهاية الجسر، ويبقى أهل النار. يدل على ذلك الحديث الذي رواه الإمام مسلم عن حذيفة بن اليمان وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (.. فيمر أولكم كالبرق، قال: قلت: بأبي أنت وأمي! أي شيء كمر البرق؟ قال ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين؟ ثم كمر الريح، ثم كمر الطير وشد الرجل، تجري بهم أعمالهم ونببكم قائم على الصراط يقول: رب! سلم سلم، حتى تعجز أعمال العباد، حتى يجيء الرجل، فلا يستطيع السير إلا زحفاً ..) الحديث(٢) .

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير ٩٧٦٣ (٤١٦/٩-٤٢١) وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٤١/١٠) وصحح رجال إسناده ورتقهم

(٢) صحيح مسلم كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم الحديث ١٩٥، (١٨٧/١)

ح- نهاية المؤمن العاصي يوم القيامة

المؤمن العاصي المرتكب للكبائر تحت مشيئة الله تعالى يوم القيامة، إن شاء عذبه ومآله إلى النار، وإن شاء غفر له ذنوبه^(١)، فإن عذبهم فإنما يكون ذلك بإدخالهم النار، ودخولهم إليها -والله أعلم- على فترتين، كما ظهر ذلك في بعض الأحاديث الصحيحة .

١-الفترة الأولى: مع بعض الكافرين، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:(يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان تبصران، وأذنان تسمعان، ولسان ينطق، يقول: إني وكلت بثلاثة: بكل جبار عنيد، وبكل من دعا مع الله إلهاً آخر، وبالمصورين)^(٢)، وفي الرواية الأخرى توضح وجود فترة زمنية، حيث جاء فيها: (.. فتقول: إني أمرت بمن جعل مع الله إلهاً آخر، وبكل جبار عنيد، وبمن قتل نفساً بغير نفس، فينطلق بهم قبل سائر الناس بخمسمائة عام، قال سليمان: فينطوى عليهم فيقذفهم في جهنم)^(٣) .

٢-الفترة الثانية: أثناء المرور على الصراط المعلق على ظهر جهنم، وتكون النار على قدر الأعمال فمخدوش بكلايبها ولهبها، لكنه ناج برحمة الله وفضله، ومكدوس مطروح في قعرها -عافانا الله منها- إلى ماشاء خالقها تعالى، يدل على ذلك ما رواه الإمام مسلم عن حذيفة بن اليمان وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (.. وفي حافتي الصراط كلاب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به، فمخدوش ناج ومكدوس^(٤) في النار)^(٥)، فإذا دخل المؤمن العاصي، مكث فيها ماشاء الله تعالى، ثم يخرج برحمته وفضله؛ دل على ذلك رواية الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (.. وبه كلاب مثل شوك السعدان أما رأيتم شوك السعدان؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فإنها مثل شوك

(١) انظر فتاوى اللجنة العلمية للبحوث والإفتاء جمع الشيخ أحمد الدرويش جزء العقيدة (١/٥٠٣)

(٢) سبق تخريجه والحكم عليه (ص ١٦٩) هامش رقم (٤) .

(٣) سبق تخريجه والحكم عليه (ص ١٦٩) هامش رقم (٣) .

(٤) مكدوس : أي مدفوع، وتكئس الإنسان إذا دفع من ورائه فسقط (هامش صحيح مسلم (١/١٨٧)

(٥) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الأرض منزله فيها، رقم الحديث ١٩٥ (١/١٨٦، ١٨٧)

السعدان^(١) غير أنها لا يعلم قدر عظمها إلا الله تعالى، فتخطف الناس بأعمالهم، منهم الموبق^(٢) بعمله، ومنهم المخردل^(٣) ثم ينجو، حتى إذا فرغ الله من القضاء بين عباده وأراد أن يخرج من النار من أراد أن يخرج ممن كان يشهد أن لا إله إلا الله أمر الملائكة أن يخرجوهم فيعرفونهم بعلامة آثار السجود .. الحديث^(٤) .

المسألة الرابعة

ترهيب المؤمن العاصي بما سيلقاه في النار

بعض عصاة المؤمنين يعذبون في النار على بعض المعاصي، ذكرتها نصوص القرآن الكريم والسنة الصحيحة، وهذا العذاب يكون بصور وأشكال مختلفة، ومن تلك الصور:

أ- الحرمان من شرف السبق إلى دخول الجنة:

فبعض العصاة لا يدخلون الجنة مع السابقين الأوائل، ولا يتمتعون إلا بعد دخول جهنم، يدل على ذلك الحديث الذي رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (صنفان من أهل النار لم أرهما قط، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رؤسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليتوجد من مسيرة كذا وكذا)^(٥) ، يقول الإمام النووي رحمه الله تعليقا على هذا الحديث: "من اتصفت بتلك الصفات، لا تدخل الجنة أول الأمر مع الفائزين"^(٦) .

(١) السعدان : نبت ذو شوك معقف

(٢) يوبق : أوبقته الذنوب أي أهلكته

(٣) المخردل: هو الرمي المصروع، وقيل: المقطع، والمعنى: تقطعه كلاب الصراط حتى يقع في النار (جامع الأصول لابن الأثير ١٠/٤٤٥، ٤٦٦)

(٤) جزء من حديث في صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم، رقم الحديث ٦٥٧٣ (١١/٤٤٤)

(٥) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها، وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون...، الحديث ٢١٢٨ (٤/٢١٩٢-٢١٩٣)

(٦) شرح النووي على صحيح مسلم (٦/١٧/١٩١)

ومما يدل على ذلك ما رواه الإمام البخاري عن جبير بن مطعم رضي الله عنه أنه سمع الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (لا يدخل الجنة قاطع)^(١) ، ومن أدلة ذلك ما رواه الإمام مسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر)^(٢) ، ومما يدل على هذا حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ثلاثة لا يدخلون الجنة، مدمن خمر، وقاطع رحم، ومصدق بالسحر)^(٣) .

ب- تأذي أهل النار من عذاب عصاة المؤمنين :

وينال بعض عصاة المؤمنين شدة من العذاب، حتى إن أهل النار يتأذون بها، ويتأففون منها ، ومن أمثلة ذلك :

١- المنظر البشع الذي يكون عليه المؤمن العاصي، حيث يدور في أرض النار وأمعائه معه متدلّية خارج جسمه، فلا يصير أهل النار على رؤيته، فيتجمعون إليه سائلين عن الجريمة التي ارتكبتها حتى استحق ذلك المنظر، يدل على هذا ما رواه الإمام البخاري في حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتتدلق أفتابه^(٤) في النار، فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه، فيقولون: أي فلان، ماشأنك؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت أمركم بالمعروف ولاآتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه)^(٥) .

٢- ومن المناظر التي يتأذى منها أهل النار: رجل مغلق عليه تابوت من جهر، ورجل يسيل فوه قيحاً ودماً، ورجل يأكل لحمه!! ولو سألنا عن الذنوب التي ارتكبتها هؤلاء حتى استحقوا ذلك وجدناها في قوله صلى الله عليه وسلم: (أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى

(١) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الأدب، باب إثم القاطع، حديث ٥٩٨٤ (٤١٥/١٠) والمقصود في الحديث قاطع الرحم

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر، الحديث ٩١ (٩٣/١)

(٣) رواه الإمام أحمد وابن حبان والحاكم، انظر مسند أحمد (٣٩٩/٤) واللفظ له ، والإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٦٥/١٢) - (١٦٦)، والمستدرک (١٤٦/٤) و صححه ووافقه الذهبي .

(٤) الأفتاب : جمع قتب وهي الأمعاء (فتح الباري ٥٢/١٣)

(٥) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة الحديث ٣٢٦٧ (٣٣١/٦)

يسعون ما بين الحميم والجحيم، يدعون بالويل والثبور، ويقول أهل النار بعضهم لبعض: ما بال هؤلاء قد آذونا على ما بنا من الأذى؟ قال: فرجل مغلق عليه تابوت من جمر، ورجل يجر أمعاه، ورجل يسيل فوه قيحاً ودماً، ورجل يأكل لحمه، فيقال لصاحب التابوت: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ فيقول: إن الأبعد مات وفي عنقه أموال الناس، ثم يقال للذي يجر أمعاه: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ فيقول: إن الأبعد كان لا يبالي أين أصاب البول منه لا يغسله، ثم يقال للذي يسيل فوه قيحاً ودماً: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ فيقول: إن الأبعد كان ينظر إلى كلمة فيستلذها كما يستلذ الرفث، ثم يقال للذي كان يأكل لحمه: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ فيقول: إن الأبعد كان يأكل لحوم الناس^(١).

٣- خروج رائحة كريهة ننته من المؤمن العاصي تؤذي أهل النار، يدل على ذلك الحديث الذي رواه الإمام أحمد وجاء فيه (..وما نهر الغوطة؟ قال: نهر يجري من فروج المومسات، يؤذي أهل النار ريح فروجهم)^(٢).

وفي هذا الخصوص روى الإمام أحمد رحمه الله بإسناده إلى منصور بن زاذان قال: "نبئت أن بعض من يلقي في النار يتأذى أهل النار بريحه، فيقال: ويلك ما كنت تعمل؟ أما يكفيننا ما نحن فيه من الشر حتى ابتلينا بك وتتن رائحتك؟ فيقول: كنت عالماً فلم أنتفع بعلمي"^(٣).

ج- ومن صور ترهيب المؤمنين العصاة، التعذيب في بعض وديان النار، ومن أمثلة ذلك:

١- التعذيب في وادي ويل، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وويل للمطففين﴾^(٤)، ويقول سبحانه: ﴿وويل لكل همزة لمزة﴾^(٥)، كما يدل على ذلك الحديث الذي رواه الإمام الترمذي عن بهز

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٣٧٢/٧) و أبو نعيم في حلية الأولياء (١٦٧/٥-١٦٨) واللفظ منه وأورده الحافظ الهيثمي في المجمع وقال: رواه الطبراني في الكبير، ورجاله موثقون .

(٢) هو تكملة الحديث المتقدم في الصفحة السابقة (ص ٢٥٧) وسبق تخريجه في هامش رقم (٣)

(٣) التحويل من النار : (ص ١٤١)

(٤) سورة المطففين : الآية ١

(٥) سورة الممزة : الآية ١

بن حكيم عن أبيه عن جده رضي الله عنهم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك به القوم فيكذب، ويل له، ويل له) (١) .

٢- يعذبون في وادي غي ، يقول سبحانه: ﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً﴾ (٢) يقول ابن مسعود رضي الله عنه في معنى ﴿فسوف يلقون غياً﴾ يقول: واد في جهنم يقذف فيه الذين يتبعون الشهوات (٣) .

٣- التعذيب في وادي أثم، يقول سبحانه: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً﴾ (٤) ، يقول عكرمه رحمه الله في قوله تعالى: ﴿يلق أثاماً﴾ يقول: "أودية في جهنم يعذب فيها الزناة" (٥) .

إذاً ، فوادي غي وأثم يعذب فيهما من يتبعون الشهوات المحرمة كالزنى وتضييع الصلاة ووقتها، وفي هذا المعنى يقول أبو أمامة رضي الله عنه: "لو أن صخرة وزنت عشر خلفات (٦) قذف بها من شفير جهنم، ما بلغت قعرها سبعين خريفاً حتى ينتهي إلى غي وأثم، قيل: وما غي وأثم؟ قال نيران في أسفل جهنم يسيل منهما صديد أهل النار، وهما اللذان ذكرهما الله في كتابه ﴿أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً﴾ وقوله ﴿ومن يفعل ذلك يلق أثاماً﴾" (٧) .

د- أهل النار من عصاة المؤمنين:

للنار أهل من عصاة المؤمنين الذين ارتكبوا بعض المعاصي جعلت لهم ميزة وخاصية في النار ومن تلك الميزات :

(١) صحيح سنن الترمذي، أبواب الزهد، باب فيمن تكلم بالكلمة ليضحك الناس، حديث ١٨٨٥ (٢/٢٦٨) وبنحوه في صحيح سنن أبي

داود، كتاب الآداب، باب التشديد في الكذب، حديث ٤١٧٥ (٣/٩٤٢)

(٢) سورة مريم : الآية ٥٩

(٣) انظر: المعجم الكبير للطبراني، حديث ٩١٠٨ ، ٩١٠٩ (٩/٢٥٩) وأورده الحافظ المنذري في الترغيب (٤/٤٦٨) وقال: رواه بعض طرقه ثقات

(٤) سورة الفرقان : الآية ٦٨

(٥) تفسير ابن كثير (٦/١٣٦)

(٦) الخلفات: جمع خلفه وهي الناقة الحامل (الترغيب والترهيب للمنذري ٤/٤٧٢)

(٧) رواه الطبراني في المعجم الكبير ٧٧٣١ (٨/٢٠٦، ٢٠٧)، وأورده المنذري في الترغيب (٤/٤٧٢) وقال: والصحيح وقفه على أبي أمامة

١- أكثر أهل النار من عصاة المؤمنين النساء ، يدل على ذلك ما رواه الإمام البخاري عن عمران رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء)^(١) . وسبب تلك الكثرة، يوضحها الحديث الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (يامعشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار، فإني رأيتكن أكثر أهل النار، فقالت امرأة منهن جزلة^(٢) : وما لنا يارسول الله أكثر أهل النار؟ قال: تكثرن اللعن، وتكفرن العشير^(٣) ، مارأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لدي لب منكن: قالت: يارسول الله، وما ناقصات العقل والدين؟ قال: أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل، فهذا نقصان العقل، وتمكث الليالي ماتصلي وتفطر في رمضان، فهذا نقصان الدين)^(٤) .

٢- ومن صفات أهل النار الموحدين، أنهم يتصفون بصفات في الدنيا توهمهم لدخول النار في الآخرة، ومن بعض تلك الصفات: شدة الخصومة بالباطل والغلظة، المتكبر المعجب بنفسه المختال في مشيته، والمستكبر الذي يبطر الحق ويغمط الناس، والذي ينسب إلى قوم ويدعي النسب وليس كذلك، ودليل ذلك الحديث الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه عن حارثة بن وهب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (.. ألا أخيركم بأهل النار. قالوا بلى، قال: كل عتل جواظ مستكبر)^(٥) .

والمرأة تزيد على تلك الصفات بصفتين ألا وهما ، إنكار المعروف، وتكثير اللعن كما دل عليه الحديث السابق.

ه- شدة العذاب على بعض عصاة المؤمنين في النار: يلقي بعض عصاة المؤمنين أهوالاً رهيبية وشدة عظيمة، ومن تلك الأهوال والشدائد مايلي:

(١) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، حديث ٦٥٤٦ (٤١٥/١١)

(٢) جزلة : ذات عقل ورأي (انظر هامش صحيح مسلم ٨٦/١)

(٣) العشير : المراد به الزوج (المرجع السابق)

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان، حديث ١٣٢ (٨٧-٨٦/١)

(٥) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون، حديث ٢٨٥٣ (٢١٩٠/٤)

١- إحاطة العذاب عليهم من كل جانب، فتحرق كل جسده حتى تصل إلى فؤاده حذو حلقه ، ثم تعود إلى جسده، يوضح ذلك قوله تعالى: ﴿ويل لكل همزة لمزة، الذي جمع مالاً وعدده، يحسب أن ماله أخلده، كلا، لينبذن في الحطمة، وما أدراك ما الحطمة، نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة، إنها عليهم مؤصدة في عمد ممددة﴾^(١) ، يقول ابن كثير رحمه الله: الحطمة: اسم من أسماء النار، صفة لأنها تحطم من فيها، ويقول ثابت البناني رحمه الله : تحرقهم إلى الأفئدة وهم أحياء، ثم يقول: لقد بلغ منهم العذاب، ثم ييكي، وفي معنى قوله تعالى: ﴿في عمد ممدده﴾ يقول بعض المفسرين: هي الأبواب والاعمدة والسلاسل من نار وحديد تؤصد عليهم في تلك الحطمة^(٢) .

٢- كوي جباههم، وجنوبهم، وظهورهم بصفائح من ذهب وفضة محمية في نار جهنم، وفي هذا يقول سبحانه ﴿.. والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم، يوم يحمى عليها في نار جهنم، فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم، هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾^(٣) ، فالكنز المترتب عليه هذه العقوبة هو كنز المال الذي لا يؤدي منه الزكاة^(٤) ، وهذا العذاب الجسدي الرهيب يضاف إليه عذاب نفسي مؤلم، وذلك حين يقال لهم تبكيتاً وتقريراً وتوبيخاً: ﴿هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾.

٣- ومن صور ترهيبهم صب الرصاص المنصهر في آذانهم : يدل على ذلك الحديث الذي رواه الإمام البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (.. ومن استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون، أو يفرون، منه صب في أذنه الآنك يوم القيامة)^(٥) ،

(١) سورة الهمزة : الآيات ١-٩

(٢) انظر : تفسير ابن كثير (٨/٥٠١، ٥٠٢)

(٣) سورة التوبة : الآية ٣٤-٣٥

(٤) انظر : تفسير ابن كثير (٤/٨٠)

(٥) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب التعبير ، باب من كذب في حلمه، حديث ٧٠٤٢ (١٢/٤٢٧)

وقد فسر السلف الآتك بأنه الرصاص المذاب، وقيل: خالص الرصاص^(١) وقيل الرصاص الأسود^(٢).

٤- ومن صور ترهيبهم سقوطهم في النار من بُعدٍ شاق: يدل على ذلك ما رواه الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (.. إن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوى بها في جهنم)^(٣) ، ويوضح مقدار هذا السقوط قوله صلى الله عليه وسلم: (إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها، يزل بها في النار أبعد مما بين المشرقين)^(٤) وفي رواية الترمذي (إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأساً، يهوي بها سبعين خريفاً في النار)^(٥).

٥- وتظهر شدة العذاب عليهم من خلال مساكنهم في النار : فتصور العصاة في جهنم تحيط بهم أهبّة النيران من كل الجهات، فإذا أراد أحدهم الراحة والاسترخاء ، فتش عن ذلك في بيته فوجده مصنوعاً من النار، ووجد أثاثه كذلك مصنوعة من خام النار، ومما يدل على ذلك الحديث الذي رواه الإمام أحمد بإسناد صحيح عن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من كذب عليّ بني له بيت في جهنم)^(٦) ، ومما يدل على ذلك أيضاً ما رواه الإمام البخاري عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من تعمد عليّ كذباً فليتبوأ مقعده من النار)^(٧).

فمنازلهم هذه لا ظليلة ولا تغني من اللهب، فهي سجن ناري يحاصرهم ويزيد في عذابهم، وفي هذا الصدد يقول صلى الله عليه وسلم: (يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور

(١) فتح الباري (٤٢٩/١٢)

(٢) جامع الأصول (٧٢٠/١١)

(٣) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان...، حديث ٦٤٧٨ (٣٠٨/١١)

(٤) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان...، حديث ٦٤٧٧ (٣٠٨/١١)

(٥) صحيح سنن الترمذي ، باب ما جاء في من تكلم بالكلمة ليضحك الناس، حديث ١٨٨٤ (٢٦٨/٢)

(٦) فتح الباري (٢٠١/١)

(٧) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم، حديث ١٠٨ (٢٠١/١)

الرجال يغشاهم الذل من كل مكان يساقون إلى سجن في جهنم يسمى بولس، تعلوهم نار الأنيار يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال^(١) .

٦- وتظهر هذه الشدة أيضاً من خلال مايشربون : فشراب بعض عصاة المؤمنين في النار طينة الخبال، أو من نهر يقال له الغوطة، يدل على ذلك الحديث السابق (..يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال) ، يقول الإمام ابن الأثير الجزري عن معنى طينة الخبال: "جاء تفسيرها في بعض الحديث ، قيل يارسول الله وماطينة الخبال؟ قال: هي صديد أهل النار"^(٢) .

وأما شرابهم الذي من نهر الغوطة، فقد جاء ذكره في حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن خمر، وقاطع رحم، ومصدق بالسحر، ومن مات مدمن للخمر سقاه الله جل وعلا من نهر الغوطة: قيل وما نهر الغوطة؟ قال: نهر يجري من فروج المومسات^(٣) ، يؤذي أهل النار ريح فروجهم"^(٤) .

تمه

لاحظنا شدة العذاب الذي يلقيه المؤمن العاصي في النار، ومع هذا، فإن هذا العذاب غير أبدي، بمعنى أنه يستمر ماشاء الله له، ثم بفضل رحمة أرحم الرحمين، يخرجهم تعالى من دار الهوان، يخرج سبحانه حتى من وجد في قلبه مثقال ذرة من إيمان، فقد أخرج الإمام البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار. ثم يقول الله تعالى: أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان..)^(٥) وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه البخاري عن عمران بن حصين رضي الله

(١) سبق تخريجه والحكم عليه (ص ٢٥٧) هامش رقم (٣) من هذا المطلب

(٢) جامع الأصول لابن الأثير (١٠/٦١٦)

(٣) المومسات : هن الزانيات (الترغيب والترهيب للمنذري (٤/٤٧٩)

(٤) المرجع السابق، وقال: رواه أحمد وابن حبان في صحيحه، والحاكم وقال: صحيح الإسناد

(٥) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الإيمان ، باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال ، حديث ٢٢ (١/٧٢)

عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال: (يخرج قوم من النار بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم فيدخلون الجنة، يسمون الجهنميين)^(١) .

إذاً فخلود عصاة المؤمنين في النار غير وارد، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، بخلاف ما قالت به بعض الطوائف كالخوارج والمعتزلة. نعم، هم ليسوا كاملين في الطاعة والإيمان والدين ، بل لهم حسنات وسيئات يستحقون عليها الثواب والعقاب^(٢) .

وهذا القول قد يتصادم-عند البعض- مع ما جاء في بعض الأحاديث الصحيحة والتي جاء فيها-لا يدخل الجنة..-، ومن تلك الأحاديث^(٣) على سبيل المثال (لا يدخل الجنة قاطع) وقوله صلى الله عليه وسلم (ثلاثة لا يدخلون الجنة : مدمن خمر..) وقوله عليه السلام : (... لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها..) ، فكيف نزيل هذا الإشكال؟

للإجابة على هذا نقول: إن معنى قوله صلى الله عليه وسلم: (لا يدخل الجنة..) متضمن لكونه ليس من أهلها ولا مستحق لها لكونه ارتكب تلك المعاصي الكبيرة ، لكن إذا تاب أو كانت له حسنات ماحية لذنبه، أو ابتلاه الله بمصائب كفر بها خطاياها، ونحو ذلك، وهذا يعني زوال ثمرة المعاصي المانعة له من الجنة فيدخلها. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، أن يدخلها بفضل رحمة الله وعفوه عن تلك المعاصي والكبائر. إذاً المؤمن العاصي لا يدخل الجنة ومعه شيء من تلك المعاصي.

هذه واحدة ، والأخرى ، أن المنفي هو الدخول المطلق الذي لا يكون معه عذاب، لا الدخول المقيد الذي يحصل لمن دخل النار ثم دخل الجنة، فإنه إذا أطلق في الحديث: فلان في الجنة وفلان في النار، أو فلان من أهل الجنة، كان المفهوم أنه يدخل الجنة ولا يدخل النار.

فإذا تبين هذا كان معناه أن من ارتكب معصية أو كبيرة من الكبائر ليس هو من أهل الجنة، ولا يدخلها بلا عذاب، بل هو مستحق للعذاب بسبب المعصية أو الكبيرة المرتكبة، وبذا نخلص أن

(١) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، حديث ٦٥٦٦ (٤١٨/١١)

(٢) انظر : أحكام عصاة المؤمنين ، لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٦١) جمع مروان كحلج، دار الكلمة الطيبة، ط. الأولى ١٤٠٥هـ.

(٣) سبق تفريغ هذه الأحاديث (ص ٢٦٥ ، ٢٥٧) في هذا المطلب .

الله تعالى يعذب عصاة المؤمنين في النار ماشاء سبحانه لكن، لا يخلد في النار أحد من أهل التوحيد^(١) ، يقول جل علاه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(٢) .

(١) انظر : أحكام عصاة المؤمنين (ص ٦٠)

(٢) سورة النساء : جزء من الآية ٤٨

الفصل الرابع

تأثير التهيب

محتويات الفصل الرابع

تمهيد

المبحث الأول : تأثير التهيب في نشر الإسلام

المبحث الثاني : تأثير التهيب في زيادة إيمان المؤمنين

المبحث الثالث : تأثير التهيب في دفع خصوم الدعوة

الفصل الرابع تأثير التهيب

تمهيد

إن إحياء معاني التهيب الدنيوية والأخروية وإستحضارها، والعمل على تثبيتها في النفوس بكل الوسائل القولية منها والعملية، أمر يقتضيه الإسلام، لتأثيره المفيد في محاربة النزعات الكافرة بكل صورها وأشكالها، للعودة بهم إلى المنابع الصافية، وإزالة الشرائع الباطلة، حتى يعبد الله وحده لا شريك له.

كما أظهر التهيب آثاره الفعلية في الأمة المؤمنة، لأنه عمل على تربية معاني التقوى . والإحساس الدائم برقابة الله عز وجل، وفي ذلك تحريك للضمائر وإيقاظ لها، مما يكون له أكبر حافز على الخير، وأقوى عامل على مكارم الأخلاق ، والإبتعاد عن الشهوات المحرمة. ثم إن الإسلام في حاجة ماسة إلى هذا التهيب، ليكون بمثابة قوة تدافع به عن الحق، وتقف في وجه الظلمة والطواغيت والطغاة، قوة تحافظ على أمن الإسلام وسلامة المسلمين، وتكفل الحرية لجميع الناس.

وأسلوب التهيب بفضل الله سعى لتحقيق ذلك كله، فساعد على نشر الإسلام وإنتشاره، وقام بتطهير المجتمع المسلم وتنظيفه، وعمل على دفع العدوان ورفع الحواجز وإزالة العوائق التي يقيمها الخصوم أعداء الدعوة . وستبث هذا كله بإذنه تعالى في الصفحات التالية، ويكون تحت المباحث التالية:-

المبحث الأول : تأثير التهيب في نشر الإسلام

المبحث الثاني : تأثير التهيب في زيادة إيمان المؤمنين

المبحث الثالث : تأثير التهيب في دفع خصوم الدعوة

المبحث الأول

تأثير الترهيب في نشر الإسلام

المبحث الأول

تأثير الترهيب في نشر الإسلام

بفضل الله تعالى أسهم الترهيب بنوعيه القولي والعملية إسهماً عظيماً وقوياً في نشر الإسلام على مستوى الأفراد والجماعات، فالترهيب القولي لأصحاب النفوس التي فيها استقامة، البعيدة عن أمراض الهوى والشهوات والكبر والغفلة، النفوس المستعدة لالتقاط الخير. أما النفوس الوعرة، أصحاب القلوب القاسية والعواطف المتبلورة بأمراض الهوى والكبر والغفلة والشك، فإنهم يحتاجون إلى لون وأسلوب معين لجذبهم إلى الإسلام، لون يحمل بين طياته مفهوم القوة يناسب الحالة التي هم عليها، ولا يكون ذلك إلا بالترهيب العملي، وفي هذا الصدد يقول ابن القيم رحمه الله: "وبعته بالكتاب الهادي والسيف الناصر بين يدي الساعة حتى يعبد سبحانه وحده لا شريك له، وجعل رزقه تحت ظل سيفه ورمحه، ثم يقول: فإن الله سبحانه أقام دين الإسلام بالحجة والبرهان، والسيف والسنان، فكلاهما في نصره أخوان شقيقان" (١) ويقول رحمه الله في موضع آخر: "وقد أمر الله بمجادلة الكفار بعد دعوتهم إقامة للحجة وإزاحة للعدر ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ (٢) والسيف إنما جاء منفذاً للحجة، مقوماً للمعاند، وحداً للجاحد، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ، وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ، إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٣)، فدين الإسلام قام بالكتاب الهادي ونفذه السيف الماضي

يقيم ظباه أخدعي كل مائل (٤)

فما هو إلا الوحي أو حد مرهف

وهذا دواء الداء من كل جاهل (٥)

فهذا شفاء الداء من كل عاقل

(١) الفروسية لابن القيم (ص ٤) ط. دار التراث العربي

(٢) سورة الأنفال : جزء من الآية ٤٢

(٣) سورة الحديد : الآية ٢٥

(٤) ظباه: ظبة السيف حده -أخدعي:الأخدعان مثني أخدع وهما عرقان في صفحة العنق مخفيان(هامش هداية الحيارى لابن القيم ص ٢٢)

(٥) هداية الحيارى لابن القيم (ص ٢٢) مراجعة: سيف الدين الكاتب، ط. مكتبة الحياة، بيروت-لبنان

ويعلق الحافظ ابن كثير على الآية السابقة بقوله: "وجعلنا الحديد رادعاً لمن أبى الحق وعانده بعد قيام الحججة عليه، ولهذا أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة توحى إليه السور المكية وكلها جدال مع المشركين، وبيان وإيضاح للتوحيد، وتبيان ودلائل، فلما قامت الحججة على من خالف، شرع الله الهجرة، وأمرهم بالقتال بالسيف وضرب الرقاب والهام لمن خالف القرآن وكذب به وعانده"^(١).

من هنا تظهر أهمية التهيب في نشر الإسلام، ويزداد هذا الظهور بصورة فعلية من خلال بيان دور كل من التهيب القولي والعملية في نشر الإسلام بين الأفراد وإنتشاره بين الجماعات.

أولاً: تأثير التهيب القولي في نشر الإسلام

من الحقائق التي لا مجال للشك فيها أن التهيب القولي كان برحمة الله وفضله مفتاحاً لهداية أفراد للإسلام، وباباً واسعاً لنشر الإسلام بينهم ويتضح ذلك من الأمثلة التالية:

(١) قصة إسلام رجل من بني محارب واسمه "غورث بن الحارث"^(٢). وكان قد تعهد لقومه بقتل النبي صلى الله عليه وسلم غيلة^(٣)، قال ابن هشام: "فأخذ السيف غورث فاستله ثم جعل يهزه ويهم فيكبته الله ثم قال: يا محمد أما تخافني؟ قال: لا، وما أخاف منك، قال: أما تخافني وفي يدي السيف؟ قال: لا، يعني الله منك، ثم عمد إلى سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فرده عليه"^(٤)، وهذه القصة التي رواها ابن هشام في سيرته صحيحة وثابتة وقد ذكرها البخاري ومسلم على نحو قريب.

فقد روى الإمام البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد، فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم قفل معه، فأدركتهم

(١) تفسير ابن كثير (٥٣/٨)

(٢) أورده الإمام البخاري اسم الرجل في صحيحه، انظر صحيح البخاري مع الفتح (٤٢٦/٧)

(٣) حصلت هذه الحادثة في غزوة ذات الرقاع في جمادى الأولى من السنة الرابعة للهجرة (سيرة النبي صلى الله عليه وسلم لابن هشام

(٢١٤/٣)

(٤) المرجع السابق (٢١٦/٣، ٢١٧)

القائلة في وادٍ كثير العضاة^(١) فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتفرق الناس في العضاة يستظلون بالشجر، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت سمرة^(٢) فعلق بها سيفه، قال جابر: فمنا نومة، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوننا فجتناه، فإذا عنده أعرابي جالس، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن هذا احتزط^(٣) سيفي وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يده صلتا^(٤)) ، فقال لي: من يمنعك مني؟ قلت: الله، فهاهو ذا جالس، ثم لم يعاقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٥) وقد عقب الحافظ ابن حجر على هذه القصة بقوله: "ذكر الواقدي في نحو هذه القصة أنه أسلم وأنه رجع إلى قومه فاهتدى به خلق كثير، ووقع في رواية ابن إسحاق التي أشرت إليها، ثم أسلم بعد"^(٦) .

الشاهد: قلنا سابقاً: إن أعلى درجات الترهيب في الدعوة هو الترهيب بالله تعالى وبأسمائه وصفاته^(٧) وكما هو واضح من هذه القصة، فإنه عليه السلام استعمل هذه الدرجة كما جاءت في رواية البخاري حين قال الأعرابي: [من يمنعك مني؟] فأجابه عليه السلام مرهيباً بقوله: [الله]، وفي رواية ابن هشام أجابه عليه السلام بقوله: [يمنعني الله منك]، هذه الدرجة من الترهيب كان لها وقع وتأثير شديد في نفس المشرك بدليل أن هذه الكلمة -الله- كانت كافية بأن تملأ قلب المشرك بالرعب، وأن تسلط عليه تياراً من الخوف، حتى إنه عمد إلى السيف وأعطاه للرسول عليه السلام، ثم جلس متأدباً بين يدي الرسول عليه السلام، وهنا كان من السهل الطبيعي أن يعمد صلى الله عليه وسلم إلى السيف وأن يضرب عنق هذا المشرك، أو حتى على أقل الاحتمال أن يأمر أصحابه بذلك، لكنه عليه السلام لم يلجأ إلى ذلك كما تدل عليه أحداث القصة، حيث جاء في رواية البخاري: [ثم لم يعاقبه رسول الله

(١) العضاة : كل شجر له شوك ، جامع الأصول لابن الأثير (٢٨٤/٨)

(٢) سمرة : أي شجرة كثيرة الورق (فتح الباري ٤٢٧/٧)

(٣) احتزط : احتزط السيف أي سله من غمده ، جامع الأصول (٢٨٤/٨)

(٤) صلتاً : أي مجرداً عن غمده (انظر : فتح الباري ٤٢٦/٧)

(٥) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب غزوة ذات الرقاع، الحديث ٤١٣٥ (٤٢٦/٧)

(٦) فتح الباري (٤٢٨/٧)

(٧) انظر : (ص ٢٨) من هذه الرسالة

صلى الله عليه وسلم] بل إنه عليه السلام اكتفى بالترهيب القولي ودرجة التعريف، وفي هذا تأييد لما ذكرناه سابقاً^(١) من أن الترهيب القولي يحمل نوعاً من المرونة واللين كما وأنه في الوقت نفسه يمكن أن يشتمل على القوة والشدة، وذلك حسبما تقتضيه الحال والظروف، والرسول عليه السلام راعى هنا مصلحة هامة، ألا وهي استتلاف هذا المشرك للدخول في الإسلام، من أجل هذا لم يتخذ عليه السلام أي وسيلة من وسائل الترهيب العملي، وكان في الترهيب القولي كفاية ناجحة وتأثير عظيم جداً، حيث أسلم ذلك المشرك وحسن إسلامه بدليل إهتداء خلق كثير به، كما جاء ذلك في تعقيب الحافظ ابن حجر رحمه الله.

(٢) ومن الأمثلة التي تدل على تأثير الترهيب في نشر الإسلام بين الأفراد: قصة إسلام عمير بن وهب الجمحي، والذي تعهد لصفوان بن أمية بقتل النبي صلى الله عليه وسلم ولكن الله حال بينه وبين تلك المؤامرة الخبيثة حين أوحى الله سبحانه أمرها لنبيه الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم، وفعلاً كان هذا الإعلام من الله سبحانه وتعالى وسيلة قوية في يد النبي صلى الله عليه وسلم أسهمت في ترهيب صاحب تلك المؤامرة، وإدخال خوف الله تعالى في نفسه، وبفضل الله كان ذلك الخوف داعياً قوياً أدى إلى إسلام الصحابي المشهور عمير بن وهب الجمحي رضي الله عنه، والقصة كما رواها ابن إسحاق: أن اتفاقاً حصل بين صفوان بن أمية وبين عمير - بعد مصاب بدر - على الانتقام من الرسول صلى الله عليه وسلم بقتله، على أن يقوم عمير بتنفيذ ذلك، فلما قدم إلى المدينة ودخل على الرسول صلى الله عليه وسلم، سأله عليه السلام "فما جاء بك يا عمير؟ قال: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه، قال - عليه السلام - : فما بال سيف في عنقك؟، قال: قبحها الله من سيوف، وهل أغنت عنا شيئاً؟ قال: اصدقني ما الذي جئت له، قال: ماجئت إلا لذلك، قال: بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر، فذكرتما أصحاب القليب من قريش، ثم قلت: لولا دين علي و عيال عندي، لخرجت حتى أقتل محمداً - صلى الله عليه وسلم - فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك على أن تقتلني له، والله حائل بينك وبين ذلك، قال عمير: أشهد أنك رسول الله، قد كنا يارسول الله

(١) انظر: (ص ٦٠، ٦١) من هذه الرسالة

نكذبك بما كنت تأتينا به من خير السماء، وما ينتزل عليك من الوحي، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان، فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله، فالحمد لله الذي هداني للإسلام وساقني هذا المساق، ثم شهد شهادة الحق" (١) .

الشاهد: كما هو واضح من الرواية أنه عليه السلام رهب عمير بن وهب بالله تعالى الذي يعلم السر وما يخفى، وذلك حين واجهه صلى الله عليه وسلم بما دار بينه وبين صفوان في مكة ، وحين قال عليه السلام: (والله حائل بينك وبين ذلك) -وكما قلنا سابقاً- هذا الترهيب هو أعلى درجات الترهيب، وفعلاً حصل التأثير، وكان بحمد الله سبباً في إسلام عمير بن وهب رضي الله عنه، كما وضحتها آخر الرواية.

(٣) ومن هذه الأمثلة أيضاً قصة إسلام أبي سفيان بن حرب، عندما قدم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم قبل غزوة الفتح طالباً الأمان لنفسه، وفعلاً تمكن من ذلك الأمان بعد مقابلة النبي عليه السلام في مقر قيادة الجيش، ومنحه الرسول صلى الله عليه وسلم أماناً خاصاً لوساطة صديقه العباس بن عبد المطلب، وحينذاك طلب الرسول عليه السلام التحفظ على أبي سفيان على أن يحضره إليه في اليوم التالي، فقال عليه السلام للعباس رضي الله عنه: "أذهب به ياعباس إلى رحلك، فإذا أصبحت فأتني به. قال: فذهبت به إلى رحلي، فبات عندي، فلما أصبح، غدوت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ويحك يا أبا سفيان! ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله) قال: بأبي أنت وأمي ، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك !! والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إلهاً غيره لقد أغنى عني شيئاً بعد، قال: (ويحك يا أبا سفيان! ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله) قال: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، أما هذه، والله فإن في النفس منها حتى الآن شيئاً ، فقال له العباس: ويحك أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن تضرب عنقك، قال: فشهد شهادة الحق، فأسلم" (٢) .

(١) سيرة النبي صلى الله عليه وسلم لابن هشام (٢/٣٠٨)

(٢) المرجع السابق (٤/٢٢)

الملاحظ هنا أن أبا سفيان أسلم نتيجة للترهيب القوي، ومع أن الوقت كان وقت حرب، وهذا يعني وجود ترهيب عملي، إلا أن أبا سفيان لم يتعرض بعد للترهيب العملي، لأنه جاء إلى المسلمين مستأمنًا، والمستأمن في العرف الفقهي هو القادم بنفسه يطلب الأمان في بلاد المسلمين ريثما يأخذ علماء عنهم وعن الإسلام، وقد يسلم وقد لا يسلم، وما على المسلمين إلا حسن استقباله والمحافظة عليه، ثم إبلاغه بأمنه عندما يريد ذلك^(١)، بصريح قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ...﴾^(٢)، وأبو سفيان منح ذلك الأمان، فهو في سعة من أمره، لكنه لما تعرض للترهيب القوي من الرسول صلى الله عليه وسلم ومن صديقه العباس أسلم كما وضحتها الرواية السابقة.

والملاحظ أيضاً أن الرسول صلى الله عليه وسلم استعمل مع أبي سفيان درجة الترهيب مع التعنيف، ويظهر ذلك من خلال المناقشات والمحادثات التي تمت في تلك المقابلة، حيث قال عليه السلام: [ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله]، وقوله [ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله]، وهذه أيضاً درجة من درجات الترهيب القوي تحرك عوامل الخوف في نفس المخاطب^(٣).

ومما يدل على أهمية الترهيب وتأثيره في نشر الإسلام، أنه صلى الله عليه وسلم أمر العباس رضي الله عنه أن يقف بأبي سفيان - بعد إسلامه - عند مضيق الوادي الذي ستمر فيه جنود الله تعالى حتى يبصر بعينه كيف أصبحت قوة الإسلام، ليكون هذا ترهيباً مثبتاً لدينه ومؤكداً لعقيدته.

ويسطر ابن إسحاق هذا الدليل بقوله: "فلما ذهب لينصرف، قال عليه السلام: يا عباس احبسّه بمضيق الوادي عند خطم الجبل حتى تمر به جنود الله فيراها، قال: فخرجت حتى حبسته بمضيق الوادي، حيث أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أحبسّه، قال: ومرت القبائل على راياتها، كلما مرت قبيلة قال: يا عباس، من هذه؟ فأقول: سليم، فيقول مالي ولسليم؟، ثم

(١) انظر: فقه السيرة للبوطي (ص ٤٢٨)، الناشر دار الفكر، الطبعة الثامنة ١٤٠٠ هـ.

(٢) سورة التوبة: جزء من الآية ٦.

(٣) انظر: هذه الدرجة في المبحث الأول من الفصل الثاني (ص ٦٢) من هذه الرسالة.

تمر القبيلة فيقول: يا عباس من هؤلاء، فأقول: مزينة، فيقول: مالي ولمزينة؟ حتى نفذت القبائل، ماتم به قبيلة إلا يسألني عنها، فإذا أخبرته بهم، قال: مالي ولبني فلان^(١)، وفعلاً حصل ما رغبه النبي عليه الصلاة والسلام بدليل أن ابا سفيان عاد إلى قومه صارخاً بأعلى صوته: "يامعشر قريش، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به....، فقامت إليه هند بنت عتبة فأخذت بشاربه فقالت: اقتلوا هذا الحميت الدسم الأحمس، قبح من طليعة قوم^(٢)، قال: ويلكم لا تغرنكم هذه من أنفسكم، فإنه قد جاءكم ما لا قبل لكم به"^(٣).

ثانياً- تأثير الترهيب العملي في نشر الإسلام

من الحقائق المعلومة في الدين، والمتعلقة بدعوة الكفار لنشر الإسلام في صفوفهم هي مجادلتهم وتهديدهم بالقول بعد دعوتهم وإقامة الحجة عليهم، فإن استجابوا فالحمد لله، وإلا فإنه لامناص من اللجوء إلى وسائل الترهيب العملي، يدل على ذلك حديث بريدة رضي الله عنه الذي أخرجه مسلم في صحيحه، حيث جاء في هذا الحديث قوله عليه السلام: (...وإذا لقيت عدوك من المشركين، فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال، فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم. ثم ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم إنهم إن فعلوا ذلك فلهم مال المهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها، فأخبرهم إنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمة والفياء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك، فاقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا، فاستعن بالله وقاتلهم..)(^(٤) الحديث.

(١) سيرة النبي صلى الله عليه وسلم لابن هشام (٢٣/٤، ٢٢/٤)

(٢) الحميت الدسم الأحمس: أي كثير السمن واللحم. طليعة قوم: الذي يتقدمهم ويحرسهم، (انظر هامش السيرة النبوية لابن هشام ٢٤/٤)

(٣) المرجع السابق (٢٤/٤، ٢٣/٤)

(٤) صحيح مسلم (١٣٥٧/٣)، سبق تخريجه في المبحث الثاني من الفصل الثاني (ص ١٢٨) من هذه الرسالة.

إذاً فالحديث قرر مبدأً عظيماً من مبادئ الدعوة، وهي إما إسلام وعيش كريم، وإما كفر وترهيب رهيب، وبما أن الوسط الذي يُطلب فيه نشر الإسلام وسط كافر، فإن الوسيلة العملية المطلوبة هي وسيلة الجهاد، كما قرر العلماء ذلك وأثبتناه سابقاً في موضعه^(١).

هذا "وقد ظهر من غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم أن الكفار لا يسلمون بمجرد الدعوة والبلاغ، وإنما يحملهم غالباً الخوف من المسلمين"^(٢)، ومن قوتهم المادية والمتحققة عن طريق الوسيلة الجهادية، وسوف نتعرض بإذن الله إلى بعض الأمثلة التي تظهر أهمية هذه الوسيلة في انتشار الإسلام على المستوى الفردي والجماعي، ومن هذه الأمثلة:

١- إسلام رجلين من اليهود في غزوة بني النضير^(٣)، وأحداث هذه القصة مذكورة في سورة الحشر كما قال ابن إسحاق: "ونزل في بني النضير سورة الحشر بأسرها"^(٤).

وجاء في ذلك قوله تعالى: ﴿هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ماظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب﴾^(٥)، فهؤلاء اليهود لما ابتدأوا الغدر بالنبي عليه السلام عند محاولة قتله وهو آمن في ديارهم، متناسين العهد الذي بينهم وبين المسلمين^(٦)، اضطر عليه السلام عند ذلك إلى استخدام أسلوب الترهيب العملي مع هذه الفئة الغادرة، وفعلاً استعد صلى الله عليه وسلم لجهادهم، فدب الرعب والخوف في نفوسهم، مما جعلهم يتحصنون بالحصون القوية كما دلت عليه الآية الكريمة: ﴿وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم﴾^(٧) و﴿وقذف في قلوبهم الرعب﴾ وكان لذلك الترهيب بفضل الله آثار مهمة، أحدها خروج بني النضير بالجلاء والثاني -وهو الأهم- إسلام رجلين منهم هما: يامين وأبو سعد بن وهب،

(١) انظر: المبحث الثاني من الفصل الثاني (ص ١٢٠) من هذه الرسالة.

(٢) أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية، د./ علي العلياني (ص ٦٢٨)

(٣) غزوة بني النضير في السنة الرابعة من الهجرة، انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٣/١٩١)، والسيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية،

د./ مهدي رزق الله (ص ٤٢١) الناشر مركز الملك فيصل، ط. الأول، ١٤١٢هـ.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام (٣/١٩٤)، وتفسير ابن كثير (٨/٨٤)

(٥) سورة الحشر: جزء من الآية ٢

(٦) انظر تفصيلات ذلك في السيرة النبوية لابن هشام (٣/١٩١)، غزوة الأحزاب لمحمد باشميل (ص ٥٢-٥٧) دار الفكر، ط. الخامسة ١٣٩٧هـ.

وفي هذا يقول ابن إسحاق: "ولم يسلم من بني النضير الا رجلا: يامين بن عمير بن كعب بن عمرو بن جحاش، وأبو سعد بن وهب، أسلما على أموالهما فأحرزاهما" (١) .

٢- قصة إسلام هند بنت عتبة بعد غزوة فتح مكة (٢) ، وذلك لما لم يستجب كفار قريش لداعي الحق خلال فترة تقدر بإحدى وعشرين سنة، حيث أقام عليه السلام في مكة ثلاث عشرة سنة ، لم يستجب له فيها إلا أقل من مائة، ثم هاجر إلى المدينة، ومكث حوالي ثمانية أعوام يدعوهم إلى الإسلام بوسائل مرغبة، ومرهبة تحمل الإنذار والتهديد والوعيد، فلما رفضوا الاستجابة لذلك الحق، عمد عليه السلام إلى وسيلة الجهاد، الوسيلة العملية التي جعلت كفار قريش يعيشون ساعات حرجة متعرضين لموجات طاغية متزايدة من القلق والخوف نتيجة شعورهم الباطني بأنهم سيكونون عرضة لعقاب صارم دام رهيب على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وجيشه، لما اقترفته أيديهم من إجرام في حق الرسول عليه السلام والقتلة من أصحابه خلال تلك الفترة الطويلة (٣) ، وكانت هند مع هؤلاء المشركين تعيش تلك اللحظات الرهيبة إضافة إلى تخوفها من انتقام الرسول عليه السلام منها لكونها السبب في اغتيال سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب يوم أحد، كان عامل الخوف هذا عنصراً أساسياً بعد رحمة الله تعالى في إسلامها وإسلام الغالبية العظمى من مشركي مكة كما ذكر ابن كثير في روايته عن ابن جرير رحمهما الله، حيث قال: "ثم اجتمع الناس بمكة لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام فجلس لهم - فيما بلغني - على الصفا وعمر بن الخطاب أسفل من مجلسه ، فأخذ على الناس السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا، قال: فلما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء وفيهن هند بنت عتبة متنقبة متنكرة لحدثها، لما كان من صنعها بحمزة، فهي تخاف أن يأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحدثها ذلك، فلما دنون من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبايعهن قال: (بايعني على ألا تشركن بالله شيئاً فقالت هند: والله إنك لتأخذ علينا مالا تأخذه من الرجال؟ قال: ولا تسرقن، فقالت: والله إنني كنت أصبت من مال

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام (٣/١٩٤)، وتفسير ابن كثير (٨/٨٤)

(٢) غزوة فتح مكة في رمضان سنة ثمان من الهجرة، انظر السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية (ص ٥٦١)

(٣) انظر: فتح مكة لمحمد باقميل (ص ٢١٤)، الناشر دار الفكر، ط. ثانية ١٣٩٤هـ

أبي سفيان الهنة بعد الهنة وما كنت أدري أكان ذلك علينا حلالاً أم لا؟ فقال أبو سفيان - وكان شاهداً لما تقول-: أمّا ما أصبت فيما مضى، فأنت منه في حل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وإنك لهند بنت عتبه؟، قالت: نعم، فاعف عما سلف عفا الله عنك..(١)

الشاهد: ففي هذه الرواية يتضح لنا بجلاء كيف كان الترهيب مفيداً في حق هند رضي الله عنها حيث ظهر ذلك في الطريقة التي قابلت فيها الرسول صلى الله عليه وسلم (متنقبة متنكرة) - كما جاءت في الرواية - وهذا دليل قوي على سريان مفعول ذلك الترهيب العملي في نفسها، حتى إنها لجأت إلى التنقب والتنكر، وليس هذا فحسب، بل قدمت مع وفد النساء لإعلان إسلامها رهبة من قوة المسلمين، وقد قبل عليه السلام إسلامها بدليل ماجاء في نهاية الرواية، حيث قال صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه: "بايعهن واستغفر لهن إن الله غفور رحيم، فبايعهن عمر رضي الله عنه..."(٢)

٣- ومن ذلك أيضاً: قصة إسلام عكرمة بن أبي جهل بعد غزوة فتح مكة، فكان عكرمة رضي الله عنه يوم الفتح من القادة الذين أهدر الرسول صلى الله عليه وسلم دماءهم، وقال: (اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة)(٣)، ولما استولى الجيش الإسلامي على مكة خاف عكرمة من القتل، وفر هارباً يريد اليمن، فلما ركب السفينة أصابهم قاصف، فقال لهم ربانها - وكان مسلماً-: أخلصوا لله، فإن أهلكم لاتغني عنكم شيئاً. وبينما هو هكذا، إذا بامراته الوفية أم حكيم بنت الحارث تناديه وتخبره بأخذها الأمان له من عند أبر الناس عليه السلام، فوقف لها مصدقاً، وأقبل يعلن إسلامه بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم.

ويحدثنا أهل السير عن إسلام عكرمة رضي الله عنه، فيقول ابن إسحاق: "فأما عكرمة، فهرب إلى اليمن وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام، فاستأمنت له من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنه، فخرجت في طلبه إلى اليمن حتى أتت به رسول الله صلى الله

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٣١٩/٤) الناشر مكتبة المعارف بيروت ومكتبة النصر بالرياض، ط. أولى ١٩٦٦م

(٢) المرجع السابق

(٣) انظر السيرة النبوية لابن هشام (٢٨/٤)، والبداية والنهاية (٢٩٨/٤)

عليه وسلم، فأسلم" (١) . وذكر ابن كثير هذه الرواية : "وأما عكرمة فركب البحر، فأصابتهم قاصف، فقال أهل السفينة لأهل السفينة: أخلصوا، فإن آهتكم لاتغني عنكم شيئاً هاهنا، فقال عكرمة: والله لئن لم ينج في البحر إلا الإخلاص، فإنه لاينجي في البر غيره، اللهم إن لك علي عهداً إن أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتي محمداً حتى أضع يدي في يده، فلأجدنه عفواً كريماً، فجاء فأسلم" (٢) .

ومن هاتين الروايتين يتبين لنا أن عكرمة رضي الله عنه أسلم نتيجة لتعرضه لنوعي التهيب ، التهيب العملي: في مكة لما شاهد الجيش الإسلامي حاملاً السيوف، وفي السفينة لما شاهد جنود الله الكونية تقصف بها، والتهيب القولي: لما استغل ذلك الربان الداعية المسلم الموقف لصالح الإسلام قائلاً: [أخلصوا ، فإن آهتكم لاتغني عنكم] . وفعلاً وقع التأثير عليه، وكانت نفسه كجهاز استقبال لذلك التهيب القولي لم يلبث أن قال "اللهم إن لك عهداً إن أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتي محمداً حتى أضع يدي في يده"، وهكذا نرى أثر التهيب بنوعيه في نفس عكرمة وكانت النتيجة دخوله في الإسلام رضي الله عنه .

٤ - ومن الأمثلة على تأثير أسلوب التهيب العملي في نشر الإسلام: قدوم الوفود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قادمين رسلاً عن أقوامهم لإعلان الإسلام، أو طلباً للأمان، وكان ذلك في سنة تسع للهجرة ، وكانت تلك السنة تسمى سنة الوفود (٣) .

والسؤال المتبادر إلى الذهن: مامعنى قدوم معظم تلك الوفود في هذه السنة بالذات؟ إجابة على ذلك نقول: إن هذا العام بالذات يعد عام تكامل الإسلام في الجزيرة العربية، حيث قامت فيها أحداث خطيرة متلاحقة، منها فتح مكة، وانتصار المسلمين على هوازن أقوى قوة وثنية في جزيرة العرب، وانتصار المسلمين في غزوة تبوك، حيث أرهبت جيوش الإسلام البيزنطيين أعظم امبراطورية في ذلك الحين، إضافة إلى قيام الجيش الإسلامي بعملية تطهير في الأطراف الشمالية بالقرب من الشام في معركة (دومة الجندل وأذرح وجرباء) وفي الأطراف الجنوبية

(١) سيرة النبي صلى الله عليه وسلم لابن هشام (٣٠/٤)

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (٢٩٨/٤)

(٣) انظر السيرة النبوية لابن هشام (٢٢١/٤)

بالقرب من (نجران ومذحج باليمن)، هذه الأحداث جعلت الإسلام هو المسيطر بلا منازع على كل أقطار الجزيرة العربية، كما جعلت المسلمين هم أصحاب الكلمة العليا، وما ذلك إلا بفضل الله سبحانه، ثم بفضل أسلوب التهيب ووسيلته العملية-الجهاد- والتي جعلت الكفار يرهبون هذه القوة، ويعيدون النظر في كيفية التعامل معهم، فقاموا بمعادلة دقيقة توصلوا بعدها إلى أنه لافائدة من إبداء أية مقاومة ضد تيار الإسلام الجارف، فقررروا عن خوف و رهبة أن يعثوا بوفودهم إلى المدينة للدخول في الإسلام، فكان ذلك نصراً عزيزاً من الله ، سجله في القرآن في سورة النصر^(١) ، وقد سجل ابن إسحاق هذه الحقيقة بقوله : "لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وفرغ من تبوك، وأسلمت ثقيف وبايعت، ضربت إليه وفود العرب من كل وجه - ثم قال- وإنما كانت العرب تربص بالإسلام أمر هذا الحي من قريش، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك أن قريشاً كانوا إمام الناس وهاديهم وأهل البيت الحرام وصريح ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وقادة العرب لا ينكرون ذلك، وكانت قريش هي التي نصبت لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافه، فلما افتتحت مكة ودانت له قريش ودوخها الإسلام، عرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاعداوته، فدخلوا في دين الله، كما قال الله عز وجل أفواجاً يضربون إليه من كل وجه، يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ، وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً ، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ، إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً﴾^(٢) ، أي فاحمد الله على ما أظهر من دينك واستغفره إنه كان تواباً^(٣) .

(٥) ذكر أئمة المغازي أخبار وفود كثيرة بلغ مجموعهم مايزيد على الستين وفداً، لكن الشامي في سيرته سردهم، فزادوا على المائة^(٤) ومؤكد أن هذه الكثرة تدل على مدى أهمية الجهاد كوسيلة لنشر الإسلام.

(١) انظر: غزوة تبوك، محمد بن أحمد باشميل (ص٢٥٨، ٢٥٩)، الناشر دار الفكر، ط. الأولى ١٣٩٧هـ.

(٢) سورة النصر : الآية ١-٣

(٣) سيرة النبي صلى الله عليه وسلم لابن هشام (٢٢٢، ٢٢١/٤)

(٤) انظر السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية للدكتور مهدي رزق الله (ص ٦٣٩)

هذا ولسوف نكتفي بذكر خبر إسلام وفد ثقيف كمثال لتلك الوفود الكثيرة الأخرى، ونرى كيف عمل الترهيب على انتشار الإسلام بينهم، فقد ذكر ابن إسحاق رحمه الله خبر إسلام وفد ثقيف ونقتطف منه الآتي :

قال ابن إسحاق رحمه الله: "...ثم إنهم اتتمروا بينهم ، ورأوا أنه لاطاقة لهم بحرب من حولهم من العرب وقد بايعوا وأسلموا.. فأجمعوا أن يبعثوا عبد ياليل بن عمرو ومعه رجلين من الأحلاف وثلاثة من بني مالك فيكونوا ستة... فلما دنوا من المدينة ونزلوا قناة، ألفوا بها المغيرة بن شعبة يرعى في نوبته ركاب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رأهم ترك الركاب عند الثقفيين وضرب يشند^(١) ليشتر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدمهم.. ثم خرج المغيرة إلى أصحابه، فروح الظهر معهم، وعلمهم كيف يحيون رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يفعلوا إلا بتحية الجاهلية، ولما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ضرب عليهم قبة في ناحية مسجده، كما يزعمون، فكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذي يمشي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانوا لا يطعمون طعاما يأتيهم من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يأكل منه خالد، حتى أسلموا وفرغوا من كتابهم.

وقد كان فيما سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدع لهم الطاغية وهي اللات لا يهدمها... فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فيهدماها"^(٢) .

فلما أسلموا وكتب عليه الصلاة والسلام كتاب إسلامهم، عادوا إلى قومهم، ويحدثنا الإمام الواقدي عن هذا الوفد بعد قدومه من المدينة والكيفية التي رغبوا فيها قومهم إلى الإسلام، فقال: "...وأتى رجالاً منهم جماعة من ثقيف فسألوهم^(٣) : ماذا رجعتم به؟ وقد كان الوفد استأذنوا النبي صلى الله عليه وسلم أن ينالوا منه، فرخص لهم -عليه السلام- فقالوا:

(١) ضرب يشند : أي وثب ، هامش السيرة النبوية لابن هشام(١٩٦/٤)

(٢) أورد القصة بتمامها ابن هشام في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم (١٩٥/٤، ١٩٧)، والقصة هنا مختصرة

(٣) أي سألوا الوفد القادم من المدينة

جئناكم من عند رجل فظ غليظ، يأخذ من أمره ماشاء، قد ظهر بالسيف، وأداخ العرب^(١) ودان له الناس، ورُعبت منه بنو الأصفر في حصونهم، والناس فيه إما راغب في دينه، وإما خائف من السيف، فعرض علينا أموراً شديدة أعظمتهاها، فتركناها عليه، حرم علينا الزنى والخمر والربا، وأن نهدم الربة^(٢)، فقالت ثقيف: لانفعل هذا أبداً، فقال الوفد: لعمري قد كرهنا هذا وأعظمتناه، ورأينا أنه لم ينصفنا، فأصلحوا سلاحكم، ورُموا حصنكم، وانصبوا المنجنيق عليه، وأدخلوا طعام سنة أو سنتين في حصنكم... وعاجلوا ذلك، فإن امرأة قد ظل لانأمنه، فمكثوا بذلك يوماً أو يومين يريدون القتال، ثم أدخل الله تبارك وتعالى في قلوبهم الرعب، فقالوا: مالنا به طاقة وقد داخ العرب كلها، فارجعوا إليه فأعطوه ماسأل وصالحوه واكتبوا بينكم وبينه كتباً قبل أن يسير إلينا ويبعث الجيوش.

فلما رأى الوفد أن قد سلموا بالقضية، ورُعبوا من النبي عليه السلام، ورغبوا في الإسلام، واختاروا الأمن على الخوف، قال الوفد: فإننا قد قاضيناه، وأعطانا ما أحببناه، ووجدناه أتقى الناس وأبر الناس، وأوصل الناس، وأوفى الناس، وأصدق الناس، وأرحم الناس صلى الله عليه وسلم^(٣). وكما هو واضح من هذه الروايات أن انتشار الإسلام في قبيلة ثقيف كان بسبب وقوعهم تحت ضغوط نوعي الترهيب العملي و القولي.

فالترهيب العملي: ظهر من خلال الوسيلة الجهادية التي استعملها عليه السلام، والتي دوخت العرب، وأدخلت الرعب في قلوبهم، فأصبح المسلمون قوة تُرهب، ويعمل لها ألف حساب، فكان هذا الترهيب -بفضل الله- دافعاً قوياً لإرسال الوفد للوقوف بين يدي النبي الكريم عليه السلام لإعلان الإسلام وقد ظهر ذلك من رواية ابن إسحاق وقد جاء فيها [ثم إنهم ائتمروا بينهم ورأوا أنه لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب وقد بايعوا وأسلموا...]، فدل ذلك على أن الخوف من الحرب هي الدافع لإجماعهم على إرسال الوفد. أما الترهيب القولي: فيظهر من رواية الواقدي، حين رهب الوفد القبيلة بشخصية النبي

(١) أداخ العرب: أي أدلم، انظر: القاموس المحيط (ص ٣٢٠).

(٢) الربة: المقصود بها اللات وهي صنم أهل الطائف

(٣) مغازي الواقدي (٩٦٩/٣) تحقيق د. مارسون جونسن، عالم الكتب. بيروت

الكريم وإدعائهم بوصمه عليه السلام بالغلظة والقسوة في إستخدام السيف [رجل فظ غليظ.. ظهر بالسيف.. رعبت منه بنو الأصفر] هذه الكلمات أدخلت الرعب في نفوسهم، واستسلموا لذلك الترهيب، ورعبوا من النبي صلى الله عليه وسلم، ورغبوا في الإسلام، واختاروا الأمن على الخوف.

الإشكال القائم حول أسلوب الترهيب وأثره في إنتشار الإسلام

هناك إشكال قائم حول هذا الأسلوب، صادر من بعض المخلصين وغيرهم، بقصد وبدون قصد، فهم يقولون: إن قيام هذه الوسيلة معناه فرض العقيدة الإسلامية بالقوة، وهذا ينافي قول الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾^(١) إذا فالإسلام لم ينتشر بالسيف^(٢)، وقد يقولون: ماقيمة إسلام قائم على الترهيب والتهديد ؟ ، والإجابة هنا تستلزم شقين.

الشق الأول : قولهم: إن الإسلام لم ينتشر بالسيف.

ونحن نقول :- الإسلام انتشر بالسيف والسنان لمن عاند وجحد واستكبر، وبالحنة والبرهان لمن سمع وعقل وتدبر، وقد أثبتنا ذلك بأدلته في بداية هذا البحث^(٣) .

- أما الآية التي استشهدوا بها على عدم الإكراه، فلا حجة لهم فيها، لأنها خاصة بأهل الكتاب، والمجوس فهم لا يكرهون على اعتناق الإسلام مطلقا إذا خضعوا لأحكام الإسلام العامة، ودفعوا الجزية عن يد وهم صاغرون، وإلا فالسيف هو الحد الفاصل بينهم وبين المسلمين كما جاء في قوله تعالى: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله، ولا يدينون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾^(٤) أما بقية الكفار، فإنهم يكرهون على دخول الإسلام بالسيف، بدليل قوله تعالى: ﴿تقاتلونهم أو يسلمون﴾^(٥)، وقوله سبحانه: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾^(٦)

(١) سورة البقرة : جزء من الآية ٢٥٦

(٢) ومن قال بهذا: توماس آرنولد في كتابه الدعوة إلى الإسلام (ص ٢٧-٣٠) وغوستاف لوبون في كتابه حضارة العرب (ص ١٤٥) والدكتور محمد نعيم يس في كتابه افتراءات حول غايات الجهاد (ص ٣٣) والدكتور عماد الدين خليل في كتابه حول انتشار الإسلام (ص ٥٥) مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود ، ط. عام ١٤٠٥ هـ، والدكتور عبد الكريم زيدان في اصول الدعوة (ص ٢٦٥)

(٣) انظر: (ص ٢٧٠، ٢٧١) من هذه الرسالة

(٤) سورة التوبة : الآية ٢٩

(٥) سورة الفتح : جزء من الآية ١٦

(٦) سورة البقرة : جزء من الآية ١٩٣

والسبب في ذلك أن أهل الكتاب ليسوا كغيرهم من المشركين، فهم أقرب إلى الإسلام، لأن معهم من التوحيد والإيمان بالمعاد والجزاء والنبوات ما ليس مع كفار المشركين، ثم إن بقاءهم تحت الحكم الإسلامي أقل خطراً من المشركين، لأنهم يجرمون الفواحش كالزنى واللواط والسرقة ونحو ذلك، ولذلك يكون بقاؤهم بالجزية فيه مصلحة لهم بتوقع إسلامهم، ومصلحة للمسلمين للاستفادة من جزيتهم، مع انتفاء انتشار الفساد الذي يحدث من كفار المشركين، لذا لا يصح أن نساوي في الترهيب بين عبدة الأوثان وأهل الكتاب (١) .

- ومعلوم أن أمة الإسلام هي خير أمة أخرجت للناس، وهذه الخيرية إنما جاءت من الحرص على هداية الناس إلى الإسلام، ولو باللجوء إلى عامل القوة، كما جاء ذلك في حديث صحيح رواه الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (٢) قال: خير الناس للناس، تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام (٣) .

- لا بد من السيف لنشر الإسلام وإنتشاره، ليكون المسلمون في مركز القوة، لأن الناس غالباً يعجبون بالقوي وسلوكه وعاداته ومنهجه، وعادة يرغبون في تقليد من يرونه قوياً والتشبه به في أفكاره وعاداته حتى ينقادوا له في دينه أيضاً (٤) .

ويقول ابن خلدون في هذا الصدد: "المغلوب مولع أبداً بالاقتراء بالغالِب في شعاره وزيه ونخلته وسائر أحواله وعوائده، والسبب في ذلك أن النفس أبداً تعتقد الكمال فيمن غلبها، وانقادت له" (٥) ، وهذه الغلبة والقوة لن تتحقق بمجرد الكلمات، بل لا بد من قوة عملية تحقق ذلك، وهذه القوة تتمثل في السيف.

(١) انظر: أهمية الجهاد للدكتور علي العلياني (ص ١٨٩)

(٢) سورة آل عمران : جزء من الآية ١١٠

(٣) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب التفسير، باب ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، جزء من حديث ٤٥٥٧ (٢٢٤/٨)

(٤) من محاضرة للشيخ فضل الهي في مادة تاريخ الدعوة

(٥) مقدمة ابن خلدون، لعبد الرحمن محمد بن خلدون (ص ١١٦) دار العودة، بيروت، ١٩٨١م

الشق الثاني : يقولون: ماقيمة إسلام قائم على الترهيب والتهديد؟؟

ونحن نقول : إن المطلوب من الكافر أولاً النطق بالشهادة وليس المطلوب منا إجباره على إستقرار الإيمان كاملاً في فؤاده في اللحظة التي يراد منه فيها الدخول في الإسلام، إنما المطلوب منه أن يسلم كيانه ولسانه لدين الله تعالى، ويخضع لتوحيد الله ويدعن لنبوة رسوله صلى الله عليه وسلم وكل ما جاء من عند الله تبارك وتعالى ثم الإيمان يربو بعد ذلك في قلبه مع إستمرار تمسكه بالإسلام وخضوعه له، ولذلك يقول تعالى: ﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم﴾^(١) وهذا القول -ماقيمة إسلام قائم على الترهيب- نظير قولنا ماقيمة إسلام الكفار في أثناء المعركة، فكما لايجوز للمسلم أن يحمل اسلام أحد من الكفار في أثناء المعركة على الخوف من السلاح أو الرغبة في الغنيمة، مهما كانت القرائن دالة على ذلك، فإنه أيضاً لايجوز القول: ماقيمة إسلام قائم على الترهيب؟.

وفي ذلك يقول الله تعالى تعليقاً على مايدر من بعض الصحابة في إحدى السرايا التي أرسلها رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قتل شخصاً أعلن إسلامه ظناً منه أنه إنما أعلن ذلك مخافة السلاح- فيقول سبحانه: ﴿يأأيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا، ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً، تبتغون عرض الحياة الدنيا، فعند الله مغانم كثيرة ، كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم ، فتبينوا إن الله كان بما تعملون خبيراً﴾^(٢) فهنا يذكرهم سبحانه بحالهم يوم أن دخلوا الإسلام جديداً، فقد كان كثير منهم إذ ذاك مثل هذا الذي أسلم تحت تأثير الترهيب والخوف، ثم بعد ذلك من الله عليهم فحسن إسلامهم^(٣) ، وقد ساق الإمام البخاري في صحيحه عن المقداد بن عمرو الكندي رضي الله عنه مايدل على ذلك ، يقول المقداد رضي الله عنه: (وكان ممن شهد بدرًا مع النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: يارسول الله إن لقيت كافرًا فاقتلنا، فضرب يدي بالسيف فقطعها ثم لاذ بشجرة وقال: أسلمت لله، آقتله

(١) سورة الحجرات : جزء من الآية ١٤

(٢) سورة النساء : الآية ٩٤

(٣) انظر فقه السيرة للبروطي (ص ٣٧١) الناشر دار الفكر

بعد أن قالها؟، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تقتله، قال: يارسول الله فإنه طرح إحدى يدي ثم، قال ذلك بعدما قطعها، آقتله؟، قال: لا، فإن قتله فإنه بمنزلك قبل أن تقتله، وأنت بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال (١) (٢) .

إذا فالمطلوب من الكفار أولاً إصلاح ما هو مكشوف وظاهر ولو كان تحت صورة التهديد والتخويف، ثم بعد ذلك "إذا دخلوا الإسلام وطبقت عليهم أحكامه العادلة، فمنهم من يزداد يقيناً وتصديقاً ويحسن إسلامه، ومنهم من يبقى على شكه وذبدبته حتى يهلكه الله" (٣) ، وهذا يدل على قيمة الترهيب والتهديد عند دعوة المعاندين إلى الإسلام.

- إن الواقع المشاهد للترهيب يدل على قيمة الإسلام القائم على التهديد، فلو رجعنا إلى سيرة بعض من أسلموا تحت تأثير الترهيب والتهديد يرى كيف عملت الأحكام الإسلامية الواضحة السهلة العادلة في تصفية نفوسهم حتى أصبحوا في طليعة المتحمسين للدعوة، وحتى نستوثق أكثر من ذلك، نعود إلى قصة أولئك الذين ذكرناهم في الصفحات السابقة، والذين حملهم الخوف والتهديد من المسلمين على الإسلام.

أ- فمثلاً ، أبو سفيان أسلم لما هدده العباس بن عبد المطلب ، فأسلم رضي الله عنه، وحسن إسلامه، بدليل أن الرسول عليه السلام أرسله إلى الطائف لتكسير صنمها اللات كما وضحناه في قصة إسلام قبيلة ثقيف وفي هذا الصدد أيضاً يقول ابن إسحاق : "فلما فرغوا من أمرهم -يعني وفد بني ثقيف- وتوجهوا إلى بلادهم راجعين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة في هدم الطاغية" (٤) .

ب- كان يامين بن عمير أحد الرجلين الذين أسلما بعد غزوة بني النضير وأيام حصار النبي عليه السلام لهم، ومما يدل على حسن إسلامه أنه تقرب إلى الله تعالى بدم ابن عمه عمرو بن جحاش الذي أراد أن يلقي الحجر على الرسول صلى الله عليه وسلم لقتله، حيث

(١) معناه: "أن الكافر مباح الدم بحكم الدين قبل أن يسلم، فإذا أسلم صار مصان الدم كالمسلم، فإن قتله المسلم بعد ذلك، صار دمه مباحاً

بحق القصاص، كالكافر بحق الدين" (فتح الباري ١٢/١٨٩)

(٢) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الديات، باب قوله تعالى (ومن يقتل مؤمناً متعمداً) الحديث ٦٨٦٥ (١٢/١٨٧)

(٣) أهمية الجهاد في نشر الإسلام للعلياني (ص ٢٦٨)

(٤) سيرة النبي صلى الله عليه وسلم لابن هشام (٤/١٩٨)

جعل خمسة أوسق من تمر لرجل من قيس إن هو قتل عمرو بن جحاش، وفعلاً قام القيسي بقتله غيلة قبل استسلام بني النضير" (١) وفي هذا يقول ابن إسحاق: "وقد حدثني بعض آل يامين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليامين: ألم تر مالقيت من ابن عمك وماهم به من شأني. فجعل يامين بن عمير لرجل جعلاً على أن يقتل له عمرو بن جحاش فقتله فيما يزعمون" (٢).

ج- كانت هند بنت عتبة من ألد أعداء النبي صلى الله عليه وسلم في الجاهلية، ولكن ماذا حصل بعد إسلامها يوم الفتح تحت تهديد السيوف؟ يجيب على هذا الحديث الصحيح الذي رواه الإمام البخاري في صحيحه أن عائشة رضي الله عنها قالت: (جاءت هند بنت عتبة، فقالت: يارسول الله، ما كان على ظهر الأرض من أهل خباء أحب إلي أن يذلوا من أهل خبائك، ثم ما أصبح اليوم على ظهر الأرض أهل خباء أحب إلي أن يعزوا من أهل خبائك، قال: وأيضاً والذي نفسي بيده... الحديث) (٣).

فهذا الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعلم بإسلام هند تحت تأثير الخوف -عند قدومها مع وفد المبايعين متنقبة متنكرة- ومع ذلك يصدقها في قولها ويؤكد ذلك بالقسم (وأيضاً والذي نفسي بيده) وقد أورد الحافظ تعليقاً على قوله عليه السلام (وأيضاً) "أي ستريدين في المحبة كلما تمكن الإيمان من قلبك، وترجعين عن البغض المذكور حتى لا يبقى له أثر" (٤).

ويتجلى أيضاً حسن إسلامها في رواية أوردها ابن حجر حيث قال: "لما أسلمت هند، جعلت تضرب صنماً لها في بيتها بالقدم حتى فلذته، فلذة فلذه، وتقول كنا معك في غرور" (٥).

د- وعكرمة بن أبي جهل رضي الله عن عكرمة، كان ممن أسهم الترهيب في إسلامهم، ومع ذلك نراه بعد هذا الإسلام في مقدمة الذين خدموا الإسلام ونشروه في الجزيرة

(١) انظر: غزوة الأحزاب لمحمد بن أحمد باشميل (ص ٦٩)

(٢) سيرة النبي صلى الله عليه وسلم لابن هشام (١٩٤/٣) وابن كثير في تفسيره (٨٤/٨)

(٣) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب مناقب الأنصار، باب ذكر هند بنت عتبة رضي الله عنها، الحديث ٣٨٢٥ (١٤١/٧)

(٤) فتح الباري (١٤١/٧)

(٥) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٤١٠/٤) الناشر دار الكتاب العربي - بيروت

وخارجها، حيث استعمله الرسول صلى الله عليه وسلم على صدقات هوازن، وخرج إلى قتال أهل الردة، ووجهه أبو بكر إلى جيش النعمان فظهر عليهم، ثم إلى اليمن، ثم رجع فخرج إلى الجهاد العام حتى استشهد رضي الله عنه (١) .

هـ - وكذلك وفد ثقيف: أثبتنا إنهم أسلموا تحت تأثير التهيب، ولم تمض أيام قلائل على إسلامهم حتى سيطر الإيمان على قلوبهم، ومما يدل على ذلك: قدومهم إلى المدينة لإعلان إسلامهم كان في شهر رمضان، فاستوجب لهم ذلك بعد إعلان إسلامهم الصوم، فكانوا دقيقين جداً في الإفطار والسحور خوفاً من بطلان صومهم، يحدثنا ابن إسحاق عن ذلك بقولهم: "... كان بلال يأتينا حين أسلمنا وصمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بقي من رمضان بفطرتنا وسحورنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيأتينا بالسحور وأنا لنقول: إنا لنرى الفجر قد طلع، فيقول: قد تركت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتسحر، لتأخير السحور، ويأتينا بفطرتنا وإنا لنقول: ما نرى الشمس قد ذهبت كلها بعد، فيقول: ماجئكم حتى أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم يضع يده في الجفنة فيلتقم منها" (٢) .

وأيضاً مما يدل على حسن إسلام هذا الوفد إنهم كانوا دعاة خير بين أقوامهم، وبذلوا جهداً جباراً لإقناعهم بالإسلام حتى نشره بينهم (٣) .

فهل بعد ذلك كله يأتي آت، ويقول: لاقيمة لإسلام من أسلم تحت تأثير التهيب؟ أو يشكك ويقلل من أهمية التهيب في نشر الإسلام؟ نعتقد جازمين بعد كل الذي ذكر أن للتهيب جدوى في حسن إسلام من أسلم، وأن التهيب بفضل الله ساهم في نشر الإسلام.

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (٤٨٩/٢)

(٢) سيرة النبي صلى الله عليه وسلم لابن هشام (١٩٨/٤)

(٣) انظر تفصيلات ذلك في (ص ٢٨٢-٢٨٣) من هذه الرسالة .

المبحث الثاني

تأثير الترهيب

في زيادة إيمان المؤمنين

المبحث الثاني

تأثير الترهيب في زيادة إيمان المؤمنين

قلنا سابقاً^(١) إن إيمان المؤمنين معرض للنقص والضعف والزيادة، بدليل قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزادتهم إيماناً﴾^(٢) يقول الإمام ابن كثير: "هذه الآية من أكبر الدلائل على أن الإيمان يزيد وينقص"^(٣).

ولما كانت المعاصي سبباً في ذلك النقص، فإن قطع ذلك السبب وإبطاله بالتوبة من هذه المعاصي أمر واجب ليحصل العكس، وهو زيادة الإيمان، لأنه لا يبطل الشيء إلا بضده، وفي هذا الصدد يقول الشيخ محمد جمال الدين القاسمي: "لا يخفى أن وجوب التوبة على الفور أمر لا يستتاب فيه، إذ معرفة كون المعاصي مهلكات من نفس الإيمان، وهو واجب على الفور، والعلم -الترهيب- بضرر الذنوب إنما أريد ليكون باعثاً على تركها، فمن لم يتركها، فهو فاقد لهذا الجزء من الإيمان، وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)^(٤)، وذلك لكون الزنى مبعداً عن الله تعالى، موجباً للمقت كسائر المعاصي، لأنها للإيمان كالمأكولات المضرة للأبدان، فكما أنها تغير مزاج الإنسان، ولاتزال تجتمع حتى تفسده فيموت دفعة، كذلك تعمل سموم الذنوب بروح الإيمان عملاً تحق الكلمة عليه بأنه من الهالكين"^(٥).

لذا كان من الواجب حمل المؤمنين على التوبة بترك الذنوب والتخلص من المعاصي بشتى مجالات الترهيب الدنيوية والأخروية^(٦)، ويكون بتذكيرهم بما في القرآن والسنة من النصوص المخوفة، وبشحن فكرهم في عقاب الدنيا بانقطاع الطيبات والآخرة بأهوالها وشدائدتها.

(١) انظر ذلك في المبحث الثالث من الفصل الثالث (ص ٢١٥) من هذه الرسالة

(٢) سورة التوبة : جزء من الآية ١٢٤

(٣) تفسير ابن كثير (١٧٥/٤)

(٤) جزء من حديث في صحيح البخاري مع الفتح (٥٨/١٢)، وسبق تخريجه (ص ٢١٦) من هذه الرسالة .

(٥) موعظة المؤمنين للقاسمي (٣١٣/٢) مرجع سابق

(٦) انظر تفصيلات ذلك في المبحث الثالث من الفصل الثالث (ص ٢١٣-٢٦٦) من هذه الرسالة .

ولقائل أن يقول: كيف عمل هذا الترهيب في زيادة إيمان المؤمنين، وما علامة هذه الزيادة؟
نقول: إن استشعار المؤمنين لأي نوع من أنواع الترهيب -القبولي أو العملي- يولد نوعاً من
الخوف والرغبة ، وهذا هو المطلوب !! لأن انبعاث ذلك الخوف فيه إيقاظ للضمير ، وإحياء
للقلوب ، وإيحاء للتقوى.

أما علامة حصول التأثير من الترهيب، فتظهر في قلب المؤمن ولسانه وجوارحه، "فما كان
في القلب فنحو التضرع والتذلل، وأما اللسان فالاعتراف بالظلم والإستغفار، وأما الجوارح
فبالطاعات والصدقات وجميع أنواع العبادات"^(١)، وفي هذا دفع للمؤمنين لمزيد من الأعمال
الصالحات الطيبات وترك للأعمال القبيحات الخبيثات، وفي ذلك رفع للدرجات و زيادة في
الإيمان.

إذا ، فهذا الترهيب جدٌ مفيد لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، ويتجلى تأثيره
المفيد من خلال بيان دور كل من الترهيب القبولي والعملي في زيادة إيمان المؤمنين على النحو
التالي :

أولاً: دور الترهيب القبولي في زيادة إيمان المؤمنين :

أثر الترهيب القبولي في المؤمنين تأثيراً إيجابياً مفيداً، وكان ذلك بفضل الله سبباً في زيادة
إيمانهم ، وظهر ذلك التأثير في الجوارح والألسنة والقلوب .

ظهور أثر الترهيب القبولي على الجوارح :

ظهر تأثير هذا الترهيب في جوارح المؤمنين، وهذه بعض الأمثلة التي تدل على ذلك :

١- استعفاف حكيم بن حزام رضي الله عنه عن المسألة بعد سماع الترهيب من النبي صلى
الله عليه وسلم، فقد روى البخاري أن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال:(سألت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم قال :ياحكيم،
إن هذا المال حضرة حلوة، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس

(١) انظر: مختصر منهاج القاصدين للمقدسي (ص ٢٦٤) مرجع سابق

لم يبارك له فيه، كالذي يأكل ولا يشبع، اليد العليا خير من اليد السفلى، قال حكيم: فقلت يارسول الله، والذي بعثك بالحق، لأرزا أحداً بعدك شيئاً حتى أفارق الدنيا. فكان أبو بكر رضي الله عنه يدعو حكيماً إلى العطاء، فيأبى أن يقبله منه، ثم إن عمر رضي الله عنه دعاه ليعطيه فأبى أن يقبل منه شيئاً، فقال عمر: إني أشهدكم يامعشر المسلمين على حكيم أنني أعرض عليه حقه من هذا الفيء فيأبى أن يأخذه، فلم يرزأ^(١) حكيم أحداً من الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفي^(٢).

٢- ومن ذلك إحسان أبي ذر رضي الله عنه إلى غلامه نتيجة لتأثره بترهيب النبي صلى الله عليه وسلم، فقد روى الإمام أبو داود عن المعرور بن سويد، قال: (دخلنا على أبي ذر بالربذة فإذا عليه برد وعلى غلامه مثله، فقلنا: يا أباذر، لو أخذت برد غلامك إلى بردك فكانت حلة، وكسوته ثوباً غيره، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يديه، فليطعمه مما يأكل، وليكسه مما يلبس، ولا يكلفه ما يغلبه، فإن كلفه ما يغلبه فليعنه)^(٣).

وفي رواية أخرى له، أنه صلى الله عليه وسلم قال له: (ياأبا ذر، إنك امرؤ فيك جاهلية، ثم قال: إنهم إخوانكم فضلكم الله عليهم، فمن لم يلائمكم فيبعوه ولا تعذبوا خلق الله)^(٤).

الشاهد: الترهيب واضح في الرواية الثانية، حيث استعمل معه صلى الله عليه وسلم الترهيب مع التعنيف، وكان لذلك أثره في نفس أبي ذر رضي الله عنه بدليل وجود الطاعة لأمره صلى الله عليه وسلم حيث كانت كسوته وكسوة غلامه من نفس النوع- كما في الرواية الأولى-.

(١) لم يرزأ: لم يأخذ من أحد شيئاً (الترغيب والترهيب للمنذري ٥٨١/١)

(٢) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الزكاة، باب الاستغفار عن المسألة، الحديث ١٤٧٢ (٣/٣٣٥)

(٣) صحيح سنن أبي داود، محمد الألباني، كتاب الأدب، باب في حق المملوك، حديث ٤٢٩٧، (٣/٩٦٩)

(٤) المرجع السابق / الحديث ٤٢٩٦

٣- وهذا عبد الله بن عمر رضى الله عنه يتأثر بتهيب النبي صلى الله عليه وسلم إياه لإسبال إزاره، فيستجيب لذلك ويرفع إزاره، فقد روى الإمام أحمد عن ابن عمر رضى الله عنهما، قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وعلي إزار يتقعقع، فقال: من هذا؟ قلت: عبد الله بن عمر، قال: إن كنت عبد الله، فارفع إزارك، فرفعت إزاري إلى نصف الساقين، فلم تزل إزرتة حتى مات(١).

٤- ومن ذلك أيضاً استجابة والي فلسطين لتهيب هشام بن حكيم بن حزام رضى الله عنه لما ربه بعذاب الله الأخرى، فقد روى الإمام مسلم عن هشام بن حكيم رضى الله عنه قال: (مر بالشام على أناس وقد أقيموا في الشمس وصب على رؤسهم الزيت، فقال: ما هذا؟ قيل يعذبون في الخراج، فقال: أما إنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله يعذب الذين يعذبون في الدنيا)- وفي رواية أخرى- قال: وأمرهم يومئذ عمير بن سعد، على فلسطين، فدخل عليه فحدثه، فأمر بهم فخلوا(٢).

٥- ويظهر تأثير التهيب في جوارح المؤمنين بزيادة إيمانهم من موقف أبي ذر رضى الله عنه لما تصدق بماله في سبيل الله خوفاً أن يكوى بجمر يوم القيامة، فقد روى الإمام أحمد عن عبد الله بن صامت، قال: كنت مع أبي ذر رضى الله عنه، وقد خرج عطاؤه، ومعه جارية له، فجعلت تقضي حوائجه وقال: مرة نقضي، قال: ففضل معه فضل، قال: أحسبه قال سبع، قال: فأمرها أن تشتري بها فلوساً(٣)، قلت: يا أبا ذر لو أخرته للحاجة تنوبك، وللضيف يأتيك فقال: إن خليلي عهد إلي أن أيا ذهب أوفضة أو كي عليه(٤) فهو جمر على صاحبه يوم القيامة حتى يفرغه فراغاً في سبيل الله(٥).

(١) رواه الإمام أحمد في المسند رقم الحديث ٦٢٦٣ (٩٣/٩)، وحكم الشيخ أحمد شاكر على إسناده بالصحة (انظر تعليقات الشيخ على المسند ٩٣/٩)

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر، باب الوعيد الشديد لمن عذب الناس بغير حق، حديث ٢٦١٣ (٤/٢٠١٧، ٢٠١٨)

(٣) فلوساً: معناها أن تنفق مامعها فلا يبقى شيء فتفلس، أي تذهب دراهمها (هامش الترغيب والتهيب ٥٦/٢)

(٤) أو كي عليه: أي حفظ وشد عليه الكنز (المرجع السابق)

(٥) رواه الإمام أحمد في المسند (٥/١٧٥-١٧٦)، وأورده المنذري في الترغيب والتهيب (٥٦/٢) وقال رجاله رجال الصحيح

ظهور أثر الترهيب القولي في اللسان:

أثر الترهيب القولي في المؤمنين بزيادة إيمانهم، وظهور ذلك في ألسنتهم، ومن أمثلة ذلك: خوف أبي مسعود رضي الله عنه لما رهبه صلى الله عليه وسلم بالله، وسرعان ما ظهر الخوف على لسانه، كما جاء ذلك في الحديث الذي رواه الإمام مسلم عن أبي مسعود البديري رضي الله عنه، قال: كنت أضرب غلاماً لي بالسوط، فسمعت صوتاً من خلفي: اعلم أبا مسعود!! فلم أفهم الصوت من الغضب، قال: فلما دنا مني إذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاذا هو يقول: اعلم أبا مسعود! اعلم أبا مسعود! قال: فألقيت السوط من يدي، فقال: اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام، قال: فقلت لأضرب مملوكاً بعده أبدأ^(٢) وفي رواية له (فقلت يا رسول الله هو حر لوجه الله: فقال: أما لو لم تفعل للفتحتك النار أو لمستك النار)^(٣).

٢- ومن أمثلة ذلك تأثر الصديق رضي الله عنه بترهيب النبي صلى الله عليه وسلم وخوفه أن يكون ضمن الذين لا ينظر إليهم الله تعالى يوم القيامة، فظهر أثر ذلك الخوف على لسانه، كما جاء في صحيح البخاري، فقد روى الإمام البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من جرثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة، قال أبو بكر: يا رسول الله، إن أحد شقي إزارني يسترخي إلا أن أتعاهد ذلك منه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لست ممن يصنعه خيلاء)^(٤).

٣- ومن الأمثلة على ذلك: ورع الرجل الكندي نتيجة الترهيب القولي وظهور أثر ذلك الترهيب على لسانه، فقد روى الإمام أبو داود عن الأشعث بن قيس: (أن رجلاً من كنده، ورجلاً من حضرموت، اختصما إلى النبي صلى الله عليه وسلم في أرض من اليمن، فقال

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب صحة المماليك وكفارة من لطم عبده، حديث ١٦٥٩ (٣/١٢٨٠)

(٢) المرجع السابق (٣/١٢٨١)

(٣) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب اللباس، باب من جر إزاره من غير خيلاء، الحديث ٥٧٨٤ (١٠/٢٥٤)

الحضرمي : يا رسول الله إن أرضي اغتصبتها أبو هذا، وهي في يده، قال: هل لك بينة؟، قال: لا! ولكن أحلفه والله ما يعلم أنها أرضي اغتصبتها أبوه، فتهياً الكندي لليمين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يقطع أحد مالاً يمين، إلا لقي الله وهو أجذم، فقال الكندي هي أرضه^(١) .

٤- ومن أمثلة ذلك موقف أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه من العمل في مال الصدقة ، كما جاء في سنن أبي داود عن أبي مسعود رضي الله عنه، قال: بعثني النبي صلى الله عليه وسلم ساعياً، ثم قال: انطلق أبا مسعود لألفينك يوم القيامة تجيء على ظهرك بعير من إبل الصدقة له رغاء قد غلغلته، قال: إذا لأنطلق، قال: إذا لأكرهك^(٢) .

٥- كما يظهر أثر الترهيب على المؤمنين من رفض ابن الأسقع رضي الله عنه من بيع الناقة قبل أن يبين مافيهما نتيجة للترهيب الذي سمعه في هذا الصدق، فقد روى الإمام أحمد عن أبي سباع رضي الله عنه قال: اشتريت ناقة من دار وائلة بن الأسقع، فلما خرجت بها أدركنا وائلة وهو يجرداءه، فقال: يا عبد الله اشتريت؟ قلت: نعم، قال: هل بين لك مافيهما، قلت: وما فيها؟ قال: إنها لسمينة ظاهرة الصحة، قال، فقال: أردت بها سفراً، أم أردت بها لحمًا؟، قلت: بل أردت عليها الحج، قال: فإن نجفها نقباً، قال، فقال صاحبها: أصلحك الله-أي هذا تفسد علي-؟ قال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لا يحل لأحد يبيع شيئاً إلا يبين مافيه، ولا يحل لمن يعلم ذلك إلا بينه)^(٣) .

٦- ومن ذلك استغفار فروخ مولى عثمان رضي الله عنه ومعاذته لله على عدم العودة إلى الاحتكار نتيجة للترهيب الدنيوي الذي تلقاه من عمر الخطاب رضي الله عنه، فقد روى الإمام أحمد عن فروخ مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه: (أن عمر وهو يومئذ أمير المؤمنين خرج إلى المسجد فرأى طعاماً منشوراً ، فقال: ما هذا الطعام؟ فقالوا: طعام جلب إلينا، قال:

(١) صحيح سنن أبي داود، كتاب الإيمان والنور، باب فمن حلف بما لا يقطع بها مالاً لأحد، حديث ٢٧٨٠ (٢/٦٢٦)

(٢) صحيح سنن أبي داود، كتاب الخراج، باب في غلول الصدقة، حديث ٢٥٥٤ (٢/٥٦٩)

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده (٤٩١/٣) واللفظ له، والحاكم في المستدرک (١٠٠-٩/٢) بنحوه، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي

بارك الله فيه وفيمن جلبه، قيل: يا أمير المؤمنين، فإنه قد احتكر، قال: ومن احتكره؟ قالوا: فروخ مولى عثمان وفلان مولى عمر، فأرسل إليهما فدعاهما، فقال: ما حملكما على احتكار طعام المسلمين؟ قالوا: يا أمير المؤمنين: نشترى بأموالنا ونبيع، فقال عمر - رضي الله عنه -: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالإفلاس أو بجدام) فقال فروخ عند ذلك: يا أمير المؤمنين أعاهد الله وأعاهدك أن لا أعود في طعام أبداً، وأما مولى عمر فقال: إنما نشترى بأموالنا ونبيع، قال أبو يحيى: فلقد رأيت مولى عمر مجذوماً^(١).

ظهور أثر الترهيب القولي في القلب

أثر الترهيب القولي في القلب لا يظهر عياناً، بل يعرف بأمر، منها: تضرع المؤمن إلى الله، أو نزول الدمع أو ظهور ما يشعر أن هناك ندماً أو حزناً، ويترتب على هذا خضوع المسلم لأحكام الشريعة خضوعاً اختيارياً في السر والعلن خوفاً من عقاب الله تعالى، ومن أمثلة ذلك: ١- بكاء رجل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد سماعه ترهيباً، جاء ذلك في الحديث الذي رواه الترمذي في سننه عن عائشة رضي الله عنها قالت: (أن رجلاً قعد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إن لي مملوكين، يكذبونني ويخونني ويعصونني، وأشتمهم وأضربهم، فكيف أنا منهم؟ قال: يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك، وعقابك إياهم، فإن كان إياهم بقدر ذنوبهم، كان كفافاً لا لك ولا عليك، وإن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم، كان فضلاً لك، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل قال: فتنحى الرجل، فجعل يبكي ويهتف، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما تقرأ كتاب الله: ﴿وَنُضِعَ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً﴾^(٢) فقال الرجل: والله يا رسول الله، ما أجد لي ولهم شيئاً خيراً من مفارقتهم، أشهدك أنهم أحرار كلهم^(٣).

(١) رواه الإمام أحمد في المسند الحديث ١٣٥ (١/٢١٤، ٢١٥) وسبق تفريجه والحكم عليه في البحث الثالث من الفصل الثالث (ص ٢٢٨) ٢٠

(٢) سورة الأنبياء: جزء من الآية ٤٧

(٣) صحيح سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن، سورة الأنبياء، حديث ٢٥٣١ (٧٧/٣)

الشاهد من الحديث: ظهور تأثير الترهيب على الرجل مرتين، مرة من خلال القلب لما جعل (بيكي ويهتف)، والأخرى من خلال اللسان لما قال: (أشهدك أنهم أحرار كلهم)، وفي هذا القول - بإذن الله تعالى - زيادة في إيمانه.

٢- ومن أمثلة ذلك: مرواه الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال عمر رضي الله عنه: كنت في ركب أسير في غزاة مع النبي صلى الله عليه وسلم، فحلفت فقلت: لا وأبي. فنهزني رجل من خلفي، وقال: لا تحلفوا بأبائكم، فالتفت: فإذا أنا برسول الله صلى الله عليه وسلم^(١) وفي رواية أخرى قال عمر رضي الله عنه: (فوالله ما حلفت بها بعد ذاكراً ولا آثراً)^(٢).

الشاهد: وجود ما يدل على أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقف في مقام النادم المتحسر بعد سماع ذلك الترهيب لارتكابه ذلك الأمر المنهي حيث قال: ما حلفت بها ذاكراً ولا آثراً.

ومن المعلوم أن النهر والوعظ درجة من درجات الترهيب القولي، ونتيجة لهذا الترهيب تأثر ابن الخطاب رضي الله عنه داخلياً، بدليل قوله - ما حلفت بها ذاكراً ولا آثراً - وكان هذا الترهيب بفضل الله ورحمته سبباً في عدم الحلف بغير الله وفي هذا زيادة إيمان.

٣- ومما يدل على تأثر قلب المؤمن بالترهيب أيضاً ما أورده البيهقي عن الحسن البصري رحمه الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ممن عبد يخطب خطبة إلا الله سائله عنها يوم القيامة؟ ما أراد بها؟ قال: فكان مالك يعني ابن دينار) إذا حدث بهذا بكى^(٣).

الشاهد: بكاء مالك رحمه الله نتيجة خوفه من يوم القيامة، يدل على تألم قلبه، وفي هذا دافع لمزيد من الإيمان.

(١) مسند الإمام أحمد الحديث ٢٤٠ (٢٦١/١) وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح (انظر تعليقات الشيخ أحمد على المسند ١/٢٦١).

(٢) مسند الإمام أحمد، الحديث ٢٤١ (٢٦١/١) وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح (انظر تعليقات الشيخ أحمد على المسند ١/٢٦١).

(٣) رواه البيهقي عن الحسن البصري الحديث ٢٤١ مرسلاً، انظر: كثر العمال في سنن الأقوال والأفعال، للعلامة علاء الدين علي المتقي

الهندي، حديث رقم ٢٩٠١٢ (١٩٢/١٠) وأورده الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب (٣/٢٣٥).

٤- ومن أمثله ذلك : خوف أبي الدرداء رضي الله عنه من التقلب في دينه، وظهر ذلك الخوف من مناجاته لربه ، فقد ذكر الإمام جعفر الفريابي عن جبير بن نفير ، أنه سمع أبا الدرداء-وهو في آخر صلواته وقد فرغ من التشهد- يتعوذ بالله من النفاق، فأكثر من التعوذ منه . قال: فقال جبير: ومالك ياأبا الدرداء أنت والنفاق؟ فقال: دعنا عنك، فوالله إن الرجل ليتقلب عن دينه في الساعة الواحدة فيخلع منه(١) .

ثانيا: دور الترهيب العملي في زيادة إيمان المؤمنين

ولتطبيق الترهيب عملياً تأثير واضح في زيادة إيمان المؤمنين، لأنه يعمل على تزكية نفس المؤمن، ويزيد من خوفه كونه يشاهد ذلك الترهيب عياناً، فينزجر عن المعاصي والذنوب، ويسارع إلى عمل الخير، ويظهر هذا التأثير- كما قلنا في الترهيب القولي- أيضاً في جوارح المؤمنين وعلى ألسنتهم وقلوبهم.

ظهور أثر الترهيب العملي على جوارح المؤمنين

١- من الأمثلة على هذا تأثير علي رضي الله عنه نتيجة لتهيب الرسول إياه ، فقد أخرج الإمام مسلم عن علي رضي الله عنه قال: (كساني رسول الله صلى الله عليه وسلم حلة سبراء، فخرجت فيها، فرايت الغضب في وجهه. قال: فشقققتها بين نسائي)(٢) .

الشاهد: ظهور الترهيب عملياً في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم [فرايت الغضب في وجهه]، وظهور تأثير هذا الترهيب في نفس علي رضي الله عنه، حيث بادر إلى التخلص من الحلة المصنوعة من الحرير، طاعة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم، [فشقققتها بين نسائي]، ولاشك أن في هذه الطاعة زيادة إيمان.

(١) صفة المناقب للإمام جعفر الفريابي (ص ٦٩) ، تحقيق بدر البدر، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، ط. الأولى ١٤٠٥هـ، وقال عنه محقق

الكتاب: إسناده حسن، انظر: هامش الكتاب (ص ٦٩)

(٢) رواه مسلم في صحيحه في كتاب اللباس، باب تحريم استعمال أواني الذهب والفضة رقم ٢٠٧١ م (١٦٤٥/٣)

ظهور أثر الترهيب العملي على الألسنة

١ - من الأمثلة التي توضح هذا التأثير، لما قام عليه السلام بترهيب رجل كان قد لبس خاتماً من ذهب، فقد روى الإمام مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما، (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى خاتماً من ذهب في يد رجل، فنزعه فطرحة، وقال: يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده فقيل للرجل بعدما ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم: خذ خاتمك انتفع به، قال: لا والله، لا آخذه أبداً، وقد طرحه رسول الله صلى الله عليه وسلم) (١) .

الشاهد: وجود ما يدل على الترهيب العملي واضح من قول الراوي: (فنزعه فطرحة)، وظهور تأثير هذا الترهيب على لسان الرجل واضح من قوله (لا، والله لا آخذه أبداً..). إن حزم الرجل في التخلص من الخاتم دليل على زيادة الإيمان !! لأنه قد يضعف يوماً ما، ويعاود الكرة، فيلبسه، وفي ذلك نقص في الإيمان.

٢ - ومما يدل على هذا خوف عائشة رضي الله عنها نتيجة للترهيب العملي الذي تلقته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد روى الإمام البخاري عن عائشة رضي الله عنها (أنها اشترت تمرقة فيها تصاوير، فقام النبي صلى الله عليه وسلم بالباب فلم يدخل، فقلت: أتوب إلى الله، ماذا أذنبت؟ قال: ما هذه التمرقة؟ قلت: لتجلس عليها وتوسدها، قال: إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة، يقال لهم أحيوا ما خلقتهم، وإن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه الصورة) (٢).

الشاهد: إن امتناع الرسول صلى الله عليه وسلم من دخول حجرة السيدة عائشة رضي الله عنها، فيه دليل على الترهيب العملي، وتأثير هذا الترهيب على السيدة عائشة واضح من قولها: أتوب إلى الله.

(١) صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم خاتم الذهب على الرجال، حديث ٢٠٩٠، (٣/١٦٥٥)

(٢) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب اللباس، باب من كره القعود على الصور، حديث ٥٩٥٧، (١٠/٣٨٩)

ظهور أثر الترهيب العملي في قلوب المؤمنين

١- وما يدل على ذلك لما استعمل النبي صلى الله عليه وسلم الهجر كوسيلة للترهيب العملي مع الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، وفعلاً كان لهذا الترهيب أثر تربوي عميق في نفوس هؤلاء المؤمنين الخيرة، ويظهر التأثير من قول كعب رضي الله عنه- وكان أحد الثلاثة المتخلفين- يقول كعب رضي الله عنه: (ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه، فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا، حتى تنكرت في نفسي الأرض، فما هي التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي، فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم، فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين، وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد، وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي: هل حرك شفثيه برد السلام علي أم لا؟ ثم أصلي قريباً منه فأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إلي، وإذا التفت نحوه أعرض عني..)^(١)، نعم كانت هذه مقاطعة قاتله، وكان ترهيباً رهيباً، لكنه مع ذلك أثمر ثماراً عظيمة، أثمر التوبة والندم من أعماق القلوب، بدليل أنه غير في أعينهم الأرض وغير عليهم أنفسهم ومن حولهم من الناس، وسقطوا في البكاء والخشية من الله وطلب التوبة والمغفرة منه سبحانه^(٢)، وصمدوا بإيمانهم وثبتوا، حتى جاءهم الفرج من الله، وجاءتهم التوبة من السماء، وفي ذلك شهادة لإيمانهم وأي شهادة، يقول الحق تبارك وتعالى عنهم: ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه، ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم﴾^(٣).

٢- وما يدل على تأثير الترهيب العملي المفيد: تزكية النبي صلى الله عليه وسلم للمرأة التي زنت بعد إقامة الترهيب العملي عليها، فقد روى أبو داود في سننه عن عمران بن حصين

(١) جزء من حديث في صحيح البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك، حديث ٤٤١٨ (١١٤/٨، ١١٥)

(٢) انظر: تأملات في قصة الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك للدكتور زيد الزيد (ص ٤٨) دار العاصمة، ط. الأولى ١٤١٢هـ.

(٣) سورة التوبة: الآية ١١٨

رضي الله عنه: أن امرأة -قال في حديث أبان: من جهينة- أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: إنها زنت وهي حبلى، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم ولياً لها، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أحسن إليها، فإذا وضعت فجيء بها، فلما أن وضعت جاء بها، فأمر بها النبي صلى الله عليه وسلم، فشكت عليها ثيابها، ثم أمر بها فرجمت، ثم أمرهم فصلوا عليها، فقال عمر-رضي الله عنه-: يا رسول الله تصلي عليها وقد زنت؟؟ قال: والذي نفسي بيده، لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها)^(١).

الشاهد: كانت هذه المرأة المسلمة تعلم ما أعد الله عز وجل من عذاب للزناة في جهنم، فهو عذاب شديد أليم، أشد وأقسى من ذهاب الروح وإزهاقها، فلذا آثرت أن تجود بنفسها في الدنيا خوفاً ورهبة من أن يحل بها عذاب الآخرة، فكان للترهيب من عذاب الآخرة أثراً في نفس وقلب هذه المرأة، حيث ضحت بنفسها في الدنيا، وكان قيام الحد عليها كوسيلة للترهيب العملي، كان بفضل الله ورحمته تطهيراً لها من المعصية كما كان سبباً في شهادة النبي صلى الله عليه وسلم لها بحسن الخاتمة على الإيمان.

وهكذا نرى كيف كان للترهيب بنوعيه القولي والعملي فوائد تحققت في ذوات المؤمنين أنفسهم بالتوبة والاستغفار، والمصارعة إلى عمل الخير، والخضوع لأحكام الله ورسوله، مما أدى إلى استقرار الإيمان، بل وزيادته عند المؤمنين.

(١) صحيح سنن أبي داود، كتاب الحدود، باب المرأة التي أمر النبي صلى الله عليه وسلم برجمها من جهينة حديث ٣٧٣١ (٨٣٩/٣)

المبحث الثالث

تأثير الترهيب

في دفع خصوم الدعوة

المبحث الثالث

تأثير التهيب في دفع خصوم الدعوة

من الغايات التي يسعى إليها أسلوب التهيب في الدعوة الإسلامية، دفع خصوم الدعوة، وذلك بالقضاء على منابع الشر والعدوان وإزالة الطواغيت وعوائقهم من الأرض، وقطع دابر الجور والفساد، ويبين المولى سبحانه بأنه لولا تهيب المسلمين لهؤلاء الخصوم، لفسدت الأرض وهدمت المساجد، يقول تعالى: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين﴾^(١) ويقول سبحانه: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾^(٢) قال مقاتل رحمه الله: "لولا دفع الله المشركين بالمسلمين لغلب المشركون على الأرض فقتلوا المسلمين وخرّبوا المساجد"^(٣).

وحقيقة إن هذا الدفع دفاع عن العقيدة والمجتمع الذي يسود فيه ذلك التهيب، ومع ذلك فإن هذا الدفع ليس الغاية النهائية، وليس الباعث الأساسي لقيام التهيب، إنما هذا الدفع يأتي كخطوة ثانية بعد محاولة تعبيد الناس لله وحده، وإعلاء كلمة الله تعالى بنشر الإسلام بين الناس، وذلك اقتداء بقوله صلى الله عليه وسلم: (لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم)^(٤).

كما يدل على ذلك مواقف النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام أثناء تهيبهم لخصوم الدعوة، فكانت الدعوة إلى الإسلام أولاً، فإذا حصلت الاستجابة فيها ونعمت، وإلا اتخذت الإجراءات لدفع أذى خصوم الدعوة بإذلالهم وضرب الجزية على رؤوسهم، أو قتلهم وسبي ذراريهم، وقد جاء ذلك صريحاً في أمر النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه (إذا لقيت عدوك

(١) سورة البقرة: جزء من الآية ٢٥١

(٢) سورة الحج: جزء من الآية ٤٠

(٣) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (٣٠٠/١) مرجع سابق

(٤) جزء من حديث في صحيح البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، حديث ٤٢١٠ (٤٧٦/٧)

من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال، فذكر عليه السلام أولاً الإسلام، ثم الجزية والقتال إن هم أبوا^(١) وأيضاً لما ندب عمر رضي الله عنه المسلمين لترهيب الفرس، قالوا لعامل كسرى: "...أمرنا نبينا رسول ربنا صلى الله عليه وسلم أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده، أو تؤدوا الجزية، وأخبرنا نبينا صلى الله عليه وسلم عن رسالة ربنا أنه من قتل منا صار إلى الجنة في نعيم لم ير مثلها قط، ومن بقي منا ملك رقابكم"^(٢).

ومما ينبغي أن يعلم أن أسلوب الترهيب هذا كما أسهم بنوعيه القولي والعملي في نشر الإسلام، فإنه كذلك عمل إلى حد كبير في دفع أذى خصوم الدعوة عن الإسلام والمسلمين وتفصيل ذلك على النحو التالي:

أولاً: تأثير الترهيب القولي في دفع خصوم الدعوة

كان القرآن ببيانه الساحر، ومنطقه الزاجر، وقوة تأثيره، وسرعة نفاذه إلى الأعماق أقوى سلاح لهذا الدفع، كما كان الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم في دعوته وجداله مع الخصوم يتجه إلى أساليب الإنذار والتهديد والوعيد لهؤلاء القوم الذين قست قلوبهم، وغلظت أكبادهم، واستسلموا لطواغيت السوء ووساوس الشياطين، محاولة منه صلى الله عليه وسلم للقضاء على تلك المنابع الشريرة، أو على أقل احتمال محاولة تخفيف العدوان على المسلمين، وكان لأسلوب الترهيب القولي دوره المميز في ذلك المنع، ويتجلى هذا من خلال الأمثلة التالية:

١- قصة عتبة بن ربيعة، لما جاء النبي صلى الله عليه وسلم يساومه في أمر الدعوة عارضاً عليه المال والشرف والملك، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع له، (حتى إذا فرغ عتبة، قال عليه السلام: فرغت؟، قال: نعم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، حم، تنزيل من الرحمن الرحيم﴾ حتى إذا بلغ: ﴿فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود﴾^(٣)، فقال عتبة: حسبك! ما عندك غير هذا؟، قال عليه السلام: لا،

(١) انظر لفظ الحديث في صحيح مسلم (٣/١٣٥٧)، وسبق تحريجه، في الفصل الثاني (ص ١٢٨).

(٢) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الجزية والموادعة، حديث ٣١٥٩ (٦/٢٥٨).

(٣) سورة فصلت: الآيات من ١-١٣.

فرجع إلى قريش فقالوا: ماوراءك؟ قال: ماتركت شيئاً أرى أنكم تكلمونه به إلا كلمته، قالوا: فهل أجابك؟ قال: لا، والذي نصبها بنية ما فهمت شيئاً مما قال غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود، قالوا: ويلك! يكلمك الرجل العربية ماتدري ما قال؟، قال: لا، والله ما فهمت شيئاً مما قال غير ذكر الصاعقة^(١).

وفي رواية أخرى أن عتبة استمع حتى جاء الرسول صلى الله عليه وسلم إلى قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾^(٢)، فقام مذعوراً فوضع يده على فم رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: أنشدك الله والرحم! ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قريش واحتبس عنهم، فقال أبو جهل: يامعشر قريش والله ما نرى عتبة الا قد صبأ، فانطلقوا بنا إليه^(٣)، فلما جلس إليهم قالوا: ماوراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة، يامعشر قريش أطيعوني واجعلوها بي، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه... وهذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم^(٤)."

وبعد: فهذه القصة اشتملت على صورة من صور الترهيب القولي، إنه الترهيب بجنود الله الكونية، فقد رهب عليه السلام عتبة بذلك، مستخدماً في ترهيبه درجة التعريف مع التهديد^(٥) - كما هو واضح من سياق القصة- وقد وقع الترهيب في نفس هذا المشرك، بدليل أنه قام مذعوراً، وأمسك بفم المصطفى صلى الله عليه وسلم، ورجاه التوقف عن ذلك الترهيب، أما التأثير الإيجابي لهذا الترهيب، فيظهر، من خلال احتباسه في منزله وطلبه من قريش أن تكف أذاها عن الرسول صلى الله عليه وسلم، كما يتضح من قوله لقريش: [خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه].

(١) تفسير ابن كثير (١٥١/٧)

(٢) سورة فصلت : الآية ١٣

(٣) انظر تفسير ابن كثير (١٥١/٧، ١٥٢) والرحيق المختوم للمباركفوري (ص ١٠٧) دار السلام ومكتبة المؤيد، ط. التاسعة ١٤١٢ هـ،

وفقه لسيرة للبوطي (١١٠)

(٤) سيرة النبي صلى الله عليه وسلم لابن هشام (٣١٤/١) والظلال (٣٦٦٠/٦)، والرحيق المختوم (ص ١٠٧)

(٥) انظر هذه الدرجة في الفصل الثاني (ص ٦١، ٦٣) من هذه الرسالة .

٢- قصة أبي جهل مع الرسول صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة، حيث كان يؤذي الرسول عليه السلام بالقول ويصد عن سبيل الله، ثم يذهب مختالاً بما يفعل، فخوراً بما ارتكب من الشر، وفيه نزل قوله تعالى: ﴿فلا صدق ولا صلى، ولكن كذب وتولى، ثم ذهب إلى أهله يتمطى، أولى لك فأولى، ثم أولى لك فأولى﴾ (١)، ولم يكن أبو جهل ليفيق من غباوته بعد هذا الانتهاز الإلهي، بل ازداد شقاوة فيما بعد (٢)، يدل على ذلك ما رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قال فقيل: نعم، فقال: واللوات والعزى لئن رأيتَه يفعل ذلك، لأطأن على رقبته، أو لأعفرن وجهه في التراب، قال: فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي-زعم- ليطأ على رقبته، قال: فما فجئهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه، ويتقي يديه، قال فقيل له: مالك؟ فقال: إن بيني وبينه لخدقاً من نار وهولاً وأجنحة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو دنا مني، لاخطفته الملائكة عضواً عضواً. قال فانزل الله تعالى: ﴿كلا إن الإنسان ليطغى﴾ إلى قوله: ﴿كلا لا تطعه﴾ (٣) (٤) وفي رواية عند ابن كثير قال، قال أبو جهل: لئن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لأطأن على رقبته، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال: لو فعله لأخذته الملائكة (٥).

فهذه القصة أيضاً اشتملت على الترهيب القوي، كما هو ملاحظ في الرواية الثانية، وذلك عندما وجه أبو جهل تهديداً إلى النبي عليه السلام، فعاجله المصطفى الكريم صلى الله عليه وسلم بترهيب رهيب، ترهيب بأخذ الملائكة له، ولما لم يلتفت أبو جهل لذلك الترهيب وحاول تطبيق ما توعد به، وشاهد بأمر عينه جزءاً من ذلك الترهيب، حصل التأثير، واندفع خائفاً دون أن يمس النبي صلى الله عليه وسلم إلى قومه في حالة يرثى لها، [فما فجئهم إلا وهو ينكص على عقبيه..] ونزلت فيه آيات تحمل ألواناً من التهديد والوعيد، هذه الآيات أحد

(١) سورة القيامة : الآيات ٣١-٣٥

(٢) انظر : الرحيق المختوم (ص ٨٨، ٨٩)

(٣) سورة العلق : الآيات ٦-١٩

(٤) صحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين، باب قوله تعالى ﴿إن الإنسان ليطغى...﴾ الحديث ٢٧٩٧ (٤/٢١٥٤)

(٥) انظر: البداية والنهاية لابن كثير : (٤٤، ٤٣/٣)

معارك القرآن مع هؤلاء الجاحدين المعاندين، وكانت بمثابة معارك قولية تلقي الذعر في هذه النفوس الضالة وتثير الرعب في قلوبهم الجاحدة وتجعلهم يكفون عن هذا اللجاج .

٣- وما يدل على تأثير الترهيب القولي في دفع الخصوم خوف قريش من تهديدات النبي صلى الله عليه وسلم إياهم، وكان أكثر ما يقرع آذانهم دعاء النبي عليه السلام عليهم، حيث لم يسلم أحد منهم وقع تحت طائلة ذلك التهديد والدعاء، فكان ذلك بمثابة زواجر تمتنع بها نفوسهم عن المسلمين .

ومن ذلك ما رواه الإمام البخاري في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه (أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس إذ قال بعضهم لبعض، أيكم يجيء بسلى^(١) جزور بني فلان فيضعه على ظهر محمد إذا سجد، فانبعث أشقى القوم فجاء به، فنظر حتى إذا سجد النبي صلى الله عليه وسلم وضعه على ظهره بين كتفيه، وأنا أنظر لا أغني شيئاً ولو كانت لي منعة، قال: فجعلوا يضحكون ويحيل بعضهم على بعض ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساجداً لا يرفع رأسه، حتى جاءته فاطمة، فطرحته عن ظهره فرفع رأسه، ثم قال (اللهم عليك بقريش) ثلاث مرات، فشق عليهم إذ دعا عليهم، قال: وكانوا يرون أن الدعوة في ذلك البلد مستجابة ثم سمي: اللهم عليك بأبي جهل، وعليك بعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط، وعد السابغ فلم نحفظه، قال: فوالذي نفسي بيده، لقد رأيت الذين عد رسول الله صلى الله عليه وسلم صرعى في القليب^(٢)، قليب بدر^(٣)، وفي رواية أخرى عند ابن كثير لما فرغ من صلاته رفع يديه يدعوا عليهم، فلما رأوا ذلك، سكن عنهم الضحك، وخافوا دعوته^(٤) .

لاشك أن الدعاء بالعذاب نوع من الترهيب القولي الذي يحمل درجة التهديد والوعيد، خاصة إذا كانت جهة الصدور نفس مظلومة. وفي هذا الحديث لجأ صلى الله عليه وسلم إلى

(١) السلى : الجلدة التي يكون فيها ولد البهائم، وهي تقابل المشيمة عند ولد الآدميات (فتح الباري ١/٣٥٠)

(٢) القليب : البئر القديمة التي لا يعرف صاحبها (المرجع السابق ص ٣٥٢)

(٣) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الوضوء، باب إذا ألقى على ظهر المصلي قدر أو جيفة، حديث ٢٤٠ (١/٣٤٩)

(٤) انظر : البداية والنهاية (٣/٤٤ - ٤٥)

أعلى درجات التهيب -التهيب بالله- وقد كان لهذا التهيب دوره وتأثيره على جهتين:
الجهة الأولى: رؤساء قريش أنفسهم-المذكورون في الرواية- حيث صدّع التهيب نفوسهم،
وشق عليهم ذلك، فما ملكوا إلا أن كفوا عن الضحك والسخرية، كما في رواية البخاري:
[فشق عليهم إذ دعا عليهم]، وفي رواية ابن كثير [فسكت عنهم الضحك، وخافوا دعوته].
الجهة الثانية: من جاء بعدهم إلى يوم الدين -ممن يحاول النيل من الإسلام- حيث تحقق
هذا التهيب في الخصوم، كما جاء في نهاية رواية البخاري: (فوالذي نفسي بيده لقد رأيت
الذين عد رسول الله صلى الله عليه وسلم صرعى في القليب، قليب بدر).

٤- وصورة أخرى لأمية بن خلف تبين كيف كان أثر التهيب القوي عليه، يوضحها الإمام
البخاري في صحيحه، فقد روى أن سعد بن معاذ -وهو بمكة- قال لأمية بن خلف: لقد سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إنهم -أي المسلمين- قاتلوك، ففزع فزعاً شديداً، وعهد
أن لا يخرج عن مكة، ولما أُلجأه أبو جهل للخروج يوم بدر، اشترى أجود بغير بمكة ليتمكن
من الفرار، وقالت له امرأته: يا أبا صفوان، وقد نسيت ما قال لك أخوك اليثربي؟ قال: ما أريد
أن أجوز معهم إلا قريباً، فلما خرج أمية أخذ لا يترك منزلاً إلا عقل بغيره، فلم يزل بذلك حتى
قتله الله عز وجل (١).

الشاهد: قرر أمية المشرك ألا يخرج من مكة، حتى لا يتعرض للمسلمين بالسوء نتيجة لذلك
التهيب الذي تلقاه، وفي هذا دفع أذى من عدو خطير --ولكن شياطين الإنس حاولوا
إخراجه من تأثير ذلك التهيب لما أُلجؤوه للخروج يوم بدر، ومع ذلك بقيت في نفسه تلك
الآثار بدليل أنه اشترى أجود بغير ليتمكن من الفرار، ثم قوله لامرأته: (ما أريد أن أجوز معهم
إلا قريباً).

٥- والأمثلة في هذا الصدد كثيرة، وقد أورد الإمام الهيثمي ما يدل على ذلك من حديث ابن
عباس في سبب نزول قوله تعالى: ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾ (٢) قال المستهزئين الوليد بن المغيرة

(١) انظر: صحيح البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم من يقتل بيدر ٣٩٥٠ (٢٨٢/٧) والقصة مختصرة

(٢) سورة الحجر: الآية ٩٥

والأسود بن عبد يغوث والأسود بن عبد المطلب أبو زمعه من بني أسد بن عبد العزى والحارث بن عيطل السهمي والعاصي بن وائل السهمي، فأتاه جبريل فشكاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأراه الوليد بن المغيرة، فأشار إلى أبيجله^(١) فقال: ما صنعت شيئاً؟ فقال: أكفيتك، ثم أراه الحارث بن عيطل السهمي، فأوماً إلى بطنه، فقال: ما صنعت شيئاً، فقال: أكفيتك، ثم أراه العاص بن وائل، فأوماً إلى أخصه، فقال: ما صنعت شيئاً، فقال: أكفيتك، فأما الوليد بن المغيرة، فمر برجل من خزاعة وهو يريش نبلاً له، فأصاب أبيجله فقطعها، وأما الأسود بن المطلب فعمي، فمنهم من يقول: عمي هكذا، ومنهم من يقول: نزل تحت شجرة، فجعل يقول: يا بني ألا تدفعون عني قد هلكت أظعن بالشوك في عيني، فجعلوا يقولون: ما نرى شيئاً، فلم يزل كذلك حتى عميت عيناه، وأما الأسود بن عبد يغوث، فخرجت في رأسه قروح فمات منها، وأما بن الحارث بن عيطل، فأخذ الماء الأصفر في بطنه حتى خرج حرؤه من فيه فمات، وأما العاصي بن وائل: فبينما هو كذلك دخلت في رجله شبرقة امتلأت منها فمات^(٢).
لو تأملنا الترهيب القولي الذي ورد في هذا الحديث، لوجدناه منحصراً في كلمة واحدة - أكفيتك - هذه الكلمة بفضل الله كانت كفيلة بدفع أذى خصوم الدعوة المذكورين بكيفيات مختلفة، كما جاء في الحديث.

ثم إن تحقق هذا الترهيب في حق هؤلاء الأعداء كانت بمثابة حاجز عمل على حماية الدعوة وأهلها ولو إلى حين، وفي الوقت نفسه كان بمثابة عبرة رادعة لكل خصم تسول له نفسه النيل من الإسلام وأهله، لذا فإنه لا ينبغي للمرء أن يستحقر أي ترهيب جاء في الكتاب والسنة مهما كان صغيراً، لأنه قد يحمل أبعاداً كبيرة، إن لم يكن اليوم، فغداً ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً، وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾^(٣).

(١) أبيجله : الأجل عرق في باطن الذراع (هامش مجمع الزوائد ٤٦/٧)

(٢) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٦/٧-٤٧) وقال : رواه الطبراني في الأوسط وفيه محمد عبد الحكم النيسابوري ، ولم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات

(٣) سورة الانفطار: الآية ١٩

ثانياً : تأثير الترهيب العملي في دفع خصوم الدعوة

إن الحزم في إقامة الترهيب تطبيقاً وتنفيذاً - لا قولاً - لدفع الخصوم أمر واجب شرعاً . لا يسع ولي الأمر التهاون فيه أو تعطيله، لأنه من شرع الله تعالى، بدليل قوله تعالى: ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾^(١) إن أي تعطيل له معناه سيطرة الباطل، ونشر الفساد، وبالتالي اضطراب الأحوال، وعلى العكس من ذلك تماماً، إن قيام هذا الأسلوب بوسائله العملية له تأثير جد مفيد في دفع الخصوم وقمع فتنتهم و سد منافذ الشر التي يطلون منها.

والجهاد كوسيلة للترهيب العملي يتحمل العبء الأكبر في عملية الدفع هذه، وذلك لأنه يعمل من خلال محاور عديدة، فمن خلاله يهانون ويذلون كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾^(٢) ومن خلاله يحصل لهم التشريد والتشتيت، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا تَثَقَّفْنَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَدْ بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾^(٣) ومن خلاله يبادون ويمحقون ويتم الدفع النهائي لهم كما قال المولى: ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾^(٤) وقوله سبحانه: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصَرِكُمْ عَلَيْهِمْ﴾^(٥) . وأيضاً تشترك وسيلة الحدود مع الجهاد في هذا الدفع، وقد امتازت وسيلة الحدود بحرصها الشديد على تطهير المجتمع الإسلامي وتنظيفه من نوع خاص من الخصوم!! إنهم فئة المرتدين الذين أرادوا التلاعب بالدين، فجاءت هذه الوسيلة بمثابة عقوبة وزجر لكل من تعمد الخروج من الإسلام، ورغب عنه بعد أن دخله طائعاً .

(١) سورة التوبة : الآية ١٢٣

(٢) سورة التوبة : جزء من الآية ٢٩

(٣) سورة الأنفال : الآية ٥٧

(٤) سورة الأنفال : جزء من الآية ١٢

(٥) سورة التوبة : جزء من الآية ١٤

يقول صلى الله عليه وسلم: (من بدل دينه فاقتلوه)^(١) ، وحتى يتضح ذلك التأثير بصورة جلية، سوف نتعرض لبعض الأمثلة والشواهد التي تثبت ذلك :

(١) قتل الكافرين وإبادتهم ومحقهم مما يدل على دور الترهيب العملي في دفع الخصوم

فإذا لم يسلم الكافر أو يخضع للحكم الإسلامي ، فلا بد من استتصاله حتى لا يفسد المجتمع الذي يوجد فيه^(٢) وقد عمد صلى الله عليه وسلم إلى هذه الوسيلة في سرية بعثها لقتل كعب بن الأشرف اليهودي^(٣) .

فقد روى الإمام البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من لكعب بن الأشرف؟ فإنه قد آذى الله ورسوله، فقام محمد بن مسلمة فقال: يا رسول الله، أتحب أن أقتله؟ قال: نعم..)^(٤) فاحتال محمد بن مسلمة لقتله متظاهراً بشم عطر شعره، حتى استمكن منه (فلما استمكن منه قال: دونكم فقتلوه، ثم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه)^(٥) .

ومن ذلك سرية عبد الله بن عتيك رضي الله عنه لقتل أبي رافع، يدل على ذلك ما رواه البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنه، قال: (بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي رافع اليهودي رجلاً من الأنصار، فأمر عليهم عبد الله بن عتيك، وكان أبو رافع يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعين عليه..)^(٦) وفي رواية أخرى له، قال: (بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رهطاً إلى أبي رافع، فدخل عليه عبد الله بن عتيك بيته ليلاً وهونائم فقتله)^(٧) .

(١) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب استتابة المرتدين...، باب حكم المرتد والمردة واستتابتهم، جزء من حديث ٦٩٢٢ (٢٦٧/١٢)

(٢) انظر: أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية للدكتور علي الغلياني (ص ١٧٨)

(٣) كان ذلك بعد بدر وقبل غزوة بني النضير في ربيع الأول من السنة الثالثة للهجرة انظر: (السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ص ٢٧٥)

(٤) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب قتل كعب بن الأشرف، جزء من حديث ٤٠٣٧ (٣٣٦/٧)

(٥) نهاية الحديث السابق

(٦) انظر القصة كاملة في المرجع السابق، باب قتل أبي رافع، جزء من حديث ٤٠٣٩ (٣٤٠/٧)

(٧) المرجع السابق، حديث ٤٠٣٨

ومما يدل على ذلك أيضا إغارته صلى الله عليه وسلم على بني المصطلق^(١) الذين بلغتهم دعوة الإسلام، واشتركوا مع الكفار في غزوة أحد، وكانوا يجمعون الجموع لحرب المسلمين^(٢) فقتل صلى الله عليه وسلم مقاتلهم، وسبى ذراريهم، فقد روى الإمام البخاري في صحيحه عن نافع رضي الله عنه: (إن النبي صلى الله عليه وسلم أغار على بني المصطلق وهم غارون^(٣) وأنعامهم تسقى على الماء، فقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم)^(٤).

ومن ذلك قصة الرجل الأعمى الذي قتل أم ولده، فقد روى الإمام أبو داود في سننه عن ابن عباس رضي الله عنه (أن أعمى كانت له أم ولد تشتم النبي صلى الله عليه وسلم وتقع فيه، فينهاها فلا تنتهي، ويزجرها فلا تنزجر، قال: فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع في النبي صلى الله عليه وسلم وتشتمه، فأخذ المغول^(٥) فوضعه في بطنها واتكأ عليها فقتلها..)^(٦).

فهذه المرأة ارتكبت كفراً صريحاً بشتها النبي صلى الله عليه وسلم، وحاول الرجل ردها بالقول لكنها لم تنزجر، ولم تنته، مما اضطره ذلك إلى استعمال التهيب العملي ليدفع اذائها عن الإسلام فقتلها، وقد أيد عليه السلام لجوء الرجل لذلك التهيب العملي، يدل على ذلك ما جاء في نهاية الرواية وقوله عليه السلام (ألا اشهدوا أن دمها هدر)^(٧).

إن قتل هؤلاء الخصوم فيه دفع لأذاهم من وجهين. الوجه الأول: فيه قضاء نهائي لأذى وفساد الخصم المقتول نفسه، والوجه الثاني: أن في قتل هذا الخصم تخويفاً لمن وراءه حتى لا يسلك مسلكه ممن هم على شاكلته^(٨).

(١) كان ذلك في غزوة المريسيع في شعبان من السنة الخامسة للهجرة، انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية (ص ٤٣٢)

(٢) المرجع السابق (ص ٤٣٣)

(٣) غارون: أي غافلون (هامش صحيح مسلم (١٣٥٦/٣))

(٤) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب العتق، باب من ملك من العرب رقيقاً...، جزء من حديث ٢٥٤١ (١٧٠/٥) وفي صحيح مسلم

كتاب الجهاد، باب جواز الإغارة على الكفار الذين بلغتهم دعوة الإسلام، حديث ١٧٣٠ (١٣٥٦/٣) واللفظ للبخاري.

(٥) المغول: السلاح الخفي المعد للإغتيال (هامش صحيح سنن أبي داود (٨٢٤/٣))

(٦) صحيح سنن أبي داود، كتاب الحدود، باب الحكم فيمن سب النبي عليه السلام، حديث ٣٦٦٥ (٨٢٤/٣)

(٧) المرجع السابق

(٨) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية (ص ٣٧٥)

٢- ومما يدل على دور الجهاد كوسيلة للترهيب العملي في دفع الخصوم: أنه عمل على تشتيتهم وتفريق شملهم ومما يدل على ذلك طرد اليهود وإجلاؤهم من المدينة، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنه أن يهود بني النضير وقريظة حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأجلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بني النضير، وأقر قريظة ومن عليهم، حتى حاربت قريظة بعد ذلك، فقتل رجالهم، وقسم نساءهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين، إلا أن بعضهم لحقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنهم وأسلموا، وأجلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود المدينة كلهم بني قينقاع- وهم قوم عبد الله بن سلام - ويهود بني حارثة وكل يهودي كان بالمدينة(١) .

فهؤلاء اليهود لما ارتكبوا حماقات متكررة في حق المسلمين، استخدم الرسول صلى الله عليه وسلم معهم أحد وسائل الترهيب العملي، وكانت ثمار ذلك الترهيب إبادة فريق منهم، ونفي الفريق الآخر عن المدينة.

ومما يدل على أهمية هذه الوسيلة: حصول الرعب في نفوس الأعداء، ومن ثم الهروب والتشرد. بمجرد العلم بتحرك الجيش الإسلامي، والوقائع في ذلك كثيرة، ونذكر على سبيل المثال ما حصل في غزوة دومة الجندل(٢) ، فقد ذكر أهل السير أنه بلغ الرسول صلى الله عليه وسلم أن بدومة الجندل جمعاً كثيراً ، وأنهم يظلمون من مر بهم، وأنهم يريدون أن يدنوا من المدينة، فندب عليه السلام الناس، وجاء الخبر أهل دومة، ففرقوا ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بساحتهم، فلم يجد بها أحداً، فأقام أياماً وبث السرايا وفرقها، فرجعت ولم تصب منهم أحداً(٣) .

تأثير الترهيب العملي واضح من هذه الرواية، حيث أرعب أهل الدومة وهالهم وأقضى مضاجعهم تحرك الجيش الإسلامي ؛ ونتيجة لذلك اختفوا وتفرقوا وفرروا هارين قبل وصول

(١) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب إجلاء اليهود من الحجاز ، حديث ١٧٦٦ (٣/١٢٨٧)

(٢) وكانت في ربيع الأول سنة خمس من الهجرة ، (السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ص ٤٢٩)

(٣) انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/٦٢)

المسلمين وفي هذا تأكيد لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح (أعطيت خمساً لم يعطهن أحدٌ قبلي، نصرت بالرعب مسيرة شهر ..) (١) .

٣- ومما يدل على تأثير أسلوب الترهيب العملي -المتمثل في وسيلة الجهاد- في دفع الخصوم: الاستسلام ودفع الجزية وهم في حالة الذل والصغار، كما قال تعالى: ﴿حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾ (٢) .

وفي هذا الصدد يقول ابن القيم رحمه الله: "فالجزية هي الخراج المضروب على رؤوس الكفار إذلالاً وصغاراً" (٣) ، وأخذ الجزية بهذه الصورة معناه إستسلام الخصوم وإلزامهم لأحكام الإسلام (٤) وفي الوقت نفسه حصول الاستعلاء والعزة للمسلمين، وفي ذلك دفع لهؤلاء الخصوم وأي دفع ؟.

ومن الشواهد التي تدل على ذلك، أنه بعد انتصار النبي عليه السلام في غزوة تبوك، أفرغ بعض أمراء الشام المرتبطين بالنتاج البيزنطي وجود الجيش الإسلامي في تبوك، فألقوا بأيديهم وجاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وعقدوا معه صلحاً قبلوا بموجبه الدخول تحت طاعة المسلمين بدفع الجزية لهم، ومن هؤلاء أهل إيالة (٥) .

وقد روى الإمام البخاري عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه أنه قال: (غزونا مع النبي صلى الله عليه وسلم تبوك، وأهدى ملك أيلة للنبي صلى الله عليه وسلم بغلة بيضاء، وكساه برداً، وكتب له ببحرهم) (٦) (٧) ، وقد ذكر ابن إسحاق في روايته صيغة طلب الأمان في مقابل الجزية، فقال: "لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك أتاه يحنة بن ربيعة صاحب

(١) البخاري مع الفتح، كتاب التيمم، بدون اسم الباب، جزء من حديث ٣٣٥ (٤٣٦/١)

(٢) سورة التوبة : جزء من الآية ٢٩

(٣) أحكام أهل الذمة لابن القيم (ص ٢٢)

(٤) انظر ذلك بالتفصيل في فقه السيرة لنبوطي (ص ٤١٢) وأهمية الجهاد في نشر الدعوة للعلياني (ص ٣٨٢-٢٨٣)

(٥) انظر : غزوة تبوك لمحمد باشميل (ص٧)

(٦) بحرهم : أي قرينتهم (فتح الباري ، ٢٦٧/٦)

(٧) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الجزية والموادعة، باب إذا وادع الإمام ملك القرية هل يكون ذلك لقبنتهم، الحديث ٣١٦١ (٢٦٦/٦)

إيلة، فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاه الجزية، وأتاه أهل جرباء وأذرح، فأعطوه الجزية فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم كتاباً " (١) .

٤- ومما يدل على دور هذا الأسلوب في دفع خصوم الدعوة، مشاركة جنود الله في معارك المسلمين مع هؤلاء الخصوم لإنزال الرعب في قلوبهم، ومن أمثلة ذلك: مشاركة الملائكة الكرام للمسلمين في غزوة بدر، كما جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ﴾ (٢) ، وقوله سبحانه: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا، سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرِّعْبَ﴾ (٣) .

وبفضل الله تعالى ، كان لذلك الترهيب تأثيره في المشركين، كما جاء ذلك في الحديث الذي رواه الإمام مسلم عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: " بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه ، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم(٤) فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقياً، فنظر إليه، فإذا هو قد خطم أنفه، وشق وجهه ؛ كضربة السوط، فأحضر ذلك أجمع، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: صدقت ، ذلك من مدد السماء الثالثة، فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين(٥) .

ومن ذلك اشتراك الملائكة الكرام في غزوة حنين ، يقول سبحانه: ﴿يَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَثَرَتُمْ فَلَمْ تَغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ ثُمَّ وَلِيتِمُ مَدْبَرِينَ، ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا، وَذَلِكَ جِزَاءَ الْكَافِرِينَ﴾ (٦) .

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١٨٠/٤)

(٢) سورة الأنفال : الآية ٩

(٣) سورة الأنفال : جزء من الآية ١٢

(٤) حيزوم : اسم فرس الملك (هامش صحيح مسلم ١٣٨٤/٣)

(٥) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الامداد بالملائكة في غزوة بدر، جزء من حديث ١٧٦٣، (١٣٨٤/٣)

(٦) سورة التوبة : الآيتان ٢٥-٢٦

وقد ذكر الإمام الذهبي في مغازيه أنهم عندما أرادوا الوصول إلى النبي صلى الله عليه وسلم حال بينهم رجال حسان الوجوه، فقالوا: شأهت الوجوه فأرجعوا فهزموا من ذلك الكلام^(١).

ومن ذلك أيضاً مشاركة جنود الله الكونية في جهاد المسلمين مع الخصوم، يدل على ذلك الريح التي أرسلها الله تعالى على المشركين في غزوة الأحزاب كما في قوله تعالى: ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودًا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا. وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾^(٢).

ونتيجة لهذه الريح صار الخصوم في حالة من الحرج والتدهور والخوف الأمر الذي عجل في فك الحصار عن المدينة وإنهاء ذلك الغزو الكبير، وإنسحاب جيوش الأحزاب في صورة مخزية . وقد وردت روايات كثيرة تبين تأثير تلك الجنود الكونية في حصول الهزيمة، ومن ذلك ما رواه الإمام مسلم عن حذيفة رضي الله عنه قال: (لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الأحزاب، وأخذتنا ريح شديدة وقر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا رجل يأتيني بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة؟ فسكتنا. فلم يجبه منا أحد - ردد ذلك ثلاثاً - ثم قال: قم يا حذيفة، فأتنا بخبر القوم)^(٣)، وفي رواية الحاكم "...فانطلقت إلى عسكرهم، فوجدت أبا سفيان يوقد النار في عصابة حوله قد تفرق الأحزاب عنه... فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم... قلت يا رسول الله تفرق الناس عن أبي سفيان، فلم يبق الا عصابة توقد النار قد صب الله عليه من البرد مثل الذي صب علينا، ولكننا نرجوا من الله ما لا يرجون"^(٤) . وقد أورد ابن إسحاق قولاً لأبي سفيان يدل على ذلك التأثير، قال ابن إسحاق إن أبا سفيان قال: "يامعشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع والخف،

(١) أخرجه الذهبي في مغازيه (ص ٥٨٣) من رواية جعفر بن سليمان، وقال: إسناده جيد (انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية

(ص ٥٨٩) الناشر، دار الكتاب العربي بيروت، ط الأولى ١٤٠٧هـ.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٩

(٣) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب، جزء من الحديث ١٧٨٨ (٣/١٤١٤)

(٤) رواه الحاكم في المستدرک (٣/٣١) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه

وأخلفتنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من شدة الريح ماترون ماتطمئن لنا قدر، ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء، فارتحلوا فإني مرتحل" (١) .

وهكذا أحجم المشركون عن مواصلة الغزو، وختم الله سبحانه هذه المعركة بترهيب رهيب للخصوم من خلال جنوده الكونية -الريح- وبذا اندفع هؤلاء الخصوم بغيظهم، وجنب الله سبحانه المسلمين القتال، وفي هذا يقول سبحانه: ﴿ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً، وكفى الله المؤمنين القتال، وكان الله قوياً عزيزاً﴾ (٢) .

٥- ومن وسائل الترهيب العملية والتي ساهمت في دفع خصوم الدعوة، وسيلة الحدود مع المرتدين والمخربين، فقد ثبت في الصحيح قيام الرسول عليه السلام بالعمل بهذه الوسيلة مع العرنيين، فقد روى الإمام البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: (قدم أناس من عكل -أو عرينة- فاجتووا (٣) المدينة، فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بلقاح (٤) ، وأن يشربوا من أبوابها وألبانها، فانطلقوا ، فلما صحوا قتلوا راعي النبي صلى الله عليه وسلم، واستاقوا النعم. فجاء الخبر في أول النهار، فبعث في آثارهم، فلما ارتفع النهار جيء بهم، فأمر فقطع أيديهم وأرجلهم وسُمرت أعينهم، وألقوا في الحرة يستسقون فلا يسقون، قال أبو قلابة: فهؤلاء سرقوا وقتلوا وكفروا بعد إيمانهم، وحاربوا الله ورسوله) (٥) .

هؤلاء القوم ارتكبوا المنهيات المذكورة في نهاية الحديث، فكانوا بذلك خارجين عن الحق، متكرين له، حائدين عن الصراط المستقيم، والإنسان إذا وصل إلى هذا المستوى، يكون قد وصل إلى أقصى درجات الهبوط والانحطاط، ومثل هذا لا ينبغي الحفاظ على حياته، لأن حياته وبال على غيره من الناس، فموته أفضل، لذا حرص النبي صلى الله عليه وسلم على دفع أذاهم

(١) سيرة النبي صلى الله عليه وسلم لابن هشام (٢٥١/٣)

(٢) سورة الأحزاب : الآية ٢٥

(٣) اللقاح: النوق ذوات الألبان (المرجع السابق ص٣٣٨)

(٤) اجتووا المدينة: كرهوا المقام في البلد إذا تضرروا من الإقامة (فتح الباري ١/٣٣٧)

(٥) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الوضوء، باب أبواب الإبل والدواب ، حديث ٢٣٣ (١/٢٣٥)

بالتخلص منهم والقضاء عليهم القضاء النهائي، يقول الخطابي تعليقا على هذه القصة: "إنما فعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك، لأنه أراد بهم الموت بذلك" (١) .

كما ثبت أن أبا بكر رضي الله عنه استخدم هذه الوسيلة لترهيب المرتدين من العرب، فقاتلهم حتى رجعوا إلى الإسلام (٢) ، وقد ساق الإمام البخاري في صحيحه ما يدل على ذلك، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: (لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم استخلف أبو بكر وكفر من كفر من العرب، قال عمر: يا أبا بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله) (٣) ، قال أبو بكر: (والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقاً، كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها ..) (٤) .

وبعد فإن تجسيد الترهيب أمام الخصوم وتأكيد عمله عملياً كان له أثره المفيد كما شاهدنا ذلك في الصفحات السابقة، فهؤلاء الخصوم كانوا ثغرة كبيرة، لولا هذا الترهيب الذي كان يصددهم بين الحين والآخر، لهددت الدعوة بأخطر النتائج ولكن الله سلم، فكانت المعارك ، وكانت الحدود، وكان الجهاد. الذي رفع من معنويات المسلمين الذين استطاعوا أن يبنوا في المدينة مجتمعاً جديداً واجه كل تيارات الأعداء بقوة وشموخ .

(١) فتح الباري (٣٤١/١)

(٢) فقه السنة لسيد سابق (٣٨٦/٢) مرجع سابق

(٣) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب استنابة المرتدين والمعاندين وقتلهم، باب قتل من أبى قبول الفرائض، حديث (٢٧٥/١٢) ٦٩٢٤

(٤) المرجع السابق ، حديث رقم ٦٩٢٥

الخاتمة

الخاتمة

وبعد:

فهذا ما وفقني الله إليه، ويسره لي في هذه الرسالة، حيث قمت من خلالها بتوضيح مفهوم الترهيب، وضوابطه، ومكانته، وأنواعه، ووسائله، ومجالاته، وبيان تأثيره المفيد في الدعوة إلى الله تعالى. وقد استطاع البحث أن يأتي بالعديد من النتائج والتوصيات نوجزها تحت النقاط التالية:

أولاً: أهم النتائج

- ١- سعة مفهوم الترهيب عند الدعوة إلى الله فهو قد يأخذ شكل الوعيد والتهديد، أو التخويف، وهذا كله يعطي للداعية مجالاً واسعاً في استخدام الترهيب عند مواجهة الناس وجذبهم إلى الخير خوفاً من العقاب.
- ٢- أن الترهيب في الدعوة إلى الله أسلوباً علمياً منهجياً ينضبط بضوابط شرعية محددة ومرتكزة على أسس وقواعد قرآنية ونبوية.
- ٣- أن الترهيب له إفراط، وله تفريط، وله اعتدال. فمن الإفراط المغالاة والتضخيم فيه حتى يوقع الناس في اليأس والقنوط، وفي هذا إغلاق باب الأمل كلية في وجه العائدين إلى الله. ومن التفريط أن يهمل ويتجاهل أمره، وهذا يحول أمر الدين إلى شيء هين في نظر المقصرين. والاعتدال هو وضع الترهيب في مكانه المناسب، وإعطاء المدعو جرعة مناسبة تؤدي المقصود وتحقق الهدف الدعوي المطلوب.
- ٤- انتساب الترهيب إلى أسلوب الموعظة الحسنة الأم، فهو شكل من أشكالها، وصورة من صورها ومعلوم أن الموعظة الحسنة هي لب التخصص الدعوي، ذلك لأن الداعية في عملية الإصلاح بين الناس لا يتعدى إلا أن يرهب من أمر ما أو يرغب فيه، بطريقة أو بأخرى، إذاً الوجه الحقيقي الذي يظهر في مساحة العمل الدعوي غالباً هو الترهيب وشقيقه الترغيب.

- ٥- إن انتساب الترهيب إلى الموعظة الحسنة لا يعني أنه يأخذ الطابع الأدبي الوعظي، ويتعد عن الواقع العملي، أبدأ فهو أسلوب يعالج قضايا الدعوة حسب الحاجة المطلوبة بالقول لمن سمع وعقل وتدبر . والعمل -التنفيذ- لمن جحد وعاند واستكبر ، إذاً هو أسلوب يضعف ويشتد حسب ضعف السبب وقوته.
- ٦- إن قيام الترهيب العملي بوسائله المتعددة يأتي بثمار طيبة لجانبين، جانب خاص: حيث مصلحة العاصي وسعادته في منعه من تلك المعاصي بالزجر، والجانب الآخر: هو الردع العام لكل من شاهد أو سمع بقيام هذه الوسائل .
- ٧- سعة مجالات أسلوب الترهيب في الدعوة إلى الله وإحاطته لكافة الطوائف الإنسانية ، ومما يدل على هذه الاحاطة وجود ترهيب للكفار مغاير لترهيب المنافقين مغاير لما عليه عصاة المؤمنين، مما يجعله أسلوباً ناجحاً ، عند مواجهة كل طائفة وفئة.
- ٨- كما أضر الكفر والنفاق والفسق بأصحابه في الدنيا، فحرمهم من السعادة والمصالح الدنيوية، والحياة الطيبة الكريمة فيها، كذلك فإن الشقاء سيصاحبهم أخروياً ويلازمهم عند الموت، وفي القبر، ويوم القيامة ، وفي النار -أجارنا الله منها-.
- ٩- فاعلية أسلوب الترهيب بنوعيه القولي والعملي في الدعوة الإسلامية ، إذ أنه يحقق تأثيراً جدياً مفيداً، ويظهر هذا التأثير المفيد من خلال المحاور التالية:
- أ- إما أن يأخذ بأيدي هؤلاء المدعويين، ويعود بهم إلى المنابع الصافية، حتى يعبدوا الله وحده لا شريك له.
- ب- وإما أن يعمل على إيقاظ الضمير الإيماني عند المدعويين، وإذا تربي هذا الضمير فيهم اشتدت صلتهم بربهم، وكان ذلك قوة على الإبتعاد عن الشهوات المحرمة
- ج- وإما أن يضرب بيد من حديد على أيدي الطغاة والطواغيت، ليكون بمثابة قوة تعمل على رد عدوانهم، ودفع أذاهم عن الإسلام والمسلمين.

ثانياً: أهم التوصيات

١- على الدعاة في العصر الحديث وهم يواصلون تبليغ الدعوة الإستفادة من هذا الأسلوب لأن الحاجة ملحة إليه، لأنهم إنما يتعاملون مع البشر، والوضع البشري دائماً معرض للهوى والغفلة، معرض لظلم نفسه، ومادام الأمر كذلك ، فلا غرابة من مواجهتهم بين الحين والحين بما ينغص عليهم هذا الهوى ويوقظهم من تلك الغفلة.

٢- على الداعية أن يرهب من خلال ضوابط تجعله لا يجامل فيخفف من الترهيب، أو يببالغ فيقصر ظهر المقصر الراغب في العودة إلى الله، ذلك لأن بعض الدعاة يخلطون كثيراً -بين طريقي الإفراط والتفريط- حين يلجأون إلى ردع المدعوين عن المعاصي، حتى وصل الأمر عند بعض المدعوين إلى نفور عند ذكر الترهيب من النار ولهيها ودخانها وسلاسلها، وما أعده الله للعصاة، ورغم أننا لانسلم لكل هؤلاء مجتمعين أو منفردين، لانسلم لهم ماصدر عنهم، إلا أن هناك سراً كان مسيئاً في نفور هؤلاء-مع وجود ضعف الوازع العقدي عندهم- هذا السر هو عدم وضع الترهيب في مساحة العمل الدعوي في موضع صحيح بلا غلو ولا تفريط.

٣- على الدعاة وهم يقومون بعملية ترهيب أصناف المدعوين، أن يستعينوا بكل ما في القرآن الكريم والسنة الصحيحة من نصوص تحمل معاني الوعيد والتخويف والتهديد على فهم السلف الصالح رحمة الله عليهم ، إذ يصلح ذلك أن يكون مجالاً للترهيب أيضاً.

٤- محاولة دراسة ترهيب غير المسلمين بالتفصيل، ذلك لأن الباحثة في بحثها هذا إنما رهبت الكافر من زاوية كفره، ولم تفصل في هذا الصدد ، فليت بحثاً مستقلاً يهتم بهذا التفصيل، عساه يجد مدخلاً لكل صنف من هؤلاء-اليهود، والنصارى، والملحدين، المشركين- مع اتفاق فيما رهبتهم من كفرهم بالله ورسوله-، فينفرد هذا البحث بترهيبهم مما صدر منهم في مجال الشريعة والأخلاق وخاصة في إفساد المجتمعات على اختلاف مسمياتها.

وختاماً أتوجه بالحمد والشكر للمولى عز وجل ، الذي أسبغ علي العافية والهمني الصبر حتى أتممت هذه الرسالة ، ربنا اجعل عملنا خالصاً صائباً، ولا تجعل لأحد فيه شيء ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا ، انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾^(١) ، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



١٤١٥/٧/١ هـ

(١) سورة البقرة : الآية ٢٨٦

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية *

الصفحة	السورة	رقمها	الآية
(سورة البقرة)			
٢٢٣	البقرة	٥-١	﴿آلم ، ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾
١٤٤ ، ١٤٣	"	٧	﴿إن الذين كفروا سواء عليهم﴾
١٨٣	"	٨	﴿ومن الناس من يقول﴾
١٨٩ ، ١٨٦	"	١٥	﴿الله يستهزئ بهم﴾
٨٤	"	١٨-١٧	﴿مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً﴾
١٤١	"	٢٤	﴿فاتقوا النار التي وقودها﴾
٥٠ ، ٢٨	"	٤٠	﴿وإياي فارهبون﴾
٥٠	"	٦٦	﴿فجعلنا مانكالاً لما بين يديها﴾
٥٠	"	١٤٤	﴿ومن أظلم ممن منع﴾
٢٣٦	"	١٥٥	﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف﴾
١٧٨ ، ١٦٦	"	١٦٧ - ١٦٦	﴿إذ تبرأ الذين اتبعوا﴾
٨٢	"	١٧١	﴿ومثل الذين كفروا﴾
١١٢	"	١٧٨	﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص﴾
١١٣	"	١٧٩	﴿ولكم في القصاص حياة﴾
١٢٥	"	١٨٧	﴿تلك حدود الله﴾
١٣١	"	١٩١	﴿والفتنة أشد من القتل﴾
٢٨٥	"	١٩٣	﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾
١١١ ، ٧٤	"	٢١٧	﴿ومن يرتدد منكم﴾
٣٠٥	"	٢٥١	﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم﴾
٢٨٥	"	٢٥٦	﴿لا إكراه في الدين﴾
١٤٦ ، ٨٢	"	٢٦٤	﴿يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا﴾
٢٢٦	"	٢٧٣	﴿لا يستلون الناس إلخافاً﴾
٢٤٤	"	٢٧٥	﴿الذين يأكلون الربا﴾
٢٢٥	"	٢٧٦	﴿يحقق الله الربا﴾

* ترتيب الآيات هنا ترتيباً تصاعدياً ، وطرف الآية قد يكون من أولها أو من وسطها .

(سورة آل عمران)

٢٨	"	٢٨	﴿وَيحذركم الله نفسه
٩٠	"	٦٢	﴿إن هذا هو القصص
١١٢	"	٧٢	﴿وقالت طائفة من أهل الكتاب
١٦٥	"	٧٧	﴿إن الذين يشترون
١٣٥ ، ٤٣	"	٨٥	﴿ومن يتبع غير الإسلام
٢١٨	"	٩٧	﴿ومن كفر فإن الله غنى
٢٨٥	"	١١٠	﴿كنتم خير أمة أخرجت
٨٣	"	١١٧	﴿مثل ما ينفقون في هذه الحياة
١٩٤ ، ١٩٣	"	١١٨	﴿يأياها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة
٢٤٥	"	١٦١	﴿وما كان لبي أن يغفل
٥٠ ، ٢٨	"	١٧٥	﴿فلا تخافوهم وخافون
٢٤٦	"	١٨٠	﴿ولا يحسبن الذين يدخلون
١٥٦	"	١٩٦ - ١٩٧	﴿ولا يغرنك تقلب الذين كفروا

(سورة النساء)

٣٤ ، ١	النساء	١	﴿يأياها الناس اتقوا ربكم
٢٤٦	"	١٠	﴿إن الذين يأكلون أموال اليتيم
١١٠	"	١٥	﴿فأمسكوهن في البيوت
٧٤	"	٢٩	﴿ولا تقتلوا أنفسكم
١٣٥	"	٣١	﴿إن تجتنبوا كبائر
١١٠ ، ٥٦	"	٣٤	﴿واللحي تخافون نشوزهن
٢٦٥ ، ٢١٧	"	٤٨	﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به
١٧٥	"	٥٦	﴿إن الذين كفروا بآياتنا
١٩٢ ، ٤٩	"	٦٣	﴿وأولئك الذين يعلم الله
٥٠	"	٦٦	﴿ولو أنهم فعلوا ما يوعظون
١٨٩	"	٨٩	﴿ودوا لو تكفرون كما كفروا
١٠٨	"	٩٢	﴿وما كان لمؤمن أن يقتل
٧٤	"	٩٣	﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً
٢٨٦	"	٩٤	﴿يأياها الذين آمنوا إذا ضربتم
١٩٥	"	١٠٥ - ١٠٧	﴿إننا أنزلنا إليك الكتاب

٢٩١	"	١٢٤	﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزادتهم
١٨٦	"	١٣٨	﴿يُبَشِّرُ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ
٢١٠ ، ٧٢	"	١٤٠	﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ
٢٠٤	"	١٤١	﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
٢١٠	"	١٤٥	﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ
١٤٤	"	١٥٥	﴿قِيلَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ
١٧٨	"	١٦٨ - ١٦٩	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وظلموا

(سورة المائدة)

٣٥	المائدة	٩ - ١٠	﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا
٩٣	"	٣٠	﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسَهُ قَتْلَ
١١٨	"	٣٣	﴿إِنَّمَا جِزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ
١١٧	"	٣٨	﴿وَالسَّارِقِ وَالسَّارِقَةِ فَاقْطَعُوا
٢٢٢	"	٤١	﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنْكَ
٥٠	"	٤٤	﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَأَخْشَوْنَ
١١٢	"	٤٥	﴿وَكُنَّا عَلَيْهِمْ فِيهَا
١٥١	"	٦٦	﴿قَوْلُوا أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ
١٠٨	"	٨٩	﴿لَا يُوَاقِدُكُمْ اللَّهُ بِاللُّغْوِ فِي
٧٦	"	٩١	﴿إِنَّمَا يَرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ
٢٤٦	"	١١٧ - ١١٨	﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا

(سورة الأنعام)

١٤٩	الأنعام	٤٢	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ
١٥٥	"	٤٤	﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا
١٥٦	"	٤٥	﴿فَقَطَّعَ دَابِرَ الْقَوْمِ
١٥٨	"	٩٣	﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذَ الظَّالِمُونَ
١٤٧	"	١١٠	﴿وَنَقَلَبَ أَفْئِدَتَهُمْ
١٥٣	"	١٢٥	﴿فَمَنْ يَرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ
١٣٥	"	١٣٢	﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا

(سورة الأعراف)

١٧٨ ، ١٥٩	الأعراف	٤٠	﴿لَا تَفْتَحْ لَهُمُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ
١٧٤	"	٤١	﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ

١٧١	"	٥٠	﴿وَنَادَى اصْحَابُ النَّارِ.....﴾
٨٩	"	٦٤	﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَبُوا.....﴾
٩٧	"	٩١	﴿وَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَ.....﴾
٢٣٣	"	٩٧ - ٩٩	﴿وَأَفَأَمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَنْ.....﴾
١٧	"	١١٦	﴿وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا.....﴾
١٤٧	"	١٤٦	﴿سَاصِرُونَ عَنْ آيَاتِي.....﴾
١٦٠٤	"	١٥٤	﴿وَفِي نَسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ.....﴾
٨٧	"	١٧٥ - ١٧٦	﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي.....﴾
١٤٤٠٨٣	"	١٧٩	﴿وَأُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ.....﴾
١٥٦	"	١٨٢ - ١٨٣	﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا.....﴾

(سورة الأنفال)

٣١٦	الأنفال	٩	﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ.....﴾
٣١٦٠٣١١	"	١٢	﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ.....﴾
١٢١	"	٣٩	﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ.....﴾
٢٧٠	"	٤٢	﴿لِيُهْلِكَ مِنْ هَلِكٍ عَنِ.....﴾
١٥٨	"	٥٠	﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى.....﴾
١٥١	"	٥٢ - ٥٣	﴿كَذَّابٍ آلَ فِرْعَوْنَ.....﴾
٣١١	"	٥٧	﴿فَإِذَا تَفْقَهُمْ فِي الْخَرْبِ.....﴾
١٢٠٠١٩	"	٦٠	﴿وَإِعْدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ.....﴾

(سورة التوبة)

٢٧٥	التوبة	٦	﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.....﴾
٣١١	"	١٤	﴿وَقَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ.....﴾
٥١	"	١٨	﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ.....﴾
٣١٦	"	٢٥ - ٢٦	﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ.....﴾
٧٤	"	٢٩	﴿وَقَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ.....﴾
٢٦١	"	٣٤ - ٣٥	﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ.....﴾
١٩١	"	٤٦	﴿..... وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ.....﴾
٢٠٨	"	٥٣ - ٥٤	﴿قُلْ انْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا.....﴾
١٩٨٠١٩٠	"	٥٥	﴿فَلَا تَعْجَبْكَ أَمْوَالُهُمْ.....﴾
١٨٣	"	٥٦	﴿وَيُخْلَفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمُنْكَمُ.....﴾

٢٠٩	"	٦٣	﴿ألم يعلموا أنه من يحادد.....﴾
١٩٢	"	٦٤	﴿يحذر المنافقون أن تنزل.....﴾
١٨٣	"	٦٥ - ٦٦	﴿ولئن سألتهم ليقولن.....﴾
٢٠٨	"	٦٧	﴿المنافقون والمنافقات بعضهم.....﴾
٢١١	"	٦٨	﴿وعد الله المنافقون والمنافقات.....﴾
١٩٤	"	٧٣	﴿يا أيها النبي جاهد.....﴾
١٨٩ ، ١٨٣	"	٧٤	﴿يخلفون بالله ما قالوا.....﴾
١٨٤	"	٧٥ - ٧٧	﴿وممنهم من عاهد الله.....﴾
١٨٦	"	٧٩	﴿..... فيسخررون منهم.....﴾
٢٠٩ ، ١٩٩	"	٨٠	﴿استغفر لهم أولا تستغفر لهم.....﴾
٢١١	"	٨١ - ٨٢	﴿وفرح المخلفون بمقعدهم.....﴾
١٩١ ، ١٨٨	"	٨٣	﴿فإن رجعت الله إلى طائفة.....﴾
١٩٩ ، ١٩٨	"	٨٤	﴿ولا تصل على أحد منهم.....﴾
١٩٣ ، ١٩١	"	٩٤	﴿يعتذرون اليكم.....﴾
١٩١	"	٩٥	﴿سيخلفون بالله لكم إذا.....﴾
١٩٢	"	٩٦	﴿يخلفون لكم لترضوا عنهم.....﴾
٢٠٠ ، ١٨٤	"	١٠١	﴿وممن حولكم من الأعراب.....﴾
٣٠١	"	١١٨	﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا.....﴾
٣١١	"	١٢٣	﴿يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين.....﴾
٢١٥	"	١٢٤	﴿فأما الذين آمنوا فزادتهم.....﴾
١٨٥	"	١٢٦	﴿أولا يرون أنهم يفتنون.....﴾
١٣١	"	٢١٧	﴿والفتنة أكبر من القتل.....﴾

(سورة هود)

٢٠٣ ، ١٦٨	هود	١٨	﴿هؤلاء الذين كذبوا.....﴾
٨٣	"	٢٤	﴿مثل الفريقين كالأعمى.....﴾
٨٩	"	٣٨-٣٩	﴿إن تسخروا منا فإننا نسخر.....﴾
٨٩	"	٤٢	﴿يا بني اركب معنا.....﴾
٩٧	"	٦٧ - ٦٨	﴿وأخذ الذين ظلموا الصيحة.....﴾
٩٢	"	٨٣	﴿وما هي من الظالمين ببعيد.....﴾
٩٢	"	١٠٠ - ١٠١	﴿ذلك من أنباء القرى.....﴾
٩٥	"	١٠٢	﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ.....﴾

٥٢	"	١٠٣	﴿إن في ذلك لآية.....﴾
٩٠	"	١٢٠	﴿ولا كلا نقص عليك.....﴾

(سورة يوسف)

٩٠	يوسف	٣	﴿نحن نقص عليك أحسن.....﴾
٩٣	"	٥ - ٤	﴿إذ قال يوسف لأبيه.....﴾
٩٠	"	١١١	﴿لقد كان في قصصهم عبرة.....﴾

(سورة الرعد)

٢	الرعد	١٤	﴿له دعوة الحق.....﴾
٩٢	"	٣١	﴿ولا يزال الذين كفروا.....﴾

(سورة إبراهيم)

١٤٩	إبراهيم	٧	﴿لئن شكرتم لازيدنكم.....﴾
٩١	"	١٣ - ٩	﴿ألم يأتكم نبوا الذين.....﴾
٢٨	"	١٤	﴿ذلك لمن خاف مقامي.....﴾
١٧٣	"	١٦	﴿ويسقى من ماء صديد.....﴾
١٧٦	"	١٧	﴿ويأتيه الموت من.....﴾
٨٣	"	١٨	﴿مثل الذي كفروا بربهم.....﴾
١٧٧	"	٢٢	﴿وقال الشيطان لما قضي.....﴾
٨١	"	٢٦	﴿ومثل كلمة حبيثة.....﴾
١٦٢	"	٤٢	﴿ولا تحسبن الله غافلاً.....﴾
١٧٤	"	٥٠	﴿سرا يبيلهم من قطران.....﴾

(سورة الحجر)

٣٢	الحجر	٥٠ - ٤٩	﴿نبىء عبادى أنى.....﴾
١٠٢	"	٩٣ - ٩٢	﴿فوربك لنسألنهم.....﴾
٣١٩	"	٩٥	﴿إنا كفيناك المستهزئين.....﴾

(سورة النحل)

١٦٥	النحل	٢٥ - ٢٤	﴿وإذا قيل لهم ماذا أنزل.....﴾
١٠١	"	٣٨	﴿وأقسموا بالله جهد.....﴾

٥١	"	٥٠	﴿يخافون ربهم من فوقهم
٧٥	"	٧٢	﴿والله جعل لكم من
١٧٦	"	٨٨	﴿والذين كفروا وصدوا
٨٦	"	٩٢ - ٩١	﴿وأوفوا بعهد الله
٢٢٢	"	٩٧	﴿ومن عمل صالحاً من ذكر
١٤٥	"	١٠٤	﴿إن الذين لا يؤمنون بالله
٦٦	"	١١٢	﴿... فأذاقها الله لباس
٤٩ ، ٢	"	١٢٥	﴿ادع إلى سبيل ربك

(سورة الإسراء)

١٧٤	الإسراء	٨	﴿وجعلنا جهنم للكافرين
٧٤	"	٣٣	﴿ولا تقتلوا النفس التي
٣٢	"	٥٧	﴿ويرجون رحمته ويخافون
٧١	"	٧٠	﴿ولقد كرمنا بني آدم
١٦٣ - ١٥٤	"	٩٧	﴿ومن يهد الله فهو المهتد
١٥٤	"	٩٨	﴿ذلك جزاؤهم بأنهم

(سورة الكهف)

٨١	الكهف	٥	﴿واضرب لهم مثل الحياة
٩٠	"	١٣	﴿فنحن نقص عليك
١٧٥ ، ١٧٣	"	٢٩	﴿إنا أعتدنا للظالمين
١٥١	"	٤٢	﴿وأحيط بثمره ، فأصبح يقلب
١٤٩	"	٤٦	﴿المال والبنون زينة
١٦٤	"	٤٨ - ٤٩	﴿وعرضوا على ربك
١٤٨	"	٥٧	﴿وإن تدعهم إلى الهدى
١٦٧	"	١٠٣ - ١٠٥	﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين

(سورة مريم)

١٨٠	مريم	٣٩	﴿وانذرهم يوم الحسرة
٢٦٠	"	٥٩	﴿فخلف من بعدهم خلف
١٠٢	"	٦٨	﴿فأوربك لنحشرنهم
١٣٩	"	٧١	﴿وإن منكم إلا واردها

(سورة طه)

٢٠٣	طه	١٠٨	﴿يومئذ يتبعون الداعي.....﴾
١٦٣، ١٥٠	"	١٢٤	﴿ومن أعرض عن ذكرى.....﴾

(سورة الأنبياء)

١٧٥	الانبياء	٣٩	﴿ولو يعلم الذين كفروا.....﴾
٢٩٨، ١٣٩	"	٤٧	﴿ونضع الموازين القسط.....﴾
٩٤	"	٧٤	﴿ولو لو طأ آتيناها حكماً.....﴾
٥١، ٣٥، ١٩، ١٦	"	٩٠	﴿إنهم كانوا يسارعون.....﴾

(سورة الحج)

٦٦	الحج	٢-١	﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم.....﴾
١٧٤	"	١٩	﴿فوالذين كفروا قطعت.....﴾
١٧٧	"	٢٢ - ٢١	﴿ولهم مقامع من حديد.....﴾
١٢٥	"	٣٠	﴿ذلك ومن يعظم حرمات الله.....﴾
١٥٩	"	٣١	﴿ومن يشرك بالله.....﴾
٣٠٤	"	٤٠	﴿ولو لولا دفع الله الناس.....﴾

(سورة المؤمنون)

٦٧، ٣٣	المؤمنون	٦٠	﴿والذين يؤتون ما آتوا.....﴾
١٣٨	"	٩٩ - ١٠٠	﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت.....﴾
١٧٨	"	١٠٦ - ١٠٧	﴿قالوا ربنا غلبت علينا.....﴾
١٧٨	"	١٠٨	﴿قال اخسئوا فيها.....﴾

(سورة النور)

٢٣٤، ١١٥	النور	٢	﴿الزانية والزاني فاحلدوا.....﴾
٢٣٥، ١١٦	"	٤	﴿والذين يرمون المحصنات.....﴾
٥٠	"	١٧	﴿يعظكم الله أن تعودوا.....﴾
٢٥٣، ٧٥	"	٢٣ - ٢٤	﴿إن الذين يرمون المحصنات.....﴾
١٥٢، ١٤٣	"	٤٠	﴿أو كظلمات في بحر.....﴾
٥١	"	٥٢	﴿ومن يطع الله ورسوله.....﴾
١٥٥	"	٥٥	﴿وعد الله الذين آمنوا منكم.....﴾

(سورة الفرقان)

١٧٠	الفرقان	١٢ - ١١	﴿وأعتدنا لمن كذب﴾
١٦٧	"	٢٣	﴿وقدمنا إلى ما عملوا﴾
٢٥٩ - ٧٥	"	٦٨	﴿والذين لا يدعون مع الله﴾
٧٥	"	٦٩	﴿يضاعف له العذاب﴾

(سورة الشعراء)

٨٩	الشعراء	١١٩	﴿فأنجيناه ومن معه﴾
٩٣	"	١٨٩ - ١٨١	﴿واوفوا الكيل ولا تكونوا﴾

(سورة النمل)

٩٧	النمل	٥٢ - ٥١	﴿أنا دمرناهم وقومهم﴾
----	-------	---------	----------------------------

(سورة العنكبوت)

١٩٣	العنكبوت	١١	﴿وليعلمن الله الذين آمنوا﴾
١٦٥	"	١٣	﴿وليحملن أثقالهم﴾
٨٩	"	١٤	﴿فأخذهم الطوفان﴾
٣٥	"	٢١	﴿يعذب من يشاء ويرحم﴾
٩٥	"	٢٩	﴿فإنكم لتأتون الرجال﴾
٩٣	"	٤٠ - ٣٧	﴿فكذبوه فآخذتهم الرجفة﴾
٨٠	"	٤٣	﴿وتلك الأمثال نضربها﴾
١٧٥	"	٥٥	﴿يوم يغشاهم العذاب﴾
١٤٥	"	٦٩	﴿والذين جاهدوا فينا﴾

(سورة الروم)

١٤٣	الروم	٥٣ - ٥٢	﴿فإنك لاتسمع الموتى﴾
-----	-------	---------	----------------------------

(سورة لقمان)

٦٦	لقمان	٣٣	﴿وأيأياها الناس اتقوا ربكم وأخشوا﴾
----	-------	----	--

(سورة السجدة)

٣٢	السجده	١٦	﴿يُدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا.....﴾
١٣٦	"	٢١	﴿وَلَنذِيقَنَّهُم مِنَ الْعَذَابِ.....﴾

(سورة الأحزاب)

١٩١	الأحزاب	١	﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ...﴾
٣١٧	"	٩	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ...﴾
١٨٩	"	١٧	﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ...﴾
٢٠٨ ، ١٨٧	"	١٩	﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ...﴾
٣١٨	"	٢٥	﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾
٢٢٠	"	٣٢	﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ...﴾
٢١١	"	٥٨	﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ...﴾
١٩٤	"	٦١-٦٠	﴿لَيْسَ لِمَنْ يَنْتَهَى الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي...﴾
١٧٨	"	٦٥ - ٦٤	﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ...﴾
١	"	٧١ - ٧٠	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا...﴾
١٣١	"	٧٢	﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ...﴾

(سورة سبأ)

١٠٢	سبأ	٣	﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا...﴾
١٥١	"	١٥	﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسَاكِنِهِمْ...﴾
١٥١ ، ٦٦	"	١٦	﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ...﴾
١٧٠	"	٣٣	﴿وَجَلَعْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ...﴾
٣٨	"	٣٩	﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ...﴾

(سورة فاطر)

٦٧	فاطر	٦	﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ...﴾
٢٣٣	"	١٠	﴿مَنْ كَانَ يَرِيدَ الْعِزَّةَ...﴾
١٦٥	"	١٨	﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى...﴾
١٤٣	"	٢٢-١٩	﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ...﴾
١٤٣ ، ٨٣	"	٢٢	﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ...﴾
٥١ ، ٢٨ ، ٤	"	٢٨	﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ...﴾

(سورة يس)

١٠٣	يس	٤-١	﴿..... والقرآن الحكيم ﴾
١٦٤	"	٦٥	﴿اليوم نختم على أفواههم ﴾

(سورة الصافات)

١٠٣	الصافات	٤-١	﴿..... الصافات صفا ﴾
١٧٢	"	٦٢ - ٦٦	﴿أذلك خير نزلاً أم شجرة ﴾

(سورة ص)

١٧٦	ص	٦١	﴿قالوا ربنا من قدم لنا ﴾
-----	---	----	--------------------------

(سورة الزمر)

١٧٥	الزمر	١٦	﴿..... من فوقهم ظلل ﴾
٨٠	"	٢٧	﴿ولقد ضربنا للناس ﴾
٣٩	"	٥٣	﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا ﴾
١٦٨	"	٧١	﴿وسيق الذين كفروا إلى ﴾

(سورة غافر)

١٦٠	غافر	٤٦-٤٥	﴿وحاق بآل فرعون سوء العذاب ﴾
١٧٧	"	٤٩	﴿وقال الذين في النار ﴾
١٧٧	"	٥٠	﴿قالوا أولم تك ﴾
١٧١	"	٧١	﴿إذ الأغلال في أعناقهم ﴾

(سورة فصلت)

٣٠٦، ٣٠٥	فصلت	١٣-١	﴿حم . تنزيل من الرحمن الرحيم ﴾
٩٢	"	١٤	﴿إذ جاءتهم الرسل من ﴾
١٤٥، ١٤٣، ٩٧	"	١٧	﴿وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا ﴾

(سورة الشورى)

١٦٦	الشورى	٨	﴿والظالمون ما لهم من ﴾
-----	--------	---	------------------------

(سورة الزمر)

﴿ونادوا يمالك ليقض﴾ ٧٧ الزحرف ١٧٧

(سورة المشان)

﴿إن شجرة الزقوم﴾ ٤٣ - ٤٦ الدخان ١٧٢

﴿ثم صبوا فوق رأسهم﴾ ٤٨ " ١٧٤

(سورة محمد)

﴿وسقوا ماء حميما﴾ ١٥ حمد ١٧٣

﴿فهل ينظرون إلا الساعة﴾ ١٨ " ٢٠٢ ، ٢٠٣

﴿ويقول الذين .. رأيت الذين في قلوبهم﴾ ٢٠ " ١٨٧

﴿فكيف إذا توفتهم الملائكة﴾ ٢٧ " ١٩٨

﴿ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط﴾ ٢٨ " ٢٠٧

﴿أم حسب الذين في﴾ ٢٩ - ٣٠ " ١٩٤

﴿إن الذين كفروا وصدوا﴾ ٣٤ " ١٦٨

(سورة النجم)

﴿ويعذب المنافقين والمنافقات﴾ ٦ الفتح ٢٠٩

﴿... تقاتلونهم أو يسلمون﴾ ١٦ " ٢٨٤

(سورة الحجرات)

﴿وإن طائفتان من المؤمنين﴾ ٩ الحجرات ١١٩

﴿... بمس الاسم الفسوق﴾ ١١ " ٢٣٥

﴿يأبىها الذين آمنوا احتبوا﴾ ١٢ " ٨٦

﴿قالت الأعراب أمنا﴾ ١٤ " ٢٨٦

(سورة ق)

﴿أئنذا متنا وكنا تراباً﴾ ٣ ق ١٠١

﴿فذكر بالقرآن من يخاف وعيد﴾ ٤٥ " ٥٢

(سورة الذاريات)

١٠٣	الذاريات	٦-١	﴿والذاريات ذرواً.....﴾
١٠١	"	٢٣	﴿فأورب السماء والأرض إنه.....﴾
٩٧	"	٤٤ - ٤٥	﴿فأخذتهم الصاعقة وهم.....﴾
٧٣	"	٥٦	﴿وما خلقت الجن والإنس.....﴾

(سورة الطور)

١٠٣	الطور	٨-١	﴿والطور ، وكتب مسطور.....﴾
-----	-------	-----	----------------------------

(سورة النجم)

١٠٣	النجم	٣-١	﴿والنجم اذا هوى.....﴾
٩٧	"	٥٠ - ٥١	﴿وأنه أهلك عاداً الأولى.....﴾

(سورة القمر)

٩٦ ، ٨٩	القمر	١٢-١١	﴿ففتحننا أبواب السماء.....﴾
٩٦	"	١٩	﴿إنا أرسلنا عليهم ريحاً.....﴾
٩٧	"	٣١	﴿إنا أرسلنا عليهم صيحة.....﴾

(سورة الرحمن)

٥١	الرحمن	٤٦	﴿ولمن يخاف مقام ربه.....﴾
----	--------	----	---------------------------

(سورة الواقعة)

١٧١	الواقعه	٥٣-٥١	﴿ثم انكم ايها الضالون.....﴾
١٧٣	"	٥٤	﴿فشاربون عليه من الحميم.....﴾
١٠٣	"	٧٧-٧٥	﴿فلا أقسم بمواقع النجوم.....﴾
١٣٧	"	٨٣	﴿فلولا إذا بلغت الحلقوم.....﴾
١٣٧	"	٨٥	﴿ونحن أقرب إليه منكم.....﴾

(سورة الحديد)

٢٠٧ ، ٢٠٦	الحديد	١٣	﴿يوم يقول المنافقون والمنافقات.....﴾
٢٠٧	"	١٣-١٥	﴿... قيل ارجعوا وراءكم.....﴾
٢٢٧	"	٢٢	﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض.....﴾
٢٧٠	"	٢٥	﴿لقد أرسلنا رسلنا.....﴾

(سورة المجادلة)

١٠٩	المجادلة	٤-٣	﴿والذين يظاهرون من.....﴾
٢١٠	"	١٧-١٦	﴿اتخذوا أيمانهم حنة.....﴾
٢١١ ، ٢١٠	"	١٧	﴿... وأولئك أصحاب النار.....﴾
٢٠٣ ، ١٨٤	"	١٨	﴿يوم يعنهم الله جميعاً.....﴾
١٢٦	"	٢٠	﴿إن الذين يحادون الله.....﴾
٢٢٠	"	٢٢	﴿لا تجد قرماً يؤمنون بالله.....﴾

(سورة المشر)

٢٧٧	المشر	٢	﴿هو الذي أخرج الذين كفروا.....﴾
١٨٤	"	١١	﴿الم تر إلى الذين ناققوا.....﴾
١٦	"	١٣	﴿لأنتم أشد رهبة في.....﴾
٣٤	"	١٨	﴿... اتقوا الله ولتنظر نفس.....﴾

(سورة الممتحنة)

٢١٩	الممتحنة	١	﴿يا أيها الذين آمنوا لاتخذوا عدوي.....﴾
١٥٤	"	١٣	﴿يا أيها الذين آمنوا لاتولوا قوماً.....﴾

(سورة الصف)

١٤٨	الصف	٥	﴿فلما زاغوا أزاغ الله.....﴾
-----	------	---	-----------------------------

(سورة الجمعة)

٨١	الجمعة	٥	﴿مثل الذين حملوا التوراة.....﴾
----	--------	---	--------------------------------

(سورة المنافقون)

١٨٣ ، ١٣٥	المنافقون	٣-٢	﴿اتخذوا أيمانهم حنة.....﴾
١٨٧ ، ٨٥	"	٤	﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم.....﴾

(سورة التغابن)

١٠٢	التغابن	٧	﴿... بلى وربي لتبعثن.....﴾
-----	---------	---	----------------------------

(سورة التحريم)

١٤٠	التحريم	٦	﴿لا يعصون الله ما أمرهم
١٨٣	"	٩	﴿وأيأيتها النبي جاهد الكفار

(سورة الملك)

١٧١	الملك	٨-٦	﴿واللذين كفروا بربهم عذاب
١٢٢	"	١٤	﴿والا يعلم من خلق وهو

(سورة القلم)

٢٢٥ ، ٩٣	القلم	٢٠ - ١٩	﴿فظاف عليها طائف
٢٠٥	"	٤٣ - ٤٢	﴿يوم يكشف عن ساق

(سورة الحاقة)

٩٧	الحاقة	٥	﴿فأما نمود فأهلكوا
١٦٧	"	٢٥	﴿وأما من أوتى كتابه بشماله
١٧٠	"	٣٠	﴿خذوه فقلوه
١٧١	"	٣٢	﴿في سلسلة ذرعتها
١٧٢	"	٣٧-٣٦	﴿ولا طعام إلا من غسلين

(سورة المعارج)

١٦٢	المعارج	٤٣	﴿يوم يخرجون من الأحداث
-----	---------	----	------------------------------

(سورة نوح)

٨٨	نوح	٥	﴿قال رب إني دعوت
٢٢٤	"	١١-١٠	﴿فقلت استغفروا ربكم

(سورة الجن)

١٣٠	الجن	١٦	﴿وآلو استقاموا على
-----	------	----	--------------------------

(سورة الزمل)

١٧٠	الزمل	١٢	﴿إن لدينا أنكلاً
١٧٢	"	١٣	﴿وطعاماً ذا غصة

(سورة المدثر)

٥٢	المدثر	٢-١	﴿يا أيها المدثر . قم
١٥٠	"	١٦-١١	﴿ذرني ومن خلقت وحيداً
١٧٥	"	٢٨-٢٧	﴿وما أدراك ما سقر
٢١٥	"	٣١	﴿ويزداد الذين آمنوا

(سورة القيامة)

١٠١	القيامة	١	﴿لا أقسم بيوم القيامة
٣٠٧	"	٣٥-٣١	﴿فلا صدق ولا صلى

(سورة الإنسان)

١٤٣	الإنسان	٣	﴿إنا هديناه السبيل
١٧٠	"	٤	﴿إنا أعتدنا للكافرين

(سورة المرسلات)

١٠٥	المرسلات	٧-١	﴿المرسلات عرفاً ، فالعاصفات
-----	----------	-----	-----------------------------------

(سورة النبأ)

١٧٦	النبأ	٣٠	﴿فدوقوا فلن نزيدكم
١٧٣	"	٢٥-٢٤	﴿ولا يدقون فيها برداً
١٧٠	"	٤٠	﴿يوم ينظر المرء ما قدمت

(سورة النازعات)

٥٢	النازعات	٤٥	﴿إنما أنت منذر
----	----------	----	----------------------

(سورة عبس)

١٣١	عبس	٣٧-٣٤	﴿يوم يفر المرء من
١٦٢	"	٤٢-٤٠	﴿وروجه يومئذ عليها

(سورة الانفطار)

٣١٠	الانفطار	١٩	﴿يوم لا تملك نفس لنفس
-----	----------	----	-----------------------------

(سورة المطففين)

٢٥٨	المطففين	١	﴿ويل للمطففين﴾
١٤٤	"	١٤	﴿كلا بل ران على قلوبهم﴾
١٧٩ ، ٢٩	"	١٥	﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ﴾
٢٩	"	١٦	﴿ثم إنهم لصالوا الجحيم﴾
١٧٩	"	٣٦-٣٤	﴿فاليوم الذين آمنوا من﴾

(سورة الانشقاق)

١٦٨	الانشقاق	١٢-١٠	﴿وأما من أوتي كتابه﴾
-----	----------	-------	----------------------------

(سورة البروج)

١٠١	البروج	٢-١	﴿والسماء ذات البروج﴾
-----	--------	-----	----------------------------

(سورة الأعلى)

٥٢	الأعلى	١٠	﴿سذكر من يخشى﴾
----	--------	----	----------------------

(سورة الغاشية)

١٧٢	الغاشية	٧-٦	﴿ليس لهم طعام الا من ضريع﴾
-----	---------	-----	----------------------------------

(سورة الفجر)

٩٧ ، ٩٥	الفجر	٩-٦	﴿ألم ترك كيف فعل ربك﴾
---------	-------	-----	-----------------------------

(سورة الشمس)

١٠٤	الشمس	١٠-١	﴿والشمس وضحاها﴾
٩٧	"	١٤	﴿قدمدم عليهم ربهم﴾

(سورة الليل)

١٠٣	الليل	٤-١	﴿والليل إذا يغشى﴾
١٤٧	"	٦-٥	﴿فأما من أعطى واتقى﴾
١٤٦	"	١٠-٨	﴿وأما من نحل واستغنى﴾
١٤٦	"	١٢	﴿إن علينا للهدى﴾

(سورة العلق)

﴿كلا إن الإنسان ليطغى﴾ ١٩-٦ العلق ٣٠٧

(سورة الزلزله)

﴿ومن يعمل مثقال ذرة﴾ ٨-٧ الزلزله ٦٧

(سورة العصر)

﴿والعصر إن الإنسان﴾ ٣-١ العصر ١٠٤

(سورة الهمزة)

﴿ويل لكل همزة لمزة﴾ ٩-١ الهمزة ٢٦١ ، ٢٥٨

﴿وما أدراك ما الخطة﴾ ٩-٥ " ١٧٥

(سورة الفيل)

﴿ألم تر كيف فعل ربك﴾ ٥-١ الفيل ٩٦

(سورة قريش)

﴿الذي أطعمهم من جوع﴾ ٤ قريش ١٤٩

(سورة النصر)

﴿إذا جاء نصر الله﴾ ٣-١ النصر ٢٨١

فهرس الاحاديث والآثار*

الصفحة	الحديث
	أولاً : فهرس الأحاديث الشريفة
٢٥٢	(اتدرون من المفلس ؟ قالوا المفلس فينا ...)
١٢٧	(أشفع في حد من حدود الله ...)
٩٤	(أتى الاعمى في صورته - فقال ...)
١١٤	(أتى رجل في طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد ...)
١١٣	(أتى النبي صلى الله عليه وسلم بسكران فأمر بضربه ...)
٣٠٢	(أحسن إليها فإذا وضعت فجيء بها ...)
١٥١	(فأخبرها نبي الله صلى الله عليه وسلم أنه كان عذاباً ...)
١٤٥	(أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذنوب إذا تابعت ...)
٢٩٣	(إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان ...)
٢٥٧	(أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم ...)
٢٧٤	(اذهب به ياعباس إلى رحلك ...)
٢٤١	(افتتحنا خير ولم نغنم ذهباً ولافضه ...)
٢٢٩	(أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال نعم ...)
١١٠	(إذا بويغ لخلفتين فاقتلوا الآخر منهما ...)
٢٣٣	(إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ...)
١١٨	(.. إذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيراً ...)
٩٩	(إذا دعى الرجل إمرأته إلى فراشة فأبت ...)
١٥٦	(إذا رأيت الله يعطى العبد من الدنيا على معاصيه ...)
١٧٩	(إذا صار أهل الجنة الى الجنة وأهل النار إلى النار ...)
١٦٥	(إذا كان يوم القيامة عرف الكافر بعمله فجحد وخاصم ...)
٣٠٤ ، ٢٧٦ ، ١٢٧	(... إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم ...)
٢٦٠	(أطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء ...)
٣١٥	(أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي ...)
٤٠	(أعمل ما شئت فقد غفرت لك ...) حديث قوسي
٢٧٩	(.. أقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين ...)

* ترتيب الاحاديث هنا الفأ بائياً ، وباعتبار أولى الكلمات الواردة عند الاستشهاد بالحديث ، قد يكون من أول الحديث وقد يكون من وسطه ، لذا قد اذكر بعض الأحاديث هنا أكثر من مرة .

٢١٥	(أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً...)
٢٦٠	(... ألا أخبركم بأهل النار قالوا بلى...)
٦٢ ، ٦١	(ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قالوا...)
١٢٦	(ألا إن حمى الله في أرضه محارمه...)
٧٠	(الا تريحني من ذي الخلصة؟...)
٣١٧	(ألا رجل يأتيني بخبر القوم جعله الله معي...)
٢٢٠	(ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت...)
١٦٨	(أما الكافر فيسود وجهه ويمد له في جسمه...)
٢٠٢	(.. أما الكافر والمنافق فيقولان له كنت...)
١٦٤	(.. أما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس...)
١١٥	(أما والذي نفسي بيده...)
٤٢	(أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نترك الناس...)
٢٥٣	(أول من يختصم يوم القيامة الرجل وإمرأته...)
١٩٥	(إنا على جناح سفر...)
٧١	(إن النبي صلى الله عليه وسلم أني بنحيمان...)
٢٥٠	(إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة...)
٢٥١	(إن أول ما يقضى بين الناس في الدماء...)
٢٥٠	(إن أول الناس يقضى يوم القيامة...)
	(إن أهون أهل النار عذاباً من له نعلان...)
١٢٠	(أن تقاتل الكفار إذا لقيتهم...)
٢٩٧	(إن رجلاً قعد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم...)
٢٩٥	(إن رجلاً في كنده ورجلاً في حضر موت...)
٢٢٤	(إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه...)
٣٣	(إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما...)
٣١٣	(إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أغار على بني...)
٣٠٠ ، ٧١	(إن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى خاتم...)
٦٤	(إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على...)
٢٤٨	(إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون...)
٣٩	(إن عبداً أصاب ذنباً فقال رب أذنبت...)
١٤٤	(إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه...)
٢٠١	(إن العبد إذا وضع في قبره وقول عن أصحابه...)

١٥٨	(إن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا ...)
٢٦١	(إن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله ...)
٦٧	(إن العبد ليعمل عمل أهل النار ...)
٦٧	(إن قلوب بني آدم بين اصبعين من ...)
٢٠٢	(إن كان منافقاً قال سمعت الناس ...)
٢٠٥	(فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك يجمع الله الناس ...)
٢٧١	(أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد ...)
١٦٦	(إني لقاتم انتظر أمتي تعبر على الصراط ...)
١٢٥	(إن للشهيد عند ربه ستة خصال ...)
٢٠٣	(إن الله يدنى المؤمنون فيضع عليه ...)
٢٤٩	(أنا مالك أنا كنتك ...)
١٦٠	(إن الميت إذا وضع في قبره إنه ليسمع ...)
٣٠٠ ، ٧٢	(إنها إشترت غمرقة فيها تصاوير ...)
٢٢٧	(إن هذا الوجع أو السقم رجز عذب به بعض الأمم ...)
٢١٧	(إنهم بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن ...)
٢٩٤	(إن الله يعذب الذين يعذبون في الدنيا ...)
٢٣٤	(إني لأحسب الرجل ينسى العلم كما تعلمه ...)
٢٨	(إني لأحشاكم الله ...)
٣٠٤	(لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً ...)
٢٧٨	(بايعني على ألا تشركن بالله شيئاً ...)
٣١٢	(بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رافع ...)
٢٢٥	(البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فإن صدقا ...)
٧٢	(بينما النبي صلى الله عليه وسلم يصلي ...)
٣١٦	(بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر ...)
٢٤٠	(بينما رجل يجر إزاره إذ خسف به فهو ...)
٩٤	(بينما رجل يجر إزاره من الخيلاء خسف به ...)
٩٤	(بينما رجل يمش في حلة تعجبه نفسه ...)
١٠٦	(.. فتدعى الامم بأوثانها وما كانت تعبد ...)
١١٧	(تقطع اليد في ربع دينار فصاعداً ...)
١٥٩	(.. فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان ...)

٢٢٠	(تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً ...)
٢٤٠	(توفى رجل فغسلناه وحنطناه وكفناه ثم ...)
٢٦٣، ٢٥٧	(ثلاثة لا يدخلون الجنة مدمن خمر ...)
٢٤٩	(ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ...)
٢٥٤	(.. ثم يقول : ارفعوا رؤسكم فيرفعون ...)
٢٨٨	(جاءت هند بنت عتبة فقالت يا رسول الله ...)
٢٣٣	(جعل الذل والصغار على من تخالف أمري ...)
١٢٩	(حد يعمل في الأرض خيراً لأهل الأرض من ...)
٢٢٦	(الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبركة ...)
٦٤	(خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ...) (دخلت مع علقمة والاسود على عبد الله فقال عبد الله "كنا مع النبي صلى الله عليه
٤٥	(وسلم .." ...)
٣٨	(دخل النبي صلى الله عليه وسلم على بلال ...)
٢٣٤	(ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر ...)
٢٩٢	(سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعطاني ...)
١٩٣	(صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فنادى بصوت رفيع ...)
٢٣٨	(صلوا على صاحبكم فأنكر الناس ذلك وتغيرت ...)
٢٥٦	(صنفان من أهل النار لم أرهما قط ...)
١٧٥	(ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد ...)
٩٤	(عذبت امرأة في هرة ربطتها حتى ماتت ...)
٣١٥	(غزونا مع النبي صلى الله عليه وسلم تبيوك ...)
٢٥٥	(في حافتي الصراط كلا ليب معلقة ...)
٣٠٧	(فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لودنا منى ...)
٢٩٤	(فقال من هذا ؟ قلت عبد الله بن عمر ...)
٢٤٥	(قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ...)
٢٢٣	(قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنعه الله ...)
٣١٨	(قدم أناس من عكل أو عرينة فاجتوتوا ...)
٧١	(قطع النبي صلى الله عليه وسلم يد سارق ...)
٦١	(قلت يا رسول الله الا تستعملني ؟ قال : ...)
٤٠	(كان رجل ممن كان قبلكم يسيء الظن ...)
٣٧	(كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أصاب غنيمة ...)

٢٤٢	(كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى مما يكتر ...)
٢٤١	(كان على ثقل النبي صلى الله عليه وسلم رجل ...)
٤١	(كان فيمن قبلكم رجل قتل تسعة وتسعون ...)
٢٨٦	(وكان ممن شهد بدرأ مع النبي صلى الله عليه وسلم ...)
١٥٥	(كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول إن أعوذ بك ...)
٢٩٩	(كسانى رسول الله صلى الله عليه وسلم حلة ...)
٢٥٣	(كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك ...)
٢٤٩	(لا ألفين أحدكم يوم القيامة على رقبته فرس ...)
١٣٧	(لا إله إلا الله ، إن للموت سكرات ...)
١٨٨	(لا تقولوا للمنافق سيد فإنه إن يك سيدكم ...)
٢٣٣	(لا تقوم الساعة حتى تقتتل ففتان عظيما تكون ...)
٣٧	(لأعلمن أقواماً من أمتى يأتون يوم القيامة ...)
٧٦ ، ٣٣	(لا يابنت الصديق ولكنه الرجل يصوم ...)
١٩٨	(لا يتوفى أحد على معصية إلا تضرب الملائكة ...)
١١٤ ، ١١٢ ، ١١١	(لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله ...)
٢٩٦	(لا يحل لأحد يبيع شيئاً إلا يبين ما فيه ...)
٢٥٧	(لا يدخل الجنة قاطع ...)
٢٥٧	(لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ...)
٢٩١ ، ٢١٦	(لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ...)
١٢	(لا يشكر الله من لا ...)
٤٠	(لا يموتن أحدكم إلا هو يحسن بالله الظن ...)
٢٣٤	(لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ...)
١٢٥	(لقد تاب توبة لو قسمت بين أمتي ...)
١٢٥	(لقد تاب توبة لو قسمت بين سبعين ...)
٢٣٩	(لقتوا موتاكم لا إله إلا الله ...)
٢٣١	(لقينا المشركين يومئذ وأجلس النبي صلى الله عليه وسلم ...)
١٦٦	(لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها وأريد أن ...)
٢٢٨	(لم تظهر الفاحشة في قوم قط ...)
٢٢٦	(لم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا ...)
٢٣١	(.. ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله ...)
٥١	(والله إني لأرجو أن أكون أحشاكم لله ...)

٣٠٨	(اللهم عليك بقريش ، الله عليك بأبي جهل ...)
٢٢٢	(اللهم يامصرف القلوب أصرف قلوبنا على طاعتك ...)
٣٦	(ليس أحد منكم ينجيه عمله قالوا ولا انت ؟ ...)
٦٤	(ليس صلاة أثقل ...)
٢٢٦	(ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن ...)
٢٢٦	(ليس المسكين بالذي ترده الثمرة والتمرتان ...)
٢٢١	(ليتتهين أقوام عن ودعهم الجمعات ...)
١٢٥	(ما توبة أفضل من توبة ما عز ...)
٢٢٥	(ما من أحد أكثر من الربا إلا كان عاقبه أمره ...)
٢٤٧	(ما من صاحب ذهب ولافضه ...)
٢٩٨	(ما من عبد يخطب خطبة الا الله سائله ...)
٢٢٠	(ما من قلب إلا وهو بين اصبعين ...)
٢٣٦	(ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها إلا ...)
٢٤٢	(ما من ميت يموت فيقوم باكيهم فيقول ...)
٢٢٥	(ما من يوم يصيح العباد فيه إلا ملكان ...)
٢٥٨	(وما نهر الغوطه ؟ قال نهر يجرى ...)
٢٤٨	(ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ...)
٢٣٦	(ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ...)
٨٥	(مثل المنافق كمثل الشاة ...)
٨٦	(مثل الذي لا يتم ركوعه وينقر في سجوده ...)
٨١	(مثل الذي يرجع في صدقته كمثل الكلب ...)
٢٣٩	(مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبرين فقال : ...)
٢٧٣	(فما جاء بك يا عمير ؟ قال جئت لهذا ...)
٢٤٦	(من أتاه الله مالاً فلم يود زكاته ...)
٢٣٨ ، ١٥٧	(من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ...)
٢١٥	(من أحب الله وأبغض الله واعطى الله ...)
٢٩٧ ، ٢٢٨	(من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه ...)
٢٦١	(... ومن استمع الى حديث قوم ...)
١١١	(من بدل دينه فاقتلوه ...)
٢٦٢	(من تعمد على كذباً فليتبوأ مقعده في النار ...)
٢٩٥	(من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه ...)

٥٧ ، ٢١٥	(من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن ...)
٣٤	(من سن في الإسلام سنة حسنة ...)
٢٥٢	(من ضرب ضرباً ظلماً اقتصر منه يوم القيامة ...)
٤٤	(من عادى لي ولياً فقد أذنته بالحرب ...) حديث قدسي
٢٣٩	(من كان آخر كلامه لا إله إلا الله ...)
٢٢٦	(من كانت الآخرة همه جعل الله غناه ...)
٢٥٢	(من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء ...)
٢٦٢	(من كذب على بني له بيت في جنهم ...)
٣١٢	(من لكعب بنى الإشراف؟ فإنه قد أذى الله ...)
٢٣٢	(من لم يغز ولم يجهز غازياً أو يخلف غازياً ...)
١١٥	(من وجدتموه يعمل أهل لوط فاقتلوه ...)
٢٤١	(الميت يعذب في قبره بما نوح عليه ...)
٢٤٨	(النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة ...)
٢٥٨	(ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك به القوم ...)
١٠٥	(يا أمة محمد والله لو تعلمون ما أعلم لبكيتم ...)
١٢٧ ، ٣٧	(يا أيها الناس إنما ضل من كان قبلكم ...)
٧٥	(يا أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم ...)
١٥٠	(يا أكل المسلم في معي واحد ، والكافر ...)
٤٥	(يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة ...)
٢٦٠	(يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار ...)
٦٢	(يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله ...)
١١٠	(يا نبي الله إني اشتريت خمراً لأيتام في حجري ...)
٢٣٢	(بيت قوم من هذه الأمة على طعم ...)
٢٥٧	(يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار ...)
٢٦٢ ، ٢٥٠ ، ٢٤٨	(يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صورة ...)
٢٥٢ ، ٢٥١	(يحشر الناس يوم القيامة أو قال العباد عراة ...)
٢٥٥ ، ١٦٨	(يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان ...)
٢٦٤	(يخرج قوم من النار يشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم ...)
٢٦٣	(يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ...)
٢٥٣	(يرد علي يوم القيامة رهط من أصحابي فيجلون ...)
٢٦٣	(... يسقون من عصارة أهل النار ...)

١٦٣ (يعرض الناس يوم القيامة ثلاثة عرضات ...)
١٦٧ (يقال للكافر يوم القيامة أرأيت لو كان لك ...)
٢٠٥ (.. فيقول أنا لربكم : فيقولون نعوذ بالله منك ...)
٢٢٧ (يكون في آخر هذه الامة حسف ومسح ...)
٢٢٧ (ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الخزو الحرير ...)
١٦٤ (.. فيلقى العبد ، فيقول : أي فل ألم أكرمك وأسودك ...)
٢٥٤ (فيمر أولكم كالبرق ، قال : بأبي انت وأمي ...)
١٦٨ (ينادى مناد : ليذهب كل قوم الى ما كانوا يعبدون ...)
١٦٠ (فينادي مناد من السماء أن كذب ...)
٢٣١ (يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة ...)
تاليسيا : فهرس من الآثار	
٢١٠	"احلس بنا نومن ساعه ..."
٣٥	"أما بعد فإني أوصيك بتقوى الله ..."
٢٣٤ ، ٢٢٣	"إن للحسنه نوراً في القلب وضياء في الوجه ..."
٢٣٢	"لأن عادت لا أساكنكم فيها ..."
٢٩٦	"إن عمر وهو يومئذ أمير المؤمنين خرج إلى المسجد فرأى طعاماً ..."
١٦٧	"إن الكافر يلجمه العرق يوم القيامة ..."
١١٣	"جلد النبي صلى الله عليه وسلم أربعين ..."
٢٠٨	"إن المنافق ليصلى فيكذبه الله ويقا تل ..."
٢٥٩	"أوديه في جهنم يعذب فيها الزنا ..."
٦٧	"إني سايت رجلاً فعيرته بأمه ..."
٤٢	"حدثوا الناس بما يعرفون ..."
٢٦٠	"غياً واد في جهنم يعذب فيها الزناه ..."
١٣	"فإن بك صواباً ..."
٣٢	"قلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة ..."
١٠٤	"فو الذي نفس محمد بيده لا يغل احدكم ..."
٤٣	"القلب اربعة قلب مصفح فذلك ..."
٢٥١	"كنا نسمع أن الرجل يتعلق بالرجل يوم القيامة ..."
١٣٦	"لاصغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الإستغفار .."

٢٥٩	"لو ان صحرة وزنت عشرة خلفات ..."
١٩٤	"ما اسر احد سريرة الا ابداها الله ..."
٤٢	"ما انت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه ..."
٢١٦	"من فقه العبد أن يتعهد إيمانه ..."
٢٥٨	"نبئت ان بعض من يلقي في النار يتأذى ..."
٢١٨	"ينزع منه نور الإيمان هكذا - وشبك بين أصابعه - ..."

فهرس الاعلام

الاسم	الصفحة
(١) إبراهيم التميمي	١٧
(٢) إبراهيم بن سفيان	٥٤
(٣) الامام ابن الاثير الجزري	٣٢٢، ٣٢٣، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٨٩، ٢٦٣
(٤) ابن اسحاق	٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٨، ٣١٥، ٣١٧
(٥) ابن الاسقع	٢٩٦
(٦) ابن أبي قاسم	٢١٦
(٧) ابن الأعرابي	١٨
(٨) ابن بطلال	٢١٦
(٩) ابن تيميه	٢٦، ٢٧، ٣١، ٤٠، ٤٦، ٤٥، ٤٩، ١٢١، ١٢٤، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٠، ٢١٦، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٣٦، ٢٣٩
(١٠) ابن حرير	١٦٠، ١٨٥، ١٨٨، ١٩٥، ٢١٧، ٢٧٨
(١١) ابن حجر	١٥١، ٢١٥، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٤، ٢٢٤، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٨٨
(١٢) ابن رجب الحنبلي	٢٩، ١٧٦
(١٣) ابن رشد	١٢١
(١٤) ابن زبيد	٣٥
(١٥) ابن العباس	١٣٦، ١٦٢، ١٧٤، ١٩٠، ١٩٣، ١٩٨، ١٩٨، ٢٢٣، ٢٣٤، ٢٣٩، ٢٤٥، ٢٦١، ٣٠٠، ٣١٣، ٣١٦
(١٦) ابن عثيمين	٥٠
(١٧) ابن عمر	٩٣، ٩٤، ١٩٣، ١٩٨، ٢٠٣، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٢٦، ٢٤٨، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٩٤، ٢٩٥، ٣١٤
(١٨) ابن قيم	١٩، ٢٣، ٥٠، ١٠١، ١٠٢، ١٢٢، ١٩٠، ٢١٧، ٢١٩، ٢٢٣، ٢٣٢، ٢٣٤، ٢٧٠، ٣١٥
(١٩) ابن كثير	١٩، ١٤٧، ١٤٩، ١٩٤، ٢١٥، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٦١، ٢٧٠، ٢٧٨، ٢٨٠، ٢٩١

١٢٩، ٣٧ ابن ماجة (٢٠)
١٧١ ابن المتكدر (٢١)
٢٥٧، ٢٥٤، ٢٥١، ٢٣٤، ٢١٥، ١٦٧، ٤٦٤ ابن مسعود (٢٢)
٢٥٩	
١٧ ابن منظور (٢٣)
٢٧٢، ٢٧٠، ١٩٦ ابن هشام (٢٤)
٢٥٩ أبو أمامة (٢٥)
٢٥٣ أبو أيوب (٢٦)
١٧٦ أبو برزة (٢٧)
١١٣ أبو بكر (٢٨)
٣٠٦ أبو جهل (٢٩)
١٠٤ أبو حميد (٣٠)
٣١٢ أبو رافع (٣١)
٢٨٧، ٢٧٨، ٢٧٧ أبو سعد بن وهب (٣٢)
٣١٧، ٢٨٢، ٢٧٩، ٢٧٥، ٢٧٤ أبو سفیان بن حرب (٣٣)
١٧١ أبو عمران الجوني (٣٤)
٢٩٦، ٢٩٥ أبو سعود (٣٥)
٢٩٧ أبو يحيى (٣٦)
٦١ أبي بكره (٣٧)
٣١٥ أبي حميد الساعدي (٣٨)
٣١٣، ٣٠١، ٢٩٦، ٢٩٥، ٢٩٣، ٢٠٢ أبي داود (٣٩)
٢٩٩، ٢١٥ أبي الدرداء (٤٠)
٢١١ أبي رزين (٤١)
٢٩٤، ٢٩٣، ٢٤٩، ٢٢٦، ٦٣، ٦١ أبي ذر الغفاري (٤٢)
٢٩٦ أبي سباع (٤٣)
٤١، ٥٧، ١١٨، ١٦٤، ١٦٨، ١٦٩، ٢٠٥ أبي سعيد الخدري (٤٤)
٢٦٣	
١١٨ أبي طلحة (٤٥)
٢٤٨ أبي مالك الأشعري (٤٦)
٢٦٣، ٢٤٢، ١٦٣ أبي موسى الأشعري (٤٧)
٣٢، ٦٤، ١١٣، ١١٤، ١٢٩، ١٦١، ١٦٤ أبي هريرة (٤٨)

١٦٥ ، ١٧٥ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٢١ ، ٢٢٥ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٤١ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٦٢ ، ٢٨٥ ، ٣١٩	
٤٨ ، ١٢	٤٩) أحمد أبابطين
١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٦ ، ٢٢٨ ، ٢٣٨ ، ٢٥٨ ، ٢٦٢ ، ٢٩٤ ، ٢٩٦	٥٠) الامام أحمد
٩٣ ، ٤١	٥١) آدم
١٧	٥٢) الازهري
٣٧ ، ١٢٧ ، ٢٢٧ ، ٢٥٧	٥٣) اسامة بن زيد
٢٨١	٥٤) إسماعيل بن ابراهيم عليهم السلام
٤٥	٥٥) الاسود
٣١٠	٥٦) الاسود بن عبدالمطلب
٣١٠	٥٧) الاسود بن عبد يغوث
٢٩٥	٥٨) الاشعث
٧٩	٥٩) الامام الاصبهاني
٢٩ ، ٣٢ ، ٤٨ ، ١٥٤ ، ١٨٥ ، ١٩٩	٦٠) الالوسي
٢٧٩	٦١) أم حكيم بنت الحارث بن هشام
٣٠٩ ، ٣٠٨	٦٢) أمية بن خلف
١٥٥ ، ١٦٣ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ٢٠١ ، ٢٣٢ ، ٢٥٣ ، ٣١٨ ، ٢٦٢	٦٣) أنس رضى الله عنه
٢١٦	٦٤) الازاعي
٣٢ ، ٢٧ ، ٤٠ ، ٤٥ ، ٤٥ ، ٤٣ ، ٤٣ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٩ ، ٤٩ ، ٤٩ ، ١٠٥ ، ١١٣ ، ١١٧ ، ١٢٧ ، ١٤٧ ، ١٥١ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٨٨ ، ٢٠٠ ، ٢٠٣ ، ٢٠٥ ، ٢٢٠ ، ٢٢٥ ، ٢٣١ ، ٢٣٣ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٨٥ ، ٢٩٢ ، ٣٠٩ ، ٣١٢ ، ٣١٥ ، ٣١٨ ، ٣١٩	٦٥) البخاري
١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ٢٣١ ، ٣١٢	٦٦) البراء بن عازب

٢٧٦	٦٧) بريده رضى الله عنه
٢٨٩، ٣٧	٦٨) بلال بن رباح
٧١	٦٩) بني آدم
٢٥٨، ١٧	٧٠) بهز
١٩	٧١) البيانوني
٢٦٢، ٢٥٨، ٢٥٠، ٢٠٢، ١٩٣، ١٦٣، ١١٧	٧٢) الامام الترمذي
٢٩٧	
١٢	٧٣) توفيق احمد مظفر حوجه
٢٦١	٧٤) ثابت البناني
٣٧	٧٥) ثوبان
٣١٢، ٢٧٠، ٢٠٦	٧٦) جابر بن عبد الله
٢٥٧	٧٧) جبیر بن المطعم
٢٩٩	٧٨) جبیر بن نفيير
٣٤	٧٩) جرير بن عبد الله الجلي
٢٩٩	٨٠) جعفر بن الفريابي
١٢٦	٨١) الجهني
٢٦٠	٨٢) الحارث بن وهب
٢١٩	٨٣) حاطب بن ابي بلتعه
٣١٧، ٢٩٦	٨٤) الحاكم
٣١٠	٨٥) الحرث بن عيطل السهمي
٢٧٨	٨٦) حمزة بن عبدالمطلب
٢٥٥، ٢٥٤، ٢٢٠، ١٩٩، ٤٣، ٤٠، ٣٣	٨٧) حذيفه بن اليمان
٣١٧	
٢٩٨، ٢٢٤، ٢١٧، ١٩٣، ١٩٠، ١٧٤، ١٧٠	٨٨) الحسن البصري
٢٠	٨٩) حسن الشرقاوي
٢٠، ١٢	٩٠) حسين خطاب
٢٩٢، ٢٢٥	٩١) حكيم بن حزام
٢٨٢	٩٢) خالد بن سعيد بن العاص
١٧٩	٩٣) الرازي
٢٢٣، ٥٠	٩٤) الراغب الاصفهاني
١٧، ١٦	٩٥) الزبيدي

٧٩ الزركشي (٩٦)
٣٥ زكريا عليه السلام (٩٧)
٢٣٨ زيد بن خالد الجهني (٩٨)
١٢ زيد عبدالكريم الزيد (٩٩)
٢٤٠ سالم بن عبدالله (١٠٠)
٣٠٩ سعد بن معاذ (١٠١)
١٨٦ الامام السعدي (١٠٢)
٢٤٣ ، ٢٤٢ سمرة بن جندب (١٠٣)
٣٥ الامام السيوطي (١٠٤)
٧٣ الامام الشاطبي (١٠٥)
١٢٨ الامام الشافعي (١٠٦)
٥٢ الشبلي (١٠٧)
١٢٩ صاحب شرح فتح القدير (١٠٨)
٩٣ شعيب عليه السلام (١٠٩)
١٨٦ الامام الشوكاني (١١٠)
٣٠٨ شيبه بن ربيعة (١١١)
١٧٩ الشيخان (١١٢)
٩٠ صالح عليه السلام (١١٣)
٣٥ ، ٣٣ الصديق رضي الله عنه (١١٤)
٢٧٣ صفوان بن أمية (١١٥)
١٧٣ الضحاك (١١٦)
٢١٢ ، ٢١١ ، ٢٠٠ الامام الطبري (١١٧)
١٩٦ عاصم بن عدي (١١٨)
٣١٠ العاصي بن وائل السهمي (١١٩)
٣٣ ، ٣٧ ، ٤٢ ، ٤٧ ، ١٠٠ ، ١١٧ ، ١٢٧ ، ١٥١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٩٧ ، ٣٠٠ عائشه رضي الله عنه (١٢٠)
٢٣٨ عبادة بن الصامت (١٢١)
٢٨٧ ، ٢٧٥ ، ٢٧٤ العباس بن عبدالمطلب (١٢٢)
٤٥ عبدالرحمن بن زيد (١٢٣)
٢٠ عبدالرحمن النحلوي (١٢٤)
١٩٩ ، ٤٦ عبدالله ابن أبي (١٢٥)

٢٥١	١٢٦) عبد الله بن أنيس
١٨٨	١٢٧) عبد الله بن بريدة
٢٣١، ٤٥	١٢٨) عبد الله بن جبير
٣١٤	١٢٩) عبد الله بن سلام
٢٩٤	١٣٠) عبد الله بن صامت
١٩٩	١٣١) عبد الله بن عبد الله بن أبي
٣١٢	١٣٢) عبد الله بن عتيك
٢٤١، ٦٧، ٣٧	١٣٣) عبد الله بن عمرو بن العاص
٤٢، ٣٨	١٣٤) عبد الله بن مسعود
٤٨، ١٩	١٣٥) عبدالكريم زيدان
٢٨٢	١٣٦) عبد ياليل بن عمرو
٣٠٨	١٣٧) عتبة بن ربيعة
١٩٤	١٣٨) عثمان بن عفان رضي الله عنه
٣٠٨	١٣٩) عقبة بن أبي معيط
٢٨٨، ٢٨٠، ٢٧٩	١٤٠) عكرمة بن ابي جهل
٤٥	١٤١) علقمة
٢٩٩، ١٤٧، ١١٠، ٤١	١٤٢) علي بن أبي طالب رضي الله عنه
٢٠	١٤٣) علي حريشة
٢٠، ٤٤	١٤٤) علي عبدالخليم محمود
٢٢٨، ٢١٩، ١٩٩، ١٦٤، ١١٣، ٤٦، ٣٣	١٤٥) عمر بن الخطاب رضي الله عنه
٣٠٢، ٢٩٦، ٢٩٣، ٢٧٩، ٢٧٨، ٢٤١، ٢٣٢	
٣١٩	
٢٦٠	١٤٦) عمران رضي الله عنه
٣٠١، ٢٦٣	١٤٧) عمران بن الحصين
٢٨٨	١٤٨) عمير بن جحاش
٢٩٤	١٤٩) عمير بن سعد
٢٧٤، ٢٧٣	١٥٠) عمير بن وهبي الجمحي
٢٤٨	١٥١) عمرو بن شعيب
١٢٤	١٥٢) العز بن عبدالسلام
١٢٥	١٥٣) القاضي عياض
١١٤	١٥٤) الغامديه

٧٦، ٥٣ الامام الغزالي
٢٧٠ غورث بن الحارث
١٢٨، ٣٧ فاطمة الزهراء رضى الله عنها
٢٩٧، ٢٩٦ فروخ مولى عثمان
٤٠ الامام الفريابي
١٢ فضل الهمي ظهور
٤٠ الفضيل بن عياض
٢٠٠، ١٨٨، ١١٣، ١٩ الامام القرطبي
٣١٢ كعب بن الاشرف
٣١٢ كعب بن مالك
١٢٥ ماعز بن مالك
١٩٦ مالك بن الدخشم
١٢٠ صاحب كتاب المبدع (ابن مفلح)
٢١١، ١٤٤ الامام مجاهد
١٠٠، ٩٩، ٩٤، ٨٩، ٦٣، ٥٧، ٤٦، ٣٧، ٣٤ ١٢٩، ١١١، ١١٠، ١٠٧، ١٠٤، ١٠٢ محمد صلى الله عليه وسلم
٤٨ محمد البيانوني
٢٩١ محمد جمال الدين
٣١، ٢٠ الشيخ محمد الغزالي
٥٨ محمد قطب
٣١٢ محمد بن سلمة
١١٧ مخزوميه
٢٤١ مدغم
١٧٤، ١٦٥، ١٦٤، ١١٠، ١٠٢، ٥٧، ٤١ ٢٢٣، ٢٢١، ٢٢٠، ٢٠٦، ٢٠٥، ٢٠٤، ١٧٥ ٢٤٧، ٢٤٥، ٢٤١، ٢٣٦، ٢٣٤، ٢٢٧، ٢٢٥ ٢٥٥، ٢٥٤، ٢٥٣، ٢٥٢، ٢٥٠، ٢٤٩، ٢٤٨ ٣٠٠، ٢٩٩، ٢٩٤، ٢٧٠، ٢٦٠، ٢٥٧، ٢٥٦ ٣١٧، ٣١٦، ٣١٤ الامام مسلم
٢٣٩، ٢١٥ معاذ بن جبل
٢٠٨ معاوية الهذلي

٢٩٣ (١٨٠) المعرور بن سويد
١٩٦ (١٨١) معن بن عدى
٢٨٧ (١٨٢) المغيرة بن شعبه
٢٨٦ (١٨٣) المقداد بن عمرو الكندي
٢٩٨ (١٨٤) الامام المنذري
٢٥٨ (١٨٥) منصور بن زاذان
٩٠ (١٨٦) موسى عليه السلام
٣١٣ (١٨٧) نافع رضى الله
١٢٩ (١٨٨) الامام النسائي
١٤٩ (١٨٩) الامام النسفي
٢٢٠ (١٩٠) النعمان بن بشير
٢٢٠ (١٩١) النولاس بن سمعان
٨٨ (١٩٢) نوح عليه السلام
٢٥٦ ، ٢١٦ ، ٨٤ ، ٣٩ (١٩٣) الامام النووي
٢٨٤ ، ٢٨٢ ، ٢٧٢ (١٩٤) الامام الواقدي
٣٠٨ (١٩٥) الوليد بن عتبه
٣٠٩ ، ١٥٠ (١٩٦) الوليد بن المغيرة
٢٩٤ (١٩٧) هشام بن حيكم بن حزام
٢٨٨ ، ٢٧٩ ، ٢٧٨ ، ٢٧٦ (١٩٨) هند بنت عتبه
٣٠٩ (١٩٩) الامام الهثيمي
٢٨٨ ، ٢٨٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٧ (٢٠٠) يامين بن عمير بن كعب بن عمرو بن حجاج
٣١٥ (٢٠١) يحنة بن روه
١٣٠ (٢٠٢) يوسف برقو
١٥١ (٢٠٣) يحيى بن يعمر

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

(حرف أ)

- ١- الاتقان في علوم القرآن ، الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، المكتبة الثقافية ، بيروت - لبنان، ١٩٧٣م.
- الاتقان في علوم القرآن للسيوطي، عالم الكتب، بيروت - لبنان .
- ٢- أثر إقامة الحدود في استقرار المجتمع، الدكتور محمد حسين الذهبي، دار الاعتصام، ط ١، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
- ٣- أثر تطبيق الحدود في المجتمع ، بحوث مقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامي الذي عقدته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عام ١٣٩٦هـ ط ادارة الثقافة والنشر بالجامعة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- ٤- أثر تطبيق الشريعة الإسلامية في منع الجريمة ، د. ابوبكر اسماعيل ميقا. مكتبة التوبة - الرياض، ط ١ - ١٤١١هـ - ١٩٩٠هـ.
- ٥- الاحسان في تقريب صحيح ابن حبان، الأمير علاء الدين علي الفارسي، تحقيق شعيب الارناؤوط، طبعة مؤسسة الرسالة ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
- ٦- أحكام اهل الذمة ، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق صبحي الصالح، دار القلم، بيروت-لبنان، ط ٢، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- ٧- الاحكام السلطانية والولايات الدينية، الإمام علي بن محمد بن حبيب الماوردي، مراجعة محمد فهمي ، المكتبة التوفيقية.
- ٨- أحكام عصاة المؤمنين، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية، جمع وتقديم مروان كحك، نشر وتوزيع دار الكلمة الطيبة، ط ١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ٩- أحكام القرآن، لابن العربي، تحقيق علي البحاري، دار المعرفة - بيروت .
- ١٠- أحكام القرآن، للإمام أبي بكر أحمد بن علي الجصاص، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان .
- ١١- إحياء علوم الدين ، حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، دار المعرفة، بيروت-لبنان .
- ١٢- الأدب المفرد، الإمام محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان .
- وطبعة عالم الكتب، بيروت-لبنان، ط ١، ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٤م.
- ١٣- إرواء الغليل في تخريج احاديث منار السبيل، محمد الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت-دمشق، ط ١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- ١٤- أساس البلاغة ، العلامة جار الله محمود بن عمر الزنخشري، دار صادر، بيروت-لبنان، ١٣٨٥هـ، ١٩٦٥م.
- ١٥- اسرار البلاغة، العلامة عبد القاهر الجرجاني، تحقيق هـ. ريتز، مكتبة المتنبي، ط ٢، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- ١٦- أسس الدعوة في سورة ابراهيم عليه السلام، بحث متمم لرسالة ماجستير مقدم الى كلية الدعوة والاعلام بالرياض، الباحث مسفر بن عبد الله البواردي.
- ١٧- الاصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، .

- ١٨- أصول البحث العلمي ومناهجه، د. أحمد بدر، وكالة المطبوعات، الكويت.
- ١٩- أصول التربية الإسلامية وأساليبها، الدكتور عبد الرحمن النحلوي، دار الفكر، ط١، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.
- ٢٠- أصول الحسبة في الإسلام، الدكتور محمد كمال الدين إمام، دار الهداية، مدينة نصر، ط١، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٤م.
- ٢١- أصول الدعوة، الاستاذ عبد الكريم زيدان، مكتبة المنار الإسلامية، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- ٢٢- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، عالم الكتب، بيروت-لبنان.
- ٢٣- إغاثة اللهفان من مصادد الشيطان، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت-لبنان.
- ٢٤- افتراءات حول غايات الجهاد، د. محمد نعيم ياسين، دار الأرقم للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ٢٥- الأمثال القرآنية، الاستاذ عبد الرحمن حسن حنبله الميداني، دار القلم، دمشق بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- ٢٦- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، د. محمد عبد القادر ابو فارس، دار الفرقان، عمان-الاردن، ط١، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- ٢٧- أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية والرد على الطوائف الضالة فيه، د. علي بن نفيح العلياني، دار طيبة، الرياض-السعودية، ط١، ١٤٠٥هـ.
- ٢٨- الايمان، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية، دار الطباعة الخمدية، القاهرة-مصر.
- ٢٩- الايمان، الإمام أبي بكر بن أبي شيبة العيسی، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، دار الأرقم، الكويت.
- ٣٠- الايمان الأوسط، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية، توزيع مكتبة الفرقان، ومكتبة الايمان.

(حرف ب)

- ٣١- البداية والنهاية، الإمام أبي الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير، مكتبة المعارف، بيروت، ومكتبة النصر-الرياض، ط١، ١٩٦٦م.
- ٣٢- بحوث في قصص القرآن، السيد عبد الحافظ عبد ربه دار الكتاب اللبناني، بيروت-لبنان، ط١، ١٩٧٢م.
- ٣٣- الرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق أبي الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية، ط١، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م.
- ٣٤- بر الوالدين، للحافظ أبي بكر محمد بن الوليد القرشي الطرطوسي، حققه محمد عبد الحكيم، اشرف المكتب السلفي لتحقيق التراث، مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- ٣٥- بلاغة القرآن، محمد الخضر حسين، تحقيق علي التونسي، المطبعة التعاونية، دمشق-سوريا، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

(حرف ب)

- ٣٦- تأملات في قصة الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، د. زيد عبد الكريم الزيد، دارالعاصمة، الرياض-السعودية، ط١، ١٤١٢هـ.
- ٣٧- تاج العروس من جواهر القاموس، العلامة محمد مرتضى الزبيدي، منشورات مكتبة الحياة، المطبعة الخيرية، المنشأة بجمالية مصر، ط١، ١٣٠٦هـ.
- ٣٨- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام، العلامة شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- ٣٩- التبيان في أقسام القرآن، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق محمد زهري النجار، مطابع الدجوي، القاهرة-مصر، ط١، ١٩٧٧م.
- ٤٠- التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، أبي الفرج أحمد بن رجب الحنبلي، مكتبة البيان، دمشق-سوريا، ط١، ١٣٩٩هـ.
- ٤١- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، الحافظ زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، ضبطه محمد مصطفى عمارة، دار الريان للتراث، دار الحديث، القاهرة-مصر، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- ٤٢- التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي، الاستاذ عبد القادر عودة، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان .
- ٤٣- تفسير الطبري-جامع البيان على تفسير القرآن، الإمام جعفر محمد بن جرير الطبري، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ط٤، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
- ٤٤- تفسير القرآن العظيم، الحافظ أبي الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق عبد العزيز غنيم، محمد عاشور، محمد ابراهيم البناء، دار الشعب، القاهرة-مصر.
- ٤٥- التفسير الكبير، للإمام الفخر الرازي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط٣ .
- ٤٦- تفسير المنار، الشيخ محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت-لبنان .
- ٤٧- تفسير النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان .
- ٤٨- تهذيب تاريخ دمشق الكبير، للحافظ علي بن الحسن المعروف بابن عساكر، رتبة الشيخ عبد القادر بدرانن دار المسيرة، بيروت .
- ٤٩- تهذيب اللغة، للعلامة أبي محمد منصور بن أحمد الأزهرى، حققه عبد السلام هارون، الدار المصرية لل والترجمة ١٩٦٤م
- ٥٠- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق محمد زهري النجار، مطابع الدجوي، القاهرة-مصر.

(حرف ج)

- ٥١- جامع الأصول في أحاديث الرسول، الحافظ محي الدين محمد بن الأثير الجزري، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة الحلواني والملاح، دار البيان، ١٣٩٢هـ.
- ٥٢- جامع العلوم والحكم، الإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت-لبنان.

- ٥٣- الجامع لأحكام القرآن ، محمد بن أحمد القرطبي، دار احياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ١٩٦٥م.
- ٥٤- الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي، الاستاذ محمد أبي زهرة، دار الفكر، .
- ٥٥- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي -الداء والدواء-، العلامة ابن قيم الجوزية، تحقيق يوسف بديوي، دار ابن كثير ، ط٢، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

(حرف ح)

- ٥٦- حاشية الروض المربع شرح زاد المستنقع، جمع عبد الرحمن بن محمد العاصمي النجدي، مؤسسة بساط، بيروت-لبنان، ط٢، ١٤٠٣هـ .
- ٥٧- الحسبة في الإسلام، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية، تحقيق سيد بن محمد بن أبي سعدة، دار الأرقم، الكويت، ط١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- ٥٨- الحسبة في الإسلام، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية، تقديم د. محمد جميل غازي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، .
- ٥٩- حضارة العرب، غوستاف لوبون، ترجمة عادل زعيتر، مطبعة عيسى البابي، القاهرة، ١٩٦٩م.
- ٦٠- الحكمة في الدعوة إلى الله، سعيد بن علي بن وهبه القحطاني، مطبعة سفير، الرياض-السعودية، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- ٦١- الحل الإسلامي فريضة وضرورة، د. يوسف القرضاوي، مكتبة دهما، القاهرة-مصر، ط٣، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.
- ٦٢- حول إنتشار الإسلام وقائع وملاحظات، د. عماد الدين خليل، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م
- ٦٣- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للإمام أبي نعيم الأصفهاني، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.

(حرف خ)

- ٦٤- خطبة الحاجة، محمد نصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٤٠٠هـ.

(حرف د)

- ٦٥- دراسات في وسائل الاتصال، عبد الله محمد العوشن، دار العاصمة، الرياض-السعودية، ط١، ١٤١٤هـ.
- ٦٦- دراسة ناقدة لأساليب التربية المعاصرة في ضوء الإسلام، فتحية عمر رفاعي الخلواني، تهامة، جدة-السعودية، ط١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- ٦٧- الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، د. أحمد غلوش، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت .
- ٦٨- الدعوة إلى الإسلام، توماس ارنولد، ترجمة د. حسين ابراهيم، د. عبد الحميد عابدين، اسماعيل النجراوي، مكتبة النهضة المصرية، ط٣، ١٩٧٠م.
- ٦٩- الدعوة إلى الله على بصيرة، عبد النعيم محمد حسنين، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م.

- ٧٠- دعوة الفطرة، د. يوسف محي الدين أبو هلاله، دار العاصمة، الرياض-السعودية، ط١، ١٤٠٨هـ.
- ٧١- الدعوة في ضوء سورة الفرقان، محمد سعيد البواردي، دار الوفاء بجده، ط١، ١٤٠٧هـ.
- ٧٢- الدعوة في عهدنا المكي، ممدوح الهيثمي، رسالة ماجستير مقدمة للمعهد العالي للدعوة الإسلامية.
- ٧٣- دفع ايهام الاضطراب عن آيات الكتاب، محمد الأمين الشنقيطي، عالم الكتاب، بيروت-لبنان، .
- ٧٤- دليل الارشاد بشأن العدوى والمرض بفيروس العوز المناعي البشري، الطبعة العربية المنقحة من الكتب الإقليمية لشرق البحر المتوسط، الاسكندرية-مصر، العدد٨، ١٩٩٢م.
- ٧٥- دور الدين والاحلاقيات في الوقاية من الإيدز ومكافحته، أعدتها منظمة الصحة العالمية، المكتب الاقليمي لشرق البحر المتوسط.

(حرف ن)

- ٧٦- الرحيق المختوم، صفى الرحمن المباركفوري، دار السلام، ومكتبة المؤيد بالرياض، ط٩، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- ٧٧- الروح، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.
- ٧٨- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، العلامة الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط٤، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

(حرف ز)

- ٧٩- زاد المسير في علم التفسير، الإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط٣، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
- ٨٠- زاد المعاد في هدي خير العباد، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، حققه شعيب لأرناؤوط، وعبد القارذ الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

(حرف س)

- ٨١- سنن الترمذي -الجامع الصحيح- الإمام ابو عيسى محمد بن عيسى بن سودة، حققه ابراهيم عوض، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ-١٩٧٩م.
- ٨٢- سنن ابن ماجه، تحقيق الشيخ محمد مصطفى الأعظمي، شركة الطباعة العربية السعودية، ط١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- ٨٣- السنه، الإمام أبو بكر عمرو بن أبي عاصم الشيباني، المكتب الإسلامي، بيروت-دمشق، ط١، ١٤٠٠هـ.
- ٨٤- السياسة الشرعية في اصلاح الراعي و الرعية، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، .
- ٨٥- السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، د. مهدي رزق الله أحمد، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، السعودية، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- ٨٦- سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، الإمام أبي محمد عبد الملك بن هشام، مراجعة محي الدين عبد الحميد، توزيع ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد، الرياض، السعودية، .

٨٧- سين وجيم عن مناهج البحث العلمي، للاستاذ طلعت همام، مؤسسة الرسالة، ط ١.

(حرف ش)

- ٨٨- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، أبي القاسم هبة الله اللالكائي، تحقيق د. أحمد حمدان، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية.
- ٨٩- شرح العقيدة الطحاوية، ابو العز الحنفي، حققها جماعة من العلماء، خرج أحاديثها محمد الالباني، المكتب الإسلامي، دمشق-بيروت، ط ٤، ١٣٩١هـ.
- ٩٠- شرح شافية بن الحاجب، رضي الدين محمد بن الحسن الاسترابادي، بعناية مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.
- ٩١- شرح فتح القدير، كمال الدين محمد المعروف بابن الهمام، دار احياء التراث العربي، بيروت-لبنان.
- ٩٢- شرح النووي على صحيح مسلم، الإمام محي الدين يحيى بن شرف النووي، دار الريان للتراث، القاهرة، ط ١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

(حرف ص)

- ٩٣- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبي نصر اسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دارا لعلم للملايين، بيروت-لبنان، ط ٢، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
- ٩٤- صحيح ابن خزيمة، أبي بكر محمد بن اسحاق بن خزيمة، تحقيق د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت-لبنان، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
- ٩٥- صحيح البخاري مع الفتح، محمد بن اسماعيل البخاري، نشر وتوزيع رئاسة البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد. - وصحيح البخاري، طبعة المكتب الإسلامي باستنبول.
- ٩٦- صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط ٢، ١٤٠٢هـ.
- ٩٧- صحيح سنن الترمذي باختصار السند، محمد ناصر الدين الالباني، مكتبة التريية العربي لدول الخليج، الرياض، ط ١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- ٩٨- صحيح سنن ابن ماجه، محمد ناصر الدين الالباني، مكتبة التريية العربي لدول الخليج، الرياض، ط ٢، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- ٩٩- صحيح سنن أبي داود باختصار السند، محمد ناصر الدين الالباني، مكتبة التريية العربي لدول الخليج، الرياض، ط ١، ١٩٨٩م-١٤٠٩هـ.
- ١٠٠- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق محمد فواد عبد الباقي، نشر وتوزيع رئاسة ادارات البحوث العلمية و الافتاء والدعوة والارشاد، الرياض، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
- ١٠١- صفة المنافق، الإمام جعفر بن محمد بن الحسن الفريابي، تحقيق بدر البدر، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، ط ١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- ١٠٢- صفوة التفاسير، الشيخ محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت-لبنان، ط ٤، ١٤٠٢هـ-١٩٨١م.

١٠٣- طريق المهجرتين وباب السعادتين، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، دار الطباعة المحمدية، ط٢، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

(حرف ع)

١٠٤- العقوبة في الفقه الإسلامي، أحمد فتحي بهنسي، دار الرائد العربي، ب، ط٢، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

(حرف غ)

١٠٥- غزوة الأحزاب، محمد أحمد باشميل، دار الفكر، ط٥، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.

١٠٦- غزوة تبوك، محمد أحمد باشميل، دار الفكر، ط١، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.

(حرف ف)

١٠٧- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والارشاد، جمع وترتيب أحمد بن عبد الرازق الدرويش، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد، الرياض، ط١، ١٤١١هـ.

١٠٨- فتاوى الشيخ محمد الصالح العثيمين، اعداد وترتيب اشرف بن عبد المقصود، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط٣، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

١٠٩- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، نشر و توزيع رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد، الرياض، .

١١٠- فتح القدير، الإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار المعرفة، بيروت لبنان، .

١١١- فتح مكة، محمد أحمد باشميل، دار الفكر، ط٢، ١٣٩٤هـ

١١٢- الفروسي، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، دار التراث العربي، .

١١٣- فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد، فضل الله الجليلاني، المطبعة السلفية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٨هـ.

١١٤- فقه الدعوة الى الله، د. علي عبد الحليم محمود، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ط٣، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

١١٥- فقه السنة، السيد سابق، دار الفكر للطباعة والنشر، ط٣، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

١١٦- فقه السيرة، محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر للطباعة والنشر، ط٨، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

١١٧- فلسفة العقوبة في الشريعة الإسلامية والقانون، د. فكري أحمد عكاز، شركة مكنتبات عكاظ، ط١، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

١١٨- الفوائد، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط٢، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.

١١٩- الفوائد المشوقة الى علوم القرآن وعلم البيان، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، مكتبة المتنبي، القاهرة .

١٢٠- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت-لبنان، ط٥، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.

(حرف ق)

١٢١- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادي، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط٢، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

- ١٢٢- القرآن الكريم رؤية تربوية، زهير محمد شريف كحالة، تدقيق محمود خضر الكيلاني، دار الفكر، عمان-الأردن، ط١، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
- ١٢٣- قرة الأعين النواظر في الوجوه والنظائر، الإمام عبد الرحمن علي بن محمد بن الجوزي، منشأة المعارف بالاسكندرية، تحقيق محمد السيد طنطاوي، و د. فؤاد عبد المنعم.
- ١٢٤- قواعد الأحكام في مصالح الأنام، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، مراجعة طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، ط٢، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
- ١٢٥- قواعد المنهج العلمي، د. فاروق يوسف، مكتبة عين شمس، القاهرة، ط١، ١٩٨٥م.

(حرف ك)

- ١٢٦- الكشاف عن حقائق التنزيل وعبون الأقاويل في وجود التأويل، العلامة جار الله محمود بن عمر الزمخشري، حققه: محمد الصادق قمحاوي، شركة مطبعة مصطفى البابي الحلبي-مصر، ط الأخيرة، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.
- ١٢٧- كشف الأستار عن زوائد البزار، علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة بيروت-لبنان، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- ١٢٨- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين بن المتقي الهندي البرهان فودي، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، طه، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

(حرف ل)

- ١٢٩- اللآلئ الحسان في علوم القرآن، د. موسى شاهين لاشين، مطبعة الفجر الجديد، .
- ١٣٠- لسان العرب المحيظ، العلامة ابن منظور الافريقي، اعداد وتصنيف يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت-لبنان.

(حرف م)

- ١٣١- مباحث في اعجاز القرآن الكريم، الدكتور أحمد جمال الدين العربي، مكتبة الشباب، ١٩٨٢م.
- ١٣٢- مباحث في علوم القرآن، مناع خليل قطان، مكتبة المعارف، الرياض-السعودية، ط٢، ١٤٠١هـ.
- ١٣٣- المبدع في شرح المقنع، اسحاق ابراهيم بن محمد بن مفلح، لمكتب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط١، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
- ١٣٤- متشابه القرآن، عبد الجبار أحمد الهمداني، تحقيق د. عدنان محمد زرزور، دار التراث، .
- ١٣٥- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الإمام نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ط٣، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
- ١٣٦- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد، ط١، ١٣٩٨هـ.
- مجموعة فتاوى ومقالات متنوعة، الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، جمعه د. محمد شويعر، الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية، الرياض، ط٢، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.
- ١٣٧- محيط المحيط(قاموس مطول للغة العربي) بطرس البستاني، مكتبة لبنان، بيروت-لبنان، ١٩٧٩م.

- ١٣٨- مختصر منهاج القاصدين، أحمد بن عبد الرحمن قادمة المقدسي، تعليق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط مكتبة دار البيان، دمشق-سوريا، ١٨٩٣هـ-١٩٧٨م.
- ١٣٩- مدراج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، الإمام محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.
- ١٤٠- المدخل الى علم الدعوة، د. محمد أبي الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ٢، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
- ١٤١- مدخل علاجي جديد لإنحراف الأحداث، العلاج الإسلامي، محمد سلامة غباري، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، ١، ١٤٠٦هـ.
- ١٤٢- مذكرة في مادة منهاج الدعوة، للكتور/ حسين خطاب.
- ١٤٣- المرأة المسلمة المعاصرة، إعدادها ومسئوليتها في الدعوة، د. أحمد بن محمد بن عبد الله ابابطين، دار عالم الكتب، الرياض-السعودية، ٢، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.
- ١٤٤- المستدرك على الصحيحين، أبي بكر عبد الله الحاكم النيسابوري، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان.
- ١٤٥- المستصفي من علم الأصول، حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، دار احياء التراث العربي، بيروت-لبنان .
- ١٤٦- مسند أبي يعلى، أبي يعلى أحمد بن علي بن المنثى الموصلي، تحقيق حسن سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق سوريا.
- ١٤٧- مسند الإمام أحمد بن حنبل، وبهامشه كنز العمال، أحمد بن محمد بن حنبل، دار صادر، بيروت-لبنان
- وطبعة دار الفكر، تصوير المكتب الإسلامي، بيروت، ٢، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.
- وطبعة دار المعارف، مصر، تحقيق الشيخ أحمد شاكر، ٣ .
- ١٤٨- مشاهد الخلق في المعصية، للإمام محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، اعداد نزيير عتمه، المكتب الإسلامي، بيروت-لبنان، ١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- ١٤٩- مشكلات الشباب والمنهج الإسلامي في علاجها، لوليد شلاش نايف شبير، مؤسسة الرسالة، ١، ١٤٠٩هـ.
- ١٥٠- المعاصي وآثارها على الفرد والمجتمع، حامد بن محمد بن محمد بن حامد المصلح، تقريظ عائض القرني، مكتبة الضياء، جده-السعودية، ١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- ١٥١- معالم غائبة عن حياة المسلمين، ربيع بن محمد السعودي، دار معاذ للنشر والتوزيع، ١، ١٤٠٩هـ.
- ١٥٢- مع الله، دراسات في الدعوة والدعاة، محمد الغزالي، مطبعة حسان، القاهرة-مصر، ٥، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
- ١٥٣- المعجم الكبير، الحافظ سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، الدار العربية للطباعة، بغداد-العراق، ط عام ١٣١٩هـ-١٩٧٩م.
وطبعة مكتبة ابن تيمية-القاهرة
- ١٥٤- معجم متن اللغة وموسوعة لغوية حديثة، أحمد رضا، مكتبة الحياة، بيروت-لبنان، ١٣٧٧هـ-١٩٥٨م.
- ١٥٥- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، اشراف عبد السلام هارون، دار احياء التراث العربي، بيروت-لبنان، المكتبة العلمية-طهران.

- ١٥٦- المغازي، محمد بن عمر بن واقد الواقدي، تحقيق د. مارسون جونس، عالم الكتب، بيروت-لبنان، .
- ١٥٧- المغني، ابن قدامة المقدسي، رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض-السعودية، ١٤٠١هـ.
- ١٥٨- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم رادة، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، توزيع رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد، مكتبة الرياض، السعودية، .
- ١٥٩- المفردات في غريب القرآن، الإمام أبي القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، تحقيق محمد الكيلاني، دار المعرفة، بيروت-لبنان، .
- ١٦٠- المقدمات، أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد، دار صادر، بيروت-لبنان، .
- ١٦١- مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، دار العودة، بيروت-لبنان، ١٩٨١م.
- ١٦٢- المنافقون في القرآن الكريم، د. عبد العزيز بن عبد الله الحميدي، دار المجتمع للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
- ١٦٣- مناهج الدعوة وأساليبها، الدكتور علي جريشة، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة-مصر، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م.
- ١٦٤- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد بن عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البايي الحلبي وشركاه، .
- ١٦٥- من صفات الداعية اللين والرفق، د. فضل الهي، ادارة ترجمان الإسلام، باكستان، ط٢، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.
- ١٦٦- مناهج اليقين شرح أدب الدنيا والدين، أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، مطبعة محمود بك، ١٣٨٢هـ.
- ١٦٧- منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، دار الشروق، ط٢، .
- ١٦٨- الموافقات في أصول الشريعة، الإمام أبي اسحاق ابراهيم بن موسى الشاطبي، ضبطه محمد عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت-لبنان، .
- ١٦٩- موعظة المؤمنين في إحياء علوم الدين، محمد جمال الدين القاسمي، دار المعرفة، بيروت-لبنان، .

(حرف ن)

- ١٧٠- نحو تربية إسلامية، د. حسن الشرفاوي، مؤسسة شباب الجامعة بالاسكندرية، ١٩٨٣م.
- ١٧١- نظام التحريم والعقاب مقارنة بالقوانين الوضعية، علي علي منصور، مؤسسة الزهراء، المدينة المنورة، ط١، ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م.
- ١٧٢- نظام الحسبة في الإسلام، عبد العزيز بن محمد بن مرشد مطبعة المدينة، الرياض، .
- ١٧٣- النظام العقابي الإسلامي، د. أبي المعاطي حافظ، دار الأنصار، ١٩٧٦م.
- ١٧٤- نهاية الرتبة في طلب الحسبة، ابن بسام المختسب، تحقيق حسام الدين السامرائي، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٨م.
- ١٧٥- النهاية في غريب الحديث، الإمام مجد الدين المبارك بن محمد بن الأثير الجزري، تحقيق محمود الطناحي وطاهر الزاوي، المكتبة الإسلامية.

(حرف هـ)

- ١٧٦- هداية الحيارى في الرد على اليهود والنصارى، الإمام محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، راجعه سيف الدين الكاتب، مكتبة الحياة، بيروت-لبنان، .

١٧٧- هداية المرشدين الى طريق الوعظ والخطابة، ليلي محفوظ، دار الاعتصام، ط٩، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

(حرف و)

١٧٨- الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، د. محمد محمود حجازي، دار الكتب الحديثة، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م.

الدوريات المجلات

١- صحة الرياض، عدد صفر، السنة الأولى، عام ١٤١٤هـ.

فهرس محتويات الرسالة

الصفحة	الموضوع
١	خطبة الحاجة
٢	المقدمة
٢	التعريف بمصطلحات البحث
٢	مدخل للدراسة وأهمية الموضوع
٦	الدراسات السابقة
٨	تحديد مشكلة البحث
٨	تساؤولات الدراسة
٩	نوع الدراسة ومنهجها
٩	أدوات جمع المعلومات
١٠	تقسيمات الدراسة
١١	الصعوبات
١١	الشكر والتقدير
١٤	الفصل الأول التهيب : مفهومه ، ضوابطه، مكانته
١٥	المبحث الأول: مفهوم التهيب
١٦	المطلب الأول : تعريف التهيب اللغوي
١٩	المطلب الثاني: تعريف التهيب الإصطلاحي
٢٣	المطلب الثالث: خلاصة المفهوم اللغوي والإصطلاحي
٢٥	المبحث الثاني: ضوابط التهيب
٢٦	أولاً: الإعتماد في التهيب على ما جاء في الكتاب والسنة الصحيحة والإجماع
٢٨	ثانياً: أن يكون التهيب بالله أو بصفاته تعالى، مع عدم الغفلة عن التهيب بعذابه
٣١	ثالثاً: ضرورة مراعاة القدر المناسب عند التهيب
٣٢	(أ) الاعتدال في التهيب
٣٦	(ب) التركيز على جانب التهيب
٣٨	(ج) تقليل التهيب أو إغلاق بابه
٤٢	رابعاً : ضرورة مراعاة معتقدات المدعوين وأحوالهم
٤٤	خامساً: ضرورة التدرج وترتيب الأولويات عند التهيب

سادساً: مراعاة وجود بديل عن الأمر المرهب منه إذا كان أمراً غريزياً ويشترط أن	
..... يكون من المنهج الإسلامي الصحيح	٤٥
..... سابعاً: مراعاة ما يترتب على استخدام التهيب	٤٥
..... المبحث الثالث : مكانة التهيب بين الأساليب الأخرى	٤٧
..... تمهيد	٤٨
الفصل الثاني	
أنواع التهيب ووسائله	
..... محتويات الفصل الثاني:	٥٥
..... مقدمة الفصل الثاني:	٥٦
..... أسس تقسيم التهيب إلى قولي وعملي	٥٦
..... أولاً: وجود شواهد في كتاب الله تدل على أن التهيب قولي وعملي	٥٦
..... ثانياً: العلاقة بين التهيب وانكار المنكر تقتضي ذلك	٥٦
..... ثالثاً: مراعاة أحوال الناس تنادي بذلك	٥٧
..... رابعاً: مراعاة مصالح الناس توجب ذلك	٥٨
..... خامساً: وجود وسائل لكلا النوعين في الكتاب والسنة	٥٨
..... المبحث الأول : أنواع التهيب	٥٩
..... المطلب الأول : التهيب القولي	٦٠
..... تمهيد	٦٠
..... أولاً: ماهية التهيب القولي	٦٠
..... ثانياً: درجات التهيب القولي وأمثله	٦٠
..... أ) درجة التعريف	٦١
..... ب) درجة الوعظ	٦٢
..... ج) درجة التعنيف	٦٢
..... د) درجة التهديد	٦٣
..... هـ) درجة التشهير	٦٤
..... ثالثاً: هدف التهيب القولي	٦٥
..... المطلب الثاني : التهيب العملي :	٦٩
..... تمهيد :	٦٩
..... أولاً: ماهية التهيب العملي	٦٩
..... ثانياً: درجات التهيب العملي وأمثله	٧٠
..... أ) درجة استخدام القوة	٧٠

٧١ (ب) درج الجمع بين استخدام القوة وعدمها
٧٢ (ج) درجة الترهيب بدون استخدام القوة
٧٢ ثالثاً : هدف الترهيب العملي
٧٣ (أ) حفظ الدين
٧٤ (ب) حفظ النفس
٧٤ (ج) حفظ النسل
٧٥ (د) حفظ المال
٧٥ (هـ) حفظ العقل
٧٧ المبحث الثاني : وسائل الترهيب
٧٨ تمهيد
٧٨ المطلب الأول: وسائل الترهيب القولي
٧٩ الوسيلة القولية الأولى : الترهيب من خلال ضرب المثل
٨٠ أسباب كون الأمثال وسيلة للترهيب القولي
٨٠ أولاً: القدرة العالية على الإقناع
٨٢ ثانياً: استيعاب أصناف المدعويين
٨٧ ثالثاً: الواقعية
٨٨ الوسيلة القولية الثانية: الترهيب من خلال القصة
٩٠ أسباب كون القصة وسيلة للترهيب القولي
٩٠ أولاً: أنها ربانية الصنع
٩٠ ثانياً: أنها هادفة
٩٢ ثالثاً: أنها جاءت على منهج الإسلام الشمولي
 رابعاً: أنها تمتلك خصائص فنية مؤثرة ، في الاسلوب، والتصوير، والتكرار
٩٩ الوسيلة القولية الثالثة: الترهيب من خلال القسم
١٠٠ أسباب كون القسم وسيلة للترهيب القولي
١٠٠ أولاً: القدرة على إثارة انفعالات الخوف
١٠١ ثانياً: في القسم تأكيد الخير على بعض الأمور الغيبية
١٠٢ ثالثاً: في القسم تأكيد على أصول الإيمان
١٠٣ رابعاً: في القسم تذكير بالعاقبة السيئة لمن ترك المأمور وعمل المنهيات
١٠٥ خامساً: الواقعية في القسم
١٠٧ المطلب الثاني : وسائل الترهيب العملية
١٠٧ الوسيلة العملية الأولى : الترهيب من خلال الكفارات

١٠٨	الكفارة في حالة القتل
١٠٨	الكفارة في حالة الحنث باليمين
١٠٩	الكفارة في حالة الظهار
١٠٩	الوسيلة العملية الثانية : الترهيب من خلال التعزيرات
١١١	الوسيلة العملية الثالثة : الترهيب من خلال تطبيق الحدود
١١١	أولاً: حد الردة
١١٢	ثانياً: حد القصاص
١١٣	ثالثاً: حد السكر
١١٤	رابعاً: حد الزنى
١١٦	خامساً : حد القذف
١١٧	سادساً: حد السرقة
١١٨	سابعاً: حد الحرابة
١١٩	ثامناً: حد البيغي
١٢٠	الوسيلة العملية الرابعة : الترهيب من خلال الجهاد
١٢٢	المسألة الثانية : خصائص وسائل الترهيب العملية في الدعوة إلى الله
١٢٢	أولاً: أنها ربانية لا بشرية
١٢٤	ثانياً: أنها رحمة للعباد
١٢٥	ثالثاً: أنها تعمل على تكفير الذنوب والمعاصي
١٢٦	رابعاً: أن هذه الوسائل بمنزلة العبادة والجهاد
١٢٧	خامساً: أن فيها تحقيق لمبدأ العدل والمساواة
١٢٩	سادساً: إنها وسيلة للقضاء على الجريمة والإحرام أو الحد من انتشارها
١٢٩	سابعاً: إن في إقامتها الفوز برخاء الدنيا
١٣١	ثامناً: انها موافقة لطبيعة النفس الإنسانية
١٣١	تاسعاً: انها تحقق هدف الترهيب العملي
الفصل الثالث	
مجالات الترهيب	
١٣٤	مبحث تمهيدي
١٤٢	المبحث الأول: مجالات الترهيب مع الكفار
١٤٣	المطلب الأول : مجال ترهيب الكفار في الدنيا
١٤٣	المسألة الأولى : حرمانهم من نور التوحيد
١٤٤	(أ) الختم على قلوبهم

١٤٥ (ب) الحرمان من الهداية
١٤٦ (ج) تيسير طريق الشر
١٤٧ (د) صرف قلوبهم وافهامهم عن الحق
١٤٩ المسألة الثانية : حرمانهم من السعادة
١٤٩ (أ) الحرمان من السعادة المادية
١٥٢ (ب) الحرمان من السعادة المعنوية
١٥٥ استدراك
	المطلب الثاني : مجال ترهيب الكافر في الآخرة
١٥٧ تمهيد
١٥٧ المسألة الأولى : ترهيب الكافر من الحالة التي يلقاها عند الموت
١٥٧ (أ) يبشر بالعذاب والسخط والغضب من الله تعالى
١٥٨ (ب) قبض روحه بأبشع صورة
١٥٨ (ج) استقبال روحه أسوأ استقبال
١٥٩ المسألة الثانية: ترهيب الكافر من المصير الذي يؤول إليه في القبر
١٥٩ (أ) سؤال الملكين للكافر وفشله في الإجابة
١٦٠ (ب) العذاب الحسي للكافر في قبره
١٦٠ (ج) العذاب النفسي للكافر في قبره
١٦٢ المسألة الثالثة: ترهيب الكافر من مواقف يوم القيامة
١٦٢ (أ) قيام الكافر من قبره
١٦٣ (ب) قدوم الكافر الى أرض المحشر
١٦٣ (ج) بعض الصور لترهيب الكافر في أرض المحشر
١٦٧ (د) نتيجة الكافر يوم القيامة
١٦٨ (هـ) نهاية الكافر يوم القيامة
١٧٠ المسألة الرابعة: ترهيب الكافر من المصير الذي سيؤول إليه في النار
١٧٠ (أ) عند الإستقبال
١٧٤ (ب) إحاطة العذاب لكل بدنه
١٧٦ (ج) زيادة العذاب وتضعيفه
١٧٧ (د) محاولة التخلص من الهلاك بكل الأساليب والأسباب
١٧٨ (هـ) الإقامة الأبدية في النار، والحرمان الأبدى من الجنة
١٧٩ (و) العذاب الروحي للكافر في النار
١٨١ المبحث الثاني: مجالات الترهيب مع المنافقين

.....	المطلب الأول: مجال ترهيب المنافقين في الدنيا
١٨٢	تمهيد:
١٨٢	المسألة الأولى: الترهيب بالخروج من دائرة الإيمان، والدخول في حظيرة الكفار
١٨٢	(أ) حكم الله ورسوله عليهم بالكفر
١٨٣	(ب) الجمع بينهم وبين الكفار في عدة أمور
١٨٤	(ج) تأصيل النفاق في قلوبهم
١٨٤	(د) تضعيف عذابهم في الدنيا
١٨٥	المسألة الثانية: ترهيب المنافقين باستهزاء الله تعالى بهم وسخريته منهم
١٨٧	المسألة الثالثة: ترهيب المنافقين بالحرمان من بعض المصالح الدنيوية
١٨٨	(أ) الحرمان من شرف الجهاد
١٨٨	(ب) عدم الاعتراف لهم بالسيادة
١٨٩	(ج) الحرمان من الأولياء والأنصار
١٨٩	استدراك
١٩٠	المسألة الرابعة: ترهيب المنافقين بإلحاق الأذى والإذلال بالجهاد
١٩١	(أ) جهادهم بالقلب
١٩٢	(ب) جهادهم باللسان
١٩٥	(ج) جهادهم باليد
.....	المطلب الثاني: مجال ترهيب المنافقين في الآخرة
١٩٧	تمهيد:
١٩٧	المسألة الأولى: ترهيب المنافق من الحالة التي يلقاها عند الموت
١٩٧	(أ) مشهد الإحتضار
١٩٨	(ب) مشهد الإحتقار بعد الموت
٢٠٠	المسألة الثانية: ترهيب المنافق من المصير الذي يؤول إليه في القبر
٢٠١	(أ) الحرمان من الإجابة على سؤال الملكين
٢٠١	(ب) العذاب النفسي عند توبيخ منكر ونكير
٢٠١	(ج) العذاب الحسي الذي يلحق المنافق في قبره
٢٠٢	المسألة الثالثة: ترهيب المنافق من المواقف التي سيتعرض لها يوم القيامة
٢٠٣	(أ) عند البعث
٢٠٤	(ب) عند العرض على الجبار ومناقشة السؤال والحساب
٢٠٤	(ج) الفضيحة على رؤوس الأشهاد
٢٠٥	(د) عند الصراط

- ٢٠٧ (هـ) نتيجة المنافقين يوم القيامة
- ٢٠٩ المسألة الرابعة: ترهيب المنافقين من المصير الذي يؤولون إليه في النار
- ٢١٠ (أ) تعذيبهم في الدرك الأسفل من النار
- ٢١٠ (ب) الذل والهوان بسبب جمعهم مع اخوانهم الكفار في النار
- ٢١١ (ج) اصابتهم بالجرب في النار
- ٢١١ (د) البكاء الطويل الذي لا ينقطع
- ٢١١ (هـ) الخلود في النار
- ٢١٣ المبحث الثالث: مجالات ترهيب عصاة المؤمنين
- المطلب الأول: مجال ترهيب عصاة المؤمنين في الدنيا
- ٢١٤ تمهيد :
- ٢١٤ المسألة الأولى: الترهيب بالحرمان من كمال التوحيد
- ٢١٥ (أ) الترهيب بنقص الإيمان وضعفه
- ٢١٩ (ب) الترهيب بانتكاس القلب وتزيغته ومرضه
- ٢٢٢ المسألة الثانية: الترهيب بالحرمان من الحياة الطيبة في الدنيا
- ٢٢٤ (أ) الترهيب بالحرمان من السعة في الأرزاق
- ٢٢٧ (ب) الترهيب بالحرمان من العافية في الأنفس والأبدان
- ٢٣٠ (ج) الترهيب بالحرمان من الأمن في الأوطان
- ٢٣٣ (د) الترهيب بالإصابة بالذل والهوان
- ٢٣٥ استدراك
- المطلب الثاني: مجال ترهيب عصاة المؤمنين في الآخرة
- ٢٣٧ تمهيد:
- ٢٣٧ المسألة الأولى: ترهيب المؤمن العاصي بما سيلقاه عند الموت
- ٢٣٧ (أ) الحرمان من قبول التوبة
- ٢٣٨ (ب) اطلاعه على مصيره بعد الموت
- ٢٣٨ (ج) حرمانه من صلاة النبي عليه السلام على جنازته
- ٢٣٨ (د) صعوبة النطق بالشهادتين
- المسألة الثانية: ترهيب المؤمن العاصي بما سيلقاه في القبر
- ٢٤٠ (أ) الجلجلة في الأرض الى يوم القيامة
- ٢٤١ (ب) اشتعال المادة التي ارتكب بها المعصية وصيرورتها ناراً
- ٢٤١ (ج) هز الملائكة له ثم تعذيبه بما نبح عليه
- ٢٤٢ (د) ضرب رأسه بالصخرة الكبيرة

٢٤٢ (هـ) شق وشرشرة فمه ومنخره وعينه الى قفاه بكلوب من حديد
٢٤٣ (و) تعذيبهم في تنور تتوقد تحته ناراً وهم عراة
٢٤٣ (ز) السباحة في نهر الدم
٤٤٣ (ر) تغيير خلقهم تغييراً منفراً
٢٤٤ (س) تعليقه من قدميه وشق جوانب فمه
٢٤٤ المسألة الثالثة: ترهيب المؤمن العاصي بما سيصير إليه في أرض المحشر
٢٤٥ (أ) عند البعث والقيام من القبور
٢٤٥ (ب) عند القدوم الى أرض المحشر
٢٤٦ (ج) تحسيم المعصية الدنيوية وتحويلها إلى عقوبة حقيقية
٢٤٨ (د) الحالة النفسية
٢٥٠ (هـ) عند مناقشة الحساب
٢٥٢ (و) شهادة الأعضاء
٢٥٣ (ز) نتيجة المؤمن العاصي بعد الحساب
٢٥٥ (ر) نهاية المؤمن العاصي يوم القيامة
٢٥٦ المسألة الرابعة: ترهيب المؤمن العاصي بما سيلقاه في النار
٢٥٦ (أ) الحرمان من شرف السبق الى دخول الجنة
٢٥٧ (ب) تأذي أهل النار من عذاب بعض عصاة المؤمنين
٢٥٩ (ج) التعذيب في بعض وديان النار
٢٥٩ (د) أهل النار من عصاة المؤمنين
٢٦٠ (هـ) شدة العذاب على بعض عصاة المؤمنين في النار
٢٦٣ ختمة

الفصل الرابع

تأثير الترهيب

٢٦٨	تمهيد
٢٦٩ المبحث الأول: تأثير الترهيب في نشر الإسلام
٢٧١ أولاً: تأثير الترهيب القولي في نشر الإسلام
٢٧٦ ثانياً: تأثير الترهيب العملي في نشر الإسلام
٢٨٤ الإشكالات القائمة حول أسلوب الترهيب وأثره في انتشار الإسلام
٢٩١ المبحث الثاني: تأثير الترهيب في زيادة إيمان المؤمنين
٢٩٢ أولاً: دور الترهيب القولي في زيادة إيمان المؤمنين
٢٩٢ - ظهور تأثير الترهيب القولي على الجوارح

٢٩٥	- ظهور تأثير التهيب القولي على اللسان
٢٩٧	- ظهور تأثير التهيب القولي في القلب
٢٩٩	ثانياً: دور التهيب العملي في زيادة إيمان المؤمنين
٢٩٩	- ظهور تأثير التهيب العملي على حوارح المؤمنين
٣٠٠	- ظهور تأثير التهيب العملي على الألسنة
٣٠١	- ظهور تأثير التهيب العملي في قلوب المؤمنين
٣٠٣	المبحث الثالث: تأثير التهيب في دفع خصوم الدعوة
٣٠٥	أولاً: تأثير التهيب القولي في دفع خصوم الدعوة
٣١١	ثانياً: تأثير التهيب العملي في دفع خصوم الدعوة
٣٢٠	الخاتمة
٣٢١	أولاً: أهم النتائج
٣٢٣	ثانياً: أهم التوصيات
٣٢٥	الفهارس
٣٢٦	أولاً: فهرس الآيات
٣٤٤	ثانياً: فهرس الأحاديث والآثار
٣٥٣	ثالثاً: فهرس الأعلام
٣٦١	رابعاً: فهرس المصادر والمراجع
٣٧١	خامساً: فهرس المحتويات